



# مجلة العلوم العربية

مجلة علمية فصلية محكمة

العدد الخمسون

محرم ١٤٤٠ هـ



رقم الإيداع: ٣٥٦٣ / ١٤٢٩ / ١٩ بتاريخ ٠٦ / ١٤٢٩  
الرقم الدولي المعياري (ردمد) ٤١٩٨ - ١٦٥٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المشرف العام

معالي الأستاذ الدكتور / سليمان بن عبد الله أبا الخيل

مدير الجامعة

نائب المشرف العام

الدكتور / محمود بن سليمان آل محمود

وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

رئيس التحرير

الدكتور / عبد الرحمن بن عبد العزيز المقبل

عميد البحث العلمي

مدير التحرير

الدكتور / أحمد بن محمد عبد الله هزاوي

وكيل عمادة البحث العلمي للنشر العلمي

## **أعضاء هيئة التحرير**

**أ.د. سعد عبد العزيز مصطفى**

الأستاذ في قسم اللغة العربية بكلية الآداب - جامعة الكويت

**أ.د. عبد العزيز بن صالح العمار**

الأستاذ في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي بكلية اللغة العربية

**أ.د. عبد الكريم بن علي عوفي**

الأستاذ في قسم اللغة العربية وأدابها بكلية العلوم الإنسانية

جامعة الملك خالد

**أ. د. عبد الله بن سليم الرشيد**

الأستاذ في قسم الأدب - كلية اللغة العربية

**أ.د. محمد محمد أبو موسى**

الأستاذ في قسم البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

**أ. د. محمد بن نافع العنزي**

الأستاذ في قسم علم اللغة التطبيقي بمعهد تعلم اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

**د. هشام عبد العزيز محمد الشرقاوي**

أمين تحرير مجلة الجامعة - عمادة البحث العلمي

## قواعد النشر

مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (العلوم العربية) دورية علمية محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة. وتعنى بنشر البحوث العلمية وفق الضوابط الآتية :

**أولاً : يشترط في البحث ليقبل للنشر في المجلة :**

- ١ أن يتسم بالأصالة والابتكار، والجدة العلمية والمنهجية، وسلامة الاتجاه .
- ٢ أن يلتزم بالمناهج والأدوات والوسائل العلمية المعتمدة في مجاله .
- ٣ أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتحريج .
- ٤ أن يتسم بالسلامة اللغوية .
- ٥ ألا يكون قد سبق نشره .
- ٦ ألا يكون مستلماً من بحث أو رسالة أو كتاب، سواءً كان ذلك للباحث نفسه، أو لغيره .

**ثانياً : يشترط عند تقديم البحث :**

- ١ أن يقدم الباحث طلباً بنشره، مشفوعاً بسيرته الذاتية(مختصرة) وإقراراً يتضمن امتلاكه لحقوق الملكية الفكرية للبحث كاملاً، والتزاماً بعدم نشر البحث إلا بعد موافقة خطية من هيئة التحرير .
- ٢ أن يكون البحث في حدود (٥٠) صفحة مقاس (A 4).
- ٣ أن يكون حجم المتن (١٧) Traditional Arabic، والهوامش حجم (١٤) وأن يكون تباعد المسافات بين الأسطر (مفرد).
- ٤ يقدم الباحث نسخة مطبوعة من البحث، ونسخة حاسوبية مع ملخص باللغتين العربية والإنجليزية، لا تزيد كلماته عن مائتي كلمة أو صفحة واحدة.

**ثالثاً: التوثيق :**

- ١- توضع هواش كل صفحة أسفلها على حدة .
  - ٢- ثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بآخر البحث .
  - ٣- توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط المحقق في مكانها المناسب .
  - ٤- ترفق جميع الصور والرسومات المتعلقة بالبحث، على أن تكون واضحة جلية .
- رابعاً :** عند ورود أسماء الأعلام في متن البحث أو الدراسة تذكر سنة الوفاة بالتاريخ الهجري إذا كان العلم متوفى .

**خامساً :** عند ورود الأعلام الأجنبية في متن البحث أو الدراسة فإنها تكتب بحروف عربية وتوضع بين قوسين بحروف لاتينية، مع الاكتفاء بذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة .

**سادساً :** تُحَكَّم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين من المحكمين على الأقل.

**سابعاً :** تُعاد البحوث معدلة، على أسطوانة مدمجة CD أو ترسل على البريد الإلكتروني للمجلة .

**ثامناً:** لا تعاد البحوث إلى أصحابها، عند عدم قبولها للنشر .

**تاسعاً :** يُعطى الباحث نسختين من المجلة، وعشرون مستلات من بحثه .

**عنوان المجلة :**

جميع المراسلات باسم رئيس تحرير مجلة العلوم العربية

الرياض ١١٤٣٢ - ص ب ٥٧٠١

هاتف : ٢٥٨٢٠٥١ - ناسوخ (فاكس) ٢٥٩٠٢٦١

[www.imamu.edu.sa](http://www.imamu.edu.sa)

E.mail: [humanitiesjournal@imamu.edu.sa](mailto:humanitiesjournal@imamu.edu.sa)

## المحتويات

الفوائح الفعلية في السُّورِ القرآنية

(دراسة دلالية في البنية الصرفية والتركيب)

د. أحمد محمد أحمد خليل

(المقتضب) للمبرُّد

قراءة في تحقيقه لمحمد عبد الخالق عضيمة

د. ماجد بن عمر بن معيس القرني

ابن مالك ظاهري النحو

د. عبدالعزيز بن عبد الرحمن الخثلان

رعاية الله لنبيه و الثناء عليه ﷺ

دراسة في البناء التركيبي لسورة القلم

د. منى بنت فهد النصر

شواهد متشابه النظم

في رسالة " الدر الدائر المنتخب من كنایات واستعارات وتشبيهات

العرب للزمخشري ت ٥٣٨ هـ" (دراسة تحليلية)

د. عبد الخالق محمد السيد التلب



**الفواثق الفعلية في السُّور القرآنية  
(دراسة دلالية في البنية الصرفية والتركيب)**

د. أحمد محمد أحمد خليل

جامعة طيبة - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - قسم اللغة العربية



# **الفوائح الفعلية في السُّورِ القرآنية**

## **(دراسة دلالية في البنية الصرفية والتركيب)**

د. أحمد محمد أحمد خليل

جامعة طيبة - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - قسم اللغة العربية

تاریخ تقديم البحث: ٢٩/١/١٤٣٩ هـ تاریخ قبول البحث: ٢٩/٦/١٤٣٩ هـ

### **ملخص الدراسة:**

يتناول هذا البحث الفوائح الفعلية للسور القرآنية، وهي السور المفتتحة بالفعل صراحة دون قيد إيجاباً دون نفي، دراسة دلالية لبنية الفعل وتركيبه، ويجيب من خلالها عن الأسئلة التالية: لماذا افتتحت هذه السورة بالفعل دون الاسم؟ ولماذا اختير هذا الزمن من أزمنة الفعل؟ وما دلالته؟ ولماذا اختار الله تعالى هذه المادة دون غيرها في مطلع هذه السورة؟

وقد سلك البحث المنهج التحليلي الوصفي، وفي سبيل ذلك بدأ السورة ببيان المقصود العام لها وأسباب النزول وعلاقتها بما قبلها، ثم بين المعنى المعجمي للفعل الذي افتتحت به السورة، ومعناه داخل السياق، ثم تناول الجانب الصرفي للفعل من خلال الدلالات التالية: دلالة الزمن ودلالة التعدي واللزوم ودلالة التجدد والزيادة ودلالة البناء للمعلوم.

وجاءت الدراسة في ثلاثة محاور؛ الأول: فوائح السور المفتتحة بالفعل الماضي، والثاني: فوائح السور المفتتحة بالفعل المضارع، والثالث: فوائح السور المفتتحة ب فعل الأمر.



## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين.. والصلاه والسلام على أشرف المرسلين ، وبعد : قد يكون البحث العلمي ببابا من أبواب الجهاد ، لاسيما إذا كان في القرآن الكريم ، فالقرآن معجز في جوانب عده ، وكلما أنعمت النظر فيه وجدت بحرا لا ساحل له من المعاني المتتجدة التي لا يحدها مكان أو زمان في جوانب عديدة ، ومن هذه الجوانب فواتح السور أو مطالعها ، التي امتازت بخصائص فريدة قلما تُعرف في كلام البشر ، فقد اختلفت عن جميع الافتتاحيات السابقة كالقصائد والخطب والمقامات وجميع الفنون الأدبية ، فجاء بعض الفواتح القرآنية بالاسم الآخر بالفعل وبعضه بمحروف محيرة لم يعهد لها العرب ... وقد اقتصر بحثي على دراسة الفواتح الفعلية فقط.

**والفواتح :** هي الأوائل والمبادئ ، وقد ورد في الحديث عن النواس بن سمعان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدّجَال – إلى أن قال - : " فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف" <sup>(١)</sup> أي أوائلها ، ففواتح سور أوائلها ومبادئها.

وهذه الفواتح في غاية الأهمية في بيان المقاصد العامة للسور ؛ لارتباط مقاصد السور بطالعها ، وقد قيل : إن البلاغة حسن الابداء ، وهو ما يسمى ببراعة الاستهلال بأن يشتمل أول الكلام على ما يناسب حال المتكلم في الموضوع المراد الحديث عنه . وقد اهتم القدماء بالفواتح في الكلام بل وأوصوا

---

(١) ينظر: صحيح مسلم، كتاب الفتنة وأشرطة الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، حديث رقم ٦٥٦٠. وصحيح وضعيف الجامع الصغير (٢٦٢ / ١٦)، وحديث رقم: ٤١٦٦ في صحيح الجامع للألباني.

بها، ومن ذلك قولهم: "أحسنوا معاشر الكتاب الابتداءات فإنهن دلائل الإعجاز"<sup>(١)</sup> والعرب "تبتدئ الشيء من كلامها يبين أول لفظها عن آخره."<sup>(٢)</sup> أما البلاغيون فقد عدوا حسن الافتتاح ركنا من أركان البلاغة يجب مراعاته في النظم والنشر<sup>(٣)</sup> بل اشترطوا للشاعر أن "يخترز في أشعاره ومفتتح أقواله مما يُنطَّلِّي به أو يستجفَّى من الكلام والمخاطبات"<sup>(٤)</sup> وهذا يبين العلاقة بين ما افتح به الكلام وما قصد إليه.

وفي القرآن الكريم سور افتتحت بالفعل الصريح، فأردت في هذا البحث أن أقف على سر الإعجاز في مطالع السور المفتتحة بالفعل، وأقصد بها السور التي بدأت بالفعل إيجابا دون سلب، صراحة دون قيد أو تقدير، ومن خلال ذلك سيجيب البحث على الأسئلة التالية: لماذا افتتحت هذه السورة بالفعل دون الاسم؟ ولماذا اختير هذا الزمن من أزمنة الفعل؟ وما دلالته؟ ولماذا اختار الله تعالى هذه المادة دون غيرها في مطلع هذه السورة؟

وفي سبيل ذلك وقفت على المقصود العام للسورة؛ فمطلع السورة وثيق الصلة بمقصدها وغرضها، والسورة القرآنية بناء واحد متسلك، كما وقفت على أسباب النزول؛ لأنه يعين في الكشف عن تراكيب المطلع الذي جاء مؤائماً للمقام، ثم بينت معنى الآية، وعلاقتها بما قبلها؛ لأن افتتاح كل سورة في غاية المناسبة لما قبلها، فهناك ترابط واضح بين خواتيم السور وفواتح السور التي تليها؛ ثم بينت معنى الفعل لغة، وكذلك معناه من خلال السياق

(١) ينظر، الصناعتين لأبي هلال العسكري: ٤٣١.

(٢) الرسالة للشافعي، تحقيق: محمد عيد كيلانيك ٢٧.

(٣) ينظر، الطراز للعلوي: ٢٦٩/٢.

(٤) ينظر، الصناعتين لأبي هلال العسكري: ٤٩٣.

فمعنى الكلمة المطلوب لا يتحدد إلا من خلال السياق الذي ترد فيه، كما يرى فيرث: بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة.<sup>(١)</sup> والسياق القرآني هو علاقة اللفظ بما قبله وما بعده من الآيات، ومعروف أن النمط التركيبي للجملة يتعدد بتنوع المعنى الوظيفي للكلمة داخل السياقات المختلفة، كما يتعدد أيضاً باختلاف المعنى المعجمي للكلمة "ولما كان تعدد المعنى يكشف عن عدم كفاية القرآن النحوية الدالة على الأبواب المقررة كان معنى ذلك أن النمط التركيبي أصبح بحاجة إلى فرينة من خارج الجملة تعرف أحياناً باسم السياق"<sup>(٢)</sup>. فيبينت المعاني اللغوية للأفعال ثم معانيها في السياق الذي وردت فيه؛ لأن السياق يحدث تحولاً في أزمنة الأفعال من الماضي إلى المستقبل والعكس ليؤدي الدلالة التعبيرية المطلوبة، ولا شك في أن هذا الاختلاف في التعبير والتتصادم بين الأزمنة يثير انتباه المتلقى ويزيد تفاعله وهو جزء من بلاغة القرآن.

ثم تناولت الجانب الصرفي للفعل؛ فالصيغة الصرافية هي شكل الكلمة ومادتها التي تتكون منها هيئتها وتبني عليها حروفها، وهي التي ينتج عنها إيحاءات دلالات مختلفة يتطلبها سياق الأحداث، فمثلاً الفعل (اقترب) على وزن (افتتعل) فمعنى اقترب يتحدد بناء على ما تؤديه صيغة افتتعل في السياق وهكذا.

كما تناولت في الدلالة الصرافية (دلالة الفعل من حيث التعدي واللزوم) وقد بين ابن السراج دلالات الفعل اللازم والمتعدي - ولم يختلف عن النحاة كثيراً في هذه الدلالات - فقد حصر مجالات الفعل اللازم في ثلاثة مجالات:

(١) ينظر: علم الدلالة د/ أحمد مختار عمر: ٦٨.

(٢) البيان في روائع القرآن، د/ تمام حسان: ١٦٤/١.

في أفعال الخلقة، وفي حركة الجسم وهيئته، وفي أفعال النفس، حيث قال: "أما الذي هو خلقة فنحو: اسود، واحمر، واعور، وشهاب، وطال، وما أشبه ذلك... وأما حركة الجسم بغير ملاقاة لشيء آخر فنحو: قام وقعد وسار وغار، ألا ترى أن هذه الأفعال مصوغة لحركة الجسم وهيئته في ذاته.. وأما أفعال النفس التي لا تتعداها فنحو: كرم، وظرف، وفك، وغضب، وخبر، وبطر، وملح، وحسن، وسمح، وما أشبه ذلك"<sup>(١)</sup>.

ثم بين ابن السراج دلالة الفعل المتعدي فقال: وأما الفعل الذي يتعدى. فكل حركة للجسم كانت ملائمةً لغيرها وما أشبه ذلك من أفعال النفس وأفعال الحواس من الخمس كلها متعدية ملائمة نحو: نظرت وشممت. وسمعت. وذقت. ولست. وجميع ما كان في معانيهن فهو متعد. وكذلك حركة الجسم إذا لاقت شيئاً كان الفعل من ذلك متعدياً نحو: أتيت زيداً ووطئتْ بذلك وداركَ وأما قوله: فارقته وقاطعته. وباريته. وتاركته. فإنما معناه: فعلت كما يفعل وساويت بين الفعلين. والمساواة إنما تعلم بالتلاقي وتركتك في معنى تاركتك لأن كل شيء تركته فقد تركك فافهم هذا فإن فيه غموضاً قليلاً<sup>(٢)</sup>. وأخيراً تناولت في الدلالة الصرفية لل فعل دلالته من حيث التقييد والإطلاق (التجدد والزيادة) لأن لكل زيادة في المبني زيادة في المعنى كما هو معلوم.

**الدراسات السابقة:** هناك دراسات تلتقي مع هذا البحث، وتتناول جانباً من جوانبه، وقد أفادت من بعضاً في بحثي، منها: (الخواطر السوانح في أسرار

(١) الأصول في النحو لأبي بكر محمد بن سهيل بن السراج. تحقيق عبد الحسين الفتلي، الطبعة الأولى—مؤسسة الرسالة - ١٩٨٥ م. ص: ١٧٠ / ١

(٢) الأصول في النحو لابن السراج: ١٧٠ / ١.

الفواثق) لابن أبي الأصبح، تحقيق د. حفني شرف سنة ١٩٦٠، وهذه الدراسة لم تعرّض للبنية الصرفية دلالتها، و(علاقة المطالع بالمقاصد في القرآن الكريم) للدكتور: إبراهيم الدهد، وهذه الدراسة بلاغية، تناولت علاقة مطلع السورة بمقاصدها، و(فواثق سور القرآن) للدكتور: حسين نصار الذي أرخ فيه للتفكير العربي الذي دار حول فواثق سور القرآن عامة والمحروف المقطعة خاصة، كما ذكر في مقدمته<sup>(١)</sup>. حول هذه الدراسات دارت معظم الأبحاث في هذا الموضوع. أما بحثي فقد انفرد بالتحليل الدلالي للبنية الصرفية للفواثق الفعلية وتركيبها.

#### التمهيد:

تنقسم الصيغ الفعلية بناء على دلالتها وارتباطها بأقسام الزمن الثلاثة إلى: ماض ومضارع وأمر، قال سيبويه عن الفعل بأنه "أمثلةأخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع"<sup>(٢)</sup>. فالزمن ينقسم إلى ثلاثة أقسام: ما مضى وهو الزمن الماضي، ما يكون ولم يقع وهو الزمن المستقبل، ما هو كائن لم ينقطع وهو الزمن الحاضر. وقال ابن السراج: "الفعل ما دلَّ على معنى وزمان، وذلك الزمان إما ماضٍ وإما حاضر، وإما مستقبل"<sup>(٣)</sup> فقد أضاف للفعل دلالة معنوية. والأفعال أصول مبني أكثر الكلام، ولذلك سمتها العلماء الأبنية، وبعلمها يُستدل على أكثر علم القرآن والسنة، وهي حركات مقتضيات"<sup>(٤)</sup>.

---

(١) فواثق سور القرآن للدكتور حسين نصار: ٤.

(٢) الكتاب لسيبويه: ١٢/١.

(٣) الأصول في النحو لا بن السراج. ص ١: ٤١.

(٤) كتاب الأفعال لأبي القاسم علي بن جعفر السعدي: ٨/١.

والجملة الفعلية هي الجملة التي يكون فيها المسند فعلاً، أكثر الجمل شيوعاً في الاستعمال، بل تعد أساس التعبير في العربية<sup>(١)</sup>

وأما بناء الفعل صرفيًا فينقسم إلى: ثلاثي مجرد ومزيد، ورباعي مجرد ومزيد. وأما من حيث الدلالة فمعروف عند اللغويين أن الفعل يفيد الحدوث والتجدد بخلاف الاسم الذي يفيد الثبوت "وسر ذلك أن الفعل مقيد بالزمن، فالفعل الماضي مقيد بالزمن الماضي، والمضارع مقيد بزمن الحال أو الاستقبال في الغالب، في حين أن الاسم غير مقيد بزمن من الأزمنة"<sup>(٢)</sup>.

وفي دلائل الإعجاز: "إذا قلتَ: زِيدٌ هَا هُو ذَا يَنْطَلِقُ، فَقَدْ زَعَمْتَ أَنَّ الْانْطَلَاقَ يَقْعُدُ مِنْهُ جُزْءاً فَجْزِئاً، وَجَعَلْتُهُ يُزَوَّلُهُ وَيُزَجِّيْهِ.. إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْتَبِرَهُ حِيثَ لَا يَخْفَى أَنَّ أَحَدَهُمَا لَا يَصْلُحُ فِي مَوْضِعِ صَاحِبِهِ، فَانظُرْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّبُهُمْ بَاسْطُ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨]، إِنَّ أَحَدًا لَا يَشْكُ فِي امْتِنَاعِ الْفَعْلِ هُنْهَا، وَأَنَّ قَوْلَنَا: "كَلَّبُهُمْ يَسْطُ ذِرَاعِيهِ"، لَا يَؤْدِي الْغَرْضَ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ الْفَعْلَ يَقْتَضِي مَزاْوِلَةً وَتَجَدُّدَ الصَّفَةِ فِي الْوَقْتِ، وَيَقْتَضِي الْأَسْمُ ثَبَوتَ الصَّفَةِ وَحُصُولَهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هُنْكَ مُزاْوِلَةً وَتَزْجِيْةً فَعْلٍ، وَمَعْنَى يَحْدُثُ شَيْئاً فَشَيْئاً"<sup>(٣)</sup>.

والتجدد للفعل حاصل له من تغيره؛ لأن "كل ما كان زمانيا فهو متغير، والتغيير مشعر بالتجدد"<sup>(٤)</sup> كما أن الإخبار بالفعل أكمل وأتم، بينما الإخبار بالاسم أعم "لأن الإخبار بالفعل مقتصر على الزمانيات أو ما يقدر فيه ذلك،

(١) التحو العربي، نقد وتجبيه، د/ مهدي المخزومي: ٢٠٧.

(٢) معاني الأبنية، للدكتور فاضل السامرائي: ٩.

(٣) دلائل الإعجاز، ت: محمود شاكر: ١٧٤ - ١٧٥.

(٤) ينظر: نهاية الإيجاز في درية الإعجاز لفخر الدين الرازي: ٤٠ - ٤١.

والإخبار بالاسم لا يقتضي ذلك، وبذلك كان الاسم دالاً على الثبوت والفعل دالاً على الحدوث والتجدد<sup>(١)</sup> وقال أبو البقاء في الكليات: "والجملة الفعلية موضوعة لإحداث الحدث في الماضي أو الحال فتدل على تجدد سابق أو حاضر"<sup>(٢)</sup>.

وفي قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرُوا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضُنَّ﴾ [الملك: ١٩] كيف فرق بينهما فلم يقل صافات وقابضات أو يصفن ويقبضن؟ وذلك أن الأصل في الطيران صف الأجنحة والقبض طارئ، فكان الصف بصيغة الاسمية للدلالة على الثبوت والقبض بصيغة الفعلية للدلالة على التجدد والحدوث<sup>(٣)</sup>.

قال الزمخشري: صافاتٍ باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها، لأنهن إذا بسطنها صفون قوادها صفاً ويقبضنَّ أى: ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن. فإن قلت: لم قيل ويقبضنَّ ولم يقل: وقابضات؟ قلت: لأن الأصل في الطيران هو صف الأجنحة، لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها. وأما القبض فطارئ على البسط. للاستظهار به على التحرك، فجيء بما هو طارئ غير أصل بلفظ الفعل، على معنى أنهن صافات، ويكون منهن القبض تارة كما يكون من الفعل، على معنى أنهن صافات، ويكون منهن القبض تارة كما يكون من السباح<sup>(٤)</sup>.

١) ينظر: السابق.

٢) الكليات لأبي البقاء الكفووي: ٤٠١.

٣) معاني الأبنية، للدكتور فاضل السامرائي: ٩.

٤) تفسير الكشاف: ٤ / ٥٨١.

**وسوف أتناول هذا البحث في ثلاثة محاور ؟**

**المحور الأول :** فواتح السور المفتتحة بالفعل الماضي

**المحور الثاني :** فواتح السور المفتتحة بالفعل المضارع

**المحور الثالث :** فواتح السور المفتتحة بفعل الأمر

**المحور الأول : السور المفتتحة بالفعل الماضي ، وهي أربع عشرة سورة.**

وال فعل الماضي مبني بطبيعة بدلاته الأولية اللفظية ، ودلالة المبني واحدة

في جميع تصارييفه أن الحدث قد تم وانتهى في الزمن الماضي ، قال سيبويه :

فأما بناء ما مضى فذهب وسمع ومكث وحمد<sup>(١)</sup> . وكلها تدل على الماضي ،

لكن السياق قد يغير هذه الدلالة الأولية (اللفظية) للفعل الماضي من حدث قد

انتهى إلى دلالات آخر " هي على خلاف الأصل الذي وضع له ، وإنما حدث

ذلك بعد اقترانه بدليل دل على ذلك التحول<sup>(٢)</sup> فقد يستعمل الفعل الماضي

استعمال المضارع ، وقد يستعمل للحال أيضا ، ومن ذلك قوله تعالى :

أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ<sup>(٣)</sup> . فإن كلمة (أتى) هنا هي في مبناه الصرف على

وزن فعل ، و فعل للماضي ، غير أنها تحولت وأصبحت بمعنى سيأتي ، وهذا

المعنى جاء نتيجة السياق الذي وردت فيه<sup>(٤)</sup> . ومعظم الفواتح الفعلية التي

وردت بصيغة الماضي الفعل فيها يدل على الماضي زمانا وعلى المستقبل دلالة ،

لقصد سنينه في حينه إن شاء الله .

---

(١) الكتاب : ١٢/١.

(٢) ينظر ، التحول الزمني عند النحاة العرب ، د. عبد الله بوخلخال : ٤/٤١ . ديوان المطبوعات العلمية .

(٣) سورة النحل الآية ١.

(٤) ينظر ، الدلالة الإيحائية في الصيغة الفردية ، د/ صفية مطهرى : ٦٨.

وقد يستعمل الماضي ويراد به الحال أيضاً وذلك "تنزيلاً لحوادث الحال منزلة حوادث الماضي للإشارة إلى أن حدوثها واقع لا محالة مثل حوادث الماضي التي وقعت وأصبحت حقيقة".<sup>(١)</sup>

وفيما يلي تناول بالتحليل السور المفتتحة بالفعل الماضي:

**أولاً: سورة النحل**، وهي السورة الأولى من السور التي تفتح بالفعل الماضي، قال الله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللّٰهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾<sup>(٢)</sup> والمعنى: اقترب ودنا أمر الله بنصر المؤمنين وهزيمة الكافرين الذين كانوا يستبعدون نصر الله لأوليائه "فجاء مطلع السورة حاسماً جازماً".<sup>(٣)</sup>

**المقصد العام للسورة:** إنذار المشركين بالعذاب، وإبطال شركهم، ورد شبههم على القرآن والنبوة والبعث<sup>(٤)</sup> فقد دل الفعل (أتى) الماضي لفظاً المستقبل دلالة في المطلع على مقصود السورة.

- **الربط بين الفعل ومقصد السورة**، حيث إن التعبير بما يدل على تحقق الإتيان يزيد في الإنذار ويشعرهم بأن ما هم فيه من شرك وعمل باطل كأنه لا مستقبل لهم ولا حياة لهم، فمطلع السورة يوحى ب نهايتم ، فلا مجال للجدال لأن أمر الله قد أتى.

**أسباب النزول:** استهزأ المشركون لما نزل أول القمر، وزاد استهزاؤهم بنزول أول الأنبياء، وقالوا يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به، فأنزل الله تعالى (أَتَىٰ أَمْرُ اللّٰهِ) فوثب النبي ورفع الناس رؤوسهم، فنزل (فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ) فاطمأنوا، فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بعثت

(١) التعبير الزمني عند النحاة العرب للدكتور عبد الله بو خلخال ص ٥٠ - ٥١.

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب: ٤/٢١٥٩.

(٣) النظم الفني في القرآن ، للشيخ عبد المتعال الصعيدي: ١٦٧.

أنا والساعة كهاتين، وأشار ياصبعة، وإن كانت لتبقني<sup>(١)</sup> والمراد بأمر الله عذابه على الراجح من كلام المفسرين، وقد ضعفوا أن يكون المراد بأمر الله فرائضه؛ لأنه لم يثبت عن الصحابة أنهم استعجلوا فرائض الله<sup>(٢)</sup>.

### علاقة السورة بسورة الحجر قبلها:

- في أوائل سورة الحجر ذكر الله عدداً من النعم مجملة فقال تعالى: {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَاهَا لِلنَّاظِرِينَ. وَحَفَظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ. إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتَبَعَهُ شَهَابٌ مُؤْيِّنٌ. وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيًّا وَأَبْتَثْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ}. وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ} [الحجر: ١٦ - ٢٠] وفي سورة النحل ذكر النعم بالتفصيل حتى سميت بسورة النعم<sup>(٣)</sup>

- قال الله تعالى في سورة الحجر: ﴿أَوَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحْ الصَّفَحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]

وقال في سورة النحل قال: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]  
 - وقال الله تعالى في سورة الحجر: ﴿فَوْرَبِكَ لَنْسَأْلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٤] والسؤال يكون يوم القيمة  
 وفي سورة النحل قال تعالى ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾  
 - وقال تعالى في الحجر: ﴿فَاصْدِعْ بِمَا تُؤْمِرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]  
 وفي سورة النحل قال: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

(١) أسباب النزول: ٢٠٩.

(٢) ينظر، جامع البيان: ١٤ / ٥٢ - ٥٣.

(٣) ينظر، الصاوي على الجلالين: ٤ / ٣٠.

- ذكر الله في سورة الحجر قصة إبراهيم فقال : ﴿ وَبَيْنَهُمْ عَنْ ضَيْفٍ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الحجر : ٥١]

وفي سورة النحل مدح الله إبراهيم فقال : {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَائِمًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل : ١٢٠]

- في أواخر الحجر قال الله تعالى : واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ، وفي مطلع سورة النحل قال تعالى : ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾  
**الدلالة اللغوية للفعل أتي :**

- افتتحت السورة بالفعل (أتي) دون غيره من الأفعال كحضر مثلاً أو جاء ، لأن الفعل (أتي) ذو دلالة خاصة تتضح من خلال المعنى اللغطي للفعل وهو : وصول أو تقدم وحضور إلى مكان أو شيء بتهيئة أو قوة تزيل ما يعوق مع خفاء مصدر ..<sup>(١)</sup> فأتي تستعمل لما فيه سهولة ويسر . بخلاف الفعل (جاء) مثلاً التي تدل على الصعوبة ، فالدلالة المعجمية للكلمة تدل على معناها وهو : سرعة وصول أمر الله مع يسر وسهولة ، وجاء في (المفردات في غريب القرآن) "الإتيان" : مجيء بسهولة ، ومنه قيل للسهل المار على وجهه : أتي وأتاوي ، وبه شبه الغريب فقيل أتاوى<sup>(٢)</sup> . و"القرآن الكريم يستعمل المجيء لما فيه صعوبة ومشقة ، أو لما هو أصعب وأشق مما تستعمل له ، أتي"<sup>(٣)</sup> .  
والإتيان يقال للمجيء بالذات وبالامر وبالتدبر ، ويقال في الخير وفي الشر ، وفي الأعيان والأعراض ، نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ

(١) ينظر، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د. محمد حسن جبل: ١٩٢.

(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني: ٦٠.

(٣) لمسات بيانية، د/ فاضل السامرائي: ٩٧.

أَتَتُكُمُ السَّاعَةُ ﴿الأنعام / ٤٠﴾، قوله تعالى : أَتَى أَمْرُ اللَّهِ ﴿النَّحْل / ١﴾ أَتَى أمر الله : ثبت تمام قدرته سبحانه ، فكان مقتضى الكلمة الثانية (فلا تستعجلوه) لكنه أخرج ما قد وقع مخرج ما لم يقع <sup>(١)</sup>

وفيه عدة إشارات : أن استعجالهم كان عن جهل وعمى وسفاهة ؛ لأن الأمر الذي يستعجلونه قد حصل بالفعل ، كما أن فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم في دعوته لهم ، كقوله ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخْعُ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا الْحَدِيثُ أَسَفًا﴾ ﴿الكهف : ٦﴾ وقوله ﴿لَعَلَّكَ بَاخْعُ نَفْسَكَ أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿الشعراء : ٣﴾ وفيه أيضا الإشارة إلى قضية الإيمان بالغيب وأن محوره يدور على ذلك فإتيان أمر الله قد سبق في علم الله ولو كانوا يؤمنون به لصدقه ، ولما استعجلوه .

**الدلالة الصرفية للفعل :**

- **الافتتاح بالفعل :** افتتحت السورة بالفعل دون الاسم للتأكيد على قضية الزمن ، وذلك لأن الفعل يدل على الحدث وهو الإتيان والزمن الذي وقع فيه .

- **دلالة الزمن :** افتح الله سبحانه وتعالي هذه السورة بالفعل الماضي (أَتَى) ومعناه المستقبل أي سيأتي ، فهو ماضي اللفظ مستقبل الدلالة ، وذلك لغرض بلاخي وهو تحقق الواقع .

قوله سبحانه (أَتَى) أي سيأتي لا محالة وعد الله ووعده كأنه واقع بالفعل " فَجِيءَ بِالْمَاضِي الْمُرَادِ بِهِ الْمُسْتَقْبَلُ الْمُحَقَّقُ الْوُقُوعُ بِقَرِينَةٍ تَفْرِيعٍ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ، لِأَنَّ النَّهْيَ عَنِ اسْتَعْجَالِ حُلُولِ ذَلِكَ الْيَوْمِ يَقْتُضِي أَنَّهُ لَمَّا يَحْلَّ بَعْدُ<sup>(٢)</sup> إِذْنَ حَالَةِ الْفَعْلِ أَتَى : ماضي الزمن ، مستقبل الدلالة .

(١) علاقة المطالع بالمقاصد في القرآن الكريم ، د. إبراهيم المدهد : ٢٥٧ .

٢) التحرير والتنوير : ٩٦ / ١٤ .

**- فاعل الفعل أتى :** جاء الفاعل اسمًا ظاهراً واضحاً للجميع (أمر)  
وبالنكرة ليشمل كل أنواع العذاب وأعظمه، ولذلك لم يقل أتى عذاب الله<sup>(١)</sup>  
وقد عبر عنه بالأمر "للتخفيم والتهويل وللإيذان بأن تتحققه في نفسه منوط  
بحكمه النافذ، وقضائه الغالب"<sup>(٢)</sup> وقد أضيف الفاعل إلى (الله) لتأكيد عظيم  
قدرته.

**- دلالة التقييد والإطلاق (الزيادة والتجرد) :** فالفعل ثلاثي مجرد على  
وزن فعلٍ ومضارعه يُفعّل، من باب: ضَرَبَ يَضْرِبُ، وهو أجوف يائى،  
وصيغة (فعل) تدل على حكاية الحدث، وهي من أكثر الصيغ وروداً في  
القرآن الكريم. وقد ورد الفعل أتى في القرآن عدة مرات، في سور طه  
والذاريات والشعراء والإنسان، وتتقارب معانيها في الدلالة على على حكاية  
حدث.

**- دلالة التعدي واللزموم :** الفعل أتى فعل لازم غير متعد إلى مفعول،  
وهو يدل على حركة الجسم وهيئته.

**- دلالة البناء للمعلوم :** الفعل مبني للمعلوم، ليؤكد صدق الخبر بوقوع  
الحدث بفاعله، وفيها إظهار لحقيقة الفاعل في وضوح ولفت الأنظار إليه  
والاهتمام به، وهو أمر الله سبحانه.

**ثانياً : سورة الأنبياء :** افتتحت بقول الله تعالى ﴿اَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ  
وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ «اقتربَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ» على ما عملوه في الدنيا،  
لأن القرب إما زمانٍ، وإما مكانٍ، وكونه مكانياً يتذرع هنا. فلزم أن يكون

---

(١) علاقة المطالع بالمقاصد في القرآن الكريم : ٢٥٨ .

(٢) إرشاد العقل السليم : ٤٢٢ / ٥ .

زمانياً، ولا يقال إنه مرّ عليه ما يقرب من أربعة عشر قرنا ولم يأت؛ لأن يوماً عند ربك كألف سنة مما نعده، والمراد أن وقت الحساب صار قريباً،<sup>(١)</sup>.

ومطلع السورة (اقترب..) ورد في معرض التهديد وشدة الوعيد الذي تكرر في مواطن كثيرة من السورة ﴿سَارِيْكُمْ آيَاتِي﴾ [الأنبياء: ٣٧] {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ...} [الأنبياء: ٤٧].. كما ختمت السورة بنفس التهديد الذي افتتحت به، إذن هناك علاقة بين تراكيب السورة ومطلعها.

**المقصد العام للسورة:** الاستدلال على تحقق الساعة وقربها ولو بالموت، ووقوع الحساب فيها على الجليل والحقير<sup>(٢)</sup>. ومطلع السورة يوحى بذلك إذ ورد في معرض التهديد وشدة الوعيد.

**علاقة السورة بما قبلها:** أنذر الله بالجزاء فيما سبق ليعلم بقرب الواقع هنا، وتظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من ناحيتين :

- الأولى : الإشارة إلى قرب الأجل المسمى للعذاب، ودنو الأمل المنتظر، فقال تعالى في آخر سورة طه قبلها : وَلَوْلَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلُ مُسَمًّى ، ثم قال : ﴿قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَصُوا﴾ و قال تعالى في مطلع هذه السورة : ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ .

- الثانية : التحذير من الاغترار بالدنيا ، والعمل للأخرة ، فقال تعالى في آخر سورة طه ﴿وَلَا تَمُدَّنَ عَيْنِيكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ .. فإن قرب الساعة يقتضي الإعراض عن زهرة الحياة الدنيا لدنوها من الزوال والفناء ، وختمت سورة الأنبياء بمثل ما بدئت به السورة المتقدمة ،

(١) ينظر ، بيان المعاني ، عبد القادر بن ملا حويش السيد : ٢٩٤ / ٤ .

(٢) ينظر ، مصاعد النظر : ٢٨٦ / ٢ .

فأبان الله تعالى أنه بالرغم من قرب الساعة والحساب، فإن الناس غافلون عنها، ولا هون عن القرآن والاستماع إليه<sup>(١)</sup>.

**الدلالة اللغوية للفعل اقترب:** مفردات هذا التركيب تدور بين القرب المكاني والزمني والسيبي وقرب المنزلة....، وكل اقترب فهي للقرب الزمني عدا ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩] فهي لقرب المنزلة..<sup>(٢)</sup> ولا شك أن المقصود هو القرب الزمني، وهو زمن حساب الذي أندروا سابقاً في سورة طه ﴿قُلْ كُلُّ مُتَّرِّصٌ فَتَرَبَّصُوا﴾ [طه: ١٣٥]. وقال الله تعالى اقترب ولم يقل قرب؛ للتعبير عن شدة القرب واحتمالية وقوعه لأنه من الله سبحانه، كما ورد الفعل اقترب في سورة الأعراف قبلها ﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٥] الذي يدل - أيضاً - على الانفعال في القرب.

**الدلالة الصرفية للفعل اقترب:**

- عبر الله سبحانه بالفعل دون الاسم؛ ليدل على الحدوث والتجدد في الزمن، وهو شدة اقترب يوم القيمة، ثم اختار من الفعل الزمن الماضي دون المضارع أو المستقبل "لتحقق وقوعه وقربه وقلة ما بقي بالنسبة لما مضى"، لأن كل آت قريب. والبعيد ما وقع ومضى"<sup>(٣)</sup> وفاعل الفعل كلمة (حسابهم) اسم ظاهر، واضح الدلاله على قرب الساعة، ولم يقل الله سبحانه: قرب الله حسابهم؛ لأن المقصود هو بيان شدة قرب الحساب الذي يوحى بالإذار كما يتضح في المقصود العام للسورة.

- دلالة التعدي واللزوم: اقترب فعل لازم، وقد تعدى باللام التي تؤكد إضافة الحساب للناس، وفي تقديم الجار وال مجرور على الفاعل دلالة

(١) ينظر، التفسير المنير للزحيلي: ٥/١٧ - ٦.

(٢) ينظر، المعجم الاشتقاقي المؤصل: ١٧٦٣ - ١٧٦٤.

(٣) ينظر، بيان المعاني، عبد القادر بن ملا حويش السيد: ٤/٢٩٤.

على "المسارعة في إدخال الروعة، فإن نسبة الاقتراب إليهم من أول الأمر مما يسُؤلهم ويورثهم رهبة وانزعاجاً من المقترب"<sup>(١)</sup>

ولما كان الناس هم المعينين بالرهبة كان تقديم الجار والمحرر أولى كما قال سيبويه: "إِنَّمَا يَقْدِمُونَ الَّذِي بِيَانِه أَهْمُ لَهُمْ وَهُمْ بِيَانِه أَغْنَى، وَإِنْ كَانَا جَمِيعاً يُهِمُّهُمْ وَيَعْنِيَنَّهُمْ".<sup>(٢)</sup> وفيه تشويق للمؤخر حتى يثبت معناه في النفس ويرسخ في القلب، والشيء إذا جاء بعد تطلب وترقب كان بالنفس أغلق وبالقلب أقصى.

- **دلالة التقييد والإطلاق (التجرد والزيادة):** الفعل اقترب فعل مزيد بهمزة الوصل في أوله، وببناء الافتعال بين القاف الراء، وأصله قرب، ويأتي هذا الوزن للمطاوعة، فهو على وزن افتعل<sup>(٣)</sup> قال أبو حيان: "واقترب افتَّعَلَ بِمَعْنَى الْفَعْلِ الْمُجَرَّدِ وَهُوَ قَرْبٌ كَمَا تَقُولُ: ارْتَقَبَ وَرَقَبَ. وَقَيْلٌ: هُوَ أَبْلَغُ مِنْ قَرْبَ لِلزِّيَادَةِ الَّتِي فِي الْبَنَاءِ"<sup>(٤)</sup> فيه زيادة في القرب الزمني، لأن الزيادة في المبني زيادة في المعنى. فالاقتراب مبالغة في القرب، وصيغة الافتعال الموضوعة للمطاوعة مستعملة في تحقق الفعل، أي اشتد قرب وقوعه منهم.

- **دلالة البناء للمعلوم والمجهول:** الفعل مبني للمعلوم وفاعله (حسابهم) وفيه تأكيد صدق الحدث وهو اقتراب الحساب، وفيه أيضاً إظهار الحقيقة الفاعل في وضوح ولفت الانتباه إليه للاهتمام به، وفيه قوة الإخبار الذي يناسبه البناء للمعلوم.

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ٦٨/٧.

(٢) كتاب سيبويه: ٣٤/١.

(٣) ينظر، شرح شافية ابن الحاجب: ١٠٨/١.

(٤) البحر الحيط: ١٠٦/٧.

ثالثاً: سورة المؤمنون، افتتحت بقوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وهو افتتاح بديع؛ لأنَّه من جوامع الكلم، فإنَّ الفلاح غاية كل ساع إلى عمله، والإخبار بفلاح المؤمنين دون ذكر متعلق بفعل الفلاح يقتضي تعليم الفلاح المطلوب، كأنَّه قيل: قد أفلح المؤمنون في كل ما رغبوا فيه، وجملة (قد أفلح المؤمنون) تحمل في طياتها سبب فلاحهم وهو إيمانهم.

وسورة (المؤمنون) "اسمها يدل عليها. ويحدد موضوعها.. فهي تبدأ بصفة المؤمنين، ثم يستطرد السياق فيها إلى دلائل الإيمان في الأنفس والآفاق. ثم إلى حقيقة الإيمان كما عرضها رسول الله - صلوات الله عليهم - من لدن نوح عليه السلام إلى محمد خاتم الرسل والتبيين وشبهات المكذبين حول هذه الحقيقة واعتراضاتهم عليها"<sup>(١)</sup>

**المقصد العام للسورة:** تناول قضية الإيمان من خلال الحث عليه والإشادة بالمؤمنين وصفاتهم وجزائهم، واحتصاصهم بالفلاح، وذم الكافرين وموقفهم من الإيمان وأهله وعواقبهم. قال البقاعي: "مقصودها اختصاص المؤمنين بالفلاح"<sup>(٢)</sup>

علاقة السورة بما قبلها: لما ختم سورة الحج قبلها بقوله: (وافعلوا الخير لعلكم تُفْلِحُون) وكان ذلك مجملًا، فصلَّه في فاتحة هذه السورة، فذكر خصال الخير التي من فعلها فقد أفلح، فقال: (قد أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صلاتِهِمْ خَاشِعُون)<sup>(٣)</sup>

وقد فصل المragي في تفسيره وجه المناسبة بينها وبين ما قبلها من وجوه:

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب: ٤٥٢/٤.

(٢) مصاعد النظر: ٣٠٣/٢.

(٣) ينظر، أسرار ترتيب القرآن للسيوطى: ص ١٣.

- (١) إنه تعالى ختم السورة السابقة بخطاب المؤمنين وأمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة و فعل الخيرات لعلهم يفلحون - وحقق فلاحهم في بدء هذه السورة.
- (٢) إنه تكلم في كل من سورتين في النشأة الأولى وجعل ذلك دليلا على البعث والنشور.
- (٣) إن في كل من سورتين قصصا للأنباء الماضين وأئمهم ذكرت عبرة للحاضرين والآتين.
- (٤) إنه نصب في كل منهما أدلة على وجود الخالق ووحدانيته<sup>(١)</sup>.
- الدلالة اللغوية للفعل أفلح :** فلح الأرض شقها للحرث ، وفلح شفته ورأسه شقه....شق بنفاذ أو بجفاء في جرم ملائم... كالشق في جرم الأرض والشفة والرأس ، ويعبر عن الفوز والنجاح بما يدل على النفاذ والفتح ، والفلاح : الفوز والظفر بإدراك البغية أو البقاء<sup>(٢)</sup>. وكان الفلاح نجاح دائم لمتصف بصفة الإيمان.

وقد وردت مادة أفلح بهذه الصيغة مسبوقة بـ(قد) في القرآن أربع مرات ، كلها تفيد دوام النجاح ؛ الأولى ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ [طه : ٦٤] والثانية ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ، والثالثة ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ {الأعلى : ٤} والرابعة ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَاهَا﴾ [الشمس : ٩]

**الدلالة الصرفية للفعل أفلح :**

- افتتح الله تعالى بالفعل دون الاسم هنا للتأكيد على قضية الزمن ؛ فالفعل يدل على الحدث وهو الفلاح والزمن الذي وقع فيه ، وهو وإن كان

(١) تفسير المراغي: ٣١٨.

(٢) ينظر، المفردات للراغب: ٤٦٤ ، والمجمع الاستقافي لألفاظ القرآن الكريم ، مادة: فلح ، ص ١٧١١.

ماضيا لكنه عام في كل زمان، فالفلاح حليف المؤمنين الذين يحققون الإيمان  
فيتصفون به.

- وقد دل الفعل (فلح) على مقصد السورة حيث إن التعبير بما يدل  
على تأكيد تحقيق الفلاح مما يزيد في تمسك المؤمنين به وبالأسباب المؤدية إليه

**- دلالة الزمن:** عبر الله سبحانه عن تأكيد فلاح المؤمنين بالفعل الماضي  
المؤكد بقد التي تدخل على الماضي الحق، ولم يبين الله سبحانه نوعية الفلاح  
الذي سعد به المؤمنون ليعم الفلاحين في الدنيا والآخرة، أما الفلاح في الدنيا  
 فهو أن يحيا الإنسان المؤمن عزيزا ولا يتحقق ذلك إلا في ظل الإيمان بالله،  
 وأما الفلاح في الآخرة فهو الحياة في نعيم خالد في الجنة. ويلخص الراغب  
الأصفهاني الفلاح في الدنيا بالبقاء والغنى والعز، والفالح في الآخرة في بقاء  
بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وعلم بلا جهل<sup>(١)</sup>.

- واختار الله سبحانه الفعل الماضي دون المضارع؛ ليكون الفلاح حقيقة  
مؤكدة. وفالح المؤمنين يكون في الماضي والمستقبل، لكنه أبرز في معرض  
الماضي مؤكدا بقد دلالة على تتحققه، فيفيد تحقق البشرة وثباتها، كأنه قيل:  
قد تحقق أن المؤمنين من أهل الفلاح في الآخرة<sup>(٢)</sup>.

- أما فاعل الفعل فهو (المؤمنون) اسم ظاهر، جمع مذكر سالم، وقد  
جاء معرفة لتخسيصهم بالفالح، أي أفلح الذين سبق منهم الإيمان واتصفوا به.  
**- دلالة التعدي واللزوم:** الفعل أفلح اقتصر على الفاعل، ولم ي تعد  
بحرف الجر، ولم يبين المولى جل وعلا نوعية الفلاح بل جعله عاما ليدخل فيه  
كل فالح في الدنيا والآخرة.

---

(١) ينظر، المفردات في غريب القرآن: ٦٤٤ - ٦٤٥.

(٢) ينظر، روح المعاني للألوسي: ٢٠٦/٩.

وَقَرَأً طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ وَعَمْرُو بْنُ عُيَيْدٍ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ يَضَمُّ الْهَمْزَةَ  
وَكَسَرَ اللَّامَ مَبْنِيًّا لِلمَفْعُولِ، وَمَعْنَاهُ ادْخُلُوا فِي الْفَلَاحِ فَاحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ  
فَلَحَ لَازِمًا أَوْ يَكُونَ أَفْلَحَ يَأْتِي مُتَعَدِّيًّا وَلَازِمًا. وَقَرَأً طَلْحَةً أَيْضًا يَفْتَحُ الْهَمْزَةَ  
وَاللَّامَ وَضَمُّ الْحَاءِ. قَالَ عَيْسَى بْنُ عُمَرَ: وَمَعْنَاهُ ادْخُلُوا فِي الْفَلَاحِ فَاحْتَمِلُ أَنْ  
يَكُونَ مِنْ فَلَحٍ لَازِمًا أَوْ يَكُونَ أَفْلَحَ أَيْ أَصِيرُوا إِلَى الْفَلَاحِ، يَأْتِي مُتَعَدِّيًّا  
وَلَازِمًا<sup>(۱)</sup>

- دلالة التقييد والإطلاق (التجرد والزيادة): الفعل أفلح فعل ثلاثي  
مزيد بالهمزة على وزن أفعل ، وصيغة (أفعل) من أكثر الصيغ ورودا في  
القرآن الكريم ، ولها دلالات عديدة حسب السياق الذي ترد فيه ، وجاءت  
هنا للتعدية أو الصيرورة أي تصير الشيء إلى ما اشتقت منه الفعل ، أي نسبة  
المؤمنين إلى الفلاح ، وهمزته همزة قطع تحول الفعل من اللزوم (فلح) إلى  
التعدى (أفلح) أي أصيروا إلى الفلاح.

- أما من حيث الحالة الفعلية فإن الفعل مبني للمعلوم الذي يؤكّد  
صدق وقوع الحدث من فعل الفاعل وهو فلاح المؤمنين ، وهو أقوى من البناء  
للمجهول في التأكيد.

رابعاً: سورة الفرقان ، افتتحت بقوله تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ  
عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾

**المقصد العام للسورة :** ترکز في قضية الانتصار للرسول صلی الله عليه  
وسلم الذي بلغ هذا القرآن العظيم بعد تطاول المشركين عليه ، قال القرطبي :

---

(۱) ينظر، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ۶/۴۸۶ . والبحر المحيط لأبي حيان : ۷/۵۴۶ .

"ومقصود هذه السورة ذكر موضع عظم القرآن، وذكر مطاعن الكفار في النبوة، والرد على مقالاتهم"<sup>(١)</sup>

**علاقة السورة بما قبلها:** لما ختمت سورة النور بـأأن الله مالك ما في السماوات وما في الأرض افتتحت الفرقان بـتعظيم المالك سبحانه، ولما أمر الله في النور بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم أبان في مطلع هذه السورة دستور الطاعة وهو القرآن، ولما شمل آخر سورة النور الكلام على فصل القضاء: (وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ كُلُّ نَبْيٍّ مِّمَّا عَمِلُوا) [٦٤] وافتتحت سورة الفرقان بالثناء على الله عز وجل مالك الملك، وصاحب السلطان المطلق<sup>(٢)</sup>.

#### الدلالة اللغوية للفعل (تبارك)

- معنى تبارك كثرة خيره ودام، وهو تنويه بعطائه الدائم خلقاً ورزقاً وريوية وهداية<sup>(٣)</sup>

- وأصلُ تبارَكَ: مَأْخُوذٌ من الْبُرْكَةِ، وَهِيَ النَّمَاءُ وَالزِّيَادَةُ، حِسْيَةً كَانَتْ أَوْ عَقْلَيَةً. قالَ الزَّجَاجُ: تَبَارَكَ تَفَاعَلَ، مِنَ الْبُرْكَةِ. قالَ: وَمَعْنَى الْبُرْكَةِ: الْكَثْرَةُ مِنْ كُلِّ ذِي خَيْرٍ، وَقَالَ الْفَرَاءُ: إِنَّ تَبَارَكَ وَتَقَدَّسَ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَاحِدٌ، وَمَعْنَاهُمَا: الْعَظِيمَةُ. وَقَيلَ الْمَعْنَى: تَبَارَكَ عَطَاؤُهُ، أَيْ: زَادَ وَكَثَرَ، وَقَيلَ الْمَعْنَى: دَامَ وَتَبَّتَ. قالَ النَّحَاسُ: وَهَذَا أَوْلَاهَا فِي الْلُّغَةِ، وَالاشْتِقَاقُ مِنْ بَرَكَ الشَّيْءِ: إِذَا ثَبَّتَ، وَمِنْهُ: بَرَكَ الْجَمْلُ، أَيْ: دَامَ وَتَبَّ... قالَ الْعُلَمَاءُ: هَذِهِ الْلَّفْظَةُ لَا تُسْتَعْمَلُ إِلَّا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، وَلَا تُسْتَعْمَلُ إِلَّا يُلْفَظُ الْمَاضِي<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر، الجامع لأحكام القرآن: ١١٢.

(٢) ينظر، التفسير المنير للزحيلي: ٥/١٩ - ٦.

(٣) انظر، المعجم الاشتقاقي: مادة برك.

(٤) ينظر، فتح القدير للشوكتاني: ٧١/١. وإعراب القرآن للنحاس: ١٠٥/١.



فالمادة اللغوية (ب. ر. ك) مستعملة بجميع مشتقاتها، كاسم الفاعل واسم المفعول.. أما (تبارك) فهو لفظ عجيب في معناه، وصيغته، وجرسه.

- أما من جهة المعنى فيوضحه كلام النحاس في تعليقه على من قال إن المعنى : دام وثبت بقوله : وهذا أولاها في اللغة والاشتقاق من برک الشيء إذا ثبت، ومنه برک الجمل أي دام وثبت، فنسبة الدوام والثبوت لله تعالى من الصفات الأزلية القديمة، و قريب من (الأول والآخر) و (الباقي) لكن هذا المعنى - الدوام والثبوت - مراعي فيه معانٌ أخرى كالتعظيم والتزييه وزيادة الخير وكثرته، قال الراغب : وكلّ موضع ذكر فيه لفظ «تبارك» فهو تنبية على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة مع ذكر «تبارك»<sup>(١)</sup> فمجمل معنى تبارك : تزايده في الخير، وكثير عطاوه، ودام وثبت إنعامه، وتقىد وتعظم وتنتزه في صفاته وأفعاله.

- وأما من جهة الصيغة فهو لا يستعمل إلا بلفظ الماضي ، للإشارة إلى أن هذه الصفة لازمة ثابتة لله تعالى قبل خلق الخلق ، وللتأكيد على أنه تعالى مصدر كل بركة ومصدر كل خير.

- وأما من جهة الجرس ، فإن حروفه كلها مفتوحة ، والفتحة هي أخف الحركات الصوتية ، والألف فيه امتداد لفتحة الباء ، وهذا الطول الصوتي في وسط اللفظة كرمانة الميزان ، إذ قبلها صوتان مفتوحان وبعدها صوتان مفتوحان ، كما أن في جرس اللفظة إيحاء صوتياً بفوقيه البركة وعلوها.

- وقد تكرر الفعل (تبارك) ثلاث مرات في السورة ؛ في مطلع السورة (تبارك الذي نزل الفرقان) وفي الآية العاشرة (تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات..) والثالث في الآية الحادية والستين (تبارك الذي جعل في

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني : ١٢٠ .

السماء بروجا..) قال الكرماني : وخصت هذه الموضع لأن ما بعدها عظامٌ ؛  
وال الأول ذكر القرآن والثاني ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، والثالث البروج  
والسيارات <sup>(١)</sup> . والموضع الثلاثة تناسب مع المعنى الأول وهو الزيادة <sup>(٢)</sup>

### الدلالة الصرفية :

- **دلالة الزمن** : تبارك فعل ماض لفظاً ودلالة ، ولم يرد في القرآن من  
هذه المادة إلا هذه الصيغة ، فلم يرد منها مضارع ولا أمر ؛ لأنها خاصة بالله  
تبارك وتعالى - كما في لفظ المصدر (سبحانك) لا تقال إلا لله - فتبارك  
فعل لا يستعمل إلا بلفظ الماضي ، ولا يستعمل إلا مع الله تزييهً له سبحانه .

- **وهو** افتتاح بديع لندرة أمثاله في كلام بلغاء العرب ؛ لأن غالبه  
فوائحهم أن تكون بالأسماء مجردة أو مقتنة بحرف غير منفصل .. وبهذه الندرة  
يكون في طالع هذه السورة براعة المطلع لأن الندرة من العزة ، والعزة من  
محاسن الألفاظ وضدتها الابتذال <sup>(٣)</sup> .

- **دلالة التعدي واللزوم** : تبارك فعل لازم غير متعد ، ولعل في إسناد  
الفعل (تبارك) إلى اسم الموصول (الذي) لإبراز صلته وإظهارها ، إشارة إلى  
ثبتوت هذه البركة في جملة الصلة كما ثبتت في اسم الموصول ، فالبركة في  
الفرقان المنزَل (إنزال القرآن) مستمدة من بركة الله تعالى ، والله أعلم .

- **دلالة التقييد والإطلاق (التجدد والزيادة)** : تبارك على وزن تفاعل ،  
فعل مزيد بحروفين ؛ التاء في أوله ، والألف بين الباء والراء ، مادته برك ، وببارك  
يدل على البركة والزيادة ، وصيغة تفاعل صيغة مطاوعة في الأصل ، وأصل

(١) ينظر ، أسرار التكرار في القرآن : ١٨٨ .

(٢) ينظر ، علاقة المطالع بالمقاصد في القرآن الكريم : ٣٧٢ .

(٣) ينظر ، تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور : ٧/١٩ .

المطاوعة قبول أثر الفعل، وستعمل في لازم ذلك وهو التبس بمعنى الفعل تلبساً مكيناً، لأن شأن المطاوعة أن تكون بعد معالجة الفعل فتقتضي ارتساخ معنى الفعل في المفعول القابل له حتى يصير ذلك المفعول فاعلاً، وإذا أُسندت إلى واحد تدل على تكلف فعل ما اشتقت منه نحو : تطاول وتغابن، وتردد كنایة عن قوة الفعل وشدة مثل : تواصل الحبل<sup>(١)</sup>.

وهذه الصيغة (تفااعل) تختص بمعنى جليل لتدل على غاية الكمال ونهاية التعظيم والإجلال ، ولذا لا يجوز استعماله في حق غيره سبحانه وتعالى ..<sup>(٢)</sup> فهذه الصيغة توحى بالزيادة والرفة والنماء ، وأشهر فعلين على صيغة (تفااعل) يدلان على التعظيم هما : (تبارك وتعالى).

- **دلالة الخضور والغيبة** : أُسند الفعل تبارك إلى الاسم الموصول وهو في معنى الغائب ، وناسب الفعل ضمير الغائب لأنَّه سرد وحكي عن الله تبارك وتعالى ، وأسلوب السرد يتناسب معه ضمير الغائب. أما فاعله فهو (الذِّي) وناسب إسناده إلى الموصول لأنَّ الصلة معلومة ؛ فقد قام الدليل على أنه (الذِّي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ) فقد قام الدليل على إعجازه<sup>(٣)</sup>

- **دلالة البناء للمعلوم والمجهول** : الفعل (تبارك) مبني للمعلوم ، وهو يعكس قوة في صدق الخبر الذي يحمله الفعل ، وأنَّه ليس محلاً للشك ، كما أنَّ البناء للمعلوم يعد أسلوباً مباشراً يتفق مع أسلوب القصص والإخبار. لمحَّة أخرى : وقد وردت كلمة [تبارك] في القرآن الكريم تسعة مرات ، سبع مرات منها بالألف - رسمـا - في (الأعراف والؤمنون والفرقان وغافر

(١) ينظر ، تفسير التحرير والتنوير : ٢١/١٨ ، ٨/٢٩.

(٢) ينظر ، التفسير الواضح ، محمد محمود الحجازي : ٧١١/٣.

(٣) ينظر ، تفسير البحر المحيط : ٣٤٩/٦.

والزخرف) ومرتين دون الألف رسما في (الرحمن والملك) وعند النظر نجد - والله أعلم - أن تبارك بالألف في الموضع السبعة مقرونة بفعل بعدها منسوب إلى الله عز وجل، مثل ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ فصلة فاعل الفعل تبارك هو الفعل (نزل) وفاعله هو الله تعالى، وهكذا بقية الآيات، أما في سورة الرحمن والملك فلم يقترن مع الصيغة فعل، وإنما وجد معها اسم الله كما في الرحمن ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن : ٧٨] أو صفة من صفاته كما في الملك ﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَدِيهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك : ١].

**خامساً: سورة القمر، افتتحت بقوله تعالى ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَشَقَّ الْقَمَرُ﴾.**

**أسباب النزول: أخرج الشيخان والحاكم - وللهفظ له - عن ابن مسعود قال: رأيت القمر منشقا شقيبا بمكة ، قبل مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا: سحر القمر ، فنزلت:** ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَشَقَّ الْقَمَرُ﴾<sup>(٢)</sup>.

**المقصد العام للسورة: تسجل مكابرة المشركين في الآيات المبينة ، وأمر النبي بالإعراض عن مكابرتهم ، وإنذارهم باقتراب القيمة وما يلقونه حينبعث من الشدائد**<sup>(٣)</sup>.

**علاقة السورة بما قبلها:** علاقة هذه السورة بما قبلها في ثلاثة نواح؛ الأولى: اتفاق خاتمة السورة السابقة وفاتحة هذه السورة حول إعلان قرب القيمة ، والثانية: تناسب التسمية وحسن التناسق ، لما بين النجم والقمر من

(٢) ينظر، التفسير المنير للزحيلي: ٢٧/١٤٦. والحديث في المعجم الكبير للطبراني، باب من روى عن ابن مسعود، رقم: ١١٤٧٧، ودلائل النبوة للبيهقي، باب اسلام خفاف بن خالة: ٢/٢٦٥ مع اختلاف في اللهفظ.

(٣) ينظر، التحرير والتنوير: ٢٧/١٦٢.

تقارب فهما آيتان من آيات الله في السماء، والثالثة : ذكر الله في النجم مصائر الأمم المكذبة بإجماع، وفي سورة القمر فصل مصير القوم<sup>(١)</sup> ..

**الدلالة اللغوية للفعل اقترب :** القرب والبعد يتقابلان ، يقال : قربت منه أقرب ، وقربته أقربه قرباً وقرباناً ، ويستعمل ذلك في المكان ، وفي الزمان ، وفي النسبة ، وفي الحظوة ، والرعاية ، والقدرة<sup>(٢)</sup> ..

معناها وجود الشيء في الحيز متاحاً مهيئاً للتناول أو الوصول إليه.. ومنه القرب المكاني (إمكان اتصال أو وصول) وكلاهما وجودي في نفس الحيز، وكذلك الزماني .. وكل اقترب فهي للقرب الزمني عدا واسجد واقترب فهي لقرب المنزلة<sup>(٣)</sup> .

### **الدلالة الصرفية للفعل اقترب :**

- استخدم صيغة الفعل دون الاسم للمادة قرب ؛ لأن الفعل يحمل صفة الحدوث والتتجدد بخلاف الاسم الذي يتازب بصفة الثبات في الحديث، فقرب الساعة يتجدد كأنه مشاهد للعيان.

- **دلالة الزمن :** اقترب فعل ماض لفظاً مستقبل الدلالة ، تنزيلاً لتحقيق الواقع منزلة الواقع بالفعل ، ومعناه ستقترب الساعة لا محالة ، فالفعل الماضي يدل على التحقيق. ولا مانع من استعمال الفعل على حقيقته فيكون الاقتراب حقيقة فكل يوم يقرب من الساعة.

(١) ينظر ، التفسير المنير للزحيلي : ٢٧ / ٤٣ .

(٢) ينظر ، المفردات في غريب القرآن : ٦٦٣ .

(٣) ينظر ، المعجم الاستقافي : مادة (قرب) ص : ١٧٦٤ .

- دلالة التعدى واللزوم: اقترب فعل لازم اكتفى بالفاعل عن المفعول أو أي متعلق فلم يبين الاقتراب يكون من؟ أو من من؟ أو كيف إنما جاءت على العموم ليأخذ الجميع كل أسباب الحذر.

- دلالة التقييد والإطلاق: اقترب فعل ثلاثي مزيد بمحرفين همزة الوصل والباء، وهي زيادة خارجية عن بنية الصيغة يقصد منها زيادة في المعنى، وزنه (افتuel) وهي صيغة مطاوعة ومبالغة، أي قبول فعل الفاعل، وكذلك مبالغة في الفعل، فاقترب مبالغة في قرب، أي أن مجيء الساعة قريب وسريع.

- دلالة الحضور والغيبة: الفعل للغائب وهو ما يناسب الإخبار والقصص.

- دلالة البناء للمعلوم والمجهول: الفعل مبني للمعلوم فيه من قوة الحدث وتأكيده لوجود فاعله (الساعة) وهو اسم ظاهر.

خامساً: سورة الحديد، افتتحت بقوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

• المقصود العام للسورة: الإنفاق في سبيل الله الذي ينبع من الإيمان الداخلي للإنسان، وبناء القوة الإيمانية والمادية الباعثة على الدعوة والجهاد في سبيل الله والتوازن بين الدعوة والجهاد.

فالسورة تدور حول الإيمان بالله، والإنفاق، ومن شأنهما تنزييهه عن كل نقص ولذلك سبح له من في السماوات والأرض

• علاقة السورة بما قبلها: ولما ختمت الواقعة بالأمر بتتنزييهه عما أنكره الكفرا منبعث، جاءت هذه لتقرير ذلك التنزيه وتبيينه بالدليل والبرهان والسيف والستان فقال تعالى كالتعليق لآخر الواقعة: ﴿سَبَّحَ﴾ أي أوقع

التسبيح<sup>(١)</sup> فالحديد بدأت بذكر التسبيح الذي ختمت الواقعة الأمر به<sup>(٢)</sup>. فبراعة الاستهلال في هذه السورة بذكر اسم الله الأعظم الذي أمر بتزييه في السورة السابقة ثم أتبعه بإحدى عشرة صفة من صفات الكمال العزيز الحكيم...

فأول السورة علة للسورة السابقة، كأنه قيل ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ في الواقعة؛ لأنَّه (سبح لله ما في السماوات وما في الأرض) في الحديد.

**الدلالة اللغوية للفعل : السبُّح :** المر السريع في الماء، وفي الهواء، يقال: سَبَّحَ سَبِّحًا وسَبَّاحَةً.. والتسبيح: تزييه الله تعالى من كل سوء، والتزييه التبعيد، والعرب يقول سبحان من كذا أي أبعده.. وأصل التسبيح: المر السريع في عبادة الله تعالى<sup>(٣)</sup>. فمادة (سبح) تعني التعظيم والذكر والتزييه.

والسبح يعني الانبساط جريانا دون انغمار، ومعنىه التعظيم والتزييه<sup>(٤)</sup> فالتسبيح هو تزييه الله عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله، وأصله في اللغة الإبعاد عن السوء، من قولهم سبح إذا صار بعيدا، ومنه قيل للفرس: سابق؛ لأنَّه إذا جرى أبعد في سرعته.

#### • الدلالة الصرفية للفعل :

وردت مادة ﴿سبح﴾ في القرآن أكثر من ثمانين موضعا؛ وذلك لعظم فضل التسبيح، وقد افتتحت به سبع سور سميت بالسبحات، ست منها

(١) ينظر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢٥١/١٩.

(٢) ينظر، أسرار ترتيب السور: ١٨.

(٣) ينظر، المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٩٢)، ومقاييس اللغة لابن فارس مادة (سبح).

(٤) ينظر، المعجم الاستقاقي لألفاظ القرآن الكريم: مادة سبح: ٩٤٨.

بلغظ الفعل وهي مجال بحثنا، والسابعة بالمصدر (سبحان) وقد افتتحت بالفعل الماضي ثلاث سور وهي الحديد والحضر والصف، وافتتحت بالمضارع سورتان: الجمعة والتغابن، وافتتحت بالأمر سورة الأعلى فقط، وإنما عبر بالماضي تارة والمضارع أخرى ليبين أن ذلك التسبيح لله، هو شأن أهل السموات وأهل الأرض، ودأبهم في الماضي والمستقبل<sup>(١)</sup> وأكثر ما ورد في القرآن من التسبيح يراد منه التنزيه مع التعظيم. بل هو "أَدْلُّ لِفْظٍ عَلَى التَّمْجِيدِ وَالْتَّنْزِيهِ، فَهُوَ جَامِعٌ لِلْعِبَارَةِ عَنِ الْكَمَالَاتِ"<sup>(٢)</sup>. وكل زمن يرد فيه فعل التسبيح يتفق مع المقصود العام للسورة التي ورد فيها.

وذكر في القرآن: سَبَّحَ كما في آخر السورة السابقة (الواقعة) وأول (الأعلى) للأمر بالتسبيح، وذكر هنا وفي الحشر والصف بلحظ الماضي، وفي الجمعة والتغابن بلحظ المضارع، إشعاراً بأن من شأن ما أنسد إليه أن يسبحه في جميع أوقاته، وكله يدل على الديومة والاستمرار، وأن ذلك ديدن من في السموات والأرض، وجاء بلحظ المصدر سُبْحَانَ أَوْلَ الْإِسْرَاءِ، إشعاراً بإطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شيء وفي كل حال<sup>(٣)</sup>.

#### دلالة الزمن للفعل سبع:

- عبر عن التسبيح في هذه السورة بالفعل دون الاسم؛ لأن الفعل يجعل الحدث مرتبطاً بزمن وفاعل، بينما الاسم حدث دون زمن أو فاعل، والله سبحانه أراد أن يبين الحدث والزمن والفاعل، وكل ذلك يتتوفر في الفعل دون الاسم.

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي : ٥٤١/٧ .

(٢) التحرير والتنوير: ١١/٣٠ .

(٣) التفسير المنير للزحيلي : ٢٧/٢٩٠ .



- جاء الفعل (سبح) بصيغة الماضي "للدلالة على أن تنزيهه تعالى أمر مقرر، أمر الله به عباده من قبل وألممه الناس"<sup>(١)</sup> فتنزيهه أمر مقرر منذ الأزل، وإن لم يكن أحد يسبحه فهو سبحانه يستحق التنزيه فالماضي استغرق الخلق وما قبل الخلق، كما أن الفعل الماضي يتافق مع مقصد السورة وهو الإيمان بالله والإتفاق في سبيله.

- وفاعل الفعل (ما) الموصولة التي تفيد العموم لغير العاقل ولصفات العقلاء، أي كل من في السماوات والأرض سبّحه ونزعه، فدخل العاقل مع غير العاقل لزيادة العموم، فيدخل تحتها عوالم كثيرة لا يعلمها إلا الله سبحانه. فصيغة سبّح تدل على الكثرة وفاعلها عام أيضاً يفيد الكثرة. وقدم الجار والمجرور (الله) للقصر والاختصاص، اختصاص التسبيح له وحده لا لغيره.

**- دلالة التعدي واللزوم :** الفعل (سبح) متعد بنفسه أصلاً، ولكن عدي باللام لتأكيد الإخلاص "تقول سبحت الله وسبح المؤمن ربها، ولكنه عدي باللام، وهي إما لام التبيين لأنها تبين شدة إلصاق الفعل بالفعل، وإما لا الاستحقاق التي تكون بين معنى ذات <sup>(٢)</sup> وجاء في التفسير المنير" وإنما عدي باللام وهو معدى بنفسه، مثل نصحت له ونصحته، إشعاراً بأن إيقاع الفعل لأجل الله وحالياً لوجهه" <sup>(٣)</sup>.

**- دلالة التقييد والإطلاق (التجرد والزيادة) :** سبّح فعل ثلاثي مزيد بالشدة وهي زيادة داخلية، بتكرير أصل من أصوله، على وزن ( فعل ) وهو من صيغ التكثير والبالغة في الفعل، أي زيادة في التسبيح لله سبحانه.

(١) التحرير والتنوير: ٢٧/٣٥٧.

(٢) ينظر، مغني اللبيب: ١/٢٠٢ - ٢٢١.

(٣) التفسير المنير للزحيلي: ٢٧/٢٩٠.

**دلالة الحضور والغيبة:** أُسند الفعل سبعة للغائب (ما) وناسب إسناده للغائب لأن الله يحيي عن كثرة تسييع العوالم له لكي تسبيحه كثيراً كما سبحة غيرك، وأسلوب الحكى أو السرد يناسبه الغائب فيعطيه قوة في المعنى.

- دلالة البناء للمعلوم والمحظوظ: الفعل مبني للمعلوم، وفاعله الاسم الموصول (ما) وهو من صيغ العموم، وذلك للدلالة على تعميم صلتها، أي عموم من سبحة سبحانه.

**خامساً:** سورة المجادلة، افتتحت بقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾

**أسباب النزول:** عن عائشة قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفي عليّ بعضه وهي تشتكى زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول: يا رسول الله أكل شبابي ونشرت له بطني، حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني، اللهم اشكى إليك، فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ وهو أبوس بن الصامت<sup>(١)</sup>.

**المقصد العام للسورة:** الإعلام باليقان البأس الشديد، الذي أشارت إليه الحديـد بن حـاد الله ورسوله، لماـه سبحانه من قـام العـلم، الـلازم عنـه تمام

(١) لباب النقول في أسباب النزول: ٢٠٦ . والحادي في سنن ابن ماجة، باب الظهار، رقم: ٣٧٩١ ، ٢٠٦٢ ، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ج ٤٩٧/٢ ، رقم: ٢١٤ ، حديث رقم: ٤٧٨٠ ومسند أبي يعلى،تابع مسند عائشة رضي الله عنها: ١٨ / ٢١٤ ، حديث رقم:

القدرة. اللازم عنه الإحاطة بجميع صفات الكمال<sup>(١)</sup>. وقد دل الفعل (سمع) على إظهار علم الله الشامل وإحاطته البالغة.

**علاقة السورة بما قبلها:** قال الشيخ المراغي: ووجه اتصالها بما قبلها: أن الأولى ختمت بفضل الله، وافتتحت هذه بما هو من هذا الوادي. أنه ذكر في مطلع الأولى صفاتة الجليلة ومنها الظاهر والباطن - وذكر في مطلع هذه أنه سمع قول المحادلة التي شكت إليه تعالى<sup>(٢)</sup>.

**الدلالة اللغوية للفعل سمع:** السمع قوة في الأذن به يدرك الأصوات، وفعله يقال له السمع أيضاً، وأصل مادة سمع: نفاذ مادة لطيفة أو دقيقة إلى أثناء شيء كما ينفذ الصوت إلى الدماغ من خلال المسموع...<sup>(٣)</sup>.

#### **الدلالة الصرفية للفعل سمع:**

- وعبر بالفعل دون الاسم للتأكيد على الزمن لأن الحدث مرتبط بواقعة معينة وانتهى في زمن مضى.

- (قد) أصله حرف تحقيق، فهو من حروف توكييد الخبر، ولكن الخطاب هنا للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو لا يخامره تردد في أن الله يعلم ما قالت المرأة التي جادلت زوجها، فتعين أن حرف (قد) هنا مستعمل في التوقع، أي الإشعار بحصول ما يتوقعه السامع.

- (سمع) فعل ماض، ومعناه الاستجابة للمطلوب وقبوله بقرينة دخول قد التوقعية عليه، فإن المتوقع هو استجابة شكوكها<sup>(٤)</sup>. والفعل الماضي

---

(١) مصادر النظر في الإشراف على مقاصد سور: ٦٨/٣.

(٢) تفسير الشيخ المراги: ٣/٢٨.

(٣) ينظر، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: ١٠٧٥.

(٤) ينظر، التحرير والتنوير: ٨/٢٨.

يدل أيضا على أن سمع الله لازم ومحتم، وفاعل الفعل هو (الله) جل جلاله اسم ظاهر زيادة في تأكيد فعل السمع.

**دلالة التعدي واللزوم:** سمع فعل متعد لمفعول، وقد ذكر مفعوله وهو كلمة (قول) لتأكيد السمع وتحديد المسموع.

**دلالة التقيد والإطلاق (التجرد والزيادة):** سمع فعل ثلاثي مجرد، على وزن (فعل) وهي من أكثر الصيغ ورودا في القرآن الكريم.

سادسا، سورة الحشر: قال الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ أَعْزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ وتسمى سورة بنى النضير<sup>(١)</sup> لأنها تتحدث عن جلاء يهود بنى النضير عن المدينة

**أسباب النزول:**

أخرج البخاري عن ابن عباس قال: سورة الأنفال نزلت في بدر وسورة الحشر نزلت في بنى النضير، وأخرج الحاكم وصححه عن عائشة قالت: كانت غزوة بنى النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من Woche بدر وكان منزلهم، وخلتهم في ناحية المدينة، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة والأموال إلا الحلقة وهي السلاح، فأنزل الله فيهم ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٢)</sup>

(١) ينظر، التحرير والتنوير: ٦٣/٢٨.

(٢) باب النقول في أسباب النزول، للسيوطى: ٢٠٨. والحديث في دلائل النبوة للبيهقي، باب جماع أبواب غزوة بدر العظمى: ١٧٨/٣، والمستدرك للحاكم: ٤٨٣/٢.



**علاقة السورة بما قبلها :** لما قال الله تعالى في آخر المجادلة : كتب الله لآغلبن أنا ورسلي ، بين في هذه السورة غلبة للمعااهدين من أهل الكتاب وهم بنو التنصير حين نبذوا العهد.

**الدلالة اللفظية للفعل سبع :** من السبع وهو التعظيم والتنزيه لله تعالى - كما سبق في سورة الحديد.

**الدلالة الصرفية للفعل :** جاء لفظ التسبيح بالفعل دون الاسم لاقتران الأمر بواقعة معينة ، وهي أن الله نزه نفسه من كل سوء فذكر نعمته في إجلاء بني النضير عن المدينة ، ثم جاء الفعل ماضيا تذكيرا للمؤمنين حتى يسبحو شakra الله على أن أجلى اليهود من المدينة ، وإعلامهم أنه قد سبّح الله من في السماوات والأرض من الأزل . باقي دلالات الفعل مرت في سورة الحديد.

**سابعا ، سورة الصاف :** وهي السورة الثالثة التي جاء الافتتاح فيها بالفعل سبع ، افتتحت بقوله تعالى : ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

**أسباب النزول :** عَنْ عَلَيٍّ بْنِ طَلْحَةَ عَنْ أَبْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ نَاسٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ الْجِهَادُ يَقُولُونَ: لَوْدُدْنَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ دَلَّنَا عَلَى أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَيْهِ فَنَعْمَلُ بِهِ فَأَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ: إِيمَانُ بِهِ وَجِهَادُ أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ الَّذِينَ خَالَفُوا إِلِيمَانَ وَلَمْ يُقْرُرُوا بِهِ. فَلَمَّا نَزَلَ الْجِهَادُ كَرِهَ ذَلِكَ نَاسٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَشَقَّ عَلَيْهِمْ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ<sup>(١)</sup>.

(١) التحرير والتنوير : ٢٨ / ١٧٣.

**المقصد العام للسورة:** تحفيز المؤمنين لنصرة الدين ، وعدم التخاذل عن مواطن نصرته ، وجهاد أهل الكفر.

**علاقة السورة بما قبلها:** لما ختمت الممتحنة بالأمر بتزييه سبحانه عن تولي من يخالف أمره بالتولى عنهم والبراءة منهم.... افتتحت الصف بما هو كالعلة لذلك فقال : ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>.

**الدلالة اللغوية للفعل سبّح :** سبقت دلالة الفعل في (سورة الحديد) أنه من السّبّح وهو التعظيم والتزييه.

#### **الدلالة الصرفية للفعل سبّح :**

نلاحظ اتحاد السور الثلاث (الحديد والحضر والصف) في الافتتاح بالفعل الماضي (سبّح) وقد فصل بين السور بسورة أخرى ولم تأت متتالية ، والفعل سبّح في السور الثلاث دلالته المعجمية واحدة ودلالته الصرفية متقاربة لتناسبه مع السور الثلاث التي تسمى -مع غيرها - المسبحات لافتتاحها بالتسبيح. ثم اختلفت صيغة التسبيح بعد ذلك فجاءت بالمضارع (يسبّح) في سوريتي الجمعة والتغابن فقال تعالى : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة : ١] وقال تعالى : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن : ١] ثم اختلفت صيغة التسبيح أيضاً بعد ذلك فجاءت بالأمر في سورة الأعلى فقال تعالى : ﴿سَبّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى : ١]

وعلة الانتقال من بناء الماضي إلى بناء المضارع إلى بناء الأمر - والله أعلم - هي أن الله أخبر في الحديد والحضر والصف أن مخلوقات قد سبحت الله فوجب عليك أن تسبّح مثلها لثبوت ذلك لله وحده، ثم أخبر في الجمعة

(١) ينظر ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ٢٠ / ٢٠



والتعابن بالمضارع ليدل على الاستمرار والدואم في التسبيح واستحضار صورته لاستمرار ملكه سبحانه، وقد أكد ذلك البقاعي في حديثه عن ورود المضارع في افتتاح سورة الجمعة بقوله: "أَخْبَرَ أُولَئِكَ السُّورَ أَنَّ ذَلِكَ التَّنْزِيهَ عَلَى وَجْهِ التَّجْدِيدِ وَالْاسْتِمْرَارِ بِالْتَّعْبِيرِ بِالْمُضَارِعِ لِاِسْتِمْرَارِ مَلْكِهِ فَقَالَ: {يَسِّبِّحُ} أَيْ يَوْقِعُ التَّنْزِيهُ الْأَعْظَمُ الْأَبْهَى الْأَكْمَلُ {لِلَّهِ} أَيْ الْمَلِكِ الْمُحيَطِ بِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرَةٍ وَعِلْمًا، وَأَكَدَ بِذَلِكَ لِمَا فِي التَّعَابِنِ وَلَمْ يَحْتَاجْ بَعْدَ الإِقْرَارِ بِالْوَقْعِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ إِلَى التَّأكِيدِ بِأَكْثَرِ مِنْ مَرَةٍ وَجَعَلَ بَيْنَ كُلِّ مُسَبِّحَتَيْنِ سُورَةَ خَالِيَةً مِنْ ذَلِكَ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَدْلُلَةً أَكْثَرَ تَبَيَّنَهَا وَأَعْظَمَ صَدْعًا وَتَذَكِيرًا<sup>(۱)</sup>۔ وَقَالَ الْكَرْمَانِيُّ عَنِ الْخِتَافَ لِبَنَاءِ التَّسْبِيحِ مِنِ الْمَاضِيِّ لِلْمُضَارِعِ لِلْأَمْرِ "هَذِهِ الْكَلِمَةُ اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهَا فَبَدَأَ بِالْمَصْدَرِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَسْرَاءِلَ لِأَنَّهُ الْأَصْلُ ثُمَّ بِالْمَاضِي لِأَنَّهُ أَسْبَقَ الزَّمَانِيْنِ ثُمَّ بِالْمُسْتَقْبَلِ ثُمَّ بِالْأَمْرِ فِي سُورَةِ الْأَعْلَى اسْتِعْبَابًا لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ مِنْ جَمِيعِ جَهَاتِهَا وَهِيَ أَرْبَعُ الْمَصْدَرِ وَالْمَاضِيِّ وَالْمُسْتَقْبَلِ وَالْأَمْرِ لِلْمُخَاطِبِ<sup>(۲)</sup>۔

- وقد جاء التسبيح في هذه السورة بالفعل الماضي أيضاً ليؤكد حقيقة التسبيح لله، وتكرار (ما) ليدل على أن كل ما في السموات من عوالم تسبيح الله، وما في الأرض من عوالم أيضاً تسبيح لله سبحانه، فيدل على الشمول يجعل كل عالم مسبحاً لله على حدة. كما أن كل قضايا السورة تقتضي تسبيحه سبحانه.

**ثامناً، سورة تبارك:** ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

(۱) ينظر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ۴۵/۲۰.

(۲) البرهان في توجيهه متشابه القرآن: ۲۳۲.

**المقصد العام للسورة: الخضوع لله، لاتصافه بكمال الملك، الدال عليه قام القدرة،<sup>(١)</sup> وإظهار عظمته لكمال ملكه وقدرته.**

**علاقة السورة بما قبلها:** لما ختمت سورة التحرير بـأأن من أعرض عنه سبحانه أهلكه ولم يغرن عنه أحد، ومن أقبل عليه رفعه واستخلاصه ولم يضره أحد، وختم بأنه قوى مريم عليها السلام حتى كانت في درجة الكلمة ورزقها الرسوخ في الإخلاص، وكان مثل هذا لا يقدر على فعله إلا من لا كفاء له، وكان من لا كفاء له أهلاً لأن يخلص له الأعمال ولا يلتفت إلى سواه بحال، لأنه الملك الذي يملك الملك قال مثيراً للهمم إلى الاستبصار المثير للإرادة إلى رياضة تشمل جميع أبواب السعادة: {تبارك}<sup>(٢)</sup>

**الدلالة المعجمية للفعل تبارك:** أي كثر خيره ودام، وهو تنويه بعطائه الدائم خلقاً ورزقاً وربوبية وهداية<sup>(٣)</sup> وقد خص الله هذه السورة بهذا الافتتاح (تبارك) لأن ما بعده شيء عظيم وهو اتصافه سبحانه بكمال الملك والقدرة. كما افتتح به سورة الفرقان - كما مر - لأن ما بعده عظيم وهو إنزال القرآن.

**الدلالة الصرفية للفعل تبارك:** افتتح الله سبحانه السورة بالفعل تبارك دون الاسم للتتأكد على قضية الزمن والفاعل الذي يصاحب الحدث الموجود في الفعل.

- وافتتح بالزمن الماضي دون المضارع؛ لأن الماضي يؤكد حقيقة ثابتة وهي أن تنزيهه باتصافه بالملك والقدرة تبارك وتعالى قديم منذ الأزل. وأما

(١) مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد سور: ٣/١٠٣.

(٢) ينظر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢٠/٢١٦ - ٢١٧.

(٣) انظر، المعجم الاستقافي: مادة برك.

فاعل الفعل فهو الاسم الموصول (الذى) لإظهار صلته وهي زيادة الخير والبركة فيه من ملك الله وقدرته على كل شيء.

- دلالة التقييد والإطلاق: الفعل تبارك على وزن تفاعل، وهي صيغة مطاوعة تفيد قبول أثر الفعل، فتوحي بالرفة والنماء والبركة في ملك الله القادر على كل شيء.

تاسعاً: سورة المعارج: افتتحت بقول الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ يُعَذَّبٌ وَاقِع﴾  
المقصد العام للسورة: إثبات يوم القيمة وعظمته، وإنذار من كفر به، وتأكيد النعيم للمصدقين به<sup>(١)</sup>.

علاقة السورة بما قبلها: نزلت هذه السورة بعد الحاقة، وهي كالتممة لها في بيان أوصاف يوم القيمة والنار، وأحوال المؤمنين وال مجرمين في الآخرة<sup>(٢)</sup>.

الدلالة المعجمية للفعل سأل: استخراج ما في حوزة أخرى، أي طلب تحصيله بدفع أو حث<sup>(٣)</sup>.

السؤال: استدعاء معرفة، أو ما يؤدي إلى المعرفة... والسؤال للمعرفة يكون تارة للاستعلام، وتارة للتبيك، كقوله تعالى: وَإِذَا الْمَوْؤُدُ سُئِلَ [التكوير / ٨] ولتعرف المسئول. والسؤال إذا كان للتعریف تعدد إلى المفعول الثاني تارة بنفسه، وتارة بالجار، تقول: سأله كذا، وسألته عن كذا، وبكذا، وبعن أكثر.. سَأَلَ سَائِلٌ يُعَذَّبٌ وَاقِع<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد سور: ١١٩/٣.

(٢) التفسير المنير للزحيلي: ١٠٩/٢٩.

(٣) ينظر، المعجم الاستقافي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: ١٠٥٤.

(٤) ينظر، المفردات في غريب القرآن: ٤٣٧.

## **الدلالة الصوفية للفعل سأّل:**

- استخدم الفعل سأّل للتعبير عن سؤال المشركين العذاب ؛ لأن الزمن مقصود فقد وقع السؤال في الماضي ، فالحدث وقع في زمن مضى ، وناسب الفعل الماضي لسرد حكاية ما وقع بالفعل.

- فاعل الفعل هو (سائل) اسم فاعل من لفظ الفعل سأّل ، وعليه فالفاعل لم يزد المعنى شيئاً ولم يسهم في معرفة الفاعل ، وفي ذلك تصوير لغراوة سؤالهم ، ولتفاهاة السائل وسؤاله الذي لا يستحق أن يذكر لجرأته واستهتاره.

**دلالة التعدي واللزوم:** الفعل سأّل متعد أصلاً ، تقول : سأّل محمد ربه ، لكن جاء في الآية على غير المعتاد حيث لم يتعد لمعنى دفعه ، وإنما تعدي بحرف الجر الباء التي هي بمعنى (عن) وفيها معنى الإلصاق والتعدية <sup>(١)</sup> أي العذاب ملتصق به ، والمعنى سأّل سائل عذاباً ،

ويقول الزمخشري : " ضمن سأّل معنى دعا ، فعدي تعديه ، كأنه قيل : دعا داع {يعذاب واقع} من قوله : دعا بكذا . إذا استدعاه وطلبه " <sup>(٢)</sup> .

**دلالة التجدد والزيادة:** سأّل فعل مجرد على وزن ( فعل ) وهي صيغة يكثر ورودها في القرآن الكريم ، وفيها صراحة ووضوح في الحديث وسرعة وصول معناه لتجدرها .

**عاشرًا : سورة عبس ،** افتتحت بقوله تعالى : عَبْسَ وَتَوَلََّ  
أسباب نزول السورة : عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : أُنْزِلْتُ عَبْسَ وَتَوَلََّ فِي (ابن أُمّ مَكْتُومِ الْأَعْمَى) أَتَى إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ يَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرْشِدْنِي ، وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ رِجَالٌ مِّنْ عُظَمَاءِ

(١) ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي : ٣٦ .

(٢) تفسير الكشاف : ٦١١ / ٤ .

الْمُشْرِكِينَ، فجعل النبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْرِضُ عَنْهُ، وَيُقْبَلُ عَلَى الْآخَرِينَ. فَفِي هَذَا أُنْزَلَتْ عَبْسٌ وَتَوَلَّ. رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي صَحِيحِهِ، عَنْ عَلَيِّ بْنِ عَيْسَى الْجِيرِيِّ، عَنِ الْعَتَّارِيِّ، عَنْ سَعْدِ بْنِ يَحْيَىٰ [١].

المقصد العام لسورة عبس : لما ذكر الله في آخر سورة النازعات (إنا أنت منذر) جاءت سورة عبس لتبيّن أن أعظم الإنذار يكون بالقرآن والاهتمام بالذي أقبل عليه فجاء عتاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .<sup>(٢)</sup>

مناسبتها لسورة النازعات قبلها : ذكر الله تعالى في (النازعات) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذر من يخشى الساعة ، وهنا ذكر من ينفعه الإنذار ، وهم الذين كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يناديهم في أمر الإسلام ويدعوهم إليه وهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة . كما أن بينهما تشابها في موضوع الحديث عن يوم القيمة وأهواها ، وإثبات البعث بمخلوقات الله في الإنسان والكون ، فهناك وصفت القيمة بقوله تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ [٣] ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ﴾ [٣٣] وهذا من أسماء يوم القيمة . وهناك أثبتت الله البعث بخلق السماء والأرض والجبال ، وهنا أثبته بخلق الإنسان والنبات والطعام<sup>(٣)</sup> .

(١) ينظر أسباب النزول للواحدى تحقيق ، زغلول: ٤٧٢ . والحديث في : صحيح وضعيف سنن الترمذى ، تحقيق محمد ناصر الألبانى ، رقم: ٣٣٣١ . وصحيح ابن حبان ، باب : ذكر ما يستحب للمرء الإقبال على الضعفاء ، رقم: ٥٣٥ .

(٢) ينظر ، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: ١٥٧/٣ .

(٣) ينظر ، التفسير المنير: ٣٠/٥٦ .

**الدلالة اللفظية للفعل عبس:** العُبُوسُ: قُطُوبُ الوجه من ضيق الصدر<sup>(١)</sup>. أو هو جهامة في الوجه تماً النَّفْس وحشة كوجه الأسد. ومنه: "عَبَسْ فلان (ضرَب) وعَبُوسًا": جَمَعَ جَلْدٌ مَا بَيْنَ عَيْنِيهِ وَجَلْدَ جَبَهَتِهِ وَتَجَهَّمَ" فهو: تقبض أديم الوجه، وتتجهم يوحي بالجلفاء ويوحش مَنْ يُسْتَقْبَلُ بهذا، والأصل انبساط الوجه<sup>(٢)</sup>.

**الدلالة الصرفية للفعل عبس:** عبر سبحانه وتعالى بالفعل (عبس) دون الاسم؛ لتأكيد ارتباط الحدث بالزمن، لأن الواقعه قد حدثت في الماضي، والفعل هنا يدل على الماضي لفظاً ومعنى، والله سبحانه يقص واقعة، وأسلوب القص والسرد يناسبه الماضي زمناً ودلالة.

الفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) للغائب يعود على النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يقل عبست تزييها لقدرها وتحاشياً من مجابته بهذا الأسلوب.

**دلالة الحضور والغيبة:** أسند الفعل لضمير الغائب، ثم التفت إلى ضمير الخطاب (وما يدرك) والالتفات من الغيبة إلى الخطاب دلالة على مزيد الإنكار، وزيادة في العتاب، وتنبيها للرسول صلى الله عليه وسلم إلى العناية بشأن الأعمى<sup>(٣)</sup>.

**دلالة التجدد والزيادة:** الفعل عبس ثلاثي مجرد على وزن فعل وهي صيغة يكثر وروتها في القرآن الكريم، ومن معانيها التقرير والإخبار للحدث.

(١) المفردات في غريب القرآن: ٥٤٤.

(٢) ينظر، المعجم الاستقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: ١٣٩٥/٣.

(٣) ينظر، التفسير المنير: ٥٩/٣٠.

**دلالة التعدي واللزوم:** عبس فعل لازم، يدل على الحدث وفاعله فقط دون بيان ما يقع عليه الحدث، لأن المقصود هو هيئة الوجه حين المقابلة ومن قام بالحدث.

حادي عشر، سورة التكاثر: افتتحت بقوله تعالى ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ أي شغلكم التفاخر بالأموال والأولاد والأعوان<sup>(١)</sup>.

**المقصد العام للسورة:** تبين أن سبب الهلاك هو جمع المال والإخلاد إلى الدنيا، وتذكر بالموت والحساب لمن انشغل عن الآخرة.

**أسباب النزول:** نزلت فيبني عبد مناف وبني سهم من أحياء قريش، كان بينهم عداءً أشد، فقالَ بنو عبد منافٍ: نحنُ أكثُرُ سِيَّدًا، وأعْزَّ عزيزاً، وأعْظَمُ نَفْرَا. وقالَ بنو سهم مثلَ ذلِكَ، فكثُرَهُمْ بنو عبد مناف. ثم قالوا: نُعَدُّ موتاناً، حتَّى زاروا القبورَ فعدُّوا موتاهم. فكثُرَهُمْ بنو سَهْمٍ؛ لأنهم كانوا أكثرَ عدداً في الجاهلية<sup>(٢)</sup>.

مناسبتها لما قبلها: لما أثبتت في القارعة أمر الساعة، وقسم الناس فيها إلى شقي وسعيد، وختم بالشقي، افتحت هذه بعلة الشقاوة ومبدأ الحشر ليزجر السامع عن هذا السبب ليكون من القسم الأول<sup>(٣)</sup>

**الدلالة اللغوية للفعل (ألهام):** اللَّهُوْ: ما يشغل الإنسان عمّا يعنيه ويهمّه... ويقال: ألهاه كذا. أي: شغله عمّا هو أهمّ إليه<sup>(٤)</sup>. والفعل بصيغته

(١) ينظر، التفسير المنير: ٣٠ / ٣٨١.

(٢) ينظر، بحر العلوم للسمرقندي: ٣/٦٥، والبغوي ٥/٢٩٨، وابن الجوزي في زاد المسير ٩/٢١٧، والقرطبي ٨/٧٢٥٨. وذكره الواحدى فى أسباب النزول: ٤/٦.

(٣) نظم الدرر: ٨/٥١٦

(٤) المفردات في غريب القرآن: ٧٤٨

الصوتية الهاء المفتوحة وألف المد يوحى بالإِنذار "وكأنما هي صوت نذير، قائم على شرف عال. يمد بصوته ويدوي بنبرته. يصبح بقوم غافلين مخمورين سادرين، أشرفوا على الهاوية وعيونهم مغمضة، وحسهم مسحور، فهو يمد بصوته إلى أعلى وأبعد ما يبلغ : ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ. حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَايِرَ﴾<sup>(١)</sup>. **الدلالة الصرفية لل فعل** : عبر بالفعل عن الاسم ؛ لأن الفعل فيه خاصية الزمن والحادثة وقعت بين قبيلتين تفاخرتا - كما ظهر ذلك في أسباب النزول - فجاء التعبير بالفعل الماضي زمناً ودلالة.

**دلالة التجدد والزيادة** : الفعل (أَلْهَى) ثلاثي مزيد بحرف ، على وزن (أَفْعَل) وهي من أكثر صيغ الزوائد وقوعاً في القرآن الكريم ، والزيادة هنا للصيغة ، أَلْهَى أي صار ذالها ، قال سيبويه : تقول أَجْرَبَ الرَّجُلُ وَأَحَالَ ، أَيْ صَارَ صَاحِبُ جَرْبٍ وَحِيَالٍ<sup>(٢)</sup>.

**دلالة التعدي واللزموم** : أَلْهَى فعل متعد لمفعول وهو الضمير (كم) وبذلك يبيّن الحدث والقائم بالحدث والواقع عليه الحدث.

**ثاني عشر** : سورة المسد ، افتتحت بقوله تعالى ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾<sup>(٣)</sup> **المقصد العام للسورة** : البُّ ، والقطع الحتم بخسنان الكافر ، ولو كان أقرب الخلق إلى أعظم الفائزين<sup>(٤)</sup> . وتتوعد السورة المعادين للدعوة بالخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة.

(١) في ظلال القرآن: ٣٩٦٢/٦.

(٢) الكتاب: ٥٩/٤.

(٣) مصادر النظر في الإشراف على مقاصد والسور: ٣/٢٧٦.



**علاقة السورة بما قبلها:** لما ذكر الله في سورة النصر قبلها أن جزاء المطيع حصول النصر والفتح في الدنيا، والثواب الجزييل في الآخرة، ذكر في هذه السورة أن عاقبة العاصي الخسار في الدنيا والعقاب في الآخرة<sup>(١)</sup>.

**الدلالة اللغوية للفعل تَبَّ:** التَّبُّ والتَّبَابُ: الاستمرار في الخسران، يقال: تَبَّ له وَتَبَّ له، وَتَبَّبِتُهُ: إذا قلت له ذلك، ولتضمن الاستمرار قيل: اسْتَبَّ لفلان كذا، أي: استمر، وَتَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ، أي: استمرت في خسرانه<sup>(٢)</sup>. واستَبَّ الرجلُ: ضُعْفَ وَعَجَزٌ. وَأَتَبَّ اللَّهُ قُوَّتَهُ: أَضْعَفَهُ<sup>(٣)</sup>.

**الدلالة الصرفية للفعل تَبَّ:** استخدم الفعل دون الاسم لقوته في هذا المقام، حيث إن الفعل يقتضي مزاولة وتجدد، أي استمرار خسارته وهلاكه شيئاً فشيئاً، وفيها إشعار بهلاك كل من فعل فعله فيما جاء بعده.

- وجاء الفعل ماضياً لتأكيد تحقق هلاك أبي لهب وخسرانه، وفيها أن وعد الله قد نفذ فيه بالفعل، وتكرر الفعل تبت مرتين لأن الفعل الأول (تب) يدا... جاء ليبين هلاك أبي لهب بسبب ما جنته يداه، وجاء الفعل الثاني (وتب) ليؤكد هلاكه شخصياً.

**دلالة التعدي واللزوم:** الفعل لازم غير متعد اقتصر على الفاعل؛ لأن المقصود هو الحديث وفاعله وهو هلاك يداه أي هلاكه بسبب ما كسبت يداه.

**دلالة التجدد والزيادة:** الفعل ثلاثي مجرد على وزن فعل وهو من أكثر الأوزان في القرآن الكريم، ومن معاني هذه الصيغة أنها تدل على حكاية الحدث فتحكي حدث هلاك أبي لهب، وفيها إشارة بهلاك من سلك مسلكه.

(١) ينظر، التفسير المنير: ٤٥٣ / ٣٠.

(٢) المفردات في غريب القرآن: ١٦٢.

(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل: ١٩٤ / ١.

## المحور الثاني ، السور التي افتتحت بالفعل المضارع :

الفعل المضارع يدل على الحال والاستقبال ، ومعنى المضارعة لغة المشابهة : " مشتقة من الضرع لأن كلا الشبيهين ارتفعا من ضرع واحد فهما أخوان رضاعاً ، يقال تضارع السَّخلان إذا أخذ كل واحد منهما بحملة من الضرع وتقابلا وقت الرضاع " <sup>(١)</sup> . فالضارع يشبه الاسم في الشكل الداخلي له وفي الدلالة . وتتلخص أوجه الشبه بينهما على النحو الآتي <sup>(٢)</sup> :

١ - أعرّب الفعل المضارع نتيجة اتصال الزوائد به لأنها جعلته على صيغة صار بها مشابهاً للاسم والمشابهة أوجبت له الإعراب .

٢ - إن دلالة الفعل المضارع الزمانية هي الحال أو الاستقبال ، فإذا قلنا مثلاً : زيد يقوم ، فالزمن مبهم في الجملة . وإذا قلنا رأيت رجلاً ، فهو لواحد من هذا الجنس مبهم فيهم ، أما إذا قلنا زيد سيقوم وسوف يقوم ، فيصير مستقبلاً ، وذلك لأنه قد دخل عليه ما يخلصه لزمن واحد بعينه ويقتصره عليه وهو السين وسوف . وإذا قلنا رأيت الرجل فإن دخول الألف واللام قصراء على واحد بعينه . ومن هنا فقد اشتبه الاسم والفعل بتعيينهما ما داشر عليهما من الحروف بعد وقوعهما أولاً مبهمين .

٣ - وقوعه في موقع الأسماء مؤدياً معانيها مثل : زيد يضرب وزيد ضارب .

٤ - دخول لام التأكيد عليه التي هي في الأصل للاسم وهي لام الابتداء .

(١) شرح الكافية للرضي : ٢٢٦ / ٢ .

(٢) ينظر ، شرح المفصل لابن عييش : ٦ / ٧ .

٥ - جعل المضارع بمعنىين هما الحال والاستقبال حملاً على شبهه بالأسماء التي تأتي على لفظ واحد لتؤدي معاني متعددة مثل الكلمة عين<sup>(١)</sup>. وفيما يلي نتناول السور المفتتحة بالفعل المضارع، وهي ثلاثة سور:  
**الأولى:** سورة الأنفال، افتتحت بقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا دَارَتَ بَيْنَكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

**أسباب النزول:** قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن سلمة عن ابن إسحاق، عن عبد الرحمن عن سليمان بن موسى عن مكحول عن أبي أمامة قال: سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال فقال: فيما عشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل، وساعت فيه أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا وجعله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين عن بواء - أي: على السواء<sup>(٢)</sup>.

**معنى الآية:** كما هو واضح من أسباب النزول، يسأل الناس عن مستحقي الغنائم فأخبرهم أن: الغنائم الله يحكم فيها ولرسوله يقسمها بحكم الله، لأنه سبحانه يعلم ما يصلح عباده.

**والأنفال:** جمع نَفْل بفتح الفاء، وهو هنا الغنائم، وسميت أنفالاً؛ لأن النفل هو الزيادة، لأنها ليست في مقابل<sup>(٣)</sup>

(١) ينظر، الدلالة الإيحائية للصيغ الفردية: ١٧١.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير: ١٨٣ / ١. والحديث في مسنده الإمام أحمد بن حنبل، باب حديث عبادة بن الصامت، رقم: ٢٤٧٤٨.

(٣) ينظر، زهرة التفاسير: ٣٠٦٠ / ٦.

**المقصد العام للسورة:** تراكيب المطلع تحمل معنى مقصود السورة (تفي الحول والقوة، والتحث على التسليم والتفضيض لله وحده) أيضا التركيز على بيان عوامل النصر المادية والربانية، وأسباب الهزيمة، وتوجيه المؤمنين.

### **علاقة السورة بسورة الأعراف قبلها:**

العلاقة العامة هي أن الله لما بين في سورة الأعراف أحوال أشهر الرسل مع أقوامهم، بين في سورة الأنفال بعدها حال النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه.

### **العلاقة الخاصة:**

- قال الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَأَمْرٌ بِالْعُرْفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ثم حذر في سورة الأنفال بعدها: من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥]

- قال الله في أواخر سورة الأعراف: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصُتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٤٢] وفي أوائل سورة الأنفال: ﴿وَإِذَا تُلِيتُ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادُوهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال] <sup>(١)</sup>

**الدلالة اللغوية للفعل يسألونك:** أما الدلالة اللغوية للفعل سؤال: السين والهمزة واللام ككلمة واحدة. يقال سؤال يسأل سؤالاً ومسألة. ورجل سؤلة:

(١) ينظر: النسخ في القرآن الكريم، للدكتور مصطفى زيد.

كَثِيرُ السُّؤَالِ<sup>(١)</sup>. وخلاصة معنى هذا التركيب هو الطلب، إما طلب شيء أو  
تحصيله أو طلب علم أي معلومة<sup>(٢)</sup>  
**الدلالة الصرفية:**

- دلالة الزمن: وقد عبر المولى سبحانه بالمضارع دون الماضي مع أنهم  
سألوا حقيقة للدلالة "عَلَى تَكْرُرِ السُّؤَالِ، إِمَّا بِإِعَادَتِهِ الْمَرَّةُ بَعْدَ الْأُخْرَى مِنْ  
سَائِلَيْنِ مُتَعَدِّدَيْنِ، وَإِمَّا بِكُثْرَةِ السَّائِلَيْنِ عَنْ ذَلِكَ حِينَ الْمُحَاوَرَةِ فِي مَوْقِفٍ  
وَاحِدٍ. وَلِذَلِكَ كَانَ قَوْلُهُ يَسْئُلُونَكَ مُوذِنًا بِالتَّنَازُعِ بَيْنَ الْجَيْشِ فِي اسْتِحْقَاقِ  
الْأَنْفَالِ<sup>(٣)</sup> لعل التنازع كان شديداً والتسليم كان بعيداً، فلم يأت الجواب  
بالقسمة وإنما جاء نازعاً الأنفال من المتنازعين ليذكرهم بأنها ما تحصلت لهم  
بحولهم وقوتهم (قل الأنفال لله والرسول) وقد أعاد المولى الأنفال بلغتها  
لأهميةها من باب جعل الظاهر موضع المضمر<sup>(٤)</sup>

- والفعل المضارع يستمر في نفي دعوى الحول والقوة التي أدت إلى التنازع  
كلما ثارت، فكانه يقتلع أصل التنازع كلما وقع فليعلم الجميع أن الأنفال لله  
والرسول، ومن ثم ناسب الواقعة التعبير بالمضارع دون الماضي أو الأمر.

- فاعل الفعل: هو الضمير المتصل (واو الجماعة) ودون مرجع سابق  
حتى يذهب فيه الذهن كل مذهب وينتظر بشوق السائلين، أو لأن الأهم هو  
ما سألوا لا مَنْ سَأَلُوا.

---

(١) مقاييس اللغة: ٣/١٢٤.

(٢) ينظر المعجم الاستقافي: مادة سأل، ص: ٥٠١.

(٣) التحرير والتنوير: ٩/٤٢٨.

(٤) ينظر، علاقة المطالع بالمقاصد في القرآن الكريم، ٢٢٨.

**دلالة التعدي واللزوم:** سأل يسأل حلقي العين، من باب : فعل يفعل ، يسألونك : فعل وفاعل ومفعول ، والجملة مستأنفة استئنافاً نحوياً ، والفعل متعد إلى مفعولين ، الأول الكاف والثاني تعدي إليه بحرف الجر (عن) لمعروفة الأنفال حقيقها ، "والسؤال حقيقته الطلب ، فإذا عدّي بـ (عن) فهو طلب معرفة المجرور بـ (عن) وإذا عدّي بنفسه فهو طلب إعطاء الشيء ، فالمعنى ، هنا : يسألونك معرفة الأنفال ، أي معرفة حقها فهو من تعليق الفعل باسم ذات ، والمراد حالها يحسب القرينة مثل ﴿حُرِّمتْ عَلَيْكُمُ الْمِيتَةُ﴾ [المائدة: ٣] وإنما سأّلوا عن حكمها صراحةً وضمناً في ضمن سؤالهم الأثر ببعضها<sup>(١)</sup> وإنما يسألوا عنها لأنّها فيما روّي كانت حراماً على من كان قبلهم.<sup>(٢)</sup>

وفي قراءة (يسألونك الأنفال) بإسقاط (عن)<sup>(٣)</sup> تكون الأنفال حينئذ مفعولاً به ثانياً للفعل سأّل ، لكن أبا حيان يرى أنّ عن هنا مقدرة حيث قال : "وينبغي أن تحمل قراءة من قرأ بإسقاط عن على إرادتها لأن حذف الحرف ، وهو مراد معنى ، أسهل من زيادته لغير معنى غير التوكيد<sup>(٤)</sup>

**دلالة التقييد والإطلاق (التجرد والزيادة):** الفعل مجرد غير مزيد ، من باب فعل يفعل ، وصيغة فعل تدل على حكاية الحديث ، لأن الفعل لا يعبر تعبير اللفظ المفرد وإنما يعبر عن معنى تعبّر عنه الجملة (يفعل) قال سيبويه :

١) التحرير والتنوير : ٢٤٨/٩.

٢) ينظر ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣٩٩/٢.

٣) ينظر ، البحر المحيط : ٤٥٦/٤ ، المحتسب : ١٧١/١ ، الدر المصنون : ٣٩٢ / ٣

وهي قراءة سعد بن أبي وقاص وابن مسعود وعلي بن الحسين وولدها.

٤) تفسير البحر المحيط : ٢٦٩/٥.

"اعلم أنه يكون كل ما تعددك إلى غيرك على ثلاثة أبنية على فعل يَفْعُلَ وذلك  
نحو ضرب يضرِبُ، وقتل يقتُلُ.." <sup>(١)</sup>

وببناء يَفْعُلَ يستعمل لزمانين اثنين هما الحدث الذي لم ينته أو الذي سيقع  
في المستقبل، وهم قد سألا و قد يقع السؤال في المستقبل أيضاً، لذلك كان  
التعبير بالمضارع المجرد ،

**دلالة الحضور والغيبة**، أنسد الفعل إلى الغائب وَاوا الجماعة، لأنه إخبار  
عن حادثة وقعت بين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ وَالإِخْبَارِ يَنْسَبُهُ  
ضمير الغائب.

**الثانية**: سورة الجمعة، افتتحت بقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي  
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي كل شيء من  
ملفوقات الله يسبح بمحمه وينزهه عما لا يليق بكماله وجلاله.

**المقصد العام للسورة**: تبين منة الله على الأمة الإسلامية أن فضلها  
وهداها بالرسول بعد ضلالها.

**أسباب النزول**: عن جابر بن عبد الرحمن قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطب يوم الجمعة إذ أقبلت غير قد قدمت ، فخرجوا إليها حتى  
لم يبق معه إلا إثنا عشر رجلاً ، فأنزل الله تبارك وتعالى - وإذا رأوا تجارة أو  
لهموا انقضوا إليها وتركوك قائماً - رواه البخاري عن حفص بن عمر، عن  
خالد بن عبد الله ، عن حصين <sup>(٢)</sup>.

(١) الكتاب لسيبوه : ٤ / ٣٨ .

(٢) أسباب النزول للواحدي : ٢٨٦ . والحديث في: المنتخب من مسنن عبد الله بن  
حميد، باب مسنن جابر بن عبد الله : ٣٣٥ / ١ ، رقم الحديث: ١١١٠

**علاقة السورة بما قبلها:** لما ذكر سبحانه في سورة (الصف) حال موسى مع قومه، ذكر في (الجمعة) حال محمد - صلى الله عليه وسلم - مع قومه ليظهر فضل ما بين الأمتين. ولما ختم الصف بالأمر بالجهاد وسماه تجارة، ختم الجمعة بالأمر بالصلة وأنه خير من التجارة الدنيوية. كما أن سورة الصف ذكرت الصف للقتال، والجمعة ذكرت الصف للصلة<sup>(١)</sup>.

**الدلالة اللغوية للفعل:** يسبح مضارع سَبَحَ، وأصل السبح المر السريع.. ومعناه التعظيم للله<sup>(٢)</sup> فهو الملك القدس الذي يستحق استمرار التسبيح.

**الدلالة الصرفية للفعل** يسبح: ولما ذكر سبحانه التسبيح بلفظ الماضي ثلاث مرات في افتتاح ثلاث سور، وذلك نهاية الإثبات المؤكد، فثبت بذلك أنه وقع تزييه من كل ناطق وصامت، أخبر أول هذه السورة أن ذلك التزييه على وجه التجديد والاستمرار بالتعبير بالمضارع لاستمرار ملكه، فقال: {يسبح} أي يوقع التزييه الأعظم الأبهى الأكمل {للله} أي الملك المحيط بكل شيء قدرة وعلماً، وأكد بذلك لما في التغابن ولم يحتاج بعد الإقرار بالواقع على هذا الوجه إلى التأكيد بأكثر من مرة وجعل بين كل مسبحتين سورة خالية من ذلك ليكون ذلك أدل على قصد التأكيد من حيث شدة الاعتناء بالذكر، وإن وقع فضل ويكون التأكيد أكثر تبنيها وأعظم صدعاً وتذكيراً<sup>(٣)</sup>.

- فقد عبر المولى جل وعلا عن التسبيح بالفعل المضارع (يسبح) لاستمرار ملكه الداعي إلى استمرار تزييه عن كل نقص. كما جاءت الصيغة

(١) أسرار ترتيب الآيات للسيوطى : ١٤٢ .

(٢) ينظر الدلالة اللغوية الفعل سبح في سورة الحديد.

(٣) ينظر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢٠ / ٤٥ .

بالمضارع في سورة الجمعة قبلها لاستمرار صفات جلاله وكماله ، فالصيغة واحدة لكن السياق مختلف ، والجامع بينهما هو استمرار وتجديد التنزيه لله سبحانه .  
**دلالة التقيد والإطلاق (التجدد والزيادة) :** يصبح فعل ثلاثي مزيد زيادة داخلية بتكرير حرف من بنية الفعل وهو التشديد ، ويفيد زيادة الحدث ومضاعفة التسبيح من الخلائق .

دلالة التعدي واللزوم : يصبح فعل متعد بنفسه لكنه تعدى بحرف الجر اللام .  
**الثالثة : سورة التغابن ،** افتتحت بقوله تعالى {يَسْبُحُ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}   
**المقصد العام للسورة :** تناول السورة قضية غبن الكافر وخسارته يوم القيمة ، بسبب تركه الإيمان بالله .

علاقة السورة بما قبلها : لما ذكر الله صفات المنافقين وحذر المؤمنين منها حذر هنا من صفات الكافرين ، ولما حذر سبحانه من الاشتغال بالأموال والأولاد عن ذكر الله بين هنا أن الأموال والأولاد فتنة <sup>(١)</sup>

الدلالة اللغوية للفعل : التسبيح هو التعظيم والت Nz zieh ، كما مر في سورة الحديد .

**الدلالة الصرفية :** عبر سبحانه بالفعل دون الاسم (يسبح) لأن الفعل يتضمن الاستمرار ،

- وعبر بالفعل المضارع لإفادته ت Nz zieh الله عن كل نقص ، أي يستمر تسبيح الخلائق له لاستمرار ملكه سبحانه (... لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

- الدلالة التقيد والإطلاق : يصبح فعل مزيد بالشدة زيادة أصلية ، وتفيد زيادة التسبيح

---

(١) ينظر ، التفسير المنير للزجلي : ٢٨ / ٣٣٣ .

- دلالة التعدى واللزوم: الفعل يصبح متعد بنفسه وبحرف جر، تقول سبحت الله وسبحت لله، وجاء في الآية متعديا بحرف جر اللام. وتقدم الجار والمجرور (للـ) على الفاعل (ما) لأن الكلام متوجه إلى من يستحق التسبيح لا من يسبح فكان تقديمه أولى.

### المحور الثالث، السور التي افتتحت بفعل الأمر:

والأمر نقىض النهي، هو قول يعبر عن فعل واجب الأداء<sup>(١)</sup> وهو يراد به الطلب أي طلب فعل شيء، أما دلالته الزمنية فهي المستقبل، وقد بين سيبويه أن الأمر يأتي "لما يكون ولم يقع.. وذلك قوله آمراً: اذهب واقتل واضرب"<sup>(٢)</sup> ومن المحدثين من يرى أنه يدل على الطلب الزمني الحالي لا المستقبل<sup>(٣)</sup> والراجح أن فعل الأمر يدل على الحال والاستقبال معاً<sup>(٤)</sup> معلوم أن فعل الأمر في القرآن الكريم والسنة النبوية يدل على الوجوب في أصل وضعه إذا جاء دون قرينة لفظية أو حالية أو صارف له عن معناه الحقيقى<sup>(٥)</sup> وهناك سور افتتحت بفعل الأمر صراحة والمقصود منها الوجوب. وفيما يلى نتناول هذه السور المفتتحة بفعل الأمر:

(١) ينظر، لسان العرب لابن منظور، باب الراء فصل الهمزة والميم والراء.

(٢) الكتاب لسيبوه، ص ١ : ١٢.

(٣) مثل إبراهيم أنيس في أسرار اللغة : ٧٠ وما بعدها.

(٤) ومن يرى هذا الرأي د/ تمام حسان في اللغة معناها ومبناها : ٢٥٠.

(٥) ينظر، أصول الفقه على منهج أهل الحديث: زكريا غلام قادر الباكستاني: ٧٨.

**أولاً :** سورة الجن ، افتتحت بقوله تعالى ﴿ قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ وهي أول سورة من خمس سور تسمى بـ(القواقل) لأنها تفتح بالفعل (قل) ويليها سور: الكافرون ، والإخلاص ، والفلق ، الناس.

- الفعل (قل) يدل على أهمية ما يأتي بعده (المقول) وقل في القرآن تدل على التشريف كما قال الزركشي في بيان وجوه خطاب القرآن الكريم : النوع الثاني والثلاثون خطاب التشريف ؛ وَهُوَ كُلُّ مَا في القرآن العزيز مخاطبة بـ "قل" كالقلقل وك قوله: {قل آمنا} وَهُوَ تَشْرِيفٌ مِّنْهُ سُبْحَانَهُ لَهُذِهِ الْأُمَّةِ بِأَنَّ يخاطبها بغير واسطةٍ لتفوز بشرف المخاطبة إذ ليس من الفصيح أن يقول الرسول للمرسل إليه قال لي المرسل قُلْ كَذَا وَكَذَا وَلَا إِنَّهُ لَا يُمْكِنُ إِسْقاطُهَا فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْهَا وَلَابْدَ لَهَا مِنْ فَائِدَةٍ فَتَكُونُ أَمْرًا مِّنَ الْمُتَكَلِّمِ لِلْمُتَكَلِّمِ بِمَا يَتَكَلَّمُ بِهِ أَمْرٌ شَفَاهَا بِلَا وَاسِطَةٍ كَقَوْلِكَ لِمَنْ تُخَاطِبُهُ افْعَلْ كَذَا<sup>(١)</sup> وكل الفوائح بـ (قل) المقصود بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، أي : قل يا محمد كذا.

**أسباب النزول :** عن ابن عباس قال : ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم ولكنه انطلق في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشيطان وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعوا إلى قومهم فقالوا : ما هذا إلا لشيء قد حدث فاضربوا في مشارق الأرض وغاربيها فانظروا هذا الذي حدث فانطلقوا فانصرف النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة وهو يصلب بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا : هذا الذي حال

(١) البرهان في علوم القرآن للزرκشي : ٢٥١ / ٢ - ٢٥٢ .

يُنِكِمْ وَبَيْنَ خَبْرِ السَّمَاوَاتِ فَهَنالِكَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ فَقَالُوا : يَا قَوْمِنَا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَابًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ وَإِنَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلَ الْجَنِ<sup>(١)</sup>

المقصود العام للسورة: إظهار شرف هذا النبي - صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حيث لَيْسَ لَهُ قُلُوبٌ لِلْجَنِ وَالْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِمْ، فَصَارَ مَالِكًا لِقُلُوبِ الْجَنَّانِ وَغَيْرِهِ. وَذَلِكَ لِعَظَمَةِ هَذَا الْقُرْآنِ، وَلِطَفْفِ مَا لَهُ مِنْ عَظِيمِ الشَّانِ<sup>(٢)</sup>.

**علاقة السورة بما قبلها:** ترتبط بالسورة بما قبلها من وجهين؛ الأول: قال الله سبحانه في سورة نوح: ﴿إِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا يُرْسِلُ السَّمَاوَاتِ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا﴾ [١٠] - [١١] وقال تعالى في هذه السورة لِكَفَارِ مَكَّةَ: ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَىٰ الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [١٦]. والثاني: ذكر في السورتين شيء يتعلّق بالسماء، كما ذكر فيهما عذاب العصاة، فقال تعالى في سورة نوح: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا﴾ [١٥] وقال عز وجل هنا: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاوَاتِ فَوَجَدْنَاهَا...﴾ [٨] وقال في السورة المتقدمة: ﴿مِمَّا خَطَّيْتَهُمْ أُغْرِقُوكُمْ فَادْخُلُوكُمْ نَارًا...﴾ [٢٥] وقال هنا: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارًا جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبْدًا﴾ [٢٣]<sup>(٣)</sup>.

(١) لِبَابِ النَّقْوَلِ فِي أَسْبَابِ النَّزْوِ لِلْسِّيُوطِيِّ: ٢٢٠. وَالْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمَ، بَابُ الْجَهْرِ بِالْقِرَاءَةِ فِي الصَّبْحِ وَالْقِرَاءَةِ عَلَى الْجَنِ، رَقْمُ: ١٠٣٤، وَفِي سُنْنِ التَّرْمِذِيِّ، بَابُ سُورَةِ الْجَنِ، حَدِيثُ رَقْمٍ: ٣٣٢٣.

(٢) مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّورَاتِ: ١٢٧/٣.

(٣) يَنْظُرُ، التَّفْسِيرُ الْمُنِيرُ لِلزَّحِيلِيِّ: ١٥٥/٢٩.



**الدلالة اللغوية للفعل قل:** أصله قول، القاف والواو واللام أصل واحد صحيح يَقُلُّ كَلْمَهُ، وهو القول من النطق، يقال: قال يقول قوله، والمُقُولُ: اللسان. وَرَجُلٌ قُولَةٌ وَقَوْلًا: كَثِيرُ الْقَوْلِ<sup>(١)</sup>.

والقول: حمل اللطيف المتسبيب أي غير المحدد وضبطه والتحكم في صورة إخراجه<sup>(٢)</sup>. وفي المفردات في غريب القرآن: يقال للمتصور في النفس قبل الإبراز باللفظ: قَوْلٌ، فيقال: في نفسي قول لم أظهره<sup>(٣)</sup>. والصيغة (قل) قليلة في حروفها صارمة في توجيهها.

**الدلالة الصرفية للفعل قل:** هناك خمس سور في القرآن تفتح بفعل الأمر (قل) أولها سورة الجن، ومعناها جميعاً: قل لهم يا محمد كذا، وهو أسلوب خطابي رباني علوي من الله إلى نبيه، وهذا يؤكّد أن القرآن كان يجيب النبي صلى الله عليه وسلم عن الأسئلة التي ترده فلا مجال لأن يتكلّم في هذه القضية – التي ورد فيها (قل) – من تلقاء نفسه.

- فعل الأمر يدل على الطلب الحالي أو المستقبلي على خلاف، فالأمر متجدد إذن، ومعناه قل لهم إجابة على سؤالهم أو إجابة على سؤال يرد من غيرهم مستقبلاً فناسب ذلك أن يكون القول بالفعل دون الاسم لتجدد الحديث فيه مع تجدد السؤال.

- وعبر بالأمر لأن الخطاب موجه للنبي محمد صلى الله عليه وسلم.

(١) مقاييس اللغة: ٤٢٥.

(٢) ينظر، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د. محمد حسن جبل: ١٨٢٥.

(٣) الراغب في غريب القرآن: ٦٨٨.

**دلالة التجدد والزيادة:** قل فعل مجرد على وزن فل، وأصله قول، وقد حذفت عينه لأنها حرف علة، فهو أجوف واوي من باب: ئَصَرَ يَئْصُرُ، وصيغة فعل تأتي للتعدية غالباً، فتفيد للتعدية أثر الفعل إلى المفعول.

**دلالة التعدى واللزوم:** الفعل قل متعدد لمفعول وهو جملة (أوحي).

**الضمير فيه للمخاطب أي** قل أنت وهو ضمير حاضر يعطي قوة للحكاية التي ستأتي.

**ثانياً:** سورة الأعلى ، افتتحت بقوله تعالى سبع اسم ربكم الأعلى. وهذا التسبيح واجب في الصلاة، لما روى من حديث عقبة بن عامر قال لما نزلت سبع باسم ربكم العظيم) قال رسول الله أجعلوها في ركوعكم، فلما نزلت سبع اسم ربكم الأعلى قال أجعلوها في سجودكم<sup>(١)</sup>.

**المقصد العام للسورة:** إيجاب التنزيه للأعلى سبحانه عن أن يلحق ساحة عظمته شيء من شوائب النقص<sup>(٢)</sup>.

**علاقة السورة بما قبلها:**

- ذكر الله في نهاية سورة الطارق خلق الإنسان وخلق النبات، وذكر في الأعلى ما هو أعم وأشمل فذكر خلق الإنسان والنبات وغيرهما<sup>(٣)</sup> ..

- ولما ختم الطارق بالأمر بإمهال الكافرين والنبي عن الاستعجال الذي يعد نقصاً والله تعالى منزه عنه أمر نبيه أن ينزعه فقال (سبح) أي نزه وبري<sup>(٤)</sup> ..

### الدلالة اللغوية للفعل سبع: مرت دلالته في سورة الحديد

(١) رواه أبو داود: ٨٦٩، وصححه ابن حبان: ١٨٩٨.

(٢) مصاعد النظر للإشراف على الآيات والسور: ٣/١٨٠.

(٣) ينظر، المنير للزحيلي: ٣٠/١٨٥.

(٤) ينظر،نظم الدرر: ٢١/٣٨٨.

**دلالة الفعل الصرفية:** عبر الله تعالى بالفعل عن الاسم لقصد التجدد في الحدث، واختار الأمر دون الماضي أو المضارع للطلب الحالي أو المستقبلي.

**ثالثاً:** سورة العلق، افتتحت بقول تعالى ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلقك﴾ المقصد العام للسورة: "تَأْقِينُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكَلَامُ الْقُرْآنِيَّ وَتَلَاوَتُهُ إِذْ كَانَ لَا يَعْرِفُ التَّلَاوَةَ مِنْ قَبْلُ<sup>(١)</sup> ..

**الدلالة اللغوية للفعل قرأ:** القُرءُ في الحقيقة: اسم للدخول في الحيض عن طهر، ولما كان اسماء جاماً للأمرتين الطهر والحيض المتعقب له أطلق على كل واحد منها..والقُرءُ من: قَرَأً، أي: جمع، فإنهم اعتبروا الجمع بين زمن الطهر وزمن الحيض..لاجتماع الدم في الرّحم، والقراءة: ضمّ الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل..والقرآن في الأصل مصدر، نحو: كفران ورجحان. قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمِيعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبَعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة/١٧ - ١٨] قال ابن عباس: إذا جمعناه وأثبناه في صدرك فاعمل به، ولا يقال لكل جمع قراء بل خص به القرآن.. قال بعض العلماء (تسمية هذا الكتاب قُرْآنًا من بين كتب الله لكونه جامعاً لشمرة كتبه) بل جمعه ثمرة جميع العلوم<sup>(٢)</sup>. فأصل مادة قرأ: تَجْمُعُ الشيء (السائل أو المتحرك) في الباطن أو الحيز إلى أجل يُطرح أو يُخرج بعده... ومن ذلك قولهم: قَرِيتُ الماء في الخوض: جمعت<sup>(٣)</sup>. فأمر الله نبيه بأن يقرأ .

**الدلالة الصرفية:** افتتحت السورة بفعل أمر (اقرأ) وهو افتتاح بديع، والمقصود منه تحصيل فعل القراءة في الحال أو المستقبل القريب من الحال، ولم

(١) التحرير والتنوير: ٤٣٤ / ٣٠ .

(٢) ينظر، المفردات في غريب القرآن: ٦٦٩ .

(٣) ينظر، المعجم الاستقائي المؤصل، مادة: قرأ، ١٧٥٩ / ٤ .

يُكَنْ يَعْرِفُ الْقِرَاءَةَ مِنْ قَبْلِ فَنَاسِبِ الْمَقَامِ التَّعْبِيرِ بِفَعْلِ الْأَمْرِ، وَفَاعِلُهُ ضَمِيرُ الْمَخَاطِبِ زِيَادَةً تَأْكِيدًا وَقُوَّةً وَضُوْحًا لِلْأَمْرِ.

**دَلَالَةُ الْلَّزَومِ وَالتَّعْدِيَةُ:** الْفَعْلُ قَرْأً مُتَعَدِّدٌ بِنَفْسِهِ لِكُنَّهُ عَدِيٌّ بِالْبَاءِ، قَالَ ابْنُ بَابِ شَادَ: "الْبَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ يُجَوِّزُ أَنْ تَكُونَ مُتَعَلِّقَةً بِمَحْذُوفٍ إِذَا جَعَلْتُهَا مَفْعُولًا لِقَوْلِكَ (اقْرأً) . وَيُجَوِّزُ أَنْ تَكُونَ مُتَعَلِّقَةً بِمَحْذُوفٍ إِذَا جَعَلْتُهَا حَالًا، كَأَنَّهُ قَالَ: اقْرأْ مُسْتَفْتَحًا بِاسْمِ رَبِّكَ، فَفِي الْجَارِ وَالْمُجْرُورِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ ضَمِيرٌ مَوْفُوعٌ. وَلَيْسُ فِيهِ عَلَى التَّقْدِيرِ الْآخَرِ ضَمِيرٌ مَرْفُوعٌ، بَلْ الضَّمِيرُ الْمَرْفُوعُ فِي قَوْلِهِ (اقْرأً) لَا غَيْرُ<sup>(١)</sup>.

رَابِعًا: سُورَةُ الْكَافِرِوْنَ: افْتَتَحْتَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُوْنَ﴾.

**الْمَقْصِدُ الْعَامُ لِلْسُورَةِ:** التَّأْكِيدُ عَلَى تَقْرِيرِ التَّوْحِيدِ لِللهِ وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشَّرِكِ وَأَهْلِهِ.

**عَلَاقَةُ السُورَةِ بِمَا قَبْلَهَا:** أَنَّهُ فِي السُورَةِ السَّابِقَةِ أَمْرَ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعِبَادَتِهِ، وَالشَّكْرُ لَهُ عَلَى نِعَمِهِ الْكَثِيرَةِ، بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ، وَفِي هَذِهِ السُورَةِ التَّصْرِيحُ بِمَا أُشِيرَ إِلَيْهِ فِيمَا سَلَفَ<sup>(٢)</sup>.

**أَسْبَابُ النَّزُولِ:** نَزَّلَتْ فِي رَهْطٍ مِنْ قَرِيشٍ قَالُوا: يَا مُحَمَّدَ هَلْمَ فَاتَّبَعَ دِينَنَا وَنَتَّبَعَ دِينَكَ، تَعْبُدَ آلهَنَا سَنَةً وَنَعْبُدَ إِلَهَكَ سَنَةً... فَقَالَ: "مَعَاذَ اللهِ أَنْ أَشْرُكَ بِهِ غَيْرَهُ" ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُوْنَ﴾...<sup>(٣)</sup>.

**الدَّلَالَةُ الْلُّفْظِيَّةُ:** الْقَوْلُ هُوَ شَيْءٌ مُتَصَوِّرٌ فِي النَّفْسِ قَبْلَ الإِبْرَازِ بِالْلُّفْظِ<sup>(٤)</sup>.

فَأَمْرَ اللَّهِ نَبِيَّهُ أَنْ يَرِدَ عَلَى الْكَافِرِيْنَ بِ(قُلْ)

(١) يُنْظَرُ، شَرْحُ المُقدَّمةِ الْمُحْسَبَةِ لِابْنِ بَابِ شَادَ: ٢ / ٤٣٧.

(٢) تَفْسِيرُ الْمَرَاغِيِّ: ٣٠ / ٢٥٤.

(٣) أَسْبَابُ النَّزُولِ لِلْوَاحِدِيِّ: ٤٥٨.

(٤) يُنْظَرُ، الْمَفَرَّدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ: ٦٨٨.

والصرفية للفعل قل مرت في سورة الجن.

**خامساً: سورة الإخلاص :** وهي سورة مكية تعالج العقيدة ولذلك جاءت آياتها بمثابة إعلان لهوية الإسلام المتميزة، فلم تدع إلى الإيمان، وإنما دعت إلى إعلان التوحيد، وأمرت بالصدع الصريح العام على الملأ.

افتتحت بقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي قل أيها الرسول لمن سألك عن صفة ربك ونسبته: هو الله أحد، أي واحد في ذاته وصفاته، لا شريك له، ولا نظير ولا عديل<sup>(١)</sup>. وهي سورة جامعة بل "لا توجد سورة واحدة جامعة لما في سورة الإخلاص"<sup>(٢)</sup>.

#### سبب نزول السورة:

أخرج الإمام أحمد والترمذى وابن جرير عن أبي بن كعب: أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: يا محمد، انسب لنا ربنا، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوَلَّدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

**المقصد العام للسورة:** تثبت اختصاص الله بصفات الكمال، وتنزهه عن كل نقص<sup>(٤)</sup>.

• **علاقة السورة بما قبلها:** أن سورة الإخلاص مقررة لما في سورة المسد.

(١) التفسير المنير للزحيلي: ٤٦٥/٣٠.

(٢) التحرير والتنوير: ٦٢١/٣٠.

(٣) ينظر، التفسير المنير للزحيلي: ٤٦٣/٣٠. والحديث في المعجم الأوسط للطبراني، باب من أسماء محمد، رقم: ٥٦٨٧. وفي سنن الترمذى باب ومن سورة الإخلاص، رقم: ٣٣٦٤. وفي الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، باب: قل هو الله أحد: ١٧٧/٢٢.

(٤) ينظر، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٢٨٠/٢.

• الدلالة اللفظية للفعل : ورد فعل الأمر (قل) في القرآن اثنتين وثلاثة وثلاثين مرة مسندًا لله عز وجل دعماً للرسول صلى الله عليه وسلم، وحسماً لطمع الكفار في الهوادة<sup>(١)</sup>.

#### • الدلالة الصرفية للفعل :

**دلالة الزمن** : افتتحت سورة الإخلاص بفعل الأمر (قل) الذي يتناسب سبب نزول السورة التي نزلت رداً على قول المشركين انساب لنا ربكم<sup>(٢)</sup>.  
**أما فاعل الفعل** : جاء فاعل الفعل قل ضميراً مستترًا في مطلع السورة، أي قل أنت يا محمد.

وأما الضمير (هو) فيه تفصيل :

- فإن صاحب سبب النزول - أنهم قالوا يا محمد صرف لنا ربكم - كان (هو) ضميراً عائداً على الرب، أي ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ﴾ أي ربكم الله، ويكون مبتدأ وخبراً ، وأحد خبر ثان. وقال الزمخشري : وأحد بدل من قوله : ﴿اللَّهُ﴾ أو على هو أحد، انتهى.

- وإن لم يصح السبب، فهو ضمير الأمر والشأن مبتدأ ، والجملة بعده مبتدأ وخبر في موضع خبر هو ، وأحد بمعنى واحد ، أي فرد من جميع جهات الوحدانية ، أي في ذاته وصفاته لا يتجزأ<sup>(٣)</sup> وضمير الشأن (هو) الذي ورد دون مرجع ، فإن "...مدارٌ وضعه موضعه عدم سبق ذكره الإيذانُ بائنه

(١) ينظر، المعجم الاشتقاقي : ١٨٢٥.

(٢) ينظر: أسباب النزول للواحدي : ٣٤٥.

(٣) ينظر تفسير البحر المحيط : ٣٩٥ / ٨.



من الشهرة والنباهة بحيث يستحضره كل أحد وإليه يشير كل ضمير وإليه يعود كل ضمير كما ينبيء عنه اسمه الذي أصله القصد أطلق على المفعول مبالغة ومحله الرفع على الابتداء خبر الجملة بعده ولا حاجة إلى الربط لأنها عين الشأن الذي عبر عنه بالضمير والسر في تصدير الجملة به التنبية من أول الأمر على فخامة مضمونها وجلالتها حيزها مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقدير فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأن مبهم له خطأ جليل فيبقى الذهن متربقاً لما أمامه مما يفسره ويزيل إبهامه فيتمكن عند روده له فضل تكين<sup>(١)</sup>. (هو) ضمير الشأن، وهو يستعمل في اللغة للتعظيم أو الاختصاص، ويفيد أهمية الجملة التي بعده: (الله أحد) بالثبات الواضح في الابتدأ والخبر ألوهية وتوحيدا.

- دلالة التعدي والزوم: الفعل متعد لمفعول (هو الله أحد) وهي جملة مقول القول في محل نصب
- دلالة التقييد والإطلاق (التجرد والزيادة): الفعل قل فعل مجرد صريح الدلالة

سادساً، وسابعاً: سورتا الفلق والناس: سورة الفلق وسورة الناس سميتاً المعوذتين، كما ورد ذلك في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: .... فإنه لم يتعد بمثلهن، اقرأ المعوذات دبر كل صلاة<sup>(٢)</sup> وتشترك سورة الفلق مع سورة الناس في الافتتاح والتسمية فهما المعوذتان، وموقعهما في آخر المصحف.

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ٢١٢/٩.

(٢) فتح الباري: ٦٨٠/٨.

**أسباب النزول:** عندما سحر النبي صلى الله عليه وسلم، دعا الله أن يشفيه، فدلله على مكان السحر فأرسل من أخرجه من البئر فنزلت عليه المعوذتان فكان يقرأ بهما حتى شفاه الله<sup>(١)</sup>.

**المقصد العام للسورتين:** الاعتصام بالله والاستعاذه به من شر الخلق الظاهر والباطن<sup>(٢)</sup>.

**دلالة الفعل قل وفاعله:** كما مر في سورة الجن من حيث المقصد والدلالة، أي قل يا محمد.. إلخ.

#### الخاتمة:

من خلال التحليل السابق للسور المفتتحة بالفعل نلاحظ ما يلي :

- أن نسبة السور التي بدأت بالفعل قليلة مقارنة بغيرها ، حيث بلغت أربعاً وعشرين سورة من مائة وأربع عشرة سورة ، وهذا يعطيها طابعاً خاصاً من حيث الدلالة ، وأن المعنى فيها يتطلب الحديث مع الزمن.

- بلغت نسبة السور التي تبدأ بالفعل الماضي أربع عشرة سورة ، بينما بلغت نسبة السور التي تبدأ بالفعل المضارع ثلاثة سور فقط ، على حين بلغت نسبة السور التي بدأت بالأمر سبع سور.

- أما من حيث دلالة الأفعال فإننا نلاحظ زيادة نسبة الأفعال الماضية لفظاً الحاضرة أو المستقبلة دلالة حيث بلغت ثلاثة عشر فعلاً ، وهذا يدل على سرعة تحقيق موعد الله . و فعل واحد منها يدل على الماضي زمناً ودلالة ، وهي حوادث وقعت في الماضي.

---

(١) ينظر، لباب النقول في أسباب النزول: ٢٣٨.

(٢) ينظر، مصاعد النظر: ٣٠٩/٣.



- الافتتاح بالفعل يناسب أسلوب الإخبار والقص ، وهذا ما حدث مع هذا السور.
- وردت أكثر الأفعال لازمة والقليل منها متعد ، ومنها فعل ليس له مفعول (سؤال).
- أما حالة المطالع الفعلية من حيث المعلوم والمجهول فقد جاءت جميعها مبنية للمعلوم ؛ وذلك ليظهر حقيقة الفاعل في وضوح ، ويلفت الأنظار إلى الاهتمام به لعظيم دوره في السياق.
- التركيب من أهم القرائن التي تبين قيمة الصيغة وتعين على فهم النص.

\* \* \*

## المصادر والمراجع

- ارتشاف الضرب من كلام العرب ، لأبي حيان ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، طبعة : ١٤١٨ هـ.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- أساس البلاغة ، للزمخشري. دار الكتب العلمية بيروت لبنان. الطبعة الأولى ، سنة : ١٩٩٨ م.
- أسباب النزول للواحدي ، أبي الحسن علي بن أحمد النيسابوري ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع
- أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيهه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ، محمود بن حمزة بن نصر ، أبو القاسم برهان الدين الكرمانی ، ويعرف بتاج القراء ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، مراجعة وتعليق : أحمد عبد التواب عوض ، دار الفضيلة.
- أسرار ترتيب القرآن ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.
- الأشباه والنظائر ، للسيوطى ، دائرة المعارف العثمانية بالهند ، ١٣٥٩ هـ.
- أصول الفقه على منهج أهل الحديث ، زكريا غلام قادر الباكستاني ، دار الخراز ، دون طبعة ودون تاريخ.
- الأصول في النحو لأبي بكر محمد بن سهيل بن السراج. تحقيق عبد الحسين الفتلي ، الطبعة الأولى - مؤسسة الرسالة - ١٩٨٥ م.
- أضواء البيان ، محمد الأمين الشنقيطي ، تحقيق مكتب البحث والدراسات ، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر ، سنة النشر ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م ، مكان النشر بيروت.

- إعراب القرآن، أبو جعفر التّحّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنُ يُونُسَ المرادي، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.
- البرهان في توجيهه متشابه القرآن، للكرماني، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. الطبعة الأولى: ١٤٠٦ - ١٩٨٦ م.
- البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
- بيان المعاني، عبد القادر بن ملا حويش السيد، مطبعة الترقي - دمشق
- البيان في روائع القرآن، د/ قام حسان، عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ - ٢٠٠٠ م.
- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- التحرير والتنوير، «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤.
- التحول الزمني عند النحاة العرب، د. عبد الله بوخلخال: ١ / ٤٤. ديوان المطبوعات العلمية.
- تفسير ابن كثير، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ.
- تفسير البحر المحيط لأبي حيان، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ومشاركة د/ زكريا عبد الحميد، د/أحمد المنجولي، طبعة ٢٠٠١ م، دار الكتب العلمية بيروت.

- تفسير البيضاوي، للبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التنزيل، دار صادر بيروت.
- تفسير الكشاف، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة ١، ١٩٩٥ م.
- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
- التفسير المنير للزحيلي، د وحبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ
- التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد. الطبعة العاشرة، ١٤١٣ هـ.
- التفسير الوسيط للسيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة.
- جامع البيان، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبرى (المتوفى: ٣١٠ هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار الشام بيروت، مصورة عن مطبوعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٨.
- الجنى الدانى في حروف المعاني، للحسن بن قاسم المرادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، سنة: ١٤١٣ - ١٩٩٢ م.
- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، عالم الكتب، بيروت، تحقيق: محمد علي النجار.
- الدر المصنون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.



- الدلالة الإيحائية في الصيغة الفردية، د/ صفية مطهري، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠٣ م.
- دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق، نشره خاص بالمؤلف.
- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق أحمد محمود شاكر، مطبعة المدنى بالقاهرة - دار المدنى بمجة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الأولوسي، تحقيق: على عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤١٥ هـ.
- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤ هـ) دار الفكر العربي.
- شرح الرضي لكتاب ابن الحاجب، لرضي الدين الاستراباذى، نشره: يوسف حسن عمر، ليبيا، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، جامعة قاريونس.
- شرح المفصل لابن عييش، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- شرح المقدمة شرح المقدمة المحسبة، طاهر بن أحمد بن باشاذ، المحقق: خالد عبد الكريم، المطبعة العصرية - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٩٧٧ م.
- صحیح البخاری، محمد بن إسماعیل بن ابراهیم بن المغیرة البخاری، أبو عبد الله (المتوفی: ٢٥٦ هـ)، الناشر: دار الشعب - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ - ١٩٨٧.
- صحیح مسلم، أبو الحسین مسلم بن الحجاج بن مسلم القشیری الیساپوری، الناشر: دار الجیل بیروت ودار الأفق الجدیدة - بیروت
- الصناعتين لأنبی هلال العسكري، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥ م.

- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حفائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة العلوي، مطبعة المقتطف بمصر، ١٩١٤ م.
- علاقة المطالع بالمقاصد في القرآن الكريم، د. إبراهيم الهدود، مكتبة الإيان، ٢٠١١ م.
- علم الدلالة د/ أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٩٨ م.
- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠ هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ
- فواتح سور القرآن للدكتور، د. حسين نصار، مكتبة الحانجبي بالقاهرة.
- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم - (رحمه الله) دار النشر: دار الشروق - القاهرة.
- كتاب الأفعال لأبي القاسم علي بن جعفر السعدي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣.
- الكتاب لسيبوه، والهيئة المصرية العامة للكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ١٩٧٧، ١٩٦٦ م.
- الكليات، لأبيوبن موسى الحسيني القريري الكفوبي، أبوبقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤ هـ) المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.
- لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، دار إحياء العلوم - بيروت
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر بيروت.

- اللغة العربية معناها وبناؤها، د. قاسم حسان، عالم الكتب، ط٥، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- لمسات بيانية، د/ فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدرى السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، الطبعة : الثالثة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- مشكل إعراب القرآن ل McKي بن أبي طالب، تحقيق ياسين السواس، الطبعة الثانية، مكتبة دار المأمون للتراث.
- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، براهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى : ٨٨٥ هـ) دار النشر: مكتبة المعارف - الرياض. الطبعة : الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
- معالم التنزيل للبغوي، تحقيق: عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسلiman مسلم الحرش، دار طيبة للنشر، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- معاني الأبنية في العربية، د. فاضل السامرائي، دار عمار، ط٢ ، سنة : ٢٠٠٧ م.
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة : الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- المعجم الاستقافي المؤصل لأنفاظ القرآن الكريم (مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها) المؤلف: د. محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب - القاهرة، الطبعة : الأولى، ٢٠١٠ م.
- مغني الليسب، لابن هشام، تحقيق: محى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٩٢ م.

- مفاتيح الغيب للرازي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٥ م.
- المفردات في غريب القرآن للراغب للأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى : ٥٠٢ هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي ، الناشر: دار القلم ، الدار الشامية - دمشق بيروت. الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ
- مقاييس اللغة لابن فارس ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر ، سنة: ١٩٧٩.
- المقتضب للمبرد ، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة ، تشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ١٣٨٥ هـ.
- من أسرار اللغة ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة السادسة ، ١٩٧٨ م.
- النحو العربي ، نقد وتوجيه ، د/ مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي ، بيروت الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، تحقيق: عبد الرزاق غالب ، ار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- النظم الفني في القرآن للشيخ عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب للطباعة والنشر.
- همع الهوامع في شرح جمع الجواجم ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق: أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان. ط ، ١٩٩٨ م.

\* \* \*



al-Asfahani, al-Hussein M. al-Mufradat fi Gharib al-Quran. Ed. Safwan A. ad-Dawudi. 1st ed. Damascus, Beirut: Dar al-Qalam, Dar ash-Shamiyya, 1412 AH.

Ibn Fares. Maqayyis al-Lughah. Ed. Abdusalam Haroun. Dar al-Fekr, 1979 AD.

al-Mubarrid. al-Muqtadhab. Ed. Muhammad A. Ozhaimah. Supreme Council for Islamic Affairs, 1385 AH.

Anis, Ibrahim. Mn Asrar al-Lughah. 6th ed. The Anglo-Egyptian Library, 1978 AD.

al-Makhzoumi, Mahdi. Arabic Grammar: Criticism and Guidance. 2nd ed. Beirut: Dar al-Ra'ed al-Arabi, 1406 AH – 1986 AD.

Nazhm ad-Durar fi Tanasub al-Ayaat wa as-Suwar. Ed. Abdulrazzaq Ghaleb. Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1995 AD.

as-Sa'idi, Abdulmutal. an-Nazhm al-Fani fi al-Quran. al-Adab Library for printing and publishing, n.d.

as-Suyuti, Abdulrahman A. Ham'e al-Hawame' Sharh Jame' al-Jawame'. Ed. Ahmad Shams ad-Din. Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, n1998 AD.

\*

\*

\*

- as-Suyuti, Abdulrahman A. Lubab an-Nuqoul fi Asbab an-Nuzoul. Beirut: Dar Ihya' al-Oloum, n.d.
- Ibn Manzhour. Lesan al-Arab. Beirut: Dar Sader, n.d.
- Hassan, Tammam. al-Lughah al-Arabiyyah: Ma'anaha wa Mabnaha. 5th ed. 'Alam al-Kutub, 1427 AH – 2006 AD.
- as-Samurra'i, Fadhel S. Lamasat Baniyyah. 3rd ed. Jordan, Amman: Dar Ammar for publishing and distribution, 1423 AH – 2003 AD.
- an-Nassfi. Madarek at-Tanzil wa Haqae'q at-Ta'wil. 1st ed. Beirut: Dar al-Kalem at-Taiyeb, 1419 AH – 1998 AD.
- Abi Talib, Makki. Mushkel I'erab al-Quran. Ed. Yassin al-Sawwas. 2nd ed. Dar al-Ma'amoun li at-Turath Library.
- al-Baqa'i, Ibrahim O. Masa'ed an-Nazhar li al-Ishraf 'ala Maqased as-Suwar. 1st ed. Riyadh: al-Ma'aref Library, 1408 AH - 1987 AD.
- al-Baghawi. Ma'aalem at-Tansil. Ed. Abdullah an-Nemer, Othman J. Dhamiriyah, and Sulaiman M. al-Harash. 4th ed. Beirut: Dar Taibah for publishing, 1417 AH -1997 AD.
- as-Samurra'i, Fadhel. Ma'ani al-Abniyyah. 2nd ed. Dar Ammar, 2007 AD.
- az-Zajaj, Ibrahim S. Ma'ani al-Quran wa I'erabeh. Ed. Abduljalil A. Shalabi. 1st ed. Beirut: 'Alam al-Kutub, 1408 AH – 1988 AD.
- Jabal, Muhammad H. al-Mu'jam al-Ishteqaqi al-Mu'asal li Alfazh al-Quran al-Karim (Clarification of the relations between words of the Holy Quran and their pronunciation and meanings). 1st ed. Cairo, al-Adab Library, 2010 AD.
- Ibn Hisham. Mughni al-Labib. Ed. Muhi ad-Din Abdulhamid. Sidon, Beirut: al-Maktabah al-'Asriyyah, 1992 AD.
- ar-Razi. Mafateh al-Ghaib. 3rd ed. Beirut: Dar al-Fekr, 1985 AD.

al-Istra`abathi, Radhi ad-Din. Sharh ar-Radhi li Kafiyat Ibn al-Hajeb. Published by Yousuf H. Omar. Libya: University of Qar Younis, 1398 AH – 1978 AD.

Ibn Ya'eish. Sharah al-Mufassal. 1st ed. Lebanon, Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1422 AH – 2001 AD.

Babshath, Taher A. Sharh al-Muqademah al-Muhassabah. Ed. Khalid Abdulkarim. 1st ed. Kuwait: al-Matba'ah al-'Asriyyah, 1977 AD.

al-Bukhari, Muhammad I. Sahih al-Bukhari. 1st ed. Cairo: Dar al-Sha'ab, 1407 AH – 1987 AD.

an-Naisabouri, Muslim H. Sahih Muslim. Beirut: Dar al-Jil and Dar al-Afaq al-Jadidah, n.d.

al-Askari, Abu Helal. as-Sena'atain. 1st ed. n.p., 1382 AH – 1965 AD.

al-Alawi, Yahya H. at-Teraz al-Mutadhamen li Asrar al-Balaghah wa Uloom Haqa'eq al-I'ejaz. Egypt: al-Muqtataf Press, 1914 AD.

al-Hudhud, Ibrahim. Elaqat al-Matale' bi al-Maqased fi al-Quran al-Karim. al-Iman Library, 2011 AD.

Omar, Ahmad M. 'Elm ad-Dalalah. 5th ed. Cairo: 'Alam al-Kutub, 1998 AD.

ash-Shawkani, Muhammad A. Fat'h al-Qadir. 1st ed. Damascus, Beirut: Dar Ibn Kathir and Dar al-Kalem at-Taiyeb, 1414 AH.

Nassar, Hussein. Fawateh Suwar al-Quran. Cairo: al-Khanji Library, n.d.

Ibrahim, Saiyyed Qutub. Fi Zhelal al-Quran. Cairo: Dar ash-Shurouq, n.d.

al-Sa'di, Ali J. Ketaib al-Af'al. Beirut: 'Alam al-Kutub, 1983 AD.

Sibawayh, & Egyptian General Book Organization. al-Ketab. Ed. Abdusalam Haroun. N.p., 1966 – 1977 AD.

al-Kafawi. al-Kuliyyat. Ed. Adnan Darwish and Muhammad al-Mesri. Beirut: ar-Resalah Foundation.

al-Hejazi, Muhammad M. at-Tafsir al-Wadheh. 10th ed. Dar al-Jil al-Jadid, 1413 AH.

Tantawi, as-Saiyyed. at-Tafsir al-Wasit. Cairo: Dar Nahdhat Mesr for printing, publishing and distribution, n.d.

at-Tabari, Muhammad J. Jame' al-Bayan. Ed. Ahmad M. Shaker. 1st ed. ar-Resalah Foundation, 1420 AH – 2000 AD.

al-Qurtubi. al-Jame' li Ahkam al-Quran. Beirut: Dar ash-Sham, photocopied from the edition of Dar al-Kutub al-Mesriyyah, 1938 AD.

al-Muradi, al-Hassan Q. al-Jana ad-Dani fi Hrouf al-Ma'ani. 1st ed. Lebanon, Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1413 AH - 1992 AD.

Ibn Jenni, Othman. al-Khasa'es. Ed. Muhammad A. an-Najar. Beirut: 'Alam al-Kutub, n.d.

al-Halabi, al-Samin. ad-Durr al-Masoun fi 'Uloum al-Ketab al-Maknoun. Ed. Ahmad M. al-Kharrat. Damascus: Dar al-Qalam, n.d.

Mat'hari, Safiyah. ad-Dalalah al-Iha'iyyah fi as-Sighah al-Fardiyah. Damascus: Arab Writers Union Publications, 2003 AD.

The Significance of the Context Between Heritage and Modern Linguistics: An Analytical Study of the Phonetical, Structural and Syntactical Functions in Light of Context Theory. Published by the author.

al-Jurjani, Abdulqaher. Dala'el al-I'ejaz. Ed. Ahmad M. Shaker. 3rd ed. Cairo: al-Madani Press, Jeddah Dar al-Madani, 1413 AH – 1992 AD.

al-Alusi, Mahmoud A. Rouh al-Ma'ani fi Tafsir al-Quran al-Azhim wa as-Sabe' al-Mathani. Ed. Ali A. Atiyah. Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1415 AH.

Abu Zahra, Muhammad A. Zahrat at-Tafasir. Dar al-Fekr al-Arabi, n.d.



az-Zarkashi. al-Burhan fi Uloom al-Quran. Ed. Muhammad A. Ibrahim. 1st ed. Dar Ihya' al-Kutub al-Arabiyyah, Issa al-Babi al-Halabi and Partners, 1376 AH – 1957 AD.

as-Saiyyed, Abdulqader M. Bayan al-Ma'ani. Damascus: at-Tarqi Press, n.d.  
Hassan, Tammam. al-Bayan fi Rawa'e' al-Quran. 2nd ed. 'Alam al-Kutub, 1420 AH – 2000 AD.

Ibn Qutaibah. Ta'wil Mushkel al-Quran. Ed. Ibrahim Shams ad-Din. Lebanon, Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, n.d.

at-Tunesi, Muhammad T. at-Tahrir wa at-Tanwir: Tahrir al-Ma'ana as-Sadid wa Tanwir al-Aql al-Jadid mn Tafsir al-Ketab al-Majid. Tunisia: ad-Dar at-Tunisiyyah for publishing, 1984 AD.

Bou Khelkhal, Abdullah. at-Tahaoul az-Zamani enda an-Nuhat al-'Arab. Diwan al-Matbu'at al-'Elmiyyah, n.d.

Ibn Kathir. Tafsir Ibn Kathir. 1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, Muhammad Ali Baidhoun publications, 1419 AH.

Abu Hayyan. Tafsir al-Bahr al-Muhit. Ed. Adel A. Abdulmawjoud, Muhammad Mu'awad, Zakariya Abdulhamid and Ahmad al-Manjouli. Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 2001 AD.

al-Baidhawi. Tafsir al-Baidhawi: Anwar at-Tansil wa Asrar at-Tansil. Beirut: Dar Sader, n.d.

az-Zamakhshari, Mahmoud A. Tafsir al-Kash`shaf. 1st ed. Lebanon, Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1995 AD.

al-Maraghi, Ahmad M. Tafsir al-Maraghi. 1st ed. Egypt: Library, Press and Company of Mustafa al-Babi al-Halabi and his Sons, 1365 AH – 1946 AD.

az-Zuhaili, Wahbah M. at-Tafsir al-Munir. 1st ed. Damascus: Dar al-Fekr, 1422 AH.

## **List of References:**

### **Works cited**

- Abi Hayyan. Irteshof adh-Dharb mn Lesan al-Arab. Cairo: al-Khanji Library, 1418 AH.
- al-Emadi, Muhammad M. Irshad al-Aql as-Salim ela Mazaia al-Quran al-Karim. Beirut: Dar Ihya' at-Turath al-Arabi, n.d.
- az-Zamakhshari. Asas al-Balaghah. 1st ed. Lebanon, Beirut: Dar al-Kutub al-'Eilmiyah, 1998 AD.
- al-Wahedi, Ali A. Asbab an-Nuzoul. al-Halabi and Partners for publishing and distribution, n.d.
- al-Karmani, Burhan ad-Din. Asrar at-Tekrar fi al-Quran: al-Burhan fi Tawjih Mutashabeh al-Quran li-ma Fihi mn al-Hujjah wa al-Bayan. Ed. Abdulqader A. Atta and ahmad A. Awadh. Dar al-Fadhlah, n.d.
- as-Suyuti, Abdulrahman A. Asrar Tartib al-Quran. Dar al-Fadhlah for publishing and distribution, n.d.
- as-Suyuti. al-Ashbah wa an-Nazha'ier. India: Da'erat al-Ma'aref al-Othmaniyyah, 1359 AH.
- al-Bakestani, Zakariya Ghulam. Usoul al-Fiqh 'ala Manhaj ahl al-Hadith. Dar al-Kharraz, n.d.
- Ibn as-Sarraj, Muhammad S. al-Usoul fi an-Nahw. Ed. Abdulhussain al-Fatli. 1st ed. ar-Resalah Foundation, 1985 AD.
- as-Shanqiti, Muhammad A. Adhwa al-Bayan. Ed. Office of Research and Studies. Beirut: Dar al-Fekr for printing and publishing, 1415 AH – 1995 AD.
- al-Muradi, Ahmad I. I'erab al-Quran. Ed. Abdulmun'em K. Ibrahim. 1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-'Eilmiyah, 1421 AH.
- al-Karmani. al-Burhan fi Tawjih Mutashabeh al-Quran. Ed. Abdulqader A. Atta. 1st ed. Lebanon, Beirut: Dar al-Kutub al-'Eilmiyah, 1406 AH – 1986 AD.



## Verbal Openings in Quran Suras: A Semantic Investigation of Morphological And Grammatical Structure

**Dr.Ahmed M. Khalil**

Associate Professor

Department of Arabic

College of Arts and Human Sciences

Taibah University

### **Abstract:**

The current research examines verbal openings in Quran Suras, namely the Suras which open with an unconstrained affirmative verb with no negation. It is a semantic study of the verbal structure. The study attempts to answer the following questions: Why do certain Suras start with a verb, not a noun? Why is a particular tense form used? What is its semantic significance? Why is this opening chosen by Allah in certain Suras?

The researcher uses the descriptive-analytic approach, starting the study of Suras with illustrating the general purpose and the circumstantial reasons of its revelation and its relation to what occurs before it. The analysis proceeds by identifying the denotation of the Sura-opening verb and its contextual meaning. Then comes the study of the morphological form of the verb through investigating the following aspects: the meaning of transitivity features, derivational and inflectional affixes, and transitivity roles.

The Study includes three main sections: Suras opening with the past tense, Suras opening with the present tense and Suras opening with the imperative.

الكتاب المنشور في  
كتاب المقدمة

المقتضب (للمبرد)  
قراءة في تحقيقه لـ محمد عبد الخالق عضيمة

د. ماجد بن عمر بن معين القرني  
قسم اللغويات - كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية



## المقتضب (للمبرد

قراءة في تحقيقه لمحمد عبد الخالق عصيمة

د. ماجد بن عمر بن معيف القرني

قسم اللغويات - كلية اللغة العربية بجامعة الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ١٤٣٩/٤/١٦ هـ تاريخ قبول البحث: ١٤٣٩/٦/١٦ هـ

### ملخص الدراسة:

يعدُّ (المقتضب) للمبرد (ت ٢٨٥ هـ) من أوائل كتب العربية وأهمها، وهذا العمل هو قراءة لمطبوعته بتحقيق محمد عبد الخالق عصيمة موازنةً بمخطوطته، بحثت فيه أمرين: أولاهما: ترتيب الكتاب، وثاناهما: سلامه النصّ.

ووصلت فيه إلى عدم سلامه ترتيب الكتاب في المجلدين الأول والرابع، وإلى تقرير الاختلاف الكبير بين مطبوعة الكتاب ومخطوطته، وأنَّ هذه المطبوعة ليست تحقيقاً دقيقاً للمخطوط، فقد وقع فيها جلُّ ما عُرف من عيوب التَّحقيق من سقط، وزيادة، وتصحيف، وتحريف، وتقديم وتأخير، وتغيير في الشَّواهد القرآنية والشِّعرية، وتغيير لضبط الكلمات، وعلامات إعرابها وبنائها، وزونتها، وتبديل بين الكلمات، وكان لهذا الأثر الكبير في فهم النَّصّ.



## المقدمة:

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسوله الكريم، وبعد فمن نفائس كتب العربية وأوائل ما وصلنا منها الكتاب (المقتضب) لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ)، فهو كتاب النحو والصرف المقدم بعد كتاب سيبويه، فلا تكاد تجد باحثاً في العربية إلا والمقتضب من مصادره.

بدأ طبع هذا الكتاب النفيس عام ١٣٨٥ هـ، واقتصر عام ١٣٨٨ هـ بتحقيق عالم من علماء العربية الكبار، وهو الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة (ت ١٤٠ هـ)، اعتمد في تحقيقه على النسخة المخطوطة المعروفة منه، وهي نسخة مكتبة كوبيري في تركيا، وهي نسخة قديمة نفيسة، بل هي من نفائس المخطوطات العربية، كتبها مهلهل بن أحمد ببغداد سنة سبع وأربعين وثلاث مئة، ثم قرأها وأصلاح ما فيها وصححها بخطه أبو سعيد السيرافي في العام نفسه، ثم قابل بها ابن ناصر الدين الدمشقي نسخته سنة (٤٨٠ هـ).

وهذا العمل هو قراءة لمطبوعة (المقتضب) موازنةً بخطوته، ودعاني إلى هذا أني لاحظت في ثانيا الكتاب نصوصاً مشكلة، بعضها تصويبه قريب، وبعضها الآخر الجاني إلى مخطوطة الكتاب، وبعد النظر في هذه المخطوطة وجدت أنَّ المشكلة أوسع مما قدَّرت، فرأيت ضرورة مثل هذا العمل، مع أنَّه من المفترض أن تكون هناك مراجعة لكلٍّ ما يتحقق من مخطوطات؛ ليعتمد الباحثون على نصوص يصحُّ أن يرُكِن إليها، ويُبنى عليها.

بحثت في هذه الأوراق نقطتين:

أولاًهما: ترتيب الكتاب.

وثانيةهما: سلامنة النصٌّ.

وأبْيَه هنا إلى أنَّه معتمد على الطبعة الثانية للمقتضب وإحالاتي عليها، وفي الجزء الأول منها ترقيم واحد ينتظم الدراسة والنَّصُّ الحَقْقُ، وأمَّا في الطبعة الأولى فترقيمان مختلفان، والله الموفق.

## أولاً: ترتيب كتاب (المقتضب):

مخطوطة الكتاب تتكون من أربعة أجزاء، جمعت في مجلدين، المجلد الأول يضمُّ الجزء الأوَّل والثاني، والمجلد الثاني يضمُّ الجزأين الباقيين، وفي كلِّ مجلد منها ترقيمان مستقلان عن ترقيم المجلد الآخر: ترقيم للوحات، وأرقامه إفرنجية (مغربية)، وترقيم للصفحات، أرقامه عربية مشرقية (هنديَّة)، والترقيمان متاخيران، لا علاقة لهما بوقت كتابة النسخة، بل هما معاصران، يدلُّ على هذا طريقة كتابة الأرقام، وهناك ترقيم ثالث بالأرقام العربية المشرقية لبعض لوحات المجلد الأوَّل، وصل إلى رقم (٢٤)، ثمَّ توقف، وهذه الأرقام جميعاً متماثلة، مما يوهم اتصال المخطوط وترتيب أوراقه، ولكنَّ هذا التَّوْهُم يزول عند قراءة المخطوطة، فهناك خلل ظاهر في ترتيب عدد من أجزاء المخطوط، وقد لاحظ هذا الحقيقة، فحاول تصويبه، فوفق في

بعض ما صنع، ومن أبرز الملاحظات على ترتيبه ما يلي:

أولاً: أنَّ الكتاب بوضعه الحالي بدأ بخمسة أبواب نحوية، ثمَّ انتقل فجأة إلى حديث طويل عن مجموعة كبيرة من الموضوعات الصرافية، شغلت أكثر الجزء الأوَّل، وهذا نمط غريب من التَّرتيب، خاصةً أنَّ الأبواب نحوية الأوَّل أربعة منها ليست من ضمن المقدّمات العامة، بل هي أبواب نحوية أساسية، مثل باب الفاعل، وباب حروف العطف بمعانيها، وباب من مسائل الفاعل والمفعول، فلا يصحُّ أن يقال إنَّه بدأ بمقالات عامة، ثمَّ أخذ في الصرف.

وهذا النَّمط مع غرابته في نفسه غريب عن المعتاد في كتب العربية التي تبدأ بالنَّحو، ثمَّ تختتم بالصرف، ولم يُعرف من خرج عن هذا النَّهج إلَّا أبو حيَّان (ت ٧٤٥هـ) في (ارتشاف الضَّرب)، إذ بحث فيه علم الصرف قبل النَّحو، وذكر السَّمين الحلبي<sup>(١)</sup> (٧٥٦هـ) أنَّه بهذا خالف جميع النَّحاة، ولم يكن ليقول هذا وترتيب المقتضب على هذا النَّحو.

---

(١) العقد النَّضيد ٦٠٣.

ثانياً: أنَّ المبرُّد يكثر من الإِحالات إلى ما مضى من الكتاب، وإلى ما سيأتي، وكثير من هذه الإِحالات لا تتفق مع هذا الترتيب للكتاب، فهناك إحالات إلى أمور مرَّت، وهي لم تمرُّ، بل ستأتي، مثل: «وقد بيَّنت لك في باب الظُّروف أنَّ هذه المخصوصة لا يتعدَّى الفعل إليها... وقد مضى تفسير هذا في بابه» (٢٧١/٢)، والحديث عن الظُّروف لم يأتِ إلَّا في (٣٢٨/٤)، وقال في (٣٠٩/٢): «وقد ذكرنا هذا في باب المعرفة والنَّكرة» وهذا الباب لم يأتِ إلَّا في (٢٧٦/٤)، ومنها: «ويحتاجُ بما ذكرته لك في النداء» وهذا الاحتياج جاء في (٤/٢٣١)، وقال في (٣٢٣/٢): «وقد تقع التاء في معنى التَّعْجُب، ولم نذكرها هنا لأنَّ ذكرها قد تقدَّم»، والحديث عن هذه التاء القسمية التَّعْجِيبية سيأتي في باب التَّعْجُب (٤/١٧٥)، وفي (٢/٣٣٩) ذكر أنَّ (إنَّ) تعمل فعل الفعل المتعدي لأنها مشبَّهة به بلفظها، وقد مضى تفسيرها في بابها، وبابها سيأتي في (٤/١٠٧)، وقال: «لما ذكرته لك في باب (كان) من أنَّ الذِّي يقع بعدها ابتداء وخبر» (٣/٩٨)، وباب كان ذُكر في (٤/٨٦)، وتحدَّث عن فعل التَّعْجُب في (٣/١٩٠) وذكر أنَّه مضى تفسيره في بابه، وباب التَّعْجُب إنَّما ذُكر في (٤/١٧٣)، وكذا أشار إلى ما النافية في (٣/١٩٠)، ثم ذكر أنَّه ذكر الحجج فيها في بابها، وبابها ورد في (٤/١٨٨).

ومن هذا أنَّه تحدَّث عن الصفة المشبَّهة في (٤/٢٢٦)، وقال: «كما وصفتُ لك في بابه في أول الكتاب»، وباب الصفة جاء في (٤/١٥٨)، وليس في أول الكتاب.

وفي مقابل هذا هناك الكثير من الإِحالات إلى أمور قادمة، وهي بحسب هذا الترتيب قد مضت، مثل: ما جاء في (٢/٩٨) من أنَّه سيأتي موضع يمَّيز فيه بين ما يكون من وزن (فَاعَلَ) لاثنين وما يكون لواحد، وهذا الموضع مرَّ

في (٢١١/١)، وكذا ذكر في (٢٣٦/٢) آنَّهَا سِيَحْكُمُ الْمَسَأَةَ فِي بَابِ التَّصْرِيفِ، وقال أيضًا في (٣١٩/٢): «فَأَمَّا إِبْدالُهَا مِنَ الْوَاوِ فَنَحْنُ نَذْكُرُهُ مَفْسَرًا فِي التَّصْرِيفِ... وَنَحْنُ نَسْتَقْصِي شِرْحَهُ فِي بَابِ التَّصْرِيفِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، وكذا قال: «وَهَذَا يُذَكِّرُ مَفْسَرًا فِي بَابِ التَّصْرِيفِ» (٧/٤)، وكذا ذكر في (٨٧/٤) آنَّهَا سِيَذْكُرُ مَسَأَةَ فِي بَابِ التَّصْرِيفِ، كُلُّ هَذَا مَعَ آنَّ بَابِ التَّصْرِيفِ مَضِيًّا فِي الْجَزْءِ الْأُولَّ.

وقال: «سَنُفرِدُ بَابًا لِمَا يُصْلِحُ فِيهِ الْإِبْدَالُ وَمَا يَمْتَنَعُ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» (٣١٩/٢)، وَبَابُ الْبَدْلِ مَرَّ فِي (١٩٩/١)، وكذا ذكر في (٧٧/٤) آنَّهَا سِيَذْكُرُ مَا يَضْمُرُ عَلَى شَرِيعَةِ التَّفْسِيرِ فِي أَبْوَابِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَقَدْ ذُكِرَ فِي (١٤٢/٢)، وقال: «وَسَبَبَيْنِ مَا يَبْنِي عَلَى الْحَرْكَةِ لِتَصْرُّفِهِ، وَمَا يَلْزَمُهُ السُّكُونُ لِامْتِنَاعِهِ مِنَ التَّصْرُّفِ فِي مَوْضِعِ الْمَبْنَيَاتِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» (٨٢/٤)، وهذا التَّبَيِّنُ مَرَّ فِي (١٧١/٣)، وقال: «وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا يَقْعُدُ فِي بَابِ مَفْرَدِ لِهِمَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ» (١٠٧/٤)، وهذا الْبَابُ مَرَّ فِي (٣٤٠/٢)، وقال: «وَ(هَذِهِ) مُثِلُّهَا، وَلَكِنْ تَرَكَنَا ذَكْرَهَا هَاهُنَا لِنَفْرَدِ لَهَا بَابًا» (١٣٩/٤)، وَبَابُهَا مَضِيًّا فِي (٣٧/٢)، وَوَعْدُ بِشَرْحِ مَسَأَةِ فِي بَابِ مَا يَنْصُرُفُ وَمَا لَا يَنْصُرُفُ فِي (٢٥٢/٤)، مَعَ آنَّهَا الْبَابُ مَضِيًّا فِي (٣٠٩/٣).

وَثَالِثًا: أَنَّ الْمَحْقُقَ قَسْمٌ فِي مَوَاطِنِ مُتَعَدِّدَةِ الصَّفَحَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْمَخْطُوطِ، فَجَعَلَ أَعْلَاهَا فِي مَوْضِعٍ، وَأَسْفَلَهَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، وَهَذَا خَلْلٌ بَيْنَ ؛ لَأَنَّ إِشْكَالَ النُّسْخَةِ فِي تَرْتِيبِ الْأُوراقِ، وَلَيْسُ فِي أَصْلِ كِتَابِهَا، حَصَلَ ذَلِكُ مِنْهُ فِي :

- صَفَحة١٤ مِنَ الْجَزْءِ الْأُولَّ مِنَ الْمَخْطُوطِ، وَضَعَ أَعْلَاهَا فِي (١٥١ و ١٥٠) وَأَسْفَلَهَا فِي (١٦٤/١).

- ص ٣٨٢ من الجزء الثالث من المخطوط، وضع أعلاها في (١٦٦/١)، وأسفلها في (١٥١/١).
- ص ٣٨١ من الجزء الثالث من المخطوط، وضع أعلاها في (٤٨/٤)، وأسفلها في (٤٩/١).
- ص ٣٩١ من الجزء الثالث من المخطوط، وضع أعلاها في (١٦٣/١) و(١٦٤) وأسفلها في (٥٠/٤).
- وأَتَّصل بِهَذِهِ الْأَجْزَاءِ صَفَحَاتٍ قَبْلَهَا أَوْ بَعْدَهَا، مَا أَحَالَ الْكِتَابَ مِنْ اضطِرَابٍ إِلَى آخر.

وَرَابعًاً: أَنَّ أَبَا الْقَاسِمِ سَعِيدَ الْفَارَقِيَّ (ت ٣٩١ هـ)، أَلْفَ كِتَابًا بِعنوان (تَفْسِيرُ الْمَسَائِلِ الْمُشَكَّلةِ فِي أَوَّلِ الْمَقْتَضِيِّ)، وَنَصَّ فِي مُقْدِمَتِهِ أَنَّهُ يَفْسُرُ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْمَسَائِلِ الْمُشَكَّلةِ الَّتِي جَعَلَهَا الْمَبْرُدُ فِي أَوَّلِ كِتَابِهِ، وَعَلَلَ سَبَبَ وَضُعِّفَ الْمَبْرُدُ لَهَا فِي أَوَّلِ كِتَابِهِ، وَلَكِنَّ طَائِفَةً مِنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ جَاءَتْ فِي أَبْوَابَ مَذَكُورَةٍ فِي الْجَزْءِ الرَّابِعِ مِنْ الْمَقْتَضِيِّ<sup>(١)</sup>، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَبْوَابَ أَوَّلُ الْكِتَابِ لَا آخرَ.

فَهَذِهِ الْأَمْوَرُ تَبَثُّ أَنَّ فِي تَرْتِيبِ (الْمَقْتَضِيِّ) خَلْلًا، وَلَمْ أَجِدْ مِنْ تَصْدِيَّ لِهَذَا الْخَلْلِ سُوِّيَ الدَّكْتُورُ أَمِينُ عَلَيِ السَّيِّدِ، فَقَدْ عُنِيَّ بِهَذِهِ الْمَسَأَلَةِ، فَأَلْقَى مَحَاضِرَةً فِي مَجْمِعِ الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْقَاهِرَةِ عَامَ ١٩٩٨ هـ بِعِنْوَانِ (الْقَوْلُ الْفَصْلُ فِي تَرْتِيبِ الْكِتَابِ الْمَقْتَضِيِّ)، وَنَشَرَ مَقَالَةً بِهَذَا الْعِنْوَانِ فِي مجلَّةِ كُلِّيَّةِ دَارِ الْعِلُومِ العَدِيدَ، عَامَ ٢٠٠٤ م، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَاحَظَ قَرِينَ كُلِّ بَابٍ رَقْمًا عَدِيدًا مَكْتُوبًا بِخَطِّ النَّاسِخِ، وَبِالْمَدَادِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ النَّصُّ، وَبِالطَّرِيقَةِ الَّتِي كَانَتْ تَرْسِمُ بِهَا الْأَرْقَامُ فِي تَارِيخِ النَّسْخِ.

---

(١) تَفْسِيرُ الْمَسَائِلِ الْمُشَكَّلةِ ٢٩٧ وَ٣٧٧ وَ٣٨٩ وَ٣٩٣ وَ٤٠٣.

وَمِلْاحَظَةُ الدَّكْتُور لِهَذِهِ الْأَرْقَام نَافِعَة جَدًّا فِي تَرْتِيبِ الْكِتَاب، وَلَكِن لَّيْسَ صَحِيحًا أَنَّ هَذِهِ الْأَرْقَام كُتُبَت بِخُطٍّ النَّاسِخِ وَبِالْمَدَادِ نَفْسِهِ، فَالْخُطُّ مُخْتَلِفٌ، وَالْمَدَادُ مُخْتَلِفٌ، وَلَيْسَ مَأْلُوفًا أَنْ يَرْقُمَ نَاسِخُ الْمُخْطُوطِ قَدِيمًا أُوراقَ الْكِتَابِ، بِلِهِ أَبْوَابَهُ، وَلَكِنْ يَظْهُرُ أَنَّ هَذَا الْخُلُطُ فِي الْأُوراقِ جَاءَ بَعْدِهِ، فَعَمِدَ بَعْضُ مِنْ وَقْفٍ عَلَى هَذِهِ النُّسْخَةِ وَهِيَ مُجَلَّدةٌ وَفَقَ هَذَا الْخُلُطُ إِلَى تَرْتِيبِهَا بِتَرْقِيمِ أَبْوَابِهَا فَقَطَّ، دُونَ إِعَادَةِ تَرْتِيبِ الْأُوراقِ نَفْسِهَا، وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الَّذِي فَعَلَ هَذَا هُوَ ابْنُ نَاصِرِ الدِّينِ الدَّمْشِقِيِّ (ت ٨٤٢هـ)، فَقَدْ تَكَرَّرَ فِي صَفَحَاتِهِ عِنْوَانَاتُ الْأَجْزَاءِ مَا يَدْلُلُ عَلَى أَنَّهُ وَقَفَ عَلَى النُّسْخَةِ وَعَارَضَ بِهَا نَسْخَتَهُ، جَاءَ فِي صَفَحةِ الْعِنْوَانِ لِلْجَزْءِ الرَّابِعِ: (عَارَضَ بِهِ وَبِمَا قَبْلَهُ نَسْخَتَهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، الشَّهِيرِ بِابْنِ نَاصِرِ الدِّينِ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ بِكَرْمِهِ فِي سَنَةِ أَرْبَعِ وَثَمَانِ مِئَةٍ)، وَتَكَرَّرَ نَحْوُ هَذَا التَّعْلِيقِ فِي كُلِّ أَجْزَاءِ الْكِتَابِ، وَفِي صَفَحةِ الْعِنْوَانِ لِلْجَزْءِ الْأَوَّلِ كَتَبَ التَّارِيخَ بِرُمُوزِ الْأَرْقَامِ، فَكَانَ رَسْمُهَا مُوافِقًا لِطَرِيقَةِ رِسْمِ هَذِهِ الرُّمُوزِ فِي تَرْقِيمِ الْأَبْوَابِ، فَيَحْتَمِلُ أَنَّ ابْنَ نَاصِرِ الدِّينِ هُوَ مَنْ وَضَعَ هَذَا التَّرْقِيمَ لِلْأَبْوَابِ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْمَعَارِضَةِ، وَلَكِنْ يَشَكَّلُ عَلَى هَذَا أَنَّهُ لَمْ يَشَرِّ إِلَى هَذَا، فَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ لَمْ يَعْرَضْ نَسْخَتَهُ بِهَذِهِ الْمُخْطُوطَةِ لَمْ يَكُنْ الْخَلْلُ قَدْ وَقَعَ فِيهَا، وَإِنَّمَا وَقَعَ فِيهَا بَعْدِ ذَلِكَ، فَالْتَّرْقِيمُ عَلَى هَذَا مَتَأْخِرٌ عَنْ سَنَةِ أَرْبَعِ وَثَمَانِ مِئَةٍ، وَلَا يَصْحُّ أَنْ يَقَالُ بِالْحَتْمَالِ أَنَّ ابْنَ نَاصِرِ الدِّينِ نَسَخَ نَسْخَتَهُ عَنْ هَذِهِ الْمُخْطُوطَةِ ثُمَّ عَارَضَهَا بِهَا، لَأَنَّ الْأَمْرَ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ مَا كَانَ لِكِتَابِهِ هَذَا التَّعْلِيقِ عَلَى النُّسْخَةِ الْمُنْقَولِ مِنْهَا فَائِدَة، مَا الْفَائِدَةُ أَنْ يَكْتُبَ عَلَى نَسْخَةِ بَائِهَا عَوْرَضَ بِهَا نَسْخَةً أُخْرَى مُأْخُوذَةٌ عَنْهَا؟ إِنَّمَا يَفِيدُ مِثْلُ هَذَا التَّعْلِيقِ زِيادةً فِي تَوْثِيقِ النُّسْخَةِ لَوْ كَانَتِ النُّسْخَةُ الْمَعَارِضَةُ أَجْنبِيَّةً عَنْهَا.

وَهَذَا التَّرْقِيمُ لِلْأَبْوَابِ الْكِتَابِ جَاءَ فِي تَسْلِيلِ عَدْدِيٍّ وَاحِدٌ مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى الْبَابِ رقم ٢٩٣، وَبَعْدِهِ جَاءَ اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ بَابًا مَتَّصِلَةً دُونَ تَرْقِيمٍ، وَيَظْهُرُ

أنّها في آخر الكتاب متواالية، فلما رأى المرقم اتساقها كفَ عن ترقيمها، وقد عرض في ضمن الأبواب المرقمة بعض الخلل مثل تجاوز بعض الأبواب أو بعض الأرقام، أو تكرار التّرقيم، فيبقى هنا اتساق المعنى أو وجود الأبواب في وسط الصّفحة دليلاً على صحة موضعها؛ لأنَّ خلل النّسخة في ترتيب الأوراق، فإذا جاء باب غير مرقم وهو في أثناء ورقة فيها جزء من باب مرقم قبله يكون هذا دليلاً على رقم الباب غير المرقم.

وعلى كلٍّ فاعتماداً على هذه الأرقام يمكن أن يقال: إنَّ ترتيب الكتاب متّسق في الجزأين الشّانبي والثّالث، أمّا ترتيب الجزأين الأوّل والرّابع فغير صحيح، والأقرب أن يتّالف الجزء الأوّل من الآتي:

١ - من صفحة ١٤١ إلى صفحة ١٦٦، أو بعبارة أخرى: ٢٦ صفحة من أوّل الكتاب.

٢ - من صفحة ٥٠ من الجزء الرّابع إلى آخره في صفحة ٤٢٩.

٣ - من صفحة ٣٩٦ من الجزء الأوّل إلى آخره في صفحة ٤٠٧.

وأما الجزء الرّابع فيتّالُف من الآتي:

١ - من أوّل الجزء الرّابع إلى صفحة ٤٩ منه.

٢ - من صفحة ١٦٧ من الجزء الأوّل إلى صفحة ٣٩٥ منه.

وهذا التّرتيب أقرب إلى الصّحة من التّرتيب الحالي للكتاب، وبه تزول الكثير من الإشكالات فيه، فيكون الكتاب بدأ بالنّحو، وختّم بالصرف، وبالأخصّ بباب الإدّغام الذي اعتاد النّحويون الانتهاء إليه، ثمَّ بعده عاد المبرّد للوفاء ببعض الأمور التي وعد ببحثها، قال: «تمَ الإدّغام، قال أبو العباس: كَمَا قَدَّمْنَا فِي أَوَّلِ كِتَابِنَا وَبَعْدَ ذَلِكَ أَشْيَاءٌ جَرِي ذَكْرُهَا لِمَا يَشَائِلُهَا فِي مَوْضِعِهَا، وَلَمْ يَكُنْ مَوْضِعُ تَفْسِيرِهَا، فَوَعْدَنَا أَنْ نَفْسِرُهَا إِذَا قَضَيْنَا الْقَوْلَ فِيمَا قَصَدْنَا لَهُ عِنْدَ ذَكْرِهَا، فَمَنْ ذَلِكَ لَامُ الْخَفْضِ...» (٣٨٩/١)، فمن

المناسب أن يكون هذا النص في خاتمة الكتاب لا في الجزء الأول منه، وهو بهذا يتَّسق مع صنيعه في كتابه (الكامل)، فإنه في آخره عاد للوفاء ببعض ما وعد به، جاء في أواخر الكتاب: «قال أبو العباس: وقد كنا أرجأنا أشياء ذكرنا أنا سنذكرها في آخر هذا الكتاب من خطب ومواعظ ورسائل، ونحن ذاكرون ما تهيأ من ذلك إن شاء الله»<sup>(١)</sup>، وقال: «ونحن ذاكرون الرسائل بين أمير المؤمنين المنصور وبين محمد بن عبد الله بن حسن العلوي كما وعدنا في أول الكتاب»<sup>(٢)</sup>.

ومع هذا يشكل على هذا الترتيب بعض إحالات المبرد إلى ما سبق وإلى ما هو آتٍ، من ذلك أنه ذكر في (٢٠٢/١) أنه سيشرح أنَّ النون في (غضبان) بدل من ألف التأنيث في باب ما ينصرف وما لا ينصرف، وهذا النصُّ موضعه بحسب الترتيب الجديد الجزء الرابع، وباب ما ينصرف وما لا ينصرف في الجزء الثالث، ومن ذلك أيضاً أنه ذكر في (١٨٥/١) أنه سيفرد باباً لـ(لا) النافية، وهذا الباب جاء في (٣٥٧/٤)، ووفق الترتيب الجديد سيكون موضع هذه الإحالة الجزء الرابع، وموضع المحال إليه الجزء الأول، ومن هذا أيضاً أنه ذكر في (٤٥/٣) أنه فسرَّ مسألة في التصريف، والتصريف سيكون في الجزء الرابع وفق الترتيب المقترن.

وهذا الاضطراب يعد قليلاً موازنة بالاضطراب في الإحالات على الترتيب الحالي، ويمكن أن يفسر بأحد أمرين:  
أولهما: أنه وهم من المبرد، ولهذا نجد مثله في الإحالات ما بين الجزء الثاني والثالث اللذين ليس في ترتيبهما تغيير ولا خطأ، فنجد أنه في (٢٢٦/٢)

---

(١) الكامل ١٤٧٩/٣.

(٢) الكامل ١٤٨٧/٣.

يقول : «وقد مضى القول في ذلك في باب ما يجري وما لا يجري» ، وهذا الباب من أبواب الجزء الثالث ، بل جاء في الجزء الثالث (ص ٤٩) قوله : «وقد بيّنا ذلك فيما ينصرف وما لا ينصرف» ، وقال في (ص ١٧٢) : «لأنّا قد أحكمنا باب ما ينصرف وما لا ينصرف» ، وهذا الباب لم يأتِ إلّا في (ص ٣٠٩) من الجزء الثالث ، ويُسوّغ مثل هذا الوهم اسم الكتاب ، فمعنى (المقتضب) المرتجل<sup>(١)</sup> ، فكأنَّ المبرُّد يقول من خلال هذا العنوان : إنَّه ارتجل هذا الكتاب ارتجلاً ولم يتزدَّ فيه ، ومن هنا وقعت مثل هذه الأوهام ، ومن هنا أيضاً جاءت كثرة التّكرار في الكتاب.

والآخر : أنَّ المبرُّد كتب أبواب كتابه على غير نظامها ، فكتب بعض الأبواب المتأخرة قبل المتقدمة ، ومن هنا جاء هذا الخلل في الإحالات.

وقبل أن أختتم الحديث عن ترتيب (المقتضب) بحسن التنبيه إلى أنَّ في الكتاب نقصاً في بعض الموضع ، منها النّقص في آخره ، فآخره بحسب هذا التّرتيب قوله : «وبقي الشّيء على حاله ، تقول :» (١/٣٩٥) ، كذا في المخطوط ، وحذف المحقق كلمة (تقول) ، وهي ثابتة ، ولم يرد مقول القول ، مما يدلُّ على نقص الكتاب من آخره ، وهذا النّقص أقدرَ أنَّه في بعض ورقات ، أتمَّ فيها المبرُّد الوفاء بوعوده التي وعد ، مثل وعده بإفراد باب لتفسير ضمير الشّأن (١٤٢)، وباب لربَّ (٣١٨).

ومن مواضع النّقص في الكتاب أيضاً باب رقمه سبع وسبعون بحسب أرقام الأبواب التي أشرت إليها سابقاً ، وهذا الباب واقع بعد آخر باب في الجزء الرابع الذي يحمل رقم (٧٦) ، وباب المضرم المتّصل في (١/٣٩٦) الذي رقمه في المخطوط (٧٨) ، فهذا الباب ساقط ، ولم يبق منه إلا قوله :

---

(١) الصّاحح "قضب" ٢٠٢/١.

إِلَّا نُوْعًا واحِدًا لَا يَكُون اثْنَان أَكْثَر مِن اثْنَيْنِ عَدْدًا، كَمَا يَقُول جَمْعُ أَكْثَر مِن جَمْعٍ»، فَهَذَا مَا تَبْقِي مِن هَذَا الْبَابِ، وَالْمُحْقُقُ حَذَفَهُ مِن الْمُتَنَّ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ فِي الْحَاشِيَةِ (٣٩٥/١)، وَهَذَا السَّقْطُ لَا يَقُلُّ عَن وَرْقَةٍ كَامِلَةٍ، وَقَدْ يَشْمَلُ هَذَا السَّقْطُ أَيْضًا جَزْءًا مِن الْبَابِ السَّادِسِ وَالسَّبْعِينِ الَّذِي لَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا سُطْرَانِ، وَيُؤَيِّدُ هَذَا أَنَّ النَّاسِخَ اعْتَدَ أَنْ يَضُعَ فِي نَهَايَةِ جَلِّ الْأَبْوَابِ دَائِرَةً مَنْقُوتَةً، وَهَذِهِ الدَّائِرَةُ غَيْرُ مُوجُودَةِ هُنَّا، مَا يَرْجُحُ نَقْصُ هَذَا الْبَابِ.

### ثَانِيًّا: سَلَامَةُ النَّصِّ :

بِمُوازِنَةِ نَصٍّ مَطْبُوعَةٍ (المُقْتَضِب) بِمُخْطُوطَتِهِ وَجَدَتْ اخْتِلَافًا كَثِيرًا بَيْنَهُمَا، سَأَعْرِضُ هَذَا الْاِخْتِلَافَ فِي النِّقَاطِ الْآتِيَةِ: السَّقْطُ، وَالزِّيَادَةُ، وَالشَّوَاهِدُ الْقَرآنِيَّةُ، وَالشَّوَاهِدُ الشُّعُورِيَّةُ، وَالتَّقْدِيمُ وَالتَّأْخِيرُ، وَتَغْيِيرُ الْإِعْرَابِ وَعِلَامَاتُ الْبَنَاءِ، وَتَغْيِيرُ الضَّبْطِ، وَتَغْيِيرَاتُ أُخْرَى مُتَنَاثِرَةٍ، وَلَكُنَّيْ أَنْبَهُ إِلَى أَنَّنِي لَا أَذْكُرُ هَنَا إِلَّا مَا خَالَفَ فِيهِ الْمَطْبُوعُ الْمُخْطُوطُ، وَكَانَ مَا فِي الْمُخْطُوطِ صَوَابًا، أَمَّا مَا خَالَفَهُ وَكَانَ الصَّوَابُ فِي الْمَطْبُوعِ فَلَا أَشِيرُ إِلَيْهِ، وَكَانَ عَلَى الْمُحْقُقِ أَنْ يَشِيرَ إِلَى مَا فِي الْمُخْطُوطِ، وَأَنَّ التَّصْوِيبَ مِنْهُ، وَفِيمَا يَلِيهِ بِيَانُ لَهُذِهِ الْاِخْتِلَافَاتِ:

### السَّقْطُ :

فِي الْمَطْبُوعِ الْكَثِيرِ مِنْ مَوَاضِعِ السَّقْطِ، تَبْدِأُ مِنْ حَرْفٍ وَاحِدٍ وَتَصُلُّ إِلَى صَفْحَةٍ كَامِلَةٍ مِنْ صَفَحَاتِ الْمُخْطُوطِ، وَفِيمَا يَأْتِي قَائِمَةُ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ، وَهِيَ تَشْمِلُ الْمَوَاضِعَ الْمُؤْثِرَةَ فِي الْمَعْنَى، مَعَ نَماذِجَ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْثِرَةِ، وَسَأَضْعِفُ السَّقْطَ مُثَقِّلًا بَيْنَ مَعْقُوفَيْنِ:

١٤٢/٨ : «وَ(أَيْنَ)، [وَ(لَمْ)]، وَ(كَيْفَ)»، هَذَا أَوَّلُ سَقْطٍ، وَهُوَ فِي الصَّفَحةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْكِتَابِ.

١٤٤/١ : ثُمَّ زَدَتْ عَلَيْهِ [اللَّثَثِيَّةُ] أَلْفًا.

١٦٩/١ : فِيمَا حَدَّثَ بِهِ عَلَمَاؤُنَا [عَنْهُ].

١٧٤/١ : هَذَا بَابٌ [عَدْدُ] مَا يَكُونُ عَلَيْهِ الْكَلَامُ.

- ١٨١/١ س٨ : لـ[استقبال] الاستفهام.
- ١٩٤/١ س١٢ : حُبْلٍ [وسَكْرٍ] للثانية.
- ١٩٧/١ س٤ : نحن [أضْرِبُ]، نذهب.
- ١٩٨/١ س٦ : تزيد [به] العبد.
- ٢٠٧/١ س٨ : كرّ[لي] العين.
- ٢٠٩/١ س١٢ : فاللازم [له] يَفْعُلُ.
- ٢١٠/١ س٩ : ويكون المستقبل [على (يَفْعُل)] نحو: يُخْرِج.
- ٢١٠/١ س١٤ : فيكون مستقبله على وزن مستقبل (أفعلت) قبل أن يحذف؛ لأنَّ الوزن واحداً.
- ٢١٢/١ س٤ : ولو كان على أنبtkم لكن إنباتاً، [ولكَنَهُ إذا فَعَلَ وَقَعَ فعله في المفعول، فكان التَّقْدِيرُ - والله أعلم - : والله أنتkم، فبِتُّم نباتاً].
- ٢١٣/١ س١١ : (هذا يومٌ منطلقٌ فيه)، [و(مكانٌ منطلقٌ فيه)].
- ٢١٦/١ س٩ : فإذا كان على زيادة [على] غير ( فعل).
- ٢١٩/١ س١٠ : تقول: (اعلم)، (انطلق)، (ادهب).
- ٢٢١/١ س١٤ : بمنزلة (سوف) [والسيّن] في الأفعال.
- ٢٢٢/١ س٣ : ولو احتاج شاعر إلى فصل الألف واللام [من الاسم] لاستقام ذلك.
- ٢٢٣/١ س٣ : لأنَّها مفتوحة، [وألفُ الاستفهام مفتوحة].
- ٢٣٠/١ س٤ : والأصل والقياس [والمحترار] ما بدأنا به.
- ٢٣٤/١ س١١ : تقول: دُعَيَ [زيَّدَ].
- ٢٣٦/١ س٢ : إِنَّمَا [همَا] فَعِلْتُ.
- ٢٣٦/١ س٤ : فتنقلها من ( فعل) إلى ( فعل)، [كما نقلتَ ( فعل) من الواو إلى ( فعل)].

- ٢٣٧/٦ س٦ : هذه [الألف] المنقلبة.
- ٢٣٧/١ س١٣ : مَمَا لَا بَدَّ [لَهْ مِنْ] أَنْ يَجْرِي عَلَى الْأَصْلِ.
- ٢٥٣/١ س١٠ : هَمَزَتِ الْعَيْنَ [مِنْهُ] التَّقْتُ.
- ٢٦٥/١ س٣ : وَالْقَوْلُ الْبَيْنُ الْوَاضِحُ [فِيمَا ذَكَرْنَا] قَوْلُ النَّحْوَيْنِ.
- ٢٦٥/١ س٧ : لَقِيَهَا وَاوْ [فِي] أُولَئِكَ الْكَلْمَةِ.
- ٢٦٨/١ س٤ : ظَهَرَتِ فِي الْجَمْعِ، [وَإِنْ قُلْبَتْ فِي الْوَاحِدِ، قُلْبَتْ فِي الْجَمْعِ].
- ٢٧٠/١ س٨ : إِذَا اضْطَرَّ [إِلَيْهِ].
- ٢٧٦/١ س٤ : فَأَرْدَتِ جَمْعَهُ [عَلَى جَعَافِرَ] فَإِنَّكَ تَقُولُ : .
- ٢٧٦/١ س١١ : يَحْبُزُ ذَلِكَ [فِي] كُلِّ مَا كَانَ آخِرَهُ يَاءً.
- ٢٧٧/١ س٣ : وَكَذَلِكَ (فِعَالَة)، وَ(فُعَالَة)، [وَ(فَعُولَة)]، وَ(فَعُولَة)].
- ٢٨٧/١ س١٣ : وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْيَاءِ، [وَتَسْقَطُ فِي (يَعْدُ) وَمَصْدِرِهِ إِذَا قَلَتْ: (عَدَّة)، وَلَا تَجِدُ مِثْلَ ذَلِكَ فِي الْيَاءِ].
- ٢٨٩/١ س١٣ : هُوَ أُولُّ مِنْهُ، [وَأُولُّ النَّاسِ].
- ٢٩٩/١ س١ : أَمَّا مِنْ خَفَّفَ [الْهَمْزَةَ] فَقَالَ : .
- ٢٩٩/١ س١٣ : لِيَفْصِلَ [بَهَا] بَيْنَهُمَا.
- ٣٠٠/١ س٦ : وَذَلِكَ قَوْلُكَ إِذَا اسْتَفْهَمْتَ : (أَلْرَجُلُ قَالَ ذَاكَ؟)، (الْأَنْسَانُ خَيْرٌ أَمْ مَلَكٌ؟)، فَأَمَّا غَيْرُهَا فَنَحْوُ قَوْلُكَ إِذَا اسْتَفْهَمْتَ : [أَبْنُ زِيدٍ أَنْتَ؟].
- ٣٠٥/١ س٥ : إِنَّمَا لَزِمَ الْكَسْرِ فِي (فُعْلٌ) مَا كَانَ مِنَ الْيَاءِ؛ [لِتَسْلِمَ الْيَاءُ].
- ٣٠٩/١ س١٢ : وَ(أَنْفَتُ) [كَذَلِكَ]، تَرِيدُ : .
- ٣١١/١ س٧ : إِذَا قَلَتْ : (ظَلَمَاهَا [وَاقِدًا]).
- ٣١١/١ س١٧ : عَلَى خَلَافِ [الْفَظْهَمَاهَا] لِذَهَبِ الْمَعْنَى.
- ٣١١/١ س٨ : وَقَالَ غَيْرُهُ : [بَلْ] اشْتِقَاقُ هَذَا مِنَ الْوَاوِ.

- ٣٢٣/٧ س : فَإِمَّا إِذَا كَانَتْ .
- ٣٢٧/١ س ١ : لَا تَهَا [كَانَتْ] تُنْقَلِب مَذْكُورَةً .
- ٣٢٨/١ س ٤ : وَيَلِيهَا مُخْرِجُ الْجَيْمِ [وَالْيَاءِ] .
- ٣٣٠/١ س ٢ : الْوَاوُ تَهُوي فِي الْفَمِ [مَا فِيهَا مِنَ الْلَّيْنِ] ، حَتَّى تَتَّصَلَ بِمُخْرِجِ الْأَلْفِ ، كَمَا أَنَّ الشَّيْنَ تَنْفَشُّ] حَتَّى تَتَّصَلَ بِمُخْرِجِ الطَّاءِ وَالضَّادِ .
- ٣٣١/١ س ٣ : وَالْخَاءُ ، [وَالْخَاءُ] ، وَالْكَافُ .
- ٣٣٧/١ س ٢ : فِيمَا كَانَ [مِنْهُ] عَلَى مَثَلٍ (فُعْلٌ) .
- ٣٣٨/١ س ١ : رَجُلُ اللَّدِ ، [وَرَجُلُ أَصْمَمٍ] ، وَرَجُلُ أَغْرِّ .
- ٣٣٩/١ س ٣ : اسْتَرَدَّ ، وَاسْتَمْدَّ ، [وَمُسْتَرَدٌ] ، وَمُسْتَعْدٌ .
- ٣٤٤/١ س ٣ : فَإِنَّكَ تَدْغِمُ الْغَيْنَ فِي الْخَاءِ ، [وَالْخَاءُ فِي الْغَيْنِ] .
- ٣٤٥/١ س ٥ : لَا تَكُونَ [أَبْدًا] إِلَّا سَاكِنَةً .
- ٣٤٩/١ س ١ : تَنْفَشُّ حَتَّى تَتَّصَلَ بِمُخْرِجِ [الْطَّاءِ] ، وَإِذَا تَفَطَّنَتْ لِذَلِكَ وَجَدَتْهُ ، وَالضَّادُ تَخْرُجُ مِنَ السُّدُقِ ، ثُمَّ تَنْفَشُّ حَتَّى تَتَّصَلَ بِمُخْرِجِ الْلَّامِ .
- ٣٥٠/١ س ١٢ : وَ[لَا] (مِنْ جَاءِ؟) .
- ٣٥٠/١ س ١٢ : فَكَانَ مُخْرِجُهَا [مَعَهُ] مِنَ الْفَمِ .
- ٣٥١/١ س ٢ : وَإِنَّمَا قَلْتَ [لِكَ] .
- ٣٥١/١ س ٨ : وَأَنَا أَرَى تَقوِيَّةً لِهَذَا الْقَوْلِ أَنَّ امْتِنَاعَهُمْ مِنْ تَبَيِّنِهَا مَعَ حِرَوفِ [الْفَمِ وَالشَّفَقَةِ أَنَّهَا تَدْغَمُ فِي حِرَوفِهِ] تَنْفَرَقُ فِي الْفَمِ .
- ٣٥٢/١ س ١٠ : وَأَمَّا إِدْغَامُهَا فِي الْمَيْمِ [فَلَأَنَّ الْمَيْمَ] وَإِنْ خَرَجَتْ مِنَ الشَّفَقَةِ فَهِيَ تَحَاوِرُهَا .
- ٣٥٣/١ س ٧ : وَ[مِنْ] ذَلِكَ قَوْلُهُ :
- ٣٦٥/١ س ٥ : فَعَلَ [مَتَحْرِكٌ] .
- ٣٦٨/١ س ٧ : وَالْيَاءُ أَغْلَبُ عَلَى الْوَاوِ [مِنَ الْوَاوِ] عَلَيْهَا .

٣٦٨/١ س ١١ : فإن سَمِّيَنا [بِإِنِّيْ المُخَفَّةَ [مِنَ التَّقْيِلَةِ] قلنا : .  
 ٣٧٧/١ س ١٠ : كَنْهُوا مَا ذُكِرَ لَكَ [فِي] اقْتَلُوا.  
 ٣٨٣/١ س ٥ : وَإِنَّ [الْمَ] يَكُنْ ذَلِكَ أَصْلُهُ.  
 ٣٨٧/١ س ٤ : لَأَنَّ الشَّاءَ لَا تَقْرُبُ مِنَ الْلَّامِ كَقْرُبِ التَّاءِ وَأَخْتِيَهَا [مِنْ حِرْوَفِ النَّثَائِيَا].

٣٨٩/١ س ١٥ : الْمَالُ لَكَ، [وَالْمَالُ لَهُ]، وَالْمَالُ لَنَا.  
 ٣٩١/١ س ١ : فَضِيلَةُ [ثَيْيِنْ] تَعْكُنُهَا.  
 ٣٩٣/١ س ١٢ : فَظَهَرَ الْوَao [أو] الْيَاءُ.  
 ٣٩٥/١ س ١٥ : «عَلَى حَالِهِ [تَقُولُّا]»، (تَقُولُّ) هِيَ آخِرُ الْوَرْقَةِ، وَبَعْدَهَا نَفْعَصُ لَا يَقُلُّ عَنْ وَرْقَةِ.

٣٩٦/١ س ١ : «إِلَّا نُوْعًا وَاحِدًا، لَا يَكُونُ اثْنَانِ أَكْثَرُ مِنْ اثْنَيْنِ عَدَدًا كَمَا يَقُعُ جَمْعُ أَكْثَرُ مِنْ جَمْعٍ». هَذَا بَابُ الْمُضْمِرِ التَّتَّصِلِ، هَذَا السَّقْطُ هُوَ مَا تَبَقَّى مِنْ بَابِ سَقْطٍ فِي أَثْنَاءِ النَّقْصِ السَّابِقِ.

٣٩٧/١ س ١٠ : وَإِنْ شَتَّى الْحَقِّ الْأَلْفَ [عَلَى مَا وَصَفْتُ لَكَ، فَقَالَ : (الْهَنْدَانُ قَامَتَا)، فَالْتَّاءُ عَلَمَةُ التَّأْنِيْشِ، وَالْأَلْفُ لِلثَّنِيَّةِ، وَإِنْ جَمْعَ قَالَ : (الْهَنْدَاتُ قُمْنَ)، وَلِلْنُونُ التَّقْيِلَةُ فِي (ضَرِيْنَ)، وَالْخَفِيفَةُ فِي (قُمْنَ) تَفْسِيرٌ بَعْدَ فَرَاغِنَا مِنْ هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقُعَ الْمُضْمِرُ الْمُفَصِّلُ هَاهُنَا، لَا تَقُولُ : (قَامَ هُنَّ)، وَلَا (قَامَ هُمَا)، إِلَّا أَنْ يُضْطَرَّ شَاعِرٌ، فَيَرِدُ الْأَشْيَاءَ إِلَى أَصْوَلِهَا كَمَا قَالَ : صَرَمْتَ حِيلَ الْحَيِّ أَمْ صَرَمْوْا يَا صَاحِبَنْ صَرَمَ الْوِصَالَ هُمُو وَقَالَ الْآخِرُ :

فَمَا أَصْحَابُ مِنْ قَوْمٍ فَأَذْكُرُهُمْ إِلَّا يَزِيدُهُمْ حِبًا إِلَيَّهُمْ وَقَالَ فِي النَّصْبِ :

إِلَيْكَ حَتَّى بَلَغْتُ إِيَّاكَ

وَقَالَ :

كَانَأْ يَوْمَ قُرِئَ إِنَّ مَا تَقْتُلُ إِيَّانَا

وَهَذَا الْبَيْتُ حَقُّهُ : (إِنَّمَا نَقْتُلُ أَنفُسَنَا)، وَلَكِنْ ذَكْرُنَا مَعَ مَا قَبْلَهُ؛ لِأَنَّهُ  
قَدَّرَهُ عَلَى : (نَقْتَلْنَا)، ثُمَّ فَصَلَهُ عَلَى ذَلِكَ.

وَاعْلَمُ أَنَّ ضَمِيرَ الْمَنْصُوبِ الْمُتَّصِلُ عَلَى لَفْظِ ضَمِيرِ الْمَخْفُوضِ، كَمَا اَنْفَقَا  
فِي التَّشْيِةِ وَالْجَمْعِ وَفِي مَا لَا يَنْصَرِفُ عَلَى لَفْظٍ وَاحِدٍ، وَذَلِكَ قَوْلُكَ :  
(رَأَيْتُكَ)، وَ(مَرَرْتُ [بِكَ]).

وَرَقْمُ هَذِهِ الصَّفَحَةِ السَّاقِطَةِ فِي الْمَخْطُوطِ (٢٧٧)، وَالْمَحْقُقُ ذَكَرَ أَنَّهَا غَيْرُ  
مُوجَودَةِ فِي الْمَخْطُوطِ، بَلْ وُضِعَ مَكَانُهَا الصَّفَحَةُ (١٣٧)، وَلَعِلَّ هَذَا الْخَلْلُ  
وَقَعَ فِي مَصْوَرِ الْمَحْقُوقِ الْخَاصَّةِ.

١٤٠٣ س ١١ : مَرَرْتُ بِهَا، [وَرَأَيْتُهَا].

١٤٠٣ س ١٢ : مَرَرْتُ بِزِيدٍ، وَ[هَذَا زِيدٌ].

١٠/٢ س ٤ : (ظَنَنْتُ زِيدًا قَائِمًا)، [وَ(زِيدًا ظَنَنْتُ قَائِمًا)]، وَ(زِيدٌ  
ظَنَنْتُ قَائِمٌ).

١٦/٢ س ٢ : وَمَثَلُ ذَلِكَ فِي الْجَزْمِ : (أَلَمْ أَعْطِكَ فَتَشَكَّرْنِي؟)، [إِنْ أَرَادَ :  
(أَلَمْ أَعْطِكَ فَيَكُونَ شَكْرٌ)، فَإِنْ أَرَادَ الْعَطْفَ عَلَى الْأُولِيِّ قَالَ : (أَلَمْ أَعْطِكَ  
فَتَشَكَّرْنِي؟)]، جَزْمُ (تَشَكَّرْنِي) بِلِمٍ.

٢٠/٢ س ٦ : قَلْتُ : [(فَازُورُكَ)، كَانَكَ قَلْتَ :] أَيْنَ بَيْتُكَ فَأَنَا أَزُورُكَ  
عَلَى حَالِكَ.

٢٣/٣ س ١٠ : وَهَذَا [يُبَيِّنُ] لَكَ فِي بَابِ إِنَّ وَأَنَّ.

٢٤/٤ س ٨ : وَلِيغْفِرِ [اللَّهُ] لَخَالِدٍ.

٢٤/٤ س ٢ : وَرَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ -] قَرَأَ.

- ٥١/٢ س ٣ : [وَقَدْ] قال.
- ٥٦/٢ س ١ : [أَمَّا] الجِيد [فَلَمَا] قال كعب.
- ٥٩/٢ س ١٣ : و(متى يخرج زيد؟)، [وَتَذَكَّرُهُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَتَقُولُ: (أَيْنَ يَكُونُ)، و(متى يَخْرُجُ)] تعني المذكور.
- ٦٣/٢ س ٣ : إِن تَأْتَنَا سَائِلًا [أَنْعَطِكَ].
- ٧٣/٢ س ١٠ : فَمَا جَاءَ فِي الشِّعْرِ [مِنْ ذَلِكَ] قَوْلُهُ.
- ٧٧/٢ س ١٣ : وَقَالُوا أَيْضًا : [يَكُونُ] إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ.
- ٧٨/٢ س ٧ : قَلْبِتُمْ ظَهَرَ الْجَنْنَ [النَا].
- ٧٩/٢ س ٥ : وَمِثْلُ هَذَا [فِي] الْكَلَامِ كَثِيرٌ.
- ٨٣/٢ س ٦ : تَأْمِرُونِي [أَنْ] أَعْبُدَ.
- ٨٥/٢ س ١١ : لِعَلَّةٍ تَوْجِبُ ذَلِكَ [فِيهِ].
- ٩١/٢ س ٣ : عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ [فِي الْأَصْلِ].
- ٩٧/٢ س ٣ : فِيمَا الْهَمْزَةُ فِيهِ [أَصْلِيَّةٌ]، قَوْلُهُمْ : (أَوْمُرُ)، فَهَذَا كَنْحُو مَا وَصَفْتُ لَكَ [يُسْتَعْمَلُ] فِي الْكَلَامِ.
- ٩٨/٢ س ٣ : لِأَنَّ (فَاعْلَتْ) عَلَى وزن (أَفْعَلَتْ)، و(فَعَلَتْ)، [فَكَانَ الْمَصْدُرُ كَالْزَلْزَالُ،] وَالْإِكْرَامُ.
- ١٠٥/٢ س ٣ : و[مَا] لِحَقَّ بِهِ مِنَ التَّلَاثَةِ.
- ١٠٥/٢ س ٤ : وَإِنَّمَا نَذَكِرُ [مِنْهُ] هَا هَنَا.
- ١٠٦/٢ س ١ : مَلْحُقٌ بِهِ جَرْعٌ [وَدْرَهْمٌ].
- ١٠٧/٢ س ٢ : لِأَنَّ النُّونَ [فِي الْحَرْثَجَمَ] إِنَّمَا تَقْعُدُ بَيْنَ حَرْفَيْنِ مِنَ الْأَصْلِ.
- ١١٠/٢ س ٨ : بَسَّأَ بِهِ يَبْسَأً [بِهِ].
- ١١١/٢ س ١ : وَإِنْ كَانَ حَرْفٌ [مِنْ حَرْوَفِ] الْحَلْقَ في مَوْضِعِ الْفَاءِ.
- ١١٨/٢ س ٤ : اعْلَمُ أَنَّ الْمَصَادِرَ تَنْصَبُ [كَمَا تَنْصَبُ] الْأَفْعَالُ الَّتِي هِيَ مِنْهَا.

١٢٥/٢ س ١٣ : (الفَعْلُ) أَقْلَى الأَصْوَلُ، وَالْفَتْحَةُ أَخْفَى الْحَرْكَاتُ،  
[فَهُنَا لَازِمٌ].

١٣٨/٢ س ٢ : مَا وَقَعَ مِنَ الْأَفْعَالِ لِلْجِنْسِ [فَاسْتُعْمَلَ] عَلَى مَعْنَاهُ.  
١٣٨/٢ س ٩ : فَتَقُولُ مِنْ قَوْلِكَ (فَخَذْدُ): (فَخَذْدُ)، وَ(عَلِمَ): (عَلِمُ)،  
وَمِنْ (نَعَمَ): (نَعَمَ)، وَمِنْ قَوْلِكَ: (فِخَذْدُ): (فِخَذْدُ)، وَ(نَعِيمَ)، وَ(بَيْسَ):  
[نَعَمَ)، وَ(بَيْسَ)].

١٤٧/٢ س ١٢ : لَأَنَّ [مَعْنَى] (نَعَمَ الرَّجُلُ): مُحَمَّدٌ فِي الرِّجَالِ.

١٤٩/٢ س ٢ : [كَمَا] قَالَ الشَّاعِرُ.

١٥٣/٢ س ١٠ : [وَكَذَلِكَ] إِذَا ثَبَّتَ.

١٥٧/٢ : أَبْنِيَةً [أَدْنَى] الْعَدْدِ.

١٦٠/٢ س ١ : وَالْعَدْدُ الَّذِي ذُكِرَتْ [فِي (أَحَدَ عَشَرَ) وَنَحْوُهَا] كَانَ لَهُ حَدٌّ  
صُرْفُ عَنْهُ.

١٧٢/٢ س ٣ : وَقَالَ آخَرُونَ: [بِلَّ] لِفَظُهُ لِفَظُ الْجَمْعِ.

١٨٧/٢ س ٨ : [وَكَذَلِكَ] هَذِهِ الْآيَةُ تُقْرَأُ عَلَى الْأُوْجَهِ الْثَّلَاثَةِ.

١٩٣/٢ س ٦ : فَأَمَّا مَا جَاءَ [مِنْ (فَعْلٍ)] عَلَى (أَفْعَالِ).

٢٠٦/٢ س ١ : وَكَذَلِكَ (ثُوْمَةٌ وَثُوْمَ) [عَلَى الْبَابِ]، وَمِنْ قَالَ: (ثُوْمَ)  
فَعَلَى هَذَا، وَقَالُوا: (سَاعَةٌ وَسَاعَ) عَلَى مَا ذَكَرْتُ لَكَ.

٢٠٧/٢ س ٢ : مَا عِدَّةٌ حِرْوَفٌ أَرْبَعَةٌ [أَحْرَفٌ].

٢٠٩/٢ س ٤ : [تَقُولُ:] غُرَابٌ وَأَغْرِبَةٌ.

٢١١/٢ س ٦ : الإِسْكَانُ [فِيهِ] جَائِزٌ.

٢١٥/٢ س ٢ : الْأَلْفُ فِي آخِرِهِ لِلتَّأْنِيَثِ [بِنَزْلَةِ الْهَاءِ الَّتِي تَلْحُقُ لِلتَّأْنِيَثِ].

٢١٨/٣ سـ : «فـ (فاعل) و(فعيل) من الثلـاثة، وفي [كلـ] صنـف من هذا زائـدة»، أشار المحقق إلى وجود سقط في هذا النـصّ، ولكنـه لم يلاحظ وجود اللـحق الـذـي أتمـ هذا السـقط.

٢١٨/٤ سـ : هـما [فيـه] لـامـان.

٢٢١/٩ سـ : (ظـلمـات)، و(غـرفـات)، [وـتـقـولـ] : (جـمـلاتـ)، و(حـسـنـاتـ)، كـما [تـقـولـ] : (ظـلمـاتـ)، و(غـرفـاتـ)].

٢٣٥/٤ سـ : تـقولـ في (عـمـرـ) : [عـمـيرـاـ]، وـفيـ (خـدـرـ) : (خـدـيرـ).

٢٣٩/٣ سـ : وـأـمـاـ منـ جاءـ [مـنـ هـذـاـ] عـلـىـ ثـلـاثـةـ أحـرـفـ.

٢٤٧/١٠ سـ : وـمـنـ العـرـبـ مـنـ يـقـولـ فيـ [تصـغـيرـ] (فرـزـدقـ) : (فـرـيـزـقـ).

٢٦٠/٤ سـ : إـذـاـ حـذـفـتـهاـ لـمـ أـخـلـ الـاسـمـ مـنـ عـلـامـةـ تـأـيـثـ، [إـذـ كـانـتـ فيـ تـكـبـيرـ عـلـامـةـ تـأـيـثـ] ثـابـتـةـ.

٢٦٠/٣ سـ : فـيـحـذـفـ أـلـفـ (خـرـاسـانـ) الـأـولـيـ، [وـأـلـفـ (بـرـاكـاءـ)]، وـوـاـوـ (بـرـوكـاءـ).

٢٦١/٥ سـ : بـمـنـزـلـةـ [مـاـ] هـوـ مـنـ الـاسـمـ.

٢٦١/١١ سـ : فـلـوـ كـانـتـ الـأـلـفـ وـالـثـونـ [فـيـ الـاسـمـ] كـالـلامـ فيـ (سـفـرـجـلـ).

٢٧٤/٣ سـ : وـالـرـمـانـ خـاصـهـ وـعـامـهـ [وـمـاـ أـتـصـلـ بـهـ] يـتـصلـ بـهـ الفـعلـ.

٢٧٨/٤ سـ : رـددـتـهـ إـلـىـ أـدـنـيـ العـدـدـ إـنـ كـانـ ذـلـكـ فـيـ [وـصـغـرـتـهـ].

٢٨٢/٣ سـ : إـذـاـ كـانـتـ ظـاهـرـةـ فـيـ مـوـضـعـ الـعـيـنـ [أـوـ مـلـحـقـةـ].

٢٨٣/٧ سـ : قـالـ فيـ تـصـغـيرـ [أـرـوـيـةـ] : أـرـيـةـ.

٢٨٧/١ سـ : وـكـانـ الـأـصـلـ : (دـيـيـاـ)، [لـأـنـكـ] إـذـاـ قـلـتـ : (ذـاـ) فـالـأـلـفـ بـدـلـ مـنـ يـاءـ.

٢٩١/٨ سـ : وـ(رـهـيـطـ)، [وـ(نـفـيـرـ)].

٢٩٥/٢ س ٤ : بل هو: (أو مَنْ [ملكتْ أيمانُهُمْ]).

٢٩٦/٢ س ٦ : من [إِنْ] يأتنا.

٢٩٨/٢ س ٣ : فيكون الإكرام وقع [منه] لك في الدار.

٣٠٣/٢ س ٨ : فإنَّ الوجه أن يقول: (أيُّ أخواك؟) على اللفظ،  
والمعنى [الباء].

٣٠٩/٢ س ٤ : ولا يصلح أن تقول إذا قال: (رأيتُ زيداً)، و(لقيتُ  
أخاك): [منا؟].

٣١٣/٢ س ٦ : لأنهما بمنزلة اسم واحد، [لا] لالتقاء الساكنين.

٣١٣/٢ س ٧ : تكون [الرَّاءُ تابِعَةً لِلْهَمْزَةُ]، فكذلك آخرُ الاسم الأولِ  
تابعُ لنونِ (ابنِ)، وهو و(ابنٌ) شيءٌ واحدٌ، تقولُ: (هذا] زيدُ بنُ عبد الله).

٣١٣/٢ س ٨ : ورأيتُ [زيداً] بنَ عبد الله.

٣٣٠/٢ س ١٥ : تقول: (إِيُّ وَاللهُ لَأَفْعُلُّ)، [فَإِيُّ] جوابٌ لكلامه،  
ثمَّ استأنفَ القسمَ بعدها، وكذلك (بلى والله لافعلنَّ)، و(نعم والله  
لأفعلنَّ).  
٣٣٧/٢ س ٣ : وتقول: (وَحْقُّ اللهِ ثُمَّ حَقُّكَ لَأَفْعُلُّ)، [ولو قلتَ:]  
(ثُمَّ حَقُّكَ) تحمله على الموضع، كان جائزًا.

٢٣/٣ س ١١ : تفعل بالثُّونَ بعدها ما تفعل بها بعد ألف الشَّتَّنية، [فإنَّ  
أردتَ النُّونَ الحَقِيقَةَ لم يجزْ إيقاعُها بعد هاتينِ الألْفَيْنِ، ولا تمحَفُّهُما، فَأَمَّا  
ألفُ الشَّتَّنيةِ] فلا تمحَفَّ.

٢٤/٣ س ٢ : وأنت إذا جئتَ بها [جئْتَ بها] زائدةً.

٢٦/٣ س ٧ : فتلزم [هذينِ] الفعلين ما يلزم سائر الأفعال.

٣٨٩/٣ س ١ : هذا باب الابتداء [وَالْخَبَرُ المَنْقُولُ].

٣٩٨/٣ س ٤ : ويتنبع [من ذلك] لعلةً.

٣٦١ س٤ : «والاختيار أن تقيم أحدهما مقام الفاعل؛ [الشغلك] (زيداً) بالباء، فإن أقمت (الفرسخين) مقام الفاعل] ونصبت (اليومين) نصب الظروف قلت: (سير بزيد فرسخان يومين)»، وفي المطبوع جاء: «وإن نصبت (اليومين) نصب الظرف»، بزيادة (إن)، وإفراد (الظروف).

٣٩١ س٨ : إذا عدّيت إلى واحد فلا بدّ [من] أن تعدّي إلى آخر، [وذلك قوله: (ظنّني وظنت زيداً منطلقاً إياه)].

٣٩٢ س١ : (لقيته كفة كفة)، [وهو جاري بيت بيت)، وكذلك (شَغَرَ بَعْرَ)، و(حَيْصَنَ يَيْصَنَ)، وأمّا (كفة كفة)، [بيت بيت) فقد تجوز فيهما الإضافة.

٣٩٤ س٥ : إذا لم يكن بعضاً [لما] أضفت السائر إليه.

٣٩٥ س٨ : وأن الحال مفعول، [ولكنها مفعول] فيها.

٣٩٦ س٣ : لكان جيداً؛ [لأن] المعنى: يصادفك في هذا الحال.

٣٩٧ س١٢ : أي: فإذا زيد قد وافقني، [إذا زيد موافقني].

٣٩٨ س١٣ : منزلة كاف (رويدك)، [وأبصرك].

٣٩٩ س٦ : والتقرير ما ذكرت لك في الآيات في الفاء والواو في قوله عزّ وجلّ: [إِذْنَةَ ثُرَّةَ، ثُرَّةَ قَفَّةَ].

٣١٢ س٦ : ردته إلى حال كان فيها لا ينصرف، [و(يزيد)] وما أشبهه إذا سميت به ثم نكرته لم ترده إلى حال قد كان فيها لا ينصرف، فلذلك خالفه.

٣٢٣ س١١ : لأنّه [معدول عن] (عامري)، و(قائم) في حال التسمية، فلذلك لم ينصرف في المعرفة؛ لأنّه الموضع الذي عدل فيه.

٣٣٦ س٥ : فإنّما وزنها (فعال)، [والثُّونُ أصلٌ] منزلة الدال من (حماء)، وذلك منصرف في المعرفة والنكرة.

٣٣٩/٣ س١ : هذا باب ما كان من (أفعَل) نعتاً [أو اسماءً].

٣٤٣/٣ بعد البيت سقط النصُّ الآتي : « فقد وضَحَ أَنَّ (أيْصَرَ) : (فَيَعْلَمُ)، فَهُوَ مصروفٌ في المعرفةِ والتَّكْرِةِ، وَلَأَنَّمَا هُوَ عَلَى وزنِ (صَيْرَفِيِّ)، وَ(حَيْدَرِيِّ) عَلَى الاشتتاقِ الَّذِي وصفَتُ لَكَ».

٣٦٤/٣ س٦ : فليس [شيئاً] من هذا مصروفاً.

٣٦/٤ س٩ : تقول : (هذا مسلماتٌ)، و(مررت ب المسلمينِ)، و[رأيتُ مسلماتٍ].

٤٤/٤ س٨ : وأمَّا في التَّهَجِّيِّ فقولك : [الْفُّ]، با، تا.

٤٨٣/٤ س٦ : لأنَّها بمنزلة [نونِ] الأسماء المجموعية.

٤١٠٩/٤ س٤ : فلذلك لزِمت طريقة [واحدةً].

٤١١٠/٤ س١٣ : [وَمَرَرْتُ] بِرَجُلٍ صالِحٍ.

٤١١٩/٤ س١٤ : وَأَنَّهُ عَلَامُ الغَيُوبِ [كَمَا كَانَ] قَبْلَ أَنْ نَكُونَ.

٤١٢٤/٤ س١١ : وَلَكِنْ مَخْرُجُهَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ إِذَا قُرِئَتْ كَذَا - [مَخْرَجُ الدُّعَاءِ].

٤١٥٥/٤ س١٥ : على ما وصفتُ لك في [البابِ] الَّذِي قَبْلَهُ.

٤١٨٤/٤ س٣ : وَلَا يُقَالُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - : [عَجِيبٌ].

٤١٨٩/٤ س٦ : مَا زَيْدٌ مَنْطَلِقاً أَبُوهُ، [وَمَا زَيْدٌ مَنْطَلِقاً] وَلَا خارجاً أَبُوهُ.

٤٢١١/٤ س٦ : وَتَقُولُ : (يَا أَخَانَا [زَيْدُ أَقْبَلُ])، كَائِنُكَ قَلْتَ : (يَا زَيْدُ

أَقْبَلُ)، فَإِنْ لَمْ تَرُدِّ الْبَدْلَ، وَأَرْدَتَ الْبَيَانَ قَلْتَ : (يَا أَخَانَا [زَيْدًا أَقْبَلُ]).

٤٢٥٤/٤ س٥ : يَا لَلَّهُ [يَا] لِلْمُسْلِمِينَ.

٤٢٥٤/٤ س٨ : وَنَحْنُ مُفْسِرُو هَاتِينَ [اللَّامِينِ].

٤٢٥٤/٤ س١١ : لِلْمُسْتَغَاثِ [بِهِ].

٤٢٧٩/٤ س٩ : وَالْمَنْفَصُلُ فِي قَوْلِهِمْ : هُوَ، وَهُمَا، [وَهُمْ].



٤/٢٨١ س٤ : فَأَخْصُّ الْمَعَارِفَ بَعْدَ مَا لَا يَقُعُ عَلَيْهِ الْقَوْلُ إِضْمَارُ  
الْمُتَكَلِّمِ... لَاَنَّهُ لَا يُشْرِكُهُ فِي هَذَا أَحَدٌ، [وَبَعْدَهُ إِضْمَارُ الْمَخَاطِبِ]، نَحْوُهُ:  
(رَأَيْتَكَ)، وَ(مَرَرْتُ بِكَ)، وَإِنَّمَا صَارَتْ عَلَمَةُ الْمُتَكَلِّمِ أَخْصًّا؛ لَاَنَّهُ لَا يَدْخُلُ  
فِيهَا مَعْهُ أَحَدٌ، فَيَكُونُ لِبْسًا.

٤/٢٨٩ س٩ : هُوَ مِثْلُكَ، [وَشَبِيهُكَ]، وَنَحْوُكَ.

٤/٢٩٦ س١٣ : (مِنْ آمِنَّهُمْ)، [وَلَوْ كَانَ: (مَنْ آمِنَّهُمْ)] كَانَ  
أَيْضًا جَيِّدًا.

٤/٣١٠ س٦ : وَ[عَمِلَ] فِي الْإِخْبَارِ.

٤/٣١٧ س٢ : عَمِلَتْ فِيهِ كَانَ وَأَخْوَاتِهَا [وَ(إِنَّ) وَأَخْوَاتِهَا] وَمَا أَشْبَهُهُمَا.

٤/٣٢٤ س٥ : وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُ [فِي] الْأَنْاسِيَّ.

٤/٣٢٦ س٦ : كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا (زَهَدَم)، [ثُمَّ ثَنَاهُمَا] عَلَى مَا وَصَفَتُ لَكَ.

٤/٣٣٦ س١ : وَلَا لَمْ يَقُعُ، [وَ(سَيَفْعُلُ)] لِمَا لَمْ يَقُعُ مِنَ الدَّهْرِ.

٤/٣٤٨ س٩ : (جَئْتَكَ إِذْ [زَيْدٌ] يَقُومُ)، [وَيَقِبْحُ]: (جَئْتَكَ إِذْ [زَيْدٌ]  
[قَامَ])؛ لِمَا أَذْكَرُهُ لَكَ، وَذَلِكَ لِأَنَّكَ إِذَا قَلَتْ: (جَئْتَكَ إِذْ زَيْدٌ يَقُومُ) إِنَّمَا  
وَضَعَتْ (يَقُومُ) فِي مَوْضِعِ (قَائِمٍ).

٤/٣٥٣ س٢ : وَلَا يَكُونُ [إِلَّا] بِ(الَّذِي).

٤/٣٥٣ س١٣ : فَنَحْوُ: عِنْدُ، وَسُوءِي، [وَسُوءَاءِ].

٤/٣٥٦ س٤ : وَإِنَّمَا عُدْلٌ عَنِ الْأَلْفِ وَاللَّامِ [لِمَا أَرْدَتْ سَحْرَ لِيْلَتِكَ،  
وَذَلِكَ قَوْلُكَ مِنْ قَبْلِ الْعُدْلِ]: (قَدْ جَاءَكَ السَّحْرُ)، وَ(إِنَّ السَّحْرَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ  
أَوَّلِ اللَّيْلِ)، وَ(كَانَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ السَّحْرِ)، فَلِمَّا عَنِيتَ يَوْمَكَ عَدْلَتُهُ عَنِ  
الْأَلْفِ وَاللَّامِ، فَقَلَتْ: (سَيِّرْ بِهِ سَحْرًا يَا فَتِي) غَيْرَ مَصْرُوفٍ، وَصَارَ بِالْعُدْلِ  
عَنِ الْأَلْفِ وَاللَّامِ] كَأَخْرَ.

٤/٣٨٣ س٣ : لَا رَجُلٌ وَ[لَا] اِمْرَأٌ.

٤/٣٨٧ س ١٢ : وإن جعلته [نعتاً] لكلٌ رفعت.

٤/٣٨٨ س ١٣ : ولا تقول : (الا رجلٌ) وغلامٌ في الدارِ حتى تنونَ  
(الغلام).

٤/٣٩٥ س ٢ : و(إلا) لها معناها ، [ألا ترى أنْ قولكَ : (ما جاءني إلَّا زيدٌ) ، قد ارتفعَ (زيدٌ) بـ(جاءني) كما يرتفعُ لو قلتَ : (جاءني زيدٌ) ، وما جاءني زيدٌ ، ولـ(إلا) معناها].

٤/٤٠٤ س ١٨ : [لأنَّ (زيداً)] لا يصلح فيه إلَّا التَّصْبِ.

٤/٤٠٦ س ١٠ : ليس القوم فيها [إلا زيدٌ].

٤/٤٢٢ س ١٠ : ألا ترى أنَّه لا يستقيم [أنْ تقولَ] : هذا درهم إلا جيداً. فهذه مئتاً موضع تقربياً وقع فيها السَّقط في المطبوع ، وهناك غيرها كثير ، وفيه إسقاط للضمير في أربعة وثمانين موضعاً ، وإسقاط للواو في خمسة وخمسين موضعاً ، وإسقاط للفاء في ثانية وعشرين موضعاً ، وحذف حرف الجرّ في أربعين موضعاً ، وحذف للألف واللام في ثلاثة عشر موضعاً ، وحذف لتاء التَّائِيَّة في عشرة مواضع ، وحذف لكلمات أُخْرٍ مختلفة في أربعة وخمسين موضعاً ، ويطول البحث جداً بذكر جميع هذه المواقع ، لكنني لم أترك موضعاً مهماً إلَّا ذكرته.

### الزيادة:

في مقابل موضع السَّقط السابقة هناك مواقع وقعت فيها الزيادة على ما في المخطوط دون ما يحوج إليها ، وفيما يأتي قائمة بهذه المواقع ، وأسأضع الزيادة فيها متنقلة بين معقوفين :

٤/١٥٣ س ١ : «فلماً أدخل الألف واللام امتنعت الإضافة ، فعمل [عمل] الفعل» ، (عمل) زائدة ، والمحقق أضافها دون تنبيه ، والكلام صحيح دونها ، والمراد : عمل الفعل الذي في المصدر ، فهو يرى أنَّ في المصدر فعلاً هو

العامل، وكذا اسم الفاعل، لذا قال : «و(المطعم) يرتفع بالفعل الّذِي في (الشارب)، ونصبت (الطّعام) بالفعل الّذِي في (المطعم)» (١٥٦/١).

١٦٨ س٤ : فسألته : لم لم ترده إلى الواحد؟ [إله أفعلاه، فقد

وجب عليه]، فلم يأت بمعنى.

١٧٢ س١ : وقد قال.

١٧٤ س١١ : ذكرا [كان] أو أنتى.

١٩٦ س٨ : شملت [الرّيح] فهـي تشـملـ.

٢٣٧ س١١ : تقول : عـورـ، [وصـيدـاـ]، وحـولـ.

٢٥١ س٢ : لأنـ الصـحـيـحـ [فيـهـ] يـجـوزـ فـيهـ.

٢٦٥ س٤ : قول أبي الحسن [الأـخـفـشـ].

٢٦٦ س٢ : ما كان من الجمـعـ على [وزـنـ] : فعلـ.

٢٧٦ س١٣ : «جاز ذلك [على] ما وصفنا»، (على) مقـحـمةـ،  
و(ذلك) صـوابـهاـ (لكـ).

٢٩٨ س٣ : فإنـ [الـإـدـغـامـ].

٣٠٤ س١١ : فإنـ قالـ [قـائـلـ].

٣٢٦ س١٢ : تقلب الواوـ [يـاءـ] لما ذكرـتـ لهاـ.

٣٥١ س٢ : أجـودـ [الـقـرـاءـتـينـ].

٣٦٠ س٣ : حـرـفـ من [الـحـرـوفـ] المستـعـلـيةـ.

٣٦٤ س٤ : وقلـنا كذلكـ [فيـ] ابنـ.

٣٦٧ س٦ : ولو جاءـ شيءـ [منـهـ] لا يـعـلـمـ أصلـهـ.

٣٧٧ س٢ : وذلكـ في التـصـغـيرـ [كـبـنـيـ] وتحـفيـفـ الـهـمـزـ.

٣٩٣ س١٣ : لأنـهاـ [فيـ] مـوـضـعـ حـرـكـةـ.

٢٠/٢ س٥ : «فإإن أردت أن تجعله جواباً [نصبتَ]، وإنْ أردت أن تجعل الزيارة واقعة على حال قلت: (أين يُتَكَ فأنا أزورك على حال)»، وصواب النصّ: «فإإن أردت أن تجعله جواباً وأردت أن تجعل الزيارة واقعة على حال قلت: [فأزورُكَ)، كأنك قلت: ](أين يُتَكَ فأنا أزورك على حال)»، ففي هذا النص إشكالان: أولهما: سقط عبارة: (فأزورك، كأنك قلت) من المطبوع، وسبق أن أشرت إلى هذا السقط، والآخر: زيادة (نصبتَ) وإنْ، وهذه الزيادة غيرت الحكم في المسألة.

٣١/٢ س٩ : ولا يجوز أن تلغى من العمل [والعمل] كما وصفت لك.

٩٤/٣ س٣ : جهور [باكلامه].

١٣٤/٢ س٧ : فلما ذكر (أحضر [الوغى]) دلّ.

١٦٣/٢ س١٠ : ولم يفتحوا [العشر] العين.

١٨٢/٢ س٥ : «صلى الله عليه [وسلم]»، وتكررت هذه الزيادة في ٣٢٤/٢، ٢٧٢/٣، و ٢٧٦/٣، وكثيراً ما يحذف التسليم في المخطوطات القديمة.

٢٠٤/٢ س٣ : قال في [جمع] (فعال): (أفعلة).

٢٠٩/٢ س٣ : كلّ ما كان على أربعة [أحرف].

٢١١/٢ س١٠ : «لأنَّ الفضيل هو [حدث] المقصول»، (حدث) زائدة، وهي مكتوبة في الحاشية اليمني للسُّطر توضيحاً لكلمة غير واضحة فيه، فطنَّ أنها أول السُّطر.

٢٢٣/٢ س٧ : هكذا جميع هذا [الباب].

٢٢٦/٢ س٨ : أُجريا مجرى الأسماء [في معناها].

٣٤٨/٢ س٨ : فإن لم ترد بها [معنى] (تظنّ).

٣١/٣ س٩ : لأنها [في الأزمنة] منزلة (من) في الأيام.



- ٧٧/٣ س ١ : ولو لا [في الأصل] لا تقع إلا على اسم.
- ٣ ١٢١ س ١٢ : ولا يضمر المفعولُ قبل ذكره [مضطراً في قولك: (ظنني)]؛ لأنَّ مستغنى عنه.
- ٣ ٢٢٦ س ١٣ : «ومنها ما [لا] يكون له حقُّ الاسم»، (لا) ثابتة في المخطوط، ولكن ضُرب عليها بثلاثة خطوط علامة على حذفها.
- ٣ ٣٣٥ س ١١ : «إذا وقفت قلت: (اضرِّيَا [زيديَا])»، الحديث عن الوقوف على نون التوكيد في (اضرِّيَا)، فلا يصحُّ إثبات (زيد).
- ٣ ٣٣٦ س ٨ : فأمَّا (فينان) فالنُّون فيه أصل [بِعْزَلَةِ الدَّالِّ مِنْ حَمَادَ]، وذلك منصرف في المعرفة والنُّكرة؛ لأنَّ معناه: كثير الفنون، وذلك منصرف على كلٍّ حال.
- ٤ ٤٢ س ٩ : فإن جعلته اسمًا [مكتوبًا] لكلمة لم تصرف.
- ٤ ٥٤ س ١٠ : «[ويجوز منه وجه ثالث، وهو أنْ تُضمر في (المسلوب) اسمًا، وتجعل (النَّوب) بدلاً منه، فتقول: (مررت بال المسلوب ثُوبُه، وبالسلوبيْنِ ثُوباهما، وبالسلوبيْنِ ثُوابُهُمْ)]؛ لأنَّك لو قلت: (سُلْبُ زيدٌ ثُوبُهُ) جاز رفع (النَّوب) على البدل من (زيد)، وجاز نصبه على آنَّه مفعول ثانًا»، هذه الأسطر ليست في المخطوط، وإنَّما أضيفت من كتاب (تفسير المسائل المشكلة في أول المقتضب) للفارقيّ؛ لأنَّ من ديدن الفارقيّ نقل نصّ المبرد أوَّلًا، ثم شرحه، وهذه الأسطر جاءت متصلة بنصّ المبرد، مما يدلُّ على أنَّها من كلامه، أقول: هذا أمر محتمل، ولكن يحتمل أيضًا أنَّها إضافة من الفارقيّ، لمَّا وجد الفارقيّ وجهاً ثالثة في المسألة لم يذكره المبرد أضافه، قبل أن يبدأ بشرح المسألة وبيان الأصول التي تُبني عليها، فالأولى أن تُكتب في الحاشية مع النَّصّ على هذا الاحتمال.
- ٤ ٦٩ س ٢ : كان حالاً [سواء] إذا أردت....

٤/٤ س٥ : حذفت [الثُّنُون] من الاثنين الثُّنُون.  
٤/٣٢٩ س١٠ : (لكنَّ القتالُ يوم الجمعة)، [و(اجتماعكم يوم الجمعة)].  
٤/٣٤٢ س٥ : «وصار اسماً [صح]، كقولك...»، كلمة (صح) ليست من النَّصّ، بل هي كلمة كُتِبَتْ في مواضع متكررة من المخطوط في مواضع البياض، لتدلَّ على أنَّ الكلام مستقيم، لا نقص فيه.

٤/٣٦٩ س٨ : وإن [شئت] جعلت الاسمين اسمًا واحدًا.  
٤/٣٨٣ س١ : تقول : (ألا ماء بارد) إن شئت، [وإن شئت] نوَّنت (بارداً).  
٤/٤٠٨ س٢ : هذا باب [ما] تقع فيه (إلَّا) وما بعدها نعتاً.

ووراء هذا فقد زيدت الواو في واحد وستين موضعًا، وزيدت الفاء في أحد عشر موضعًا، وأقحمت الضمائر في خمسة وثلاثين موضعًا، وكذا زيدت الألف واللام في ثمانية وعشرين موضعًا، وزيدت حروف الجر في أربعة وعشرين موضعًا، وزيدت لام البعد في ثلاثة عشر موضعًا، وزيدت تاء التائيث في ثلاثة عشر موضعًا، وهناك كلمات آخر مختلفة زيدت في تسعة وثلاثين موضعًا لا أثر لزيادتها في المعنى.

#### الشواهد القرآنية :

كُتِبَتْ الآيات القرآنية المطلقة في المطبوع على روایة حفص عن عاصم، ولكن في مواضع كثيرة من المخطوط أثبتت الآيات على خلاف هذه القراءة، فمن ذلك :

١/١٦٥ س٣ : ﴿جُج﴾ (آل عمران: ٩٧)، بكسر الحاء، والَّذِي في المخطوط (حَجُّ) بفتح الحاء على قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وعاصم برواية أبي بكر<sup>(١)</sup>، وتكرر هذا التَّغيير في ٣/١١١ س١٠ و٤/٢٩٦ س١٠.

. ٢١٤ (١) السَّبَعة

٢١٣/١ س ١ : ﴿مَجْرِيهَا﴾ (هود: ٤١)، كذا جاءت في المطبوع، والذى في المخطوط : (مجراها) بضم الميم، أما الفتح فقرأ به عاصم في روایة حفص وحمزة والكسائي وخلف، وأما الضم على ما في المخطوط فقرأ به باقي العشرة<sup>(١)</sup>.

٣٠٠/٨ س ٨ : ﴿أَخْذَنَهُمْ سُخْرِيًّا﴾ (ص: ٦٣)، ضُبط المخطوط بضم السين من (سُخريّا) على قراءة أبي جعفر ونافع وحمزة والكسائي وخلف<sup>(٢)</sup>، وجاء في المطبوع أيضاً : ﴿رُبَّمَا﴾ بمد الهمزة، ولم يقرأ أحد من العشرة بالمد، والمخطوط جاء بـ(أَخْذَنَاهُمْ) على قراءة أبي جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وعاصم<sup>(٣)</sup>، وهي القراءة المناسبة لما استشهد بالآية عليه.

٥٤/٢ س ٢ : ﴿رُبَّمَا﴾ (الحجر: ٢)، هذه قراءة أبي جعفر ونافع وعاصم، أما المخطوط فجاء بتشديد الباء (ربما) على قراءة بقية العشرة<sup>(٤)</sup>.  
 ١١٩/٢ س ٣ : ﴿لَا مُقَامٌ﴾ (الأحزاب: ١٣)، جاءت في المخطوط بفتح الميم، وهو المناسب لقول المبرد : «لأنها من (قُمتُ»)، وفتح الميم قراءة العشرة ما عدا حفصاً عن عاصم<sup>(٥)</sup>.

١٢١/٦ س ٦ : قال المبرد : «وقوله عز وجل : ﴿سَلَّمُهُ حَتَّىٰ مَطْلَعُ الْفَجْرِ﴾ ، و(مطلع الفجر) وما أشبه هذا فله باب يذكر فيه»، والصواب في الثانية :

(١) المبسot ٢٠٤.

(٢) المستنير ٤٠٦/٢.

(٣) المبسot ٣٢٠.

(٤) المبسot ٢٢٠.

(٥) المبسot ٣٠٠.

(ومطلع الفجر)، فالمبرد بدأ بقراءة الجمهور بفتح اللام، ثم ذكر قراءة الكسائيّ وخلف بكسرها<sup>(١)</sup>.

٢١٤/٩ س : ﴿فَلَمْ تُتِنْكُمْ﴾ (الكهف: ١٠٣)، رواية المخطوط بهمزة بعد (هل)، وهي قراءة مرويّة عن عليّ بن أبي طالب<sup>(٢)</sup>، كما أنّ (قل) ليست في المخطوط، ومكانها : (قال)، فهي قبل الآية، وليست منها.

٢٩٧/٢ س ١٧ : ﴿أَتَوْهُ﴾ (النَّمَل: ٨٧)، هذه قراءة حمزة وحفظ عن عاصم وخلف، لكن المخطوط جاء بــهـمـزـةـ وـضـصـ التـاءـ : (أـثـوـهـ)، وهي قراءة بــقـيـةـ العـشـرـةـ<sup>(٣)</sup>.

٣٤٨/٢ س ٢ : ﴿مُنْزِلَهَا﴾ (المائدة: ١١٥)، هذه قراءة أبي جعفر ونافع وعاصم وابن عامر، وقرأ الباقيون : (مُنْزِلَهَا) بــتـخـيـفـ الزـايـ<sup>(٤)</sup>، وقراءتهم الموافقة لما في المخطوط.

٣٥٤/٢ س ٥ : ﴿مِثْم﴾ (المؤمنون: ٣٥)، كذا في المطبوع، والمخطوط جاء بضمّ الميم على قراءة أبي جعفر وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر<sup>(٥)</sup>، وتكررت هذه الآية بهذا التّغيير في ٣٥٥/٢ س ١٠.

٣٥٤/٢ س ١٠ : ﴿سَعِدُوا﴾ (هود: ١٠٨)، ضمُّ السّين قراءة حمزة والكسائيّ وخلف وحفظ عن عاصم، ولكن المخطوط جاء بفتح السّين،

(١) المستنير ٥٣٩/٢.

(٢) شواد القرآن ٤٧٥/١.

(٣) المبسot ٢٨٢.

(٤) المبسot ١٦٥.

(٥) المبسot ١٤٨.

وهي قراءة باقي العشرة<sup>(١)</sup>، وتكرر هذا التغيير في ٢٦٠/٣ س ١٤ وفي ٣١٧/٤ س ١٤.

١٧٨/٣ س ٧ : ﴿يَقْنَطُون﴾ (الرُّوم: ٣٦) كما في المطبع، والمخطوط جاء بكسر النُّون الأولى: (يقنطون) على قراءة أبي عمرو والكسائي وخلف<sup>(٢)</sup>.

٢٠٣/٣ س ٧ : ﴿تَحْسِبُهَا﴾ (النَّمَل: ٨٨) جاءت بفتح السِّين على قراءة أبي جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة، وهي في المخطوط مكسورة على قراءة الباقيين<sup>(٣)</sup>.

٢٦١/٣ س ١١ : قال المبرد: «وقد قرؤوا هذه الآية: ﴿وَيُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمةَ كِتَابًا يَلْقَهُ مَنْشُورًا﴾ ، أي: يُخرج له طائره كتاباً»، كما جاء ضبط القراءة في المخطوط، والمقصود قراءة شاده، نسبت إلى مجاهد<sup>(٤)</sup>، وهي المناسبة لتعليق المبرد عليها، وليس ما جاء في المطبع من فتح الراء (يُخرج).

٣٥٣/٣ س ٧ : جاء (ثود) في هذا السُّطر من المطبع في آيتين غير منون، وهذا على قراءة حمزة ومحض عن عاصم ويعقوب، وأما المخطوط ف جاء بالتنوين على قراءة الباقيين<sup>(٥)</sup>.

(١) المبسot ٢٠٦.

(٢) المستنير ٢٣٩/٢.

(٣) المبسot ١٣٦.

(٤) شواذ القرآن ٤٤٦/١.

(٥) المبسot ٢٠٥.

٣٥٥/٣ س٥ : ﴿وَسَلِ﴾ (يوسف: ٨٢)، أثبتت الهمزة في المطبوع على قراءة الجمهور، أمّا المخطوط فجاء بمحذفها وفتح السين: (وسَلِ) على قراءة ابن كثير والكسائيّ وخلف<sup>(١)</sup>.

٤/٩٠ س٨ : جاء في المطبوع ﴿كُفُوا﴾ (الإخلاص: ٤) بالواو وضم الفاء على رواية حفص عن عاصم، وأمّا المخطوط فجاء بالهمز وضم الفاء، وهي قراءة الجمهور كابن كثير وابن عامر والكسائي<sup>(٢)</sup>.

٤/١٢٥ س١٢ : ﴿يَعْشَى طَائِقَةً﴾ (آل عمران: ١٥٤)، المخطوط جاء بالتأء على قراءة حمزة والكسائيّ وخلف، والمطبوع جاء بالياء على قراءة الباقين<sup>(٣)</sup>.

٤/١٨٢ س٧ : ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ (الإسراء: ٧٢)، كذا جاءت ( فهو) في المطبوع، وأمّا المخطوط فجاء بـ( فهو) بإسكان الهاء على قراءة الكسائيّ وأبي عمرو وأبي جعفر ونافع في رواية قالون<sup>(٤)</sup>.

٤/١٩٥ س٩ : ﴿وَصَرِيفُ الرِّيح﴾ (الجاثية: ٥)، كذا في المطبوع، أمّا المخطوط فجاء بالرِّيح بالإفراد على قراءة حمزة والكسائي<sup>(٥)</sup>.

٤/٣٠١ س٨ : (شُغُل) جاءت بضم الغين في المطبوع، وهي في المخطوط ساكنة على قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وروح عن يعقوب<sup>(٦)</sup>.

- . ١٥٦ . (١) المبسot.
- . ٧٠١ . (٢) السَّبُعة.
- . ١٤٨ . (٣) المبسot.
- . ٢٢/٢ . (٤) المستنير.
- . ١٧٣ . (٥) السَّبُعة.
- . ٣١٣ . (٦) المبسot.

ويلاحظ فيما سبق أنَّ المبرُّد لم يلتزم بقراءة من القراءات المتواترة المعروفة الآن، وذلك أنَّه كان في عصر كثُر فيه القراء وتبادرت القراءات، ولم يشتهر في عصره الالتزام بقراءة واحدة من القراءات السبُع أو العشر، قال مكيُّ: «الرُّواة عن الأئمَّة من القراء كانوا في العصر الثَّانِي والثَّالِث كثِيرًا في العدد كثِيرًا في الاختلاف، فأراد النَّاس في العصر الرَّابِع أن يقتصرُوا من القراءات التي توافق المصحف على ما يسهل حفظه، وتنضبط القراءة به... وأوَّل من اقتصر على هؤلاء أبو بكر بن مجاهد قبل سنة ثلَاث مائة أو في نحوها، وتابعه على ذلك من أتى بعده»<sup>(١)</sup>.

ومن التَّغيير في الآيات مَا لا يدخل ضمن اختلاف القراءات أنَّ المبرُّد في مواضع متعددة يحذف الفاء من أوَّل الآية، ويثبت قبلها واوًّا، يريد بها عطف الآية على المثال قبلها، لا أنَّها جزء من الآية، وفي المطبوع ثُحْدَف هذه الواو، ويثبت مكانها الفاء، مثل ما جاء في (ص ١٧٥) من قوله: ﴿فَأَلَقَنِي مُوسَى عَصَاه﴾ (الشُّعُراء: ٤٥)، كذا كُتبت، والصَّواب أن تكتب كما في المخطوط: ﴿أَلَقَنِي مُوسَى عَصَاه﴾، وتكرَّر هذا التَّغيير في هذه الصفحة في قوله تعالى: ﴿فَأَلَقَنِي عَصَاهْ إِذَا هَـ﴾ (الشُّعُراء: ٣٢)، وتكرَّر أيضًا في (٦٩/٢ س ٣، و ١٣١ س ٩، و ٣٥٣/٢ س ٥، و ٢١٠/٣ س ٩).

ومن ذلك أيضًا أن تُحذف الفاء من أوَّل الآية في المخطوط ويثبتها المحقق كما في (١٢١/٢، و ٣١٩، و ٣٤٦، و ١٥٤/٤).

وفي ١٢/٣ س ٦: جاء قوله تعالى: ﴿فَلَا مُؤْمِنَ إِلَّا وَأَنْتَمُ مُسْلِمُونَ﴾ بإثبات الفاء على ما في (البقرة: ١٣٢)، وهو في المخطوط بالواو، على ما في (آل عمران: ١٠٢).

(١) الإِبَانَةُ عَنْ مَعْنَىِ الْقِرَاءَاتِ ٦٣ - ٦٤.

وجاء في ١١٩/٢ س٣ : ﴿لَا مُقَامَ لَنَا﴾ ، والمقصود الآية (١٣) من الأحزاب ، والصواب (لكم) .

وفي ١١/٣ س١٠ : ثقلت نون التوكيد من (وليكوئنْ) (يوسف : ٣٢) ، وهذا التشليل ليس في المخطوط ، وليس من القراءات المتواترة .

وفي ١٩/٣ س٤ : سكنت اليم من (عنهم ابتغاء) ، والواجب ضمّها كما في المخطوط .  
**الشواهد الشعرية :**

اختلف المطبوع عن المخطوط في رواية عدد من الشواهد الشعرية ، وهذا الاختلاف ينقسم为 قسمين ، فمنه ما أدى إلى خلل عروضيٌّ ، ومنه ما ليس كذلك ، ولكنَّ فيه تغييرًا لرواية المبرد ، فمن شواهد القسم الأول : ٢٧٠/١ س١٥ :

يا أضبعاً أكلت آيات أحمراءٍ ففي البطونِ وقد راحتْ قرافقُ  
إسكان اللام من (أكلت) يكسر البيت ، وهو من البسيط ، والصواب :  
أكلَّت .

١٠/٢ س١٠ :

اردد حماركَ لا تُنترعْ سويتهُ إذن يردد وقيد العير مكروبُ  
زيادة الثناء في (تنترعْ) كسر البيت ، وهو من البسيط ، وصوابه : تُنترعْ .

٦٢/٢ س٢ :

تؤخذ كُرُهًا أو تجيء طائعاً  
أصل البيت من الرجز ، وهو مكسور بسبب تحريك الراء من (كرهًا) ،  
والصواب : كرُهًا .

١٦٨/٢ س٢ :

ثلاثٌ مئين قد مررنَ كوملاً وها أنذا أرتجي مرًّ أربع

البيت من الطَّوْيل، وشطْره الثَّانِي مكسُور، بسبَب سقوط هاء التَّنْبِيه،  
وصوابه: وها أنا هذا.

٣٥٤/٣ س ١٨ :

لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الْغَوَانِي هَلْ يُصِبْحَنْ إِلَى لَاهُنَّ مُطَلَّبُ  
كَذَا جَاءَ الْبَيْتُ فِي الْمُطَبُوعِ بِفَتْحِ الْحَاءِ مِنْ (يُصِبْحَنْ) وَإِسْكَانِ الْثُّوْنَ، وَبِهَذَا  
الضَّبْطِ يُنكِسُ الْبَيْتَ، وَصَوَابُهُ: (يُصِبْحَنْ) كَمَا فِي الْمُخْطُوطِ، وَهُوَ مِنَ الْمُنْسَرِ.  
٤٠٥/٦ س :

تُبْكِي عَلَى لَيْلِي وَأَنْتَ تَرْكُتُهَا وَكُنْتَ عَلَيْهَا بِمَلَّا أَنْتَ أَقْدَرُ  
كَذَا جَاءَتْ رَوَايَةُ الْبَيْتِ فِي الْمُطَبُوعِ، وَعَلَى هَذِهِ الرُّوَايَةِ يَكُونُ الشَّطْرُ  
الْأَوَّلُ مِنَ الْكَامِلِ، وَالثَّانِي مِنَ الطَّوْيلِ، وَصَوَابُ الْبَيْتِ كَمَا فِي الْمُخْطُوطِ:  
(تُبْكِي)، وَبِهَذِهِ الرُّوَايَةِ يُسْتَقِيمُ الْبَيْتُ عَلَى الطَّوْيلِ.  
١٨٤/٤ س :

قَلْتُ لَهُ: أَصْبِرْهَا دَائِنَا أَمْثَالُ يَسْطَامِ بْنِ قَيْسٍ قَلِيلٌ  
إِسْكَانُ الرَّاءِ مِنْ (أَصْبَرْهَا) كَسْرُ الْبَيْتِ، وَالصَّوَابُ ضَمُّهَا كَمَا فِي  
الْمُخْطُوطِ، وَالْبَيْتُ مِنَ السَّرِيعِ، وَفِي الْبَيْتِ تَغْيِيرٌ آخَرُ، وَهُوَ (دَائِنَا)، وَصَوَابُهُ  
كَمَا فِي الْمُخْطُوطِ (دَائِبَا).

وَمِنْ شَوَاهِدِ الْقَسْمِ الثَّانِي – وَهِيَ التَّغْيِيرَاتُ الَّتِي لَا تَؤْدِي إِلَى خَلْلِ  
عِرْوَضِيٍّ، وَلَكِنَّهَا تَوْهِمُ أَنَّ رَوَايَةَ الْمُبَرِّدِ عَلَى غَيْرِ مَا هِيَ عَلَيْهِ – مَا يَأْتِي:  
١٧٧/١ س ٢ وَ ٤٠٢/١ س ٦ : أَرِيْغُهُ = أَجِيلُهُ.

٢٤٠/١ س ٢ : مَغِيُونُ = مَعِيُونُ.

٢٨١/١ س ١٠ وَ ٣٥٤/٣ س ١٤ : فَلَتَائِينِكَ ... وَلَيْرَكِبَنْ = فَلَتَائِينِكَ ... وَلَيْرَكِبَنْ.

٢٨١/١ س ١٢ : يَجَارِينَ = يَجَازِينَ.

٢٨٢/١ س ٢ : خَرِيْغُ = صَرِيعُ

٣٠٣/١ س٩ : هذيلٌ = هذيلٌ، في الشَّطرين.

٣٢١/١ س١٥ : دُمٌ = دُمٌ.

٣٣٦/١ س١٢ : مشرقيٌّ = بشرقيٌّ.

٣٥٣/١ س٨ : العَنْدَا = العَنْدَا.

٣٧٠/١ س١٠ : ليتُ = ليتُ.

٣٧٠/١ س١٤ : داكٍ = ذاكٍ.

٣٨٧/١ س١٧ و ٣٥٤/٣ س١٢ : أَظْلَلٌ وَأَظْلَلٌ = أَظْلَلٌ وَأَظْلَلٌ.

٣٩/٢ س٧ : مطيهم = غزاتهم.

٤٧/٢ س٣ : رِجْلِيْك = رِجْلِكَ، وذكر المحقق أَنَّه جاء في كتاب سيبويه

(رجلك) بدلاً من (رجليك)، أقول: وكذا رواية المخطوط.

٦١/٢ س١١ : ديارنا = رحالنا.

٨٨/٢ س١٦ : لِيمِنٌ = لِيمِنٌ.

١٩٣/٢ س٧ : ماءُ = ماءُ.

٢١٠/٢ س١ : صبيّةٌ = صبيّةٌ.

٢٢٠/٢ س٦ : إِذْ دُكَرٌ = إِنْ دُكَرٌ.

٢٢٤/٢ س٥ : تَزَرَّزَتْها = شَرِيتُ بها.

٢٥٦/٢ س٢ : أَعْزُ = يَا عَزُ.

٣١٢/٢ س٢ : الأصلع = الأصلع.

٣٥٠/٢ س١ : إِذَا أَنَّه = إِذَا إِنَّه.

٤١/٣ س٨ : ترتُجُ = يرتُجُ.

٥٠/٣ س٣ : المعوراً = المعوراً.

١٥٨/٣ س٤ : أَشَدُ = أَشَدَّ.

١٦٢/٣ س٢ : وَغَرَرْتَنِي = أَغَرَرْتَنِي.

- ٢١٩/٣ س٥ : مُضيّق = مضيق.
- ٢٣٠/٣ س٧ : إذا ادّكرت = إذا ذكرت.
- ٢٦٩/٣ س٨ و ٣١٣/٤ س٣ : أشتم = أشتم.
- ٢٨٥/٣ س٥ : ورأسُه = ورأسه.
- ٢٩١/٣ س٥ : سَقْمَا = سقماً.
- ٢٩٨/٣ س١ : لا = ما.
- ٣٠٣/٣ س١١ : أَمْ تَمْرَأ = أو تمرا.
- ٤٢٦/٤ س٣ : احْتِيَالُهَا = احتمالها.
- ٤٩٧/٤ س٢ : وَأَكْثَرُهُمْ = وأكثره.
- ٤١٠١/٤ س٢ : إِنْ ظَفَرْت = لو ظفرت.
- ٤١٠١/٤ س٤ : هَدَّاجُونْ حَوْلَ بَيْتِهِمْ = درّاجون حول خيالهم.
- ٤١٤٢/٤ س٢ : تَقْلِصُوا = يُقلّصوا.
- ٤١٤٥/٤ س٣ : دِيَارُهُمْ = ديارهم.
- ٤١٤٥/٤ س٨ : يَأْتِيهِمْ = يأتيهم.
- ٤١٥٣/٤ س٢ : لِقَوْمِهِمْ = لقومهم.
- ٤١٥٩/٤ س٩ : لَاحِقُ = لاحق.
- ٤١٧٠/٤ س٦ : قَبْلُهَا = قبلتها.
- ٤١٩١/٤ س٢ : مَثَلُهُمْ = مثلهم.
- ٤٢٠٠/٤ س٩ : مَسْتَنْكِرْ = مستنكراً.
- ٤٢١٤/٤ س٢ : عَدِيَا = عدياً.
- ٤٢٢٣/٤ س٢ : الْأَقْتَابْ = الأقطاد.
- ٤٢٣٣/٤ س٧ و ٤٢٣٤/٤ س٤ : أَحَارُ = أحار.
- ٤٢٣٤/٤ س٦ : أَحَارُ أَرَى = أحار ترى.

- ٤/٢٩٧ س١٠ : تُقضى لِبَانَاتٍ وَيَسَامٌ = تُقضى لِبَانَاتٍ وَيَسَامٌ.
- ٤/٣٠٥ س٤ : عَقْلَتْ = غَفَلَتْ.
- ٤/٣٣١ س٤ : لُمْتَنِي = لُمْتَنَا.
- ٤/٣٤٩ س٧ : أَهْلَهُ = أَهْلَهَا.
- ٤/٣٧١ س١٣ : بَعْنَيْهُ = بَأْسَرَهُ.
- ٤/٣٧٥ س٣ : مَزَرْدٌ = مَزَرْدٌ.
- ٤/٣٧٧ س٤ : وَقْتٌ = رَفْتَ.
- ٤/٤١٤ س٢ : وَبِلْدَةٌ لِيَسْ بَهَا = وَبِلْدٌ لِيَسْ بَهَا.
- ٤/٤١٤ س٤ : عَيْتُ = أَعْيَتُ.
- ٤/٤١٤ س٥ : أَوَارِيًّا = أَوْرَايًّا.
- ٤/٤١٧ س٣ : أَغْضَيْتُ... رَغْمِي = أَغْضَيْتَ... رَغْمِي.

#### التقديم والتأخير:

جاء في المطبوع تقديم بعض الكلمات على بعض، أحصيت هذا في ثمانٌ وثمانين موضعًا، فمن ذلك:

- ١/١٤٨ س٤ : عَزَّ وَجَلَّ = جَلَّ وَعَزَّ.
- ١/١٨٠ س٩ : يَبِينُ لَكَ ذَاكَ = يَبِينُ ذَاكَ لَكَ.
- ١/١٩٩ س٤ : وَهِيَ الْأَلْفُ، وَالْوَوْ، وَالْيَاءُ = وَهِيَ الْأَلْفُ، وَالْيَاءُ، وَالْوَوْ.
- ١/١٩٩ س١٠ : ضُوِيرَبٌ، وَضُوَارِبٌ = ضُوَارِبٌ، وَضُوِيرَبٌ.
- ١/١٩٩ س٣ : الَّذِي تَقْلِبُ فِيهِ الْحُرُوفَ مَا بَعْدَهَا = الَّذِي يَقْلِبُ الْحُرُوفَ فِيهِ مَا بَعْدَهَا.

١/٢١٣ س١١ : الزَّمَانُ وَالْمَكَانُ = المَكَانُ وَالزَّمَانُ

١/٢٤٩ س٢ : وَاوُ او يَاءُ = يَاءُ او وَاوُ.

١/٣٠٤ س١٥ : الْمُؤْنَثُ وَالْمَذْكُورُ = الْمَذْكُورُ وَالْمُؤْنَثُ.

٣٢٥/٨ : قوله في هذا الجمع أوجب = قوله هذا في الجمع أوجب.

٣٤٣/١١ : الغين والخاء = الخاء والغين.

٣٥٤/١٣ : التَّقْيِلَةُ وَالخَفْيَةُ = الْخَفْيَةُ وَالتَّقْيِلَةُ.

٣٦١/٦ : التَّاءُ وَالدَّالُ = الدَّالُ وَالتَّاءُ.

٣٩١/٥ : يَفْعُلُ، وَيَفْعُلُ، وَيَفْعَلُ= يَفْعَلُ، وَيَفْعُلُ، وَيَفْعُلُ.

٤٢/٢ س٣ : بالنَّصْبِ وَالرَّفْعِ = بالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ.

٦٠/٢ س٩ : ما يَسْرُنِي يَسْرُكُ = ما يَسْرُكُ يَسْرُنِي.

٢٢٢/٢ س٢ : يَجْرِيُ الجَمْعُ فِي الْمُسْلَمِ الْمُؤْتَثُ = يَجْرِيُ فِي الجَمْعِ الْمُسْلَمِ الْمُؤْتَثُ.

٢٢٧/٢ س٤ : اَنْفَقْتُ حَرَكَاتِهِ أَوْ اَخْتَلَفْتُ = اَخْتَلَفْتُ حَرَكَاتِهِ أَوْ اَنْفَقْتُ.

٢٢٩/٢ س٥ : التَّصْغِيرُ وَالتَّكْسِيرُ = التَّكْسِيرُ وَالتَّصْغِيرُ.

٢٧٤/٢ س٨ : مَرْوُرُ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي = مَرْوُرُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ.

٤٢/٣ س١٢ : الْيَاءَاتُ أَوْ الْكَسْرَاتُ = الْكَسْرَاتُ أَوْ الْيَاءَاتُ.

١٩٤/٣ س٣ : جَيْدٌ حِينَئِذٍ = حِينَئِذٍ جَيْدٌ.

٣٨٢/٣ س٢ : كَالْعَدْلِ وَالْعِدْلُ = كَالْعِدْلِ وَالْعَدْلِ.

٤٢٧/٤ س٧ : يَمْدُ جَمِيعاً = جَمِيعاً يَمْدُ.

٣٢٧/٤ س١١ : يَعْرُفُ بِهَا وَاحِدٌ = يَعْرُفُ وَاحِدٌ بِهَا.

٣٥٣/٤ س٩ : وَالَّذِي فِيهِ زَيْدٌ أَمَامُكُ = وَالَّذِي زَيْدٌ فِيهِ أَمَامُكُ.

وهناك موضع آخر فيه نصٌ طويلاً عن موضعه، وهو ما جاء في

(٣٦١/٢) من قوله : «فِإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَمَا بِالْهَا لَمَّا خُفِّفَ...» إلى

نهاية الصفحة فإنَّ هذا النَّصُّ الطَّوِيلُ أُخْرِجَ عن موضعه، وموضعه بحسب

المخطوط في الصفحة السابقة بعد السَّطْرِ الْخَامِسِ، وَلَمْ أَجِدْ سَبِيلًا لِهَذَا

التَّأْخِيرِ، فَالْمَعْنَى لَا يَقْتَضِيهِ، وَلَمْ يَأْتِ فِي صَفْحَةٍ مُسْتَقْلَةٍ يَحْارِبُ فِي مَوْضِعِهِ، بَلْ

هُوَ جَزءٌ مِنْ صَفْحَةٍ.

## - تغيير الإعراب وحركات البناء:

وقع في المطبع تغيير لإعراب الكلمات وعلامات بنائتها عمّا في المخطوط في سبعة وثلاثين ومئة موضع، ومن نماذج هذا التغيير ما يأتي:

٢٣٧/١ س ١٠ : وجملك صايداً = وجملك صايد.

٢٥٥/١ س ١٣ : باب مصطفون = باب مصطفين.

٢٨٩/١ س ٥ : فكان حقًّا هنا أن يعتلَ = فكان حقًّا هنا أن يعتلَ.

٢٨٩/١ س ٩ : وكان حقُّها أن تكون (آيَةً) = وكان حقُّها أن تكون (آيَةً).

٣٠٢/١ س ٩ و ١٠ : شاكُ السلاحَ = شاكُ السلاح.

٣٣٣/١ س ٤ : كان لفظهما واحد = كان لفظهما واحداً.

٣٦٩/١ س ١ : بَخَ = بخٌ.

١١٩/٢ س ١ : هذا مقامنا = هذا مقامنا.

١٥٣/٢ س ١٧ : ضمُّ شيءٍ = ضمُّ شيءٍ.

٢٣٢/٢ س ٥ : إِمَّا مُلحقتان = إِمَّا مُلحقتين.

٢٤٣/٢ س ٤ : أيُّهما شئت حذفت = أيُّهما شئت حذفت.

٢٩٨/٢ س ٥ : جعلت (أيّ) جزاء = جعلت (أيّاً) جزاء.

٣٤٣/٢ س ٣ : وكان حدُّها أن تكون أولَ الكلام = وكان حدُّها أن تكون أولَ الكلام.

٣٠/٣ س ١٠ : مُذْ الليلة، وأنا أراك مُذْ اليوم = مُذْ الليلة، وأنا أراك مُذْ اليوم.

٣٠/٣ س ١٢ : مُذْ سنةٌ = مُذْ سنةٍ.

٣١/٣ س ١ : مذْ يومٌ = مذْ يومٍ.

٥٧/٣ س ٨ : رُبَّ رجلٍ أفضلٌ منك = رُبَّ رجلٍ أفضلٌ منك.

٥٩/٣ س ٤ : مقصود قصده = مقصود قصده.

- ٣/١٣٠ س ١٣ : حتَّى يكون في صلة الأوَّل ابتداءً وخبرًا = حتَّى يكون في صلة الأوَّل ابتداءً وخبرٌ.
- ٣/٢١٧ س ٩ : براءةُ الله = براءةَ الله.
- ٣/٢٩٤ س ٣ : أدركك الشكُّ = أدركك الشكُّ.
- ٣/٣٣٢ س ٥ : سنونٌ = سنينٌ.
- ٤/٢٤ س ١٥ : ولو حركَ محرِّكَ في الشِّعر مضطراً لجاز = ولو حرَّكَ محرِّكَ في الشِّعر مضطربً لجاز.
- ٤/٥٤ س ٧ : والمسلوبة ثوبها = وبال المسلوبة ثوابها.
- ٤/١٤٠ س ٣ : ربَّ إنسان خيرٌ منك = ربَّ إنسان خيرٌ منك.
- ٤/١٥٣ س ٣ : يجرون (مثلاً) = يجرُّون (مثلاً).
- ٤/١٨٤ س ٨ : فترفع (زيد) = فترفع (زيداً).
- ٤/٢٣٧ س ٣ : يا لکاع الخبيثة = يا لکاع الخبيثة.
- ٤/٢٤٣ س ٦ : يا نخلُ = يا نخلَ.
- ٤/٢٦٩ س ١ : وازيدُ = وازيداً.
- ٤/٣٥١ س ٦ : سيربزد يوم الجمعة غُدوة = سيربزد يوم الجمعة غُدوة.
- ٤/٣٥٤ س ١١ : سير عليه غدوةً من الغُدوات، وبُكرةً = سير عليه غدوةً من الغُدوات، وبُكرةً.
- ٤/٣٦٤ س ٧ : حذفت ياءُ الإضافة = حذفت ياءُ الإضافة.
- ٤/٣٨٢ س ٦ : ومن قال : (لا رجلٌ في الدَّار ولا امرأةً) قال : (ألا رجلٌ في الدَّار ولا امرأةً) = ومن قال : (لا رجلٌ في الدَّار ولا امرأةً) قال : (ألا رجلٌ في الدَّار ولا امرأةً).
- ٤/٣٨٨ س ١٧ : يا رجل الظَّريفَ = يا رجل الظَّريفُ.
- ٤/٤٢٦ س ٥ : أنَّ بعضهم زيداً = أنَّ بعضَهم زيداً.

٤٢٨/٦ : لا يكون فلانةً = لا يكون فلانة.

### - التغيير في الضبط :

وقد أيضاً في المطبوع تغيير لضبط بعض الكلمات مما ليس بإعراب ولا بناء، أحصيت هذا التغيير في ستة وستين ومئة موضع، ومن أمثلته:

١٧١/١ س ١٢ : أَنْسٌ = إِنْسٌ.

١٨٨/١ س ٥ : حُنِيفٌ = حَدَفَتَ.

٢٤٤/٦ س ٦ : مُجْرِي = مَجْرِي، وهذا التغيير تكرر في أكثر من أربعة وعشرين موضعًا؛ فقد التزم في المخطوط ذكر (مَجْرِي) مع (أَجْرِي)، وكان المحقق يكثر من تحويلها إلى (مَجْرِي)؛ ليناسب الفعل، وكذا تكرر هذا الصنْع مع (مَقَام) و(مَخْرَج)، وليس ما في المخطوط بخطأ؛ فإنَّه يجوز أن يقترن بالفعل غير مصدره مما يوافقه في المعنى<sup>(١)</sup>.

٢٩٠/١ س ١٠ : شُوَيٌّ = شَوَّيٌّ.

٣٣٧/١ س ٣ : سُورٌ = سُورَ.

١١٦/٢ س ٦ : مَرْسِلٌ = مَرْسِلٌ.

١٥٦/٢ س ١ : حِجَّةٌ = حَجَّةٌ.

٢٠٣/٢ س ٨ : قَلْفَةٌ = قَلْفَةٌ.

٢٠٣/٢ س ٩ : صَلْعَةٌ = صَلْعَةٌ.

٢٨٩/٢ س ١ : اللَّتَّيَاتٌ = اللَّتَّيَاتٌ.

٣٢٠/٢ س ٨ : مُقْسِمٌ بِهٗ = مُقْسَمٌ بِهٗ.

١٣٧/٣ س ١ : شَقَرِيٌّ = شَقَرِيٌّ.

١٦٥/٣ س ٣ : الْحَمْضُ = الْحَمْضُ.

(١) المفصل ٥٦.

- ٤/١٣ س ٦ : الأَئْس = الإِئْس .
- ٤/٥٢ س ١٠ : لشُغْلُك = لشَغْلُك .
- ٤/٥٤ س ١ : المَعْطَى = المَعْطَى .
- ٤/٣١٩ س ٥ : بُرِيَص = بَرِيَص .
- ٤/٣٣٨ س ٢ و ٣ : نَبَات = نُبَتُ .
- ٤/٣٤٣ س ٢ و ٣ : مَقْدِيم = مَقْدِيم .
- تغييرات أخرى متأثرة :

وبعد كلّ ما سبق ما زال هناك الكثير من التّغيير في المطبوع عمّا ثبت في المخطوط، يشمل هذا التّصحيف، والتّحريف، وتغيير وزن الكلمة، ووضع الكلمة مكان أخرى قريبة منها أو بعيدة، ونحو ذلك، وهذه التّغييرات تزيد عن الثّلاثين وسبعين مئة موضع، فمن ذلك أنّ هناك اثنان وستُون موضعًا غُير فيها حرف المضارعة عمّا هو عليه، وهناك ثلاثة وخمسون موضعًا غُير الضّمير فيها بضمير آخر، وأبدل حرف الجرّ بحرف جرّ آخر في خمسة وثلاثين موضعًا، وأبدلت أداة الشرط بأخرى في ثمانية وعشرين موضعًا، ووضعت الواو مكان الفاء في خمسة وثلاثين موضعًا، ووقع العكس في واحد وعشرين موضعًا، ووضعت الواو مكان (أو) في عشرة مواضع، وجاء العكس في أربعة مواضع، ووضعت الكلمة (جمع) موضع (جميع) في ستّة وعشرين موضعًا، ووضع (الإِدْغَام) وما تصرف منه موضع (الإِدْغَام) وما تصرف منه في أكثر من اثنين وخمسين موضعًا، ومن المعلوم أنّ المبرّد من كبار البصريّين، (الإِدْغَام) هو المصطلح البصريّ، وأمّا (الإِدْغَام) فمصطلح كوفي<sup>(١)</sup>، وفيما يأتي قائمة بأمثلة متنوعة من هذه التّغييرات :

---

(١) شرح المفصل ٢٣١/١٠ .

١٧١/١ س١ : ضَرَبَ = أَضْرِبَ.  
 ١٨٣/١ س٣ : وَأَنَّ = لَأَنَّ.  
 ١٨٣/١ س٣ : وَمَا جَاءَنِي = وَلَا جَاءَنِي.  
 ١٨٣/١ س٤ : بَوَاحِدٌ = لَوَاحِدٌ.  
 ١٨٨/١ س٦ : أَوْجَهٌ = أَضْرِبَ.  
 ١٩٠/١ س٥ : مَا يَدُلٌ = شَيْئاً يَدُلُ.  
 ١٩١/١ س٥ : عَدْدُهُ مِنَ الْزَوَائِدِ = عَدْدُهُ بِالْزَوَائِدِ.  
 ١٩١/١ س١٤ : جَزْلٌ = خَدْلٌ.  
 ١٩١/١ س١٥ : عَجْلٌ = عَدْلٌ.  
 ١٩٢/١ س٣ : فَرِحٌ = فَرِقٌ.  
 ١٩٣/١ س٧ : بَنَاءَتِ التَّلَاثَةُ = بَنَاتِ التَّلَاثَةَ.  
 ١٩٧/١ س٦ : أَوْ تَلْحُقُ ثَانِيَّةٌ مِثْلُهُ = مِنْجِنِيقٌ = وَتُلْحِقُ ثَانِيَّةً فِي (مِنْجِنِيقٍ).  
 ١٩٨/١ س٦ : أَوْلَئِكَ = (أَلَالِكَ)، الْحَدِيثُ عَنْ زِيَادَةِ الْلَامِ.  
 ٢٠٤/١ س٥ : التُّرْثُمٌ = (الثُّرْثُم)، وَتَكَرَّرَ هَذَا فِي (٣٩١/١)، وَالْمَحْقُّ  
 أَثَبَتَهُ بِالثَّاءِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ خَلَافًا لِمَا فِي الْمَخْطُوطِ، اتَّبَاعًا لِمَا فِي مَطْبُوعِي الْكِتَابِ  
 وَالْمَنْصُف<sup>(١)</sup>، وَذُكِرَ فِي الْحَاشِيَّةِ أَنَّهُ لَمْ يُذَكَّرْ فِي كِتَابِ الْلِغَةِ، وَسَبَبَ هَذَا أَنَّهُ  
 تَصْحِيفٌ وَقَعَ فِي الْكِتَابِ وَالْمَنْصُفِ، وَلَذَا تَجَدُ أَبَا حَاتِمٍ وَهُوَ يَفْسِرُ غَرِيبَ أَبْنِيَةِ  
 سَيِّبوِيهِ، أَثَبَتَهُ بِالثَّاءِ، قَالَ: «الثُّرْثُمٌ: مَا يَبْقَى فِي أَسْفَلِ الْقَدْرِ»<sup>(٢)</sup>، وَكَذَا أَبْنِيَةُ  
 الدَّهَانَ<sup>(٣)</sup>، وَهُوَ مَذُكُورٌ بِالثَّاءِ فِي الْمَعاجِمِ<sup>(٤)</sup>.

(١) الْكِتَابُ ٢٨٨/٤ وَالْمَنْصُفُ ٢٥/١.

(٢) تَفْسِيرُ غَرِيبِ مَا فِي كِتَابِ سَيِّبوِيهِ ١٧٠.

(٣) شَرْحُ أَبْنِيَةِ سَيِّبوِيهِ ٥٨.

- ٢٠٧/١ س ١٣ : فزدت له واواً بحذاء الراء = (فزدت له واواً بحذاء الواو)، أي: زدت واواً في (ضرب) بحذاء واو (جدول) فقلت: (ضرّوب).
- ٢١٠/١ س ١٠ : أخبر = خبر.
- ٢١٤/١ س ١ : ينفع = مُنْفَعٌ.
- ٢٢٩/١ س ٧ : فسنتينيْن أَنَّ السين = قلت: إِنَّ السينَ.
- ٢٣٠/١ س ١ : فيما فاؤه واو = فيما فاؤه ياء.
- ٢٣٠/١ س ٦ : ما يقول = مَنْ يقول.
- ٢٣٢/١ س ١ : من ضم = ما انضمَّ.
- ٢٣٨/١ س ١٨ : أصله: ( فعل ) جميع ( فعلًا ) جمع ( أفعال ) = أصله: ( فعل )، لأنَّ ( فعلًا ) جمع ( أفعال ).
- ٢٤٧/١ س ٩ : انفعل = افتعل.
- ٢٥١/١ س ٨ : ( المعتلين )، كذا في المتن ، لكن ضرب عليه ، وصوّب في الحاشية بـ(العينين).
- ٢٥٢/١ س ١ : الحركة = الحوكمة.
- ٢٥٢/١ س ١ : فعل = فَعِيلٌ.
- ٢٥٤/١ س ٥ : هي عين الفعل = هي العين.
- ٢٦٩/١ س ٤ : فيه = فيهما.
- ٢٦٩/١ س ٦ : صوت وأصوات = سَوْطٌ وأسْوَاطٌ.
- ٢٧٠/١ س ٧ : كان في الصحة لـ(أفعال) = كان في الصحيح لـ(أفعال).
- ٢٧١/١ س ٤ : وقال = قال.
- ٢٧٤/١ س ١١ : لئلا يختلف إذ كان كلُّ واحد = لئلا يختلفا إذا كان كلُّ واحد.

---

(١) ينظر مثلاً: الصّاحح ١٨٨٠/٥.

- ٢٧٤/١ س ١٥ : رجَّيْ يُتَرَجِّي = رجَّيْ يُرجِّي.
- ٢٧٩/١ س ٧ : إذا كان **الهمزة** محتلًا فيه، ولم يكن في واحده = إذا كان الهمز محتلًا فيه، ولم يكن في واحده.
- ٢٨٤/١ س ١٠ : مفاعيل = فعاعيل.
- ٢٨٧/١ س ٥ : بـكُنْ قُوًّا، والـحُوًّا = بطن قُوًّا، والجُوًّا.
- ٢٨٨/١ س ٢ : التَّصْرِيف = التَّصْرِيف.
- ٢٩٥/١ س ١٢ : قرأً = قراءته.
- ٢٩٧/١ س ٩ : اتبعوا إبلكم = اتبعي إبلكم.
- ٢٩٩/١ س ١٠ : لأنهما أصلًا في الحروف = لأنهما أصلان في الحروف.
- ٣٠٥/١ س ١ : جرت مجرى = جرى مجرى.
- ٣٠٦/١ س ٦ : الرعوى = الدعوى.
- ٣٠٦/١ س ٤ : بابه = يائه.
- ٣١٤/١ س ٨ : كالواو في (خطيئة) = كالباء في (خطيئة).
- ٣٢٦/١ س ٦ : فُعلة = فعلة.
- ٣٣٧/١ س ٣ : شُرَر = سُرَر.
- ٣٤٩/١ س ١ : مخرج الميم = مخرج الجيم.
- ٣٥٤/١ س ٩ : قائل = قبائل.
- ٣٥٥/١ س ٨ : فتدغم فيها الميم = فتدَّغم فيها النون.
- ٣٥٨/١ س ١٧ : ظلموا أخاك = ظلموا خاك.
- ٣٦٩/١ س ٩ : زيد، ودم = يد، ودم.
- ٣٨٠/١ س ٣ : مذوق = فحُذف.
- ٣٨١/١ س ١١ : المضاعفين = المضعفين.
- ٣٨٥/١ س ٢ : مشبَّهة بالفعل = مشبَّهة بالأفعال.



- ٣٨٧/١ س ١٢ : تَكُلُّمَانِي وَتَكْلِمَانِي = تَظْلِمَانِي وَتَظْلِمَانِي .
- ٣٩٨/١ س ٤ : وَلِلْمَذْكُورِ : (رَأَيْتُكُمْ) = وَلِلْمَذْكُورِينِ : (رَأَيْتُكُمْ) .
- ٤٠١/١ س ١٢ : «وَسَيِّبُوْيَهُ وَالْخَلِيلِ يَخْتَارَانِ إِتَّمَ الْوَاءُ، لَمَا ذَكَرْتَ لَكَ، فَإِلَّاتَمَ عَنْهُمَا أَجُودُ؛ لَأَنَّهَا قَدْ خَرَجَتْ مِنْ حُرُوفَ الْلَّيْنِ، تَقُولُ: (رَأَيْتَ... يَا فَتِي)»، هَذَا النَّصُّ وَقَعَ فِي زِيَادَةِ وَنَفْعِصَ، وَتَحْرِيفٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ غَيْرُ وَاضِعٍ فِي الْمُخْطُوطِ، وَالْأَقْرَبُ أَنْ يَكُونَ عَلَى النَّحْوِ الْآتِيِّ: «وَسَيِّبُوْيَهُ وَالْخَلِيلِ يَخْتَارَانِ إِثْبَاتَ الْوَاءِ كَمَا ذَكَرْتَ لَكَ، [وَالْيَاءُ إِذَا تَحَرَّكَتْ] فَإِلَّاتَمَ لَا اخْتِلَافٌ فِيهِ؛ لِأَنَّهَا قَدْ خَرَجَتْ مِنْ حُرُوفَ الْلَّيْنِ، تَقُولُ: (رَأَيْتَ.. ضَيْهُوْ يَا فَتِي)»، فَالْمَحْدِيثُ عَنِ الْيَاءِ الَّتِي تَقْعُدُ قَبْلَ الْهَاءِ لَا بَعْدَهَا .
- ٤٠١/١ س ١٤ : لِأَنَّهَا لَيْسَتْ = لِأَنَّهُمَا لَيْسَتَا .
- ١٣/٢ س ١٤ : إِذَا كُنْتَ = إِذْ كُنْتَ .
- ١٧/٢ س ٦ : وَلَا تَحْدِيثٌ = وَلَا حَدِيثٌ .
- ١٩/٢ س ١٢ : مِنْهُمْ يَتَعَلَّمُونَ = فَهُمْ يَتَعَلَّمُونَ .
- ٢٢/٢ س ١ : يَدْنِكَ = يُدْنِينِكَ .
- ٢٨/٢ س ٤ : كَالْمَعْنَىِ: أَيْكُونُ مِنْكَ وَاحِدٌ مِنَ الْأَمْرَيْنِ = فَالْمَعْنَىِ: أَيْكُونُ مِنْكَ وَاحِدٌ مِنَ هَذِيْنِ .
- ٥١/٢ س ١٥ : وَهَذَا فِي الْقُرْآنِ أَكْثَرُ = وَهَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ .
- ٥٣/٢ س ١ : الْأَزْمَانُ = الزَّمَانُ .
- ٦٥/٢ س ٨ : لَمْ تَأْتِنِي = مَا تَأْتِنِي .
- ٦٧/٢ س ٩ : جَعَلَ الْأَلْفَ وَاللَّامَ فِي مَوْضِعِ الَّذِي كَانَ صَلَّتْهَا... = جَعَلَ الْأَلْفَ وَاللَّامَ فِي مَعْنَى الَّذِي كَانَ صَلَّتْهُمَا .
- ١٠٣/٢ س ٣ : طَرَحَتِ الْبَئْرُ وَطَرَحَتِهَا = نَزَحَتِ الْبَئْرُ وَنَزَحَتِهَا .
- ١١٩/٢ س ١ : مَسْرَحًا = مَسْرَحُنَا .

- ١٣٣/٢ س١ : ولا يقم عمرو = ولا يقعد عمرو.
- ١٣٥/٢ س٣ : وليس المعنى = وليس القول.
- ١٣٧/٢ س٤ : وما منهما أحد = وما منهما واحد.
- ١٣٩/٢ س٦ : لما ذكره لك = لما ذكره بعد.
- ١٤٠/٢ س١٣ : بمنزلة قولك = نظير قولك.
- ١٥٣/٢ س٢ : الجمع بالواو والنون = الجمع بالواو والياء.
- ١٥٣/٢ س٤ : مخطور = محظور، وتكرر هذا في ٣٤/٣ س٦
- ٤/٢٨٧ س١.
- ١٥٥/٢ س٦ : أربعة رجال = أربعة جمال.
- ١٥٦/٢ س٤ : أعداد = أعدال.
- ١٥٧/٢ س٧ : ولم يكن له جمع = ولا جمع له.
- ١٦١/٢ س٣ : أسكنت الشّين = أسكنت (عشرة).
- ١٦١/٢ س١٣ : لا يفرد = لا ينفرد.
- ١٦٧/٢ س٣ : مائتين = مئين.
- ١٧٠/٢ س٤ : ويريوي : شربنا = ويريوي : شربنا.
- ١٧٢/٢ س٣ : تمحذف النون = حذف النون.
- ١٧٨/٢ س١٠ : إلى العشر = إلى العشرة.
- ١٧٩/٢ س٤ : فمعنى هذا : أحد اثنين = فمعناه : هذا أحد اثنين.
- ١٩٤/٢ س٥ : حَجْلٌ وحِجْلَانٌ = جَحْلٌ وحِجْلَانٌ.
- ٢٠٥/٢ س١ : فَعالاً = فعالاً.
- ٢١٠/٢ س٣ : زُقَاقٌ = زُقَاقٌ.
- ٢٢٧/٢ س١ : الأدْهَم = الأسود.
- ٢٣٢/٢ س٤ : زِيادتَانٌ = زِيادتَاهُ.

٢٣٢ / ٢ : متساویتین = مستویتین.

٢٣٢ / ٢ دلائل = دلائل.

٢٤٤ / ٢

٢٤٩ / ٢ : حُقُّت = صَفَّت.

٢٤٩ / ٢ دُّخُون = دُّخُون : ٥

٢٤٩ / ٢ س، ٧: مُطْلَقٌ = مُطْلِقٌ.

٢٥٧/٢ : مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ = مَا كَانَ كَذَلِكَ.

٢٥٩ / ٢ : الأصل = الأصول.

٢٦١ / ٢ : ألف التأنيث وباء النس = ألف، التأنيث وباءي، النس.

٢٦٨/٢ س ١٤ : فیم: قال: سنهاٹ = فیم: قال: سانھٹه.

٢٦٩ / ٣ : لأنَّ المُحذَّف مِنْ هَذِهِ الْوَاءُ = لأنَّ المُحذَّف مِنْ (هُنْتُ) الْوَاءُ .

٢٦٩ / ٢ س، ٧ و ٨ : هنّة = هنّة .

٢٧١/٢ س. ١٠ : فما لـهـاتـن = ما بـالـهـاتـن.

٢٧٣ / ٢ : المرتبة = المرتبة.

٣١٧/٢ س. ٦ : ظلّ الطريق = خلّ الطريق.

٣٢٥ / ٢

١٣ : لأنّ حدّ الكلام التقديم = لأنّ حدّ اللام التقديم.

٣٤٥ / ٢ س ١ : (إنّ) وصلتها الفاعل = (أنّ) وصلتها فاعل.

٣٤٨/٢ س ٨: يريد: الظُّنُّ = يريد: تظنّ.

٣٦١ / ٢ س ١٠ : كما ذكرت = وهو ما ذكرت.

٣٤ / ٣ س ٩ : هذا خير اثنين = هذان خير اثنين.

٤٣/٣ س ٧: لأنَّ الألْفَ هِيَ الَّتِي يُوقَفُ عَلَيْهَا = لأنَّ اللامَ هِيَ الَّتِي

بِيَقْنَةٍ عَلَيْهَا.

٤٨/٣ س٣ : ينبو فيها بين أولها وآخرها نبوة = ينبو فيما بين أولها وآخرها نبوة.

٧٩/٣ س٥ : فتقلب الواو والياء ألفاً = فتقلب الياء ألفاً، وكذلك الواو.

٧٩/٣ س٥ : إلأا والفتح قبلها = إلأا لفتح ما قبلها.

٩٥/٣ س١٠ : الظان زيداً أخاك نفسك = الظان زيداً أخاك أنا.

١٢١/٣ س٨ : (أعطاني وأعطي زيد درهماً)، فلم تتعذر بضمير (الدرهم) = (أعطاني وأعطيت زيداً درهماً)، فلم تحتاج إلى ضمير (الدرهم).

١٤١/٣ س٩ : نسبت إلى أبي عبد الله = نسبت إلىبني عبد الله.

١٤٥/٣ س١ : وللعلاقة = وللعلامة.

١٨٥/٣ س١٣ : اللبن = الشراب.

١٩٥/٣ س٢ : في موضع = في معنى.

١٩٩/٣ س١ : لن ترى = لم ترَ.

٢١٧/٣ س٨ : ويلةً وعولةً = ويله وعوله.

٢٢١/٣ س١١ : الموضع بعدها أمراً أو دعاءً = الموضع لأمرٍ أو دعاءً.

٢٢٦/٣ س٤ : فلو كان الباب واسعاً لكان متصرفاً = فلو كان (البابُ وإسعادُ لكان متصرفاً).

٢٣٩/٣ س٧ : معنى المصدر = موضع المصدر.

٢٤١/٣ س٤ : مختصاً به = مختصاً منه.

٢٧٧/٣ س٥ : الأول والثاني = إلأا والثاني.

٢٧٧/٣ س٨ : ضميره = ضميراه.

٢٨٩/٣ س٧ : قائماً = فإنما.

٢٩٤/٣ س٤ : إصغرها منه = إصغرها منه.

٣٠٣/٣ س٧ : قد علمت أم من أحد هذين = قد علمت أمِنْ أحد هذين.

- ٣٠٦/٣ س٣ : أو يقضيك حُكْمٌ = أو يتَّقِيك بِحُكْمٍ.
- ٣٠٧/٣ س١٣ : والتقدير = والتَّقرير [به].
- ٣٢٢/٣ س٤ : وشية = وثبة.
- ٣٢٦/٣ س١٢ : ضرب = ضَرَبَ.
- ٣٤٢/٣ س١ : والأربع حقيقة عدد = (أربع) حقيقته عدد.
- ٣٦٥/٣ س٦ : وإن ترك إلى حالته = وأن تردد إلى حالته.
- ٤٥٠/٤ س١٨ : (رفع إلى زيد درهم) فيرفع درهم = (دفع إلى زيد درهم)، فترفع الدرّهم.
- ٤١٠٥/٤ س١٠ : وإنما هي قراءة ابن مروان = وإنما قرأه ابن مروان.
- ٤١٠٧/٤ س٩ : فتكون صلة للقسم = فتكون موصلةً للقسم.
- ٤١١٠/٤ س١ : لأنَّ الظُّروف ليس مما ت العمل فيه = لأنَّ الظرف ليس مما ت العمل فيه.
- ٤١١٠/٤ س١٥ : والصَّفة ثُبِّين = والصَّفة تَبَيِّن.
- ٤١٣٢/٤ س١ : جملة (الذِّي) = صلة (الذِّي).
- ٤١٦٧/٤ س١٢ : ولو كان الظُّرف هو الخبر = ولو كان الظُّرف [إنما] هو للخبر.
- ٤١٧٥/٤ س١٢ : ولم يدخلها من المعنى = ولم تدخلها المعاني.
- ٤١٧٦/٤ س٢ : تقول هذا = تقدّر هذا.
- ٤٢٠٥/٤ س٢ : المعرفة = المعرفة.
- ٤٢٠٦/٤ س١ : وذاك، وذاكنَ = وذاكما، وذاكنَ.
- ٤٢١٠/٤ س٣ : وينصب الثاني = وينصب الثالث.
- ٤٢٤٠/٤ س٤ : وإنما = وأمّا.
- ٤٢٥٤/٤ س١٣ : فيها لزيد = فيها لـزيد.
- ٤٢٥٤/٤ س١٦ : لهذا = لهذا.

- ٤/٢٥٤ س ١٧ : لَهذا = لهذا.
- ٤/٢٥٤ س ١٨ : لَزِيد = لزيد.
- ٤/٢٥٤ س ١٩ : لَرِيد = لزيد.
- ٤/٢٦٥ س ١٢ : وَإِنَّمَا = لأنّه إنما.
- ٤/٢٧٠ س ٦ : يَا زِيَادَه = وازيداه.
- ٤/٢٧٢ س ١١ : وَالْغَلَامِيَّ = يا غلاميَّ.
- ٤/٢٧٧ س ٤ : بِإِضَافَتِكَ إِلَيْهِ = بِإِضَافَتِكَ إِلَيَّاهُ.
- ٤/٢٧٩ س ١٠ : وَإِيَّاهَا، وَإِيَّاهُنَّ = وإيّاهما، وإيّاهنَّ.
- ٤/٢٨١ س ٦ : أَيُّهُمَا الْمَخَاطِبُ = أيُّهم يخاطب.
- ٤/٣٠٦ س ٥ : أَعْطَانِي فَأَحْسَبُنِي = أعطاني ما أحسبني.
- ٤/٣١٢ س ٨ : هَنَاءً = هناءً.
- ٤/٣١٢ س ٨ : مَرَأَهُ = مرأً.
- ٤/٣١٤ س ٧ : مَنْطَلِقًا = منطلقان.
- ٤/٣١٤ س ١١ : هَذَا = هذان.
- ٤/٣٥٧ س ٥ : وَإِنَّمَا = ولكن.
- ٤/٣٦٣ س ٣ : مُجْرِي = مجرزي.
- ٤/٣٦٧ س ٦ : مَا لَمْ يُرِدْ = مَنْ لَمْ يَرِدْ.
- ٤/٣٨٨ س ٧ : الْنَفِيُّ = النفي.
- ٤/٣٩٥ س ١٢ : مَسْتَشَنِي = مستشنِ.
- ٤/٤٢٣ س ٩ : لِمَعَارِفٍ = إلى معارف.

\* \* \*

## الخاتمة:

بعد هذه الموازنة بين مطبوعة (المقتضب) وأصلها المخطوط أصل إلى تقرير البون الكبير بينهما، وأنَّ هذه المطبوعة ليست تحقيقاً دقيقاً للمخطوط، فقد وقع فيها جلُّ ما عُرف من عيوب التَّحقيق من سقط، وزيادة، وتصحيف، وتحريف، وتقديم وتأخير، وتغيير في الشَّواهد القرآنية والشِّعرية، وتغيير لضبط الكلمات، وعلامات إعرابها وبنائتها، وزنها، وتبديل بين الكلمات، فيوضع عوض الكلمة الثَّابتة في المخطوط كلمة أخرى مرادفة لها أو قريبة منها، وليس شواهد هذه الأمور قليلة يستقيم أن يتغاضى عنها، بل هي كثيرة جمَّة، لها أثراً كبيراً في فهم النَّص.

ولذا لا يصحُّ أن يرکن إلى هذه الطَّبعة في البحث العلميٌّ، ولا بدَّ من إعادة تحقيق الكتاب تحقيقاً يراعي فيه أصول التَّحقيق المتعارف عليهما، وهذا ما أعمل عليه، أسأل الله العون.

وأقترح في ختام هذا العمل مراجعة جميع كتب العربية المطبوعة خاصةً الأصول منها، وعرضها على مخطوطاتها، ولا يرکن إلى جهود المحققين مهما كانوا علمًا وأمانة، فالعمل البشريُّ مظنة للخطأ والزلل، وهذه المراجعات متتمَّة لأعمال المحققين وشاهدة لها أو عليها، وبذل نصل إلى مصادر أصيلة للعربية يصحُّ أن يعوَّل عليها، ويرکن إليها في البحث العلميٌّ.

## **ثُبَّتُ الْمَصَادِرُ:**

- الإبانة عن معاني القراءات، لعكى بن أبي طالب، تحقيق د. محى الدين رمضان، دار المأمون، دمشق، ١٣٩٩ هـ.
- تفسير غريب ما في كتاب سيبويه من الأبنية، لأبي حاتم السجستاني، تحقيق د. محسن بن سالم العميري، المكتبة التجارية، مكة، ١٤١٤ هـ.
- تفسير المسائل المشكلة في أول المقتضب، لأبي القاسم الفارقي، تحقيق د. سمير أحمد ملوف، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٩٣ م.
- السَّبُعةُ فِي الْقِرَاءَاتِ، لابن مجاهد، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.
- شرح أبنية سيبويه، لابن الدَّهَان، تحقيق د. حسن شاذلي فرهود، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٨ هـ.
- شرح المفصل، لابن يعيش، تحقيق د. إبراهيم محمد عبد الله، دار سعد الدين، دمشق، ١٤٣٤ هـ.
- شوادُّ القرآن، للكرمانى، تحقيق د. الموافى الرفاعي البيلي، المكتبة العصرية، المنصورة، ١٤٣٦ هـ.
- الصّحاحُ، للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٣٩٩ هـ.
- العقد النَّضيدُ في شرح القصيد (من أول سورة الزمر إلى نهاية الكتاب)، للسمين الحلبي، تحقيق عائض بن سعيد القرني، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية، ١٤٣٣ هـ.
- الكامل، للمبرد، تحقيق د. محمد الدَّالِي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣ هـ.
- الكتاب، لسيبوه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨ هـ.



- المبسوط في القراءات العشر، لابن مهران الأصبهاني<sup>١</sup>، تحقيق سُبْع حمزة حاكمي، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، ومؤسسة علوم القرآن - بيروت، ١٤٠٨ هـ.
- المستنير في القراءات العشر، لابن سوار البغدادي<sup>٢</sup>، تحقيق د. عمّار أمين الدّدو، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، ١٤٢٦ هـ.
- المفصل في علم العربية، للزمخشري<sup>٣</sup>، تحقيق د. فخر صالح قدارة، دار عُمَّار، عمّان، ١٤٢٥ هـ.
- المقتصب، للمبرد<sup>٤</sup>، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٩ هـ.
- المقتصب، للمبرد<sup>٥</sup>، مخطوط في مكتبة كوبيريلي في إسطنبول، رقم (١٥٠٧) و(١٥٠٨).
- المنصف شرح كتاب التصريف، لابن جنّي<sup>٦</sup>، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي<sup>٧</sup> وأولاده بمصر، الطبعة الأولى.

\* \* \*

## **List of References:**

### **Works cited**

- al-Asbahani, Ibn Mahran. al-Mabsout fi al-Qera'at al-Ashr. Ed. Subai'e Hamza Hakemi. Jeddah: Dar al-Qeblah for Islamic Culture, & Beirut: Uloum al-Quran Foundation, 1408 AH.
- al-Baghdadi, Ibn Sewar. al-Mustanir fi al-Qera'at al-Ashr. Ed. Ammar Amin ad-dedou. Dubai: Research House for Islamic Studies and Heritage Revival, 1426 AH.
- al-Farqi, Abu al-Qasim. Tafsir al-Masa'il al-Mushkelah fi awwal al-Muqtadhab. Ed. Samir A. Ma'alouf. Cairo: Institute of Arabic Manuscripts, 1993 AD.
- al-Halabi, as-Samin. al-Eqd al-Nadhid fi Sharh al-Qasid (from the beginning of Surat az-Zumor to the end of the book). Ed. Ayedh S. al-Qarni. Ph.D. dissertation, Faculty of Arabic Language, Islamic University, 1433 AH.
- al-Jawhari. as-Sehah. Ed. Ahmad A. Attar. Beirut: Dar al-'Elm li al-Malayin, 1399 AH.
- al-Kermani. Shawath al-Quran. Ed. al-Muwafi R. al-Bili. Mansoura: al-Maktabah al-'Asriyyah, 1436 AH .
- al-Mubarrid. al-Kamel. Ed. Muhammad ad-Dali. Beirut: ar-Resalah Foundation, 1413 AH.
- al-Mubarrid. al-Muqtadhab. Ed. Muhammad A. Ozhaimah. Cairo: Ministry of Awqaf, Supreme Council for Islamic Affairs , 1399 AH.
- al-Mubarrid. al-Muqtadhab. Manuscript in the Kobrieli Library, Istanbul, No. (1507) and (1508.)
- al-Sejestani, Abu Hatem. Tafsir Gharib ma fi Ketab Sibawayh mn al-Abniyah. Ed. Mohsen S. al-Omairi. Makkah: al-Maktabah at-Tejariyyah, 1414 AD.
- az-Zamkhshri. al-Mufassal fi 'Elm al-Arabiyyah. Ed. Fakhr S. Qadarah. Amman: Dar Ammar, 1425 AH.
- Abi Taleb, Makki. al-Ebanah 'an Ma'ani al-Qera'at. Ed. Muhi ad-Din Ramadhan. Damascus: Dar al-Ma'moun, 1399 AH.
- Ibn ad-Dahan. Sharah Abniyat Sibawayh. Ed. Hassan S. Farhoud. Riyadh: Dar al-Uloum, 1408 AH.
- Ibn Jenni. Munsef Sharh Ketab at-Tasrif. Ed. Ibrahim Moustafa and Abdullah Amin. 1st ed. Egypt: Mustafa al-Babi al-Halabi and his Sons Press, 1373 AH.
- Ibn Mujahed. al-Saba'ah fi al-Qera'at. Ed. Shawqi Dhaif. Cairo: Dar al-Ma'aref, 1400 AH.
- Ibn Ya'eish. Sharah al-Mufassal. Ed. Ibrahim M. Abdullah. Damascus: Dar Saad ad-Din, 1434 AH.
- Sibawayh. al-Ketab. Ed. Abdussalam M. Haroun. Cairo: al-Khanji Library, 1408 AH.

\* \* \*



Al-MuqtaDab by Al-Mubarrid:

A Reading in an verification by Muhammad Abdul-Khaliq Udaimah

**Dr. Majid Omar M. Alqarni**

Department of Linguistics

College of Arabic Language

Al-Imam Mohammed Ibn Saud Islamic University

**Abstract:**

Al-MuqtaDab by Al-Mubarrid is considered one of the early important books on Arabic. This paper attempts an evaluative reading of Muhammad Abdul-Khaliq Udaimah edition of Al-MuqtaDab compared to the parallel manuscript, focusing on two questions: first the organization of the Book, and second its authenticity and correctness.

Upon investigation, I have arrived at the following conclusion. The organization of the first and fourth volumes of the book is faulty, and the book, as in print, is not an accurate edition of the manuscript due to the editorial errors in it. The drawbacks include additions and omissions, alterations, forwarding and backgrounding, change in the Quranic and poetry citation, change of morphological forms, change of inflectional affixes and their function, and change of lexical items. All the above have entailed a strong influence on understanding the text.

## **ابن مالك ظاهري النحو**

د. عبدالعزيز بن عبد الرحمن الخثلان  
كلية الآداب - جامعة الملك فيصل



## ابن مالك ظاهري النحو

د. عبدالعزيز بن عبد الرحمن الخثلان

كلية الآداب - جامعة الملك فيصل

تاريخ تقديم البحث: ٢٠/١٢/١٤٣٨ هـ تاريخ قبول البحث: ١٧/٤/١٤٣٩ هـ

### ملخص الدراسة:

يتناول هذا البحث قضية الأخذ بالظاهر في النحو العربي، وهي من القضايا التي لم تأخذ حظّها من الدراسة والتأصيل، رغم اعتماد كثير من العلماء عليها في آرائهم، وتوجيهاتهم، وترجيحاتهم، وقد تناولتها عند شخصية نحوية تعدّ رائدة في هذا الأمر، وهو أبو عبدالله محمد بن مالك، جمال الدين، الطائي، الجياني (ت - ٦٧٢ هـ)، وذلك لقول الإمام الشاطبي عنه في شرح الألفية: "ولا سيما وابن مالك ظاهري النحو في الغالب على ما يظهر من كلامه في تواليه".

فتناول هذا البحث الأخذ بالظاهر عند علماء النحو العربي، معرفاً بمفهوم الظاهر في اللغة، وعند الفقهاء، وعند النحويين، ثم الحديث عنه عند ابن مالك، من خلال ملامح تأثره بالظاهر، ومواضع أخذه بالظاهر، وتوجيهات للحمل على الظاهر، والأصول التي اعتمد عليها في الأخذ بالظاهر.

وسار هذا البحث وفق المنهج الاستقرائي الوصفي، المتخد من التحليل وسيلة للوصول إلى الأهداف المبتغاة.

الكلمات المفتاحية: ابن مالك، النحو، الظاهر، المذهب الظاهري، التأويل.



## المقدمة:

يعد القياس أبرز سمات النحو العربي؛ فهو أحد أدلة النحو: السمع، والإجماع، والقياس، والاستصحاب<sup>(١)</sup>. بل إن النحو لا يتصور من غير قياس؛ لأن النحو كله قياس، ولهذا قيل في حده: النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو، ولا يعلم أحد من العلماء أنكره؛ لثبوته بالدلالة القاطعة<sup>(٢)</sup>.

ولأهمية يرى ابن جني: "أن مسألة واحدة من القياس، أبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون الناس"<sup>(٣)</sup>.

والقياس من أدلة أصول الفقه -أيضاً - عند جمهور العلماء، وخالف في ذلك أهل الظاهر، وهم من تبني المذهب الظاهري، وهو مذهب يقوم على أن المصدر هو ظواهر النصوص من الكتاب والسنة، فلا رأي ولا إعمال للعقل في حكم من أحكام الشرع. فليس في هذا المذهب قياس.

وقد لفت نظري قول الإمام الشاطبي في شرحه على ألفية ابن مالك المسمى (المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية) عن ابن مالك: "ولا سيما وابن مالك ظاهري النحو في الغالب على ما يظهر من كلامه في تواлиفة"<sup>(٤)</sup>.

وقال عنه أيضاً: "لا سيما وهو في نحوه متبع للسماع، ظاهري المذهب فيه"<sup>(٥)</sup>.

فهل هناك مذهب ظاهري في النحو؟ وهل ابن مالك ظاهري النحو؟

(١) ينظر: الاقتراح في أصول النحو وجده. ص ٢٦.

(٢) لمع الأدلة في أصول النحو، الإغراب في جدل الإعراب. ص ٩٥.

(٣) الخصائص. ٩٠/٢.

(٤) المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية. ١/٣٦.

(٥) المقاصد الشافية. ٩/٢٦٢.

ووُجِدَتْ فِي ترجمة ابن مالك أَنَّه يُمِيلُ إِلَى أَهْلِ الظَّاهِرِ فِي الْفَقْهِ، كَمَا قَالَ ذَلِكَ ابْنُ قاضِي شَهْبَةَ فِي طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ فِي ترجمةِ ابْنِ مَالِكٍ حِيثُ قَالَ: "قَرَأَ الْفَقْهَ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، وَكَانَ يُمِيلُ إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الظَّاهِرِ"<sup>(١)</sup>. فَهَلْ أَثْرَ هَذَا الْمَيْلِ إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الظَّاهِرِ الْفَقِهِيِّ فِي آرَائِهِ النَّحْوِيَّةِ؟

مِنْ هَنَا جَاءَ هَذَا الْبَحْثُ لِيَقْفَ عَلَى حَقِيقَةِ الْمَذْهَبِ النَّحْوِيِّ الظَّاهِرِيِّ، وَتَحْقِيقَ كَوْنِ ابْنِ مَالِكٍ أَحَدَ أَعْلَامِهِ.

وَبِنَاءً عَلَى مَا نَقْدَمُ فَإِنَّ مَشْكُلَةَ هَذَا الْبَحْثِ تَكْمِنُ فِي السُّؤَالِ الْآتِيِّ: هَلْ ابْنُ مَالِكَ ظَاهِرِيٌّ فِي النَّحْوِ؟

وَيَكِنُ أَنْ نَصِلَ إِلَى إِجَابَةِ وَاضْحَىَّ عَنْ هَذِهِ الإِشْكَالِيَّةِ مِنْ خَلَالِ تَقْسِيمِهِ إِلَى الأَسْئِلَةِ الْآتِيَّةِ:

- ما معنى المذهب الظاهري النحویّ؟
- هل اعتمد علماء النحو على الظاهر في استدلالاتهم؟
- ما معالم الظاهريّة في آراء ابن مالك؟

وَلِأَجْلِ الْوَصْوَلِ إِلَى نَتَائِجِ مَرْضِيَّةِ عَنْ هَذِهِ الإِشْكَالِيَّةِ، اسْتَعْنَتْ بِاللَّهِ، وَاتَّبَعَتِ الْمَنْهَجُ الْاسْتَقْرَائِيِّ الْوَصْفِيِّ، الْمُتَخَذِّ مِنَ التَّحْلِيلِ وَسَيْلَةً لِلْوَصْوَلِ إِلَى الْأَهْدَافِ الْمُبَتَغاَةِ.

وَجَاءَ الْبَحْثُ فِي تَمَهِيدِهِ، وَمَبْحَثِيهِ، وَخَاتَمَهُ. أَمَّا التَّمَهِيدُ فَتَحْدَثَتْ فِيهِ عَنْ تَعْرِيفِ الظَّاهِرِيَّةِ، وَأَمَّا الْبَحْثُ الْأَوَّلُ فَتَحْدَثَتْ فِيهِ عَنِ الْاسْتِدْلَالِ بِالظَّاهِرِ عَنِ النَّحَّاءِ، وَأَمَّا الْبَحْثُ الثَّانِي فَجَعَلَتْهُ لِلْحَدِيثِ عَنِ ظَاهِرِيَّةِ ابْنِ مَالِكٍ. وَرَصَدَتْ فِي الْخَاتَمِ النَّتَائِجُ الَّتِي تَوَصَّلَتْ إِلَيْهَا الْبَحْثُ.

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى. ٢/١٥٠.

وقد انتهت في البحث ما يأتي :

- لم أخرج الأبيات الشعرية؛ لأنها مخرجة في الكتب التي نقلت منها، فلم أر حاجة إلى إعادة تخرجها.
- لم أترجم للعلماء؛ لأنهم مشهورون عدا ترجمة داود الظاهري، وابن حزم؛ لأن البحث اقتضى ذلك.

وفي العموم لم أوجه الحديث إلى النصوص المنشورة؛ لأن البحث ليس في مسائلها، واكتفيت بالإحالة إلى مصادرها، وهي كتب محققة ومخدومة، وأيضاً فأغلب الشواهد موجودة في كثير من كتب النحو، وخاصة شروح مؤلفات ابن مالك، وهي في متناول الجميع.

#### التمهيد :

#### تعريف الظاهرية :

لغة: الظاء، والهار، والراء (ظهر)، تدل على أصل واحد بمعنى القوة والبروز وهو خلاف الباطن<sup>(١)</sup>، والظاهر: "هو اسم لكلام ظهر المراد منه للسامع بنفس الصيغة، ويكون محتملاً للتأويل والتخصيص، أو ما ظهر المراد منه للسامع بنفس الكلام، كقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، قوله تعالى: {فَإِنَّكُحُوا مَا طَابَ لَكُمْ} [النساء: ٣]، وضده، الخفي، وهو ما لا ينال المراد إلا بالطلب كقوله تعالى: ﴿وَحَرَمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٥٧]<sup>(٢)</sup>. وفي الحديث المرسل عن الحسن، يرفعه إلى النبي - قال: ((ما نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ آيَةٌ إِلَّا لَهَا ظَهَرٌ وَبَطْنٌ، وَلِكُلِّ حَرْفٍ حَدٌ، وَلِكُلِّ حَدٍ مَطْلَعٌ))<sup>(٣)</sup>، قيل: ظهرها لفظها، وبطنه معناها<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة. ٤٧١/٣ ، لسان العرب. ٤/٥٢٠.

(٢) كتاب التعريفات. ص ٤٣ . ١

(٣) شرح السنة. ١/٢٦٢ .

## اصطلاحاً:

الظاهريّة في الاصطلاح، لا يوجد إلّا في علم الفقه وأصوله، وهي مدرسة تعنى بظاهر اللفظ، دون البحث عن عنته أو تأويله، "وسمُوا بالظاهريّة لأنهم يأخذون بظواهر النصوص الشرعية، ويرفضون استنباط العلل"<sup>(٢)</sup>، وأول ظهورها كان في الفقه الإسلامي، على يد مؤسّسها الإمام داود الظاهري (ت ٢٧٠ هـ)، وقد ظهر في مقابلة مدرسة الرأي، التي تعنى بالقياس، وتهمل النصوص، وإليك نبذة عن المذهب الظاهري الفقهي.

**المذهب الظاهري في الفقه**<sup>(٣)</sup>: يعد المذهب الظاهري من المذاهب الفقهية الإسلامية، وأول من قال به هو أبو سليمان داود بن علي، المعروف بدواود

(١) انظر: فضائل القرآن. ص ٩٧ ، الفائق في غريب الحديث. ٣٨١/٢ ، النهاية في غريب الحديث والأثر. ٣٦٤/٣.

(٢) معجم لغة الفقهاء. ص ٢٩٥ . وانظر: تاج العروس من جواهر القاموس. ٤٤٩/١٢

(٣) للمزيد عن المذهب الظاهري، ومؤسسه ورجاله، يُنظر:

- المدخل إلى الشريعة والفقه الإسلامي. ص ١٩٦ .
- تاريخ التشريع الإسلامي. ص ٢٢٧ .
- مقدمة في دراسة الفقه الإسلامي. ص ١٨٥ .
- المدخل للدراسة الفقه الإسلامي تطوره مدارسه مصادره قواعده نظرياته. ص ١٦٣ .
- المدخل في الفقه الإسلامي تعريفه وتاريخه ومذاهبه نظرية الملكية والعقد. ص ٢٠٦ .
- المدخل للفقه الإسلامي تاريخه مصادره نظرياته. ص ١٥٩ .
- المدخل الوسيط لدراسة الشريعة الإسلامية والفقه والتشريع. ص ١١٧ .

الظاهري (ت - ٢٧٠ هـ)<sup>(١)</sup>، وأظهر علمائه هو الإمام ابن حزم الظاهري،  
أبو محمد علي بن أحمد (٤٥٦ هـ)<sup>(٢)</sup>.

(١) داود الظاهري هو: داود بن عليّ بن خلف أبو سليمان الفقيه الأصبهاني ولد بالكوفة سنة (٢٠٢ هـ). رحل إلى نيسابور في طلب العلم؛ فأخذ عن إسحاق بن راهويه، وأبي ثور، وسليمان بن حرب، وكان زاهداً متقللاً. قال أبو بكر الخطيب: كان إماماً ورعاً ناسكاً زاهداً. وفي كتبه حديث كثير. لكن الرواية عنه عزيزة جداً، وقال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب: كان داود عقله أكثر من علمه. وقيل إنه كان في مجلسه أربعمائة صاحب طيسان أخضر. كان أول أمره على مذهب الشافعي، وكان من المتعصبين له، وصنف كتابين في فضائله والثناه عليه، ثم أسس المذهب الظاهري القائم على الأخذ بظواهر نصوص الكتاب والسنة، ورفض التأويل والقياس والرأي، له عدة مؤلفات منها: كتاب إبطال القياس، وكتاب خبر الواحد، وكتاب الخصوص والعموم. توفي - - في ذي القعدة سنة سبعين ومائتين، في بغداد.

انظر ترجمته في: تاريخ بغداد. ٣٤٢ / ٩. وطبقات الفقهاء. ص ٩٢. ووفيات الأعيان وأئمّة أبناء الزمان. ٢٥٩ / ٤. وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. ٣٢٧ / ٦. وطبقات الشافعية الكبرى. ٢٨٤ / ٢. والأعلام. ٣٣٣ / ٢.

(٢) ابن حزم الظاهري هو: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن معدان بن سفيان بن يزيد، أبو محمد، أصله من فارس، ومولده بقرطبة من بلاد الأندلس. وكان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة بعد أن كان شافعياً المذهب، فانتقل إلى مذهب أهل الظاهر، وكان متفتناً في علوم جمة، عملاً بعلمه، زاهداً في الدنيا، متواضعًا ذا فضائل جمة، وكان أدبياً شاعراً طيباً له في الطبر رسائل، وكتب في الأدب، ومن أشهر مؤلفاته: إبطال القياس والرأي، الإجماع ومسائله على أبواب الفقه، الأحكام لأصول الأحكام، الأصول والفروع، إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك مما لا يحتمل

ويقوم المذهب الظاهري على رفض القياس، وأن الأحكام تؤخذ من ظاهر نصوص الكتاب والسنة، ولا يصح إعمال العقل في الأحكام، فهو لا يلتفت إلى الأخذ بالصالح، أو النظر إلى المقاصد، أو مراعاة المعانى التي من أجلها جاءت الأحكام.

يقول ابن حزم الظاهري بعد أن ذكر أقسام القياس: "فهذه أقسام القياس عند المتحذلقين القائلين به. وذهب أصحاب الظاهر إلى إبطال القول بالقياس في الدين جملة، وقالوا: لا يجوز الحكم بتة في شيء من الأشياء كلها إلا بنص كلام الله تعالى، أو نص كلام النبي ﷺ - أو بما صح عنه ﷺ - من فعل، أو إقرار، أو إجماع من جميع علماء الأمة كلها متىقн أنه قاله كل واحد منهم دون مخالف من أحد منهم، أو بدليل من النص، أو من الإجماع المذكور الذي لا يحتمل إلا وجهاً واحداً، والإجماع عند هؤلاء راجع إلى توقيف من رسول الله ﷺ - ولا بد، فلا يجوز غير ذلك أصلاً. وهذا هو قولنا الذي ندين الله به، ونسأله عَزَّوَجَلَّ - أن يثبتنا فيه، ويحيتنا عليه بمنه ورحمته آمين" <sup>(١)</sup>.

فالذهب الظاهري هو المذهب الذي يقرر أن المصدر الوحيد للأحكام الفقهية هو النصوص من قرآن وسنة، ولا مجال للرأي في هذا المذهب؛ ولهذا

---

التأويل، الإعراب، التقريب لحد المنطق، ديوان شعر، رسالة في الأخلاق، رسائل ابن حزم، طوق الحمام، الفصل في الملل في الأهواء والنحل، المحلي، مداواة النفوس، مراتب العلوم، وغيرها. توفي -رحمه الله- سنة ٤٥٦هـ.

انظر ترجمته في: معجم الأدباء. ٤/١٦٥٠. ووفيات الأعيان. ٣٢٥/٣. وسير أعلام النبلاء. ١٨٤/١٨. والوافي بالوفيات. ٩٣/٢٠. والأعلام. ٢٥٤/٤.

(١) الأحكام في أصول الأحكام. ٥٥/٥ - ٥٦.

نفي المعتقدون لهذا المذهب الأخذ بالقياس، والاستحسان، والمصالح المرسلة، والذرائع؛ لأنهم إذا لم يسعفهم النص من كتاب وسنة في بناء الحكم أخذوا بحكم الاستصحاب، وهو الإباحة الأصلية من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ [البقرة: ٢٩]، ولهذا كانت الغالبية العظمى من الفروع الفقهية تختلف كثيراً عمّا قاله جمهور الفقهاء<sup>(١)</sup>.

والذهب الظاهري رد فعل على إيفال أهل الرأي في القياس، وتقديمه على النصوص، "لقد رأى أهل الظاهر ما جناه الرأي على النصوص الشرعية بحيث قدم الرأي على النص في كثير من الأحكام، بسبب إهمال النصوص حفظاً وفقهاً ودراسة، فكان موقف داود رد فعل للذين تطرفوا بالأخذ بالرأي، فجاء موقفه تطرفاً في الجانب الآخر، فمنع الأخذ بالقياس، وقال بعدم تعليل النصوص، وقصر منهجه على الأخذ بظاهر النصوص"<sup>(٢)</sup>.

والذهب الظاهري يقف عند النص والأثر، بل لا يبحث عن علل الأحكام، وإنما يقف عند ظاهر النص، فمثلاً روي عن حذيفة -رض- عن الرسول -صلوات الله عليه- أنه قال: ((لَا تَشْرُبُوا فِي آنِيَةِ الْذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ))<sup>(٣)</sup>. فالظاهيرية لا يبحثون عن علة هذا النهي، وإنما يحرمون استعمالها للشرب فقط دون أي شيء آخر<sup>(٤)</sup>.

(١) المدخل الوسيط لدراسة الشريعة الإسلامية والفقه والتشريع. ص ١١٧.

(٢) المدخل إلى الشريعة والفقه الإسلامي. ص ١٩٧.

(٣) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -ص- وسننه وأيامه. ١١٣/٧.

(٤) المدخل للفقه الإسلامي تاريخه مصادر نظرياته. ص ١٦٠.

هذا مذهب الظاهريّة في الفقه وأصوله، أمّا في اللغة فلم أر من ذكر أن هناك مذهبًا ظاهريًّا فيما اطلعت عليه، إلا ما أشار إليه الإمام الشاطبي (ت - ٧٩٠ هـ) في شرحه على ألفية ابن مالك، من أن ابنَ مالك ظاهري النحوي بقوله: "ولا سيما وابن مالك ظاهري النحو في الغالب على ما يظهر من كلامه في تواлиفة"<sup>(١)</sup>، و قوله: "لا سيما وهو في نحوه متبع للسماع، ظاهري المذهب فيه"<sup>(٢)</sup>.

### **المبحث الأول: المذهب الظاهري في النحو**

إذا كان المذهب الظاهري يقتضي نفي القياس؛ فإنه أبعد ما يكون عن النحوين؛ إذ "النحو علم قياسي"<sup>(٣)</sup>، ولذلك عُرف النحو بأنه "علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصولة إلى معرفة أحكام أجزاءه التي اختلف منها"<sup>(٤)</sup>، أو هو "علم بأقيسة تغيير ذوات الكلم وأواخرها بالنسبة إلى لغة لسان العرب"<sup>(٥)</sup>، فلا يتصور النحو دون قياس؛ لأن الكلام كله يبنى على قياس كلام العرب، لأجل هذا وضع ابن جني في كتابه الخصائص بباب سماه "باب في أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب"، ونقل فيه كلام أبي عثمان المازني (ت ٢٤٨ هـ): "ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب؛ ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا

(١) المقاصد الشافية. ٣٦/١.

(٢) المقاصد الشافية. ٢٦٢/٩.

(٣) الإيضاح في علل النحو. ص ٤١.

(٤) المقرب. ٤٥/١.

(٥) هذا تعريف محمد بن يحيى بن هشام الأننصاري الخزرجي الأندلسي (ت ٦٤٦ هـ) كما ذكره السيوطي في الاقتراح في أصول النحو وجده. ص ١٢٧.

مفعول ، وإنما سمعت البعض فقسّت عليه غيره. فإذا سمعت : قَامَ زَيْدٌ، أَجَزْتَ : ظَرْفَ يُشْرُّ، وَكَرْمَ خَالِدٌ<sup>(١)</sup>. وفي هذا يقول الكسائي عَلَيْ بْنَ حَمْزَةَ (ت - ١٨٩ هـ)<sup>(٢)</sup> :

إِنَّمَا النَّحْوُ قِيَاسٌ يُتَبَعُ      وَبِهِ فِي كُلِّ عِلْمٍ يُتَنَقَّعُ

ولأجل هذا اعتنى النحاة بالقياس ، وأقاموا عليه قواعدهم التحوية ، والحديث عن القياس هو الحديث عن النحو ، وليس هو القصد هنا ، وإنما المراد أن الظاهر عند النحاة لا بدّ أن يكون غير الظاهر عند الفقهاء ؛ لأن الظاهر عند الفقهاء كما مرّ هو ترك العمل بالقياس ، والنحو لا يتصور دون قياس .

إذن ماذا يقصد بالظاهر عن النحويين ؟

### مفهوم الظاهر عند النحويين

يعد الحمل على الظاهر أبرز وجوه التأويل ؛ لأن الأصل "العمل على الظاهر لا على المحتمل"<sup>(٣)</sup> ، ولأن "التأويل خلاف الظاهر"<sup>(٤)</sup> ، فلذلك بَوْبَ ابن جني في الخصائص باباً بعنوان : باب في الحمل على الظاهر ، وإن أمكن أن يكون المراد غيره ، قال فيه : "اعلم أن المذهب هو هذا الذي ذكرناه ، والعمل عليه ، والوصية به. فإذا شاهدت ظاهراً يكون مثله أصلاً أمضيت الحكم على ما شاهدته من حالة ، وإن أمكن أن تكون الحال في باطنها بخلافه ؛ ألا ترى أن سبيوبيه حمل سيداً على أنه مما عينه ياء فقال في تحقيره : سيد ، كديك ودييك ، وفييل وفييل. وذلك أن عين الفعل لا ينكر أن تكون ياء ، وقد

(١) الخصائص . ٣٥٨ / ١.

(٢) إنباه الرواة على أنباء النحاة . ٢٦٧ / ٢.

(٣) الخصائص . ٦٥ / ٢.

(٤) انظر : توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك . ٨٤٨ / ٢ ، وشرح

الأشموني على ألفية ابن مالك . ٢١٢ / ٢.

وُجِدَتْ فِي سَيِّدِيَاءَ، فَهِيَ فِي ظَاهِرِ أَمْرِهَا إِلَى أَنْ يَرِدَ مَا يَسْتَنِذِلُ عَنْ بَادِي  
حَالِهَا<sup>(١)</sup>.

وَعَدَ الشَّاطِبِيُّ الْحَمْلَ عَلَى الظَّاهِرِ قَاعِدَةً مِنْ قَوَاعِدِ سَيِّبُوِيَّهُ<sup>(٢)</sup>، وَأَصْلًا  
يُرْجَعُ إِلَيْهِ تَحْمِيلًا مِنْ تَكْلِيفِ التَّأْوِيلِ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ<sup>(٣)</sup>؛ فَهُوَ أَصْلُ مِنْ  
أَصْوَلِ الْعَرَبِيَّةِ<sup>(٤)</sup>؛ لِأَنَّ "الْقَاعِدَةَ الْحَمْلَ عَلَى الظَّاهِرِ، وَالْوُقُوفُ مَعَهُ حَتَّى يَدْلِي  
دَلِيلٌ عَلَى خَلَافَهُ، وَإِنْ أَمْكَنَ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَصْارَ إِلَيْهِ بِمَجْرِدِ الْإِمْكَانِ مِنْ غَيْرِ  
دَلِيلٍ<sup>(٥)</sup>.

وَعِنْدَ تَبْيَانِ أَقْوَالِ عُلَمَاءِ النَّحْوِ وَآرَاءِهِمْ، نَجْهَمُ يُشَيرُونَ إِلَى الظَّاهِرِ،  
وَيُرْجِحُونَ بِهِ بَعْضَ الْمَسَائِلِ الْخَلَافِيَّةِ، وَهُمْ يَعْنُونَ بِهِ ظَاهِرَ الْلَّفْظِ دُونَ تَأْوِيلِهِ،  
فَالظَّاهِرُ عِنْدَهُمْ هُوَ عَدَمُ تَأْوِيلِ النَّصِّ، بَلِ الْأَخْذُ بِظَاهِرِهِ مَا أَمْكَنَ ذَلِكَ؛  
يَقُولُ أَبُو حَيَانُ(ت - ٧٤٥هـ) : "إِنَّهُ مَتَى أَمْكَنَ حَمْلُ الشَّيْءِ عَلَى ظَاهِرِهِ،  
أَوْ عَلَى قَرِيبِهِ مِنْ ظَاهِرِهِ، كَانَ أَوْلَى مِنْ حَمْلِهِ عَلَى مَا لَا يَشْمَلُهُ الْعُقْلُ، أَوْ  
عَلَى مَا يَخْالِفُ الظَّاهِرَ جَمْلَةً<sup>(٦)</sup>. فَلَا يَصْارُ إِلَى التَّأْوِيلِ إِلَّا" مَعَ عَدَمِ الظَّاهِرِ فَأَمَّا  
وَالظَّاهِرُ مَعَكَ فَلَا مَعْدُلُ عَنْهُ بِكَ. لَكِنَّ - لِعُمْرِي - إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَكَ ظَاهِرٌ  
احْتَاجَتْ إِلَى التَّعْدِيلِ وَالْحَكْمِ بِالْأَلْقِيقِ، وَالْحَمْلُ عَلَى الْأَكْثَرِ<sup>(٧)</sup>.

(١)الخصائص. ٢٥٢/١.

(٢)انظر المقاصد الشافية: ٣٣/٢، ٢٤٤، ٢٤٥-٢٥٩/٣، ٥٨٧، ١٨٦/٦، ٢٣٠، ٢٣/٩.

(٣)المقاصد الشافية. ١٢٤/٥.

(٤)المقاصد الشافية. ١٨٦/٦.

(٥)المقاصد الشافية. ٤٢٠/٩.

(٦)البحر المحيط. ٦٤/٥.

(٧)الخصائص. ٢٥٣/١ - ٢٥٤.

وجعل العلماء مدلول الظاهر، أولى من تأويله، وبه رجحوا بعض ما وقع فيه الخلاف، ورددوا بعض الآراء لمخالفتها الظاهر؛ لأنه "لا عدول عن الظاهر بلا دليل"<sup>(١)</sup>؛ لذا رجح أبو البركات الأنباري (ت - ٥٧٧هـ) أن (كي) حرف جر بمعنى اللام، لأنه لا فرق في الظاهر بين قولك: **جيئُكَ كَيْ تُكْرِمَنِي**، وبين قولك: **جيئُكَ لِتُكْرِمَنِي**<sup>(٢)</sup>. وهذا يدل على "قوة الأخذ بالظاهر عندهم، وأنه مكين القدم راسيها في أنفسهم"<sup>(٣)</sup>.

ولأن الظاهر خلاف التأويل، فقد صار التوكيد تأكيداً للظاهر، ورفعاً لتوهم المجاز، يقول ابن هشام (ت - ٧٦١هـ): "النفس والعين، ويؤكد بهما؛ لرفع المجاز عن الذات، تقول: جاءَ الْخَلِيفَةُ، فيحتمل أن الجائي خبره أو ثقله، فإذا أكدت بالنفس أو بالعين أو بهما؛ ارتفع ذلك الاحتمال"<sup>(٤)</sup>، ويعلق الشيخ خالد الأزهري (ت - ٩٠٥هـ) على كلام ابن هشام بقوله: "إذا أكدت بـ(النفس) فقط، أو بـ(العين) فقط، أو بهما معاً بشرط تقديم (النفس)، فقلت: جاءَ الْخَلِيفَةُ نَفْسُهُ، أو عَيْنُهُ أو نَفْسُهُ عَيْنُهُ، ارتفع ذلك الاحتمال عن الذات، وصار الكلام نصاً على ما هو الظاهر منه، وارتفاع المجاز وثبتت الحقيقة"<sup>(٥)</sup>.

(١) الجنى الداني في حروف المعاني. ص ٥٣٨ - ٥٣٩.

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف. ٤٦٧/٢. قال: "والذي يدل على أنها بمنزلة اللام أنها في معنى اللام، ألا ترى أنه لا فرق بين قولك: **جيئُكَ كَيْ تُكْرِمَنِي**، وبين قولك: **جيئُكَ لِتُكْرِمَنِي**، وإذا كانا بمعنى واحد فلا معنى لترك الظاهر لشيء لم يقم عليه دليل؛ فدل على أنها تكون حرف جر كما تكون حرف نصب".

(٣) الخصائص. ٢٥٥/١.

(٤) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. ٣/٢٩٣.

(٥) التصریح بضمون التوضیح. ٢/١٣٢.

والمرادي (ت ٧٤٩هـ) يجعل الحمل على الظاهر في جواز الإتباع على المحل أولى من التأويل، حيث يقول: "ظاهر كلام المصنف جواز الإتباع على المحل في جميع التوابع، وهو مذهب الكوفيين، وطائفة من البصريين، وذهب سيبويه ومن وافقه من أهل البصرة إلى أنه لا يجوز الإتباع على المحل، وفصل أبو عمرو فأجاز في العطف والبدل، ومنع في التوكيد والنعت، والظاهر الجواز لورود السماع، والتأويل خلاف الظاهر"<sup>(١)</sup>.

وبالظاهر استدل قطرب (ت ٢٠٦هـ)<sup>(٢)</sup> على مجيء (من) لغير العاقل، يقول السيوطي (ت ٩١١هـ): "وَزَعْمَ قَوْمٍ مِّنْهُمْ قَطْرَبٌ وَقُوَّعٌ (مَنْ) عَلَى غَيْرِ مَنْ يَعْقُلُ دُونَ اشْتِرَاطٍ أَخْذًا مِّنْ ظَاهِرٍ مَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ"<sup>(٣)</sup>. وبالظاهر أيضاً استدل الشيخ خالد الأزهري (ت ٩٥٠هـ) على أن (لا) العاملة عمل (ليس) تحمل على نفي الجنس؛ لأن الظاهر أن النكرة بعد النفي تدل على نفي العموم، قال: "والحاصل أن (لا) إذا عملت عمل (ليس) احتمل نفي الواحد، ونفي الجنس وهو الظاهر؛ لأن النكرة في سياق النفي تعم، فإذا أردت نفي الواحد ميّزته بقولك عقبه: بل رجلان، وإذا أردت نفي الجنس لم تعقبه بشيء، بل لا يجوز أن تقول بعده: بل رجالان"<sup>(٤)</sup>.

(١) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك. ٨٤٨/٢.

(٢) انظر رأي قطرب في: شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب. ٥٥/٣، وتوضيح المقاصد. ٤٢٩/١، وهمع الهوامع في شرح جمع الجواب. ٣٥١/١.

(٣) همع الهوامع في شرح جمع الجواب. ٣٥١/١.

(٤) التصريح بضمون التوضيح. ٣٣٨/١.

ما سبق يتضح لنا أن مفهوم الظاهر عند النحاة، هو حمل النص على ظاهر دون تأويل؛ لأنهم يرون "قوة اعتقاد العرب في الحمل على الظاهر ما لم ينبع منه مانع"<sup>(١)</sup>.

وحجتهم فيه:

- أن مدلول الظاهر أولى من مدلول التأويل.
- أن التأويل خلاف الأصل؛ لأن الأصل أن يحمل الكلام على ظاهره.
- لا يترك الظاهر من غير دليل.
- متى أمكن حمل الشيء على ظاهره، أو على قريب من ظاهره، كان أولى من حمله على ما لا يشمله العقل، أو على ما يخالف الظاهر جملة.

#### المبحث الثاني: ابن مالك الظاهري

يعد الإمام الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) أول من أشار إلى أن ابن مالك ينحو نحو الظاهرية، وذلك خلال ثنائه عليه، والشهادة له بالإمام والاجتهاد، قال: "وذلك أن ابن مالك بنى في هذا العلم على الاجتهاد، ولم يخلد فيه إلى حضيض التقليد، فتراء موافقاً للكوفيين حرباً على البصريين تارةً، وتارةً موافقاً للبصريين مخالفًا لمن عداهم، فعل المجتهدين المبرزين". وهو الواجب على من بلغ رتبة الاجتهاد، لامتناع التقليد عليه عند جمهور الأصوليين. وابن مالك مشهود له بالإمامية والتبريز في هذا العلم، فبحق ما اتبع اجتهاده، ولم يتبع قول غيره بغير دليل، إلا أنه في العربية ينحو نحو الظاهرية، ولا يحکم القیاس تحکیم غيره، فهذه طریقته<sup>(٢)</sup>. فهذه الشهادة من إمام عالم أصولي فقيه نحوی، قد سبر النحو والفقه وأصولهما، عالم بمکانة ابن مالك، وآرائه، واجتهاداتـه، فكان قوله فيه معتمداً به، وقد أکد هذا في مواضع من

(١) الخصائص. ٢٥٦/١.

(٢) المقاصد الشافية. ١٧١/٢.

شرحه للألفية، سواء بالنص على نسبته للظاهرية النحوية، كما في قول: "ولا سيما وابن مالك ظاهري النحو في الغالب على ما يظهر من كلامه في تواليفه"<sup>(١)</sup>، قوله: "الاعتماد على الظاهر والحمل عليه - وإن أمكن غيره - هو مذهب ابن مالك في عربته"<sup>(٢)</sup>، قوله: "لا سيما وهو في نحوه متبع للسماع، ظاهري المذهب فيه"<sup>(٣)</sup>، وأنه يميل إلى ترجيح الظاهر عند التعارض كما نصّ على ذلك عند شرحه مجيء (من) الجارة لبيان الجنس، قال: "إذا تعارضت القاعدتان وجب الرجوع إلى الترجيح، فمال الناظم إلى ترجح قاعدة الظاهر، وما لا يندرج تحتها إلى ترجح قاعدة تقليل الأوضاع"<sup>(٤)</sup>، وأنه يقف مع ظاهر المعنى بناء على قاعدة سيبويه وغيره من الحمل على الظاهر. وإن أمكن أن يكون المراد غيره<sup>(٥)</sup>، وأنه متبع للظاهر، غير متعمق في القياس النظري<sup>(٦)</sup>.

وقد علل اعتماد ابن مالك الأخذ بالظاهر؛ أنه "من أصول العربية التي اعتمدتها ابن مالك، وأخذها بكلتا يديه"<sup>(٧)</sup>، ولأن "الحمل على الظاهر هو الأصل، حتى يدل دليل على خلافه"<sup>(٨)</sup>.

(١) المقاصد الشافية. ٣٦/١.

(٢) المقاصد الشافية. ٣٣/٢.

(٣) المقاصد الشافية. ٢٦٢/٩.

(٤) المقاصد الشافية. ٥٨٧/٣.

(٥) المقاصد الشافية. ٥٨٧/٣.

(٦) المقاصد الشافية. ١٢٤/٥.

(٧) المقاصد الشافية. ٣٣٢/٥.

(٨) المقاصد الشافية. ٣٦٤/٥.

إِنَّ الْمُتَبَعَ لِآرَاءِ ابْنِ مَالِكٍ يَجِدُ أَنَّهُ يَمْيلُ إِلَى الْأَخْذِ بِالظَّاهِرِ فِي أَحْكَامِهِ وَتَرْجِيحَاتِهِ، وَهَذَا مَا لَمْ سَهُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ جَاؤُوا مِنْ بَعْدِهِ، وَاعْتَنُوا بِالْمُؤْلِفَاتِ، فَأَبُو حِيَانِيرِي أَنَّ ابْنَ مَالِكٍ<sup>(١)</sup> يَنْعِي مَجِيءَ (صَرَبَ) بِعَنْتِي (صَيَّرَ)، مُسْتَدِلاً بِظَاهِرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صَرَبَ مَثَلٌ فَاسْتَمْعُوا لَهُ﴾ [الْحَجَّ: ٧٣]، وَالتَّأْوِيلُ مُمْكِنٌ، لَكِنَّ ابْنَ مَالِكٍ اسْتَدَلَ بِالظَّاهِرِ وَلَمْ يُؤْولْهُ، قَالَ أَبُو حِيَانَ: "وَهَذَا اسْتَدْلَالٌ ظَاهِرٌ، وَيَكِنْ تَأْوِيلُهُ عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمَفْعُولُ حَذْفُ لَدْلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ، أَيْ: صَرَبَ مَثَلَ مَا يُذَكَّرُ، وَيَدِلُ عَلَيْهِ ﴿فَاسْتَمْعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ الْآيَةُ [الْحَجَّ: ٧٣]<sup>(٢)</sup>.

وَالشِّيخُ خَالِدُ الْأَزْهَرِيُّ (ت ٩٠٥ هـ) يَفْهَمُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ لَا يَرِي تَقْدِيرَ التَّغْيِيرِ فِي جَمْعِ (صِنْوَانٍ) عَلَى (صِنْوَانٍ)<sup>(٣)</sup>؛ لِأَنَّ ظَاهِرَ الْلَّفْظِ لَا تَغْيِيرُ فِيهِ، وَلَا يَحْتَاجُ أَنْ يَقْدِرُ؛ إِذْ يَكِنْ أَنْ يَجْعَلُ التَّغْيِيرَ بِالْزِيَادَةِ فَقَطُّ، وَيَجِيبُ بِهِذَا عَنْ اعْتِرَاضِ الْمَرَادِيِّ عَلَى ابْنِ مَالِكٍ، فَقَدْ ذَكَرَ اعْتِرَاضَ الْمَرَادِيِّ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ تَقْسِيمَ ابْنِ مَالِكٍ لِلْجَمْعِ، قَالَ: "هَذَا تَقْسِيمُ ابْنِ مَالِكٍ، وَاعْتَرَضَ بِأَنَّهُ لَا تَحْرِيرُ فِيهَا، لِأَنَّ (صِنْوَانٍ) مِنْ بَابِ زِيَادَةِ وَتَبْدِيلِ شَكْلٍ. وَ(تُخَمُّ) مِنْ بَابِ نَقْصٍ وَتَبْدِيلِ شَكْلٍ؛ لِأَنَّ الْحَرْكَاتِ الَّتِي فِي الْجَمْعِ غَيْرُ الْحَرْكَاتِ الَّتِي فِي الْمَفْرَدِ.

(١) شَرْحُ التَّسْهِيلِ. ٨٥/٢.

(٢) التَّذْكِيرُ وَالْتَّكْمِيلُ فِي شَرْحِ التَّسْهِيلِ. ٥٢/٦.

(٣) صِنْوَانُ، جَمْعُ صِنْوَنٍ، وَالصِّنْوُنُ: الْأَخْ الشَّقِيقُ وَالْعُمُّ وَالْابْنُ، وَالْجَمْعُ أَصْنَانٌ وَصِنْوَانٌ، وَالْأُثْنَى صِنْوَةٌ .... وَالصِّنْوُنُ: الْمِثْلُ. لِسَانُ الْعَرَبِ. ٤٧٠/١٤.

قاله المرادي<sup>(١)</sup>. ويحاب عنه بأنه نظر إلى ظاهر اللفظ، وأنه لا يرى تقدير التغيير كما يؤخذ من كلامه الآتي<sup>(٢)</sup>.

وسبق قول الإمام الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) أن ابن مالك "ظاهري النحو في الغالب على ما يظهر من كلامه في تواليفه"<sup>(٣)</sup>.

وإذا تتبعنا ابن مالك في مؤلفاته فإننا نجد الأخذ بالظاهر سمة بارزة عنده، وخاصة إذا كان الحمل على الظاهر جلياً غير خفي<sup>(٤)</sup>، فمن ذلك:

١ - رأيه في تناوب حروف الجر بعضها عن بعض<sup>(٥)</sup>، وهذا كما يقول ابن عصفور من الحمل على الظاهر، قال في كتابه ضرائر الشعر بعد أن سرد مجموعة من الأبيات: "فهذه الأبيات وأمثالها فيها خلاف بين النحويين. فأهل الكوفة يحملونها على ما يعطيه الظاهر من وضع الحرف موضع غيره. وأهل البصرة يبقون الحرف على معناه الذي عهد فيه إما بتأويل يقبله اللفظ، أو بأن يجعلوا العامل مضميناً معنى ما يعمل في ذلك الحرف إن أمكن"<sup>(٦)</sup>.

٢ - رأيه في الضرورة الشعرية؛ إذ هي عنده ما لا مندوحة للشاعر عنها، فهو الحمل على ظاهر النص، إذاً ممكن للشاعر أن يقوله ولم يقله فهو جائز، ولا يحتاج إلى تأويل، وقد صرخ بهذا الرأي عند حديثه عن دخول (ال) الموصولة على الفعل، قال: "وعندي أن مثل هذا غير مخصوص بالضرورة،

(١) ينظر رأي المرادي في توضيح المقاصد. ١٣٧٧/٣.

(٢) التصريح بمضمون التوضيح. ٥٢٠ - ٥١٩/٢.

(٣) المقاصد الشافية. ٣٦/١.

(٤) انظر: شرح التسهيل. ٢٢/١.

(٥) انظر: تسهيل الفوائد وتمكيل. ص ١٤٤ - ١٤٦، وشرح التسهيل ١٣٠/٣ - ١٦٥، وشرح الكافية الشافية. ٧٩٥/٢ - ٨١٣.

(٦) ضرائر الشعر. ص ٢٣٦.

لتمكن قائل الأول أن يقول : ما أنت بالحَكْمِ الرَّضِيِّ حَكْمُتُهُ ، ولتمكن قائل الثاني من أن يقول : إِلَى رِبِّنَا صَوْتُ الْحَمَارِ يُجَدِّعُ ، ولتمكن الثالث من أن يقول : مَا مَنْ يَرُوحُ ، ولتمكن الرابع من أن يقول : وَمَا مَنْ يُرَى ، فَإِذَا لَمْ يَفْعُلُوا ذَلِكَ مَعَ اسْتِطاعَتِهِ فَفِي ذَلِكَ إِشْعَارٌ بِالاختِيَارِ وَعَدْ الاضْطَرَارِ<sup>(١)</sup> .

٣- تجويفه حذف حرف الجر مع إبقاء عمله في مواضع لم يسبق إليها ، أخذًا بظاهر النصوص ، وعدم تكلف تأويلها ، قال : " ويحر بغير (رب) أيضًا محدوفاً في جواب ما تضمنَّ مثله ، أو في معطوفي على ما تضمنه بحرف متصل أو منفصل بـ(لا) أو (لو) أو في مقرون بعد ما تضمنه بالهمزة أو (هَلَّا) أو (أَنْ) أو الفاء الجزائيتين . ويقاس على جميعها ... وفي باب (كم) و(كان) و(لا) المشبه بـ(إِنَّ)<sup>(٢)</sup> ، وساق جملة من النصوص في شرحه<sup>(٣)</sup> .

٤- تجويفه الفصل بين المضاف والمضاف إليه في سعة الكلام في ثلاثة مسائل ، وفي غيرها لا يجوز إلا في ضرورة الشعر ، وذلك لظاهر النصوص ، وعدم الحاجة إلى تكلف تأويلها . قال : " إن الفصل بعمول المضاف إذا لم يكن مرفوعًا جدير بأن يكون جائزًا في الاختيار ، ولا يختص بالاضطرار ، واستدللت على ذلك بقوله - ﴿فَهَلْ أَتَّمْ تَارِكُولِي صَاحِبِي﴾<sup>(٤)</sup> .

(١) شرح التسهيل . ٢٠٢/١ .

(٢) تسهيل الفوائد وتمكيل المقاصد ص ١٤٨ .

(٣) شرح التسهيل . ١٨٩/٣ - ١٩٤ ، وانظر أيضًا : شرح الكافية الشافية ٨٢٨/٢ - ٨٣٠ .

(٤) جزء من حديث أبي الدرداء ﷺ قال : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثُوبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ((أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ فَسَلَّمَ ، وَقَالَ : إِنِّي كَانَ يَبْيَنِي وَيَبْيَنَ أَبْنَ الْحَاطِبِ شَيْءًا فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ . فَقَالَ : ((يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلَاثًا)) ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ فَأَتَى

وبقول بعض العرب: "تَرْكُ يَوْمًا نَفْسِكَ وَهَوَاهَا، سَعْيٌ لَهَا فِي رَدَاهَا" <sup>(١)</sup>. وأقوى الأدلة على ذلك قراءة ابن عامر: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَاتِلُ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِم﴾ [الأنعام: ٦/١٣٧]؛ لأنها ثابتة بالتواتر، ومعروفة إلى موثوق بعربيته، قبل العلم بأنه من كبار التابعين، ومن الذين يقتدى بهم في الفصاحة، كما يقتدى بن في عصره من أمثاله الذين لم يعلم عنهم مجاورة للعجم يحدث بها اللحن، ويكتفي شاهد على ما وصفته به، أن أحد شيوخه الذين عَوَّلْ عليهم في قراءة القرآن عثمان بن عفان - <sup>رض</sup> - وتجويز ماقرأ به في قياس النحو قوي، وذلك أنها قراءة اشتغلت على فصل يدخله بين عاملها المضاف إلى ما هو فاعل، فحسن ذلك ثلاثة أمور: أحدها: كون الفاصل فضلة، فإنه بذلك صالح لعدم الاعتداد به. الثاني: كونه غير أجنبى لتعلقه بالمضاف. الثالث: كونه مقدر التأخير من أجل المضاف إليه، مقدر التقدم بمقتضى الفاعلية المعنوية، فلو لم تستعمل العرب الفصل المشار إليه، لاقتضى القياس استعماله، لأنهم قد فصلوا في الشعر بالأجنبى كثيراً، فاستحق الفصل بغير أجنبى أن يكون له مزية، فحكم بجوازه. وأيضاً فقد فصل - <sup>كذلك</sup> - مثل: ((فَهَلْ أَتْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي)) بالجار وال مجرور، والمضاف فيه اسم فاعل، مع أنه مفصول بما فيه من الضمير المنوي، ففصل المصدر بخلوه

منزل أبي بكرٍ فسأل: أَتَمْ أَبُو بَكْرٍ ؟ فَقَالُوا: لَا، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ <sup>ﷺ</sup>، فَسَلَمَ فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ <sup>ﷺ</sup> يَتَمَرَّرُ حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ فَجَحَا عَلَى رُكْبَتِيهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمُ مَرَّتَيْنِ. فَقَالَ النَّبِيُّ <sup>ﷺ</sup>: ((إِنَّ اللَّهَ بَعْتَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَهَلْ أَتْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي مَرَّتَيْنِ فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا)) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر. ٥/٥

(١) انظر: شرح التسهيل ٢٧٦/٣، التصريح بضمون التوضيح ٥٨/٢، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٥١٩/٢.

من الضمير أحق بالجواز، ولذلك قَلْت نظائر: ((فَهَلْ أَئْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي))، وَكَثُرَت نظائر: ﴿قُتِلُّ أُولَادُهُمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ [الأنعام: ٦] <sup>(١)</sup>.

٥- الاستدلال على اسمية الكلمة أن يكون موافق ما ثبت اسميته في اللفظ أو المعنى دون معارض، فجعل دلالة ظاهر موافقة اللفظ دليلاً على الاسمية، قال: "ومموافقة ثابت الاسمية في لفظ أو معنى دون معارض" <sup>(٢)</sup>.

٦- استدلاله على أن الفعل المضارع لا يحکم بتعيين دلالته على الاستقبال إذا سبق بـ(لا) بظاهر قول القائل: قاموا لا يكون زيداً، في الاستثناء، فإن ظاهرها يقضي بأن معناها: إلا زيداً. قال: "وإذا نفي المضارع بـ(لا) لم يتعين الحکم باستقباله بل صلاحية الحال باقية، رُوي ذلك عن الأخفش نصاً، وهو لازم لسيبويه وغيره من القدماء؛ لاجتماعهم على صحة قول القائل: قاموا لا يكون زيداً، بمعنى: إِلَّا زيداً. ومعلوم أن المستثنى مُنشئ للاستثناء، والإنشاء لا بد من مقارنة معناه للفظه، وـ(لا يكون) هنا استثناء فمعناه مقارن للفظه، فلو كان النفي بـ(لا) مُخلصاً للاستقبال لم تستعمل العرب (لا يكون) في الاستثناء لمباينته الاستقبال" <sup>(٣)</sup>.

### مواضع الأخذ بالظاهر عند ابن مالك أولاً: توجيه النصوص

يعد توجيه النصوص من أبرز ما يظهر فيه الأخذ بالظاهر، فقد كان ابن مالك لا يتكلف في تأويل النصوص التي ييرز فيها مخالفة القواعد، بل يعمد

(١) انظر: شرح التسهيل ٢٧٢/٣ - ٢٧٨، شرح الكافية الشافية ٩٧٨/٢ - ٩٩٤.

(٢) تسهيل الفوائد وتمكيل المقاصد.ص ٤، وانظر: شرح التسهيل. ١٢/١ - ١٣.

(٣) شرح التسهيل. ١٨/١ - ١٩.

إلى الأخذ بظاهرها، وتوجيه النصّ وفق ذلك ، ويعد كتابه "شواهد التَّوضيح والتَّصحيح لمشكلات الجامع الصَّحيح" أبرز كتبه في توجيه النصوص؛ حيث أثبت كثيراً من الأحكام من خلال توجيهه لهذه الأحاديث، وفي كثير منها كان الحمل على الظاهر أقوى أدلة فيها ، فمن ذلك :

١ . توجيه قوله ورقة بن نوفل : "يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ" <sup>(١)</sup> ، بأن (يا) حرف تنبئه ؛ لدخولها على الحرف ، ولم يتكلف تقدير اسم بعدها ، كما ذهب إليه غيره <sup>(٢)</sup> .

٢ . توجيه قوله أبي هريرة - <sup>رضي الله عنه</sup> - : ((وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ يَبْدِئُ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعِينَ حَرِيفًا)) <sup>(٣)</sup> ، على أن (قَعْر) اسم (إِنَّ) ، و(سبعين) خبرها ، قال : "ويخرج ((إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ)) على أن (قَعْر) مصدر من قولهم : قعرت البئر ، أي بلغت قعرها. و(سبعين) منصوب على الظرفية ، وقد وقع خبراً ؛ لأن الاسم مصدر والإخبار عن المصدر بظرف الزمان مطرد" <sup>(٤)</sup> .

(١) جزء من حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عن أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - <sup>صلوات الله عليه</sup> - من الْوَحْيِ أخرجه البخاري ، الجامع المسند الصحيح المختصر. ٧١.

(٢) شواهد التَّوضيح والتَّصحيح لمشكلات الجامع الصَّحيح. ص ٥٩.

(٣) جزء من حديث أبي هريرة أخرجه الإمام مسلم برواية : "وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ يَبْدِئُ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعِينَ حَرِيفًا" بالرفع (سبعون). المسند الصحيح المختصر. ١٨٦/١. ورواية النصب (سبعين). منسوبة إلى صحيح مسلم في : الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم. ٢٩١/١ ، وجامع الأصول في أحاديث الرسول. ٤٨٥/١٠.

ورواه بالنصب أيضاً : ابن خزيمة ، كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب . ٦٠٠/٢ . والحاكم ، المستدرك على الصحيحين. ٦٣١/٤ .

(٤) شرح الكافية الشافية. ١١٨/١ .

٣. توجيه قول عائشة - رضي الله عنها - : "فَإِذَا بَقِيَ مِنْ قِرَاءَتِهِ نَحْوًا مِنْ كَذَا"<sup>(١)</sup> ، على زيادة (من) في الإيجاب ، قال : "أن تكون (من) زائدة ، ويكون التقدير : فإذا بقيَ قِرَاءَتُهُ نَحْوًا فـ(قِرَاءَتُهُ) فاعل (بقيَ) . وهو مصدر مضارف إلى الفاعل ناصب (نَحْوًا) بمقتضى المفعولية . وزيادة (مِنْ) على هذا الوجه لا يراها سيبويه ؛ لأنَّه يشترط في زيادتها شرطين : أحدهما : تقدم نهي أو نفي أو استفهام . والثاني : كون المجرور بها نكرة . والأخفش لا يشترط ذلك ، وبقوله أقول ، ثبوت زيادتها دون الشرطين ثرًا ونظمًا"<sup>(٢)</sup> .

#### **ثانياً: الاستدراك على العلماء**

كان ابن مالك من أبرز العلماء المجتهدين في النحو ، ولذلك نجد كثيراً من الآراء التي قال بها لم يسبق إليها ، وقد أعاده حمل النصوص على ظاهرها في استدراكه على من سبقه من العلماء ، وهذا ما جعل العلماء من بعده يتنازعون في اتباعه لهذه الآراء أو مخالفته لها ، وهذا ظاهر عند شراح كتبه على وجه الخصوص ، فمن ذلك :

١- استدراك على النحاة مجيء (قط) غير مسبوقة بنفي ، قال : " قوله : ((وَنَحْنُ أَكْثُرُ مَا كُنَّا قَطُّ))<sup>(٣)</sup> استعمال (قط) غير مسبوقة بنفي ، وهو مما خفي على كثير من النحويين ؛ لأنَّ المعهود استعمالها لاستغراق الزمان الماضي بعد نفي ، نحو : ما فعلت ذلك قط . وقد جاءت في هذا الحديث دون نفي ، وله نظائر"<sup>(٤)</sup> .

(١) جزء منْ حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أخرجه البخاري ، الجامع المسند الصحيح المختصر . ٤٨/٢ .

(٢) شواهد التوضيح . ص ١٨٦ - ١٨٧ .

(٣) أخرجه البخاري ، الجامع المسند الصحيح المختصر . ١٦١/٢ .

(٤) شواهد التوضيح . ص ٢٤٨ .

٢- استدرك على العلماء مجيء (ما)، و(مهما) ظرفتين، حيث قال: "إنما قلت: و(ما) و(مهما) في الأشهر؛ لأن جميع النحوين يجعلون (ما) و(مهما) مثل (من) في لزوم التجدد عن الظرفية مع أن استعمالها ظرفين ثابت في أشعار الفصحاء من العرب"<sup>(١)</sup>.

٣- استدرك مجيء (وني)، و(رام) فعلين ناسخين، بمعنى (زال)، قال: "وقيد: وَنِي وَرَام، الْمُلْحَقَتَانِ بِهِنْ بِرَادْفَتِهِمَا لِهِنْ، احْتِرَازًا مِنْ (وَنِي) بِعْنَى: فَتَرْ، وَمِنْ (رَام) بِعْنَى: حَاوَلْ، وَبِعْنَى: تَحُولْ، وَمَضَارِعُ الَّتِي بِعْنَى (حاول): يَرُومْ، وَمَضَارِعُ الَّتِي بِعْنَى (تحول): يَرِيمْ، وَهَكُذَا مَضَارِعُ الْمَرَادِفَةِ (زال)، وَهِيَ وَوْ (وَنِي) بِعْنَى: زَالْ غَرِيبَيْتَانْ، وَلَا يَكَادُ النَّحْوَيُونَ يَعْرَفُونَهُمَا، إِلَّا مِنْ عُنْيِي باسْتِقْرَاءِ الْغَرِيبِ"<sup>(٢)</sup>.

٤- استدراكه مجيء (إذ) للمستقبل، و(إذا) للماضي، قال: "وقوله ((إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ)) استعمل فيه (إذ) موافقة لـ(إذا) في إفاده الاستقبال. وهو استعمال صحيح، غفل عن التنبيه عليه أكثر النحوين"<sup>(٣)</sup>.

٥- استدراكه مجيء (في) دالة على التعليل، قال: "تضمن هذا الحديث استعمال (في) دالة على التعليل، وهو ما خفي على أكثر النحوين مع وروده في القرآن العزيز، والحديث، والشعر القديم"<sup>(٤)</sup>.

---

(١) شرح الكافية الشافية. ١٦٢٥/٣.

(٢) شرح التسهيل. ٣٣٤/١.

(٣) شواهد التَّوْضِيح. ٦٢ - ٦٣.

(٤) شواهد التَّوْضِيح. ص ١٢٣.

### ثالثاً: ترجيح الآراء

كثر الخلاف في مسائل عديدة في النحو العربي، وكان العلماء يجتهدون في حشد الأدلة التي تويد ما ذهبوا إليه من ترجيحات، ولما كان ابن مالك من العلماء المجتهدين في النحو، كان لا بدّ له من الاستعانة بالأدلة التي ارتكها لتدعم آرائه و اختياراته، وقد كان الحمل على الظاهر أحد أبرز الأدلة التي يستعين بها في ذلك، ومنها:

١- ترجيحة تقديم الفاعل على المفعول إذا كان في الفاعل ضمير المفعول، نحو:  
ضَرَبَ غَلَامٌه زِيَاداً. بظاهر ما ورد عن العرب، قال: "ومنع أكثر النحويين تقديم المفوع الملابس ضميراً عائداً على المتصوب نحو: ضربَ غلامُه زيداً، وال الصحيح جوازه لوروده في كلام العرب الفصحاء كقول حسان -رضي الله عنه- :  
ولو أَنْ مجَداً أَخْلَدَ الدهرَ واحداً مِنَ النَّاسِ أَبْقَى مجَدُه الدهرَ مُخْلداً

وكقول الآخر:

گسا حِلْمُه ذَا الْحَلْمِ أَثْوَابَ سُؤْدِدٍ ورَقَّى نَدَاهُ ذَا النَّدَى فِي دُرَى الْمَجْدِ  
فقدّم فاعل كسا وفاعل رقى، وكلاهما مضاف إلى ضمير مفعول متاخر.

وكقول الآخر:

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ يَلْوَمَنَ قَوْمٌ رُهِيْرَا عَلَى مَا جَرَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

وكقول الآخر:

جزى بُنُوه أَبَا الْغَيْلَانِ عَنْ كِبِيرٍ وَحْسِنٍ فَعِلٍ كَمَا يُجَزِّي سِنَمَاؤ

وكقول الآخر:

لَمَّا رَأَى طَالِبَوْه مُصْبِعاً دُعِرُوا وَكَادَ لَوْ سَاعَدَ الْمَقْدُورَ يَنْتَصِرُ

وك قوله :

يُغْنِي حلاهَا هند عن حِلْيَتِي  
وَتَرِى الْبَذَادَة أَحْسَنَ الرَّزِّيِّ<sup>(١)</sup>  
فَهُوَ يَسْتَدِلُ بِظَاهِرِ هَذِهِ النَّصْوَصِ عَلَى تَرْجِيحِ الْمَسْأَلَةِ، وَلَا يَلْجَأُ لِلتَّأْوِيلِ؛  
لَأَنَّ تَأْوِيلَ هَذِهِ النَّصْوَصِ عَلَى خَلَافِ الظَّاهِرِ.

٢ - ترجيح مجيء (ال) نائبة عن الضمير، بظاهر النصوص الواردة، وعدم تكليف التأويل، قال : "وَمَنْ وَرَدَ الْأَلْفَ وَاللَّامُ عَوْضًا مِنَ الضَّمِيرِ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿فَإِمَّا مَنْ طَغَى﴾ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحَّامَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهُوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴿ [النازعات : ٣٧ - ٤١] ...، وَعَلَى ذَلِكَ يَحْمِلُ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص : ٥٠]<sup>(٢)</sup>.

٣ - ترجيح مجيء (من) الزائدة دون شروط ، قال : "وَاجْزَأَ أَبُو الْحَسْنِ الْأَخْفَشَ وَقَوْعَهَا فِي الْإِبْحَابِ وَجَرَهَا الْمَعْرِفَةِ. وَبِقَوْلِهِ أَقُولُ لِثَبُوتِ السَّمَاعِ بِذَلِكَ نَظَمًا وَنَثَرًا، فَمِنَ النَّشْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام : ٣٤]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿يُحَلِّلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الكهف : ٣١]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [البقرة : ٢٧١]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَأَمْنُوا بِهِ يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف : ٣١]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة : ٢٥]، وَقَوْلُ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - : ((إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - كَانَ يُصَلِّي جَالِسًا، فَيَقْرَأُ وَهُوَ جَالِسٌ، فَإِذَا بَقَيَ مِنْ قِرَاءَتِهِ نَحْوًا مِنْ كَذَا)) أَخْرَجَهُ الْبَخَارِي<sup>(٣)</sup>، وَضَبَطَهُ بِضَبْطِ مَنْ

(١) شرح التسهيل. ١٣٥/٢ - ١٣٦، وانظر أيضًا في حديثه عن الضمير ١٦٠/١.

(٢) شرح التسهيل. ٢٦٢/١.

(٣) أخرجه الْبَخَارِيُّ، الجامِعُ المُسْنَدُ الصَّحِيفُ الْمُختَصُّ. ٤٨/٢.

يعتمد عليه بنصب (تحواً) على زيادة من وجعل (قراءته) فاعلاً ناصباً(تحواً).  
والأصل: فإذا بقى قراءته تحواً من كذا<sup>(١)</sup>.

٤- إجازته وقوع المضارع المثبت المستقبل جواب قسم غير مؤكّد بالنون، وعدم قصره على الضرورة، قال: "وفي ((لَيَرُدُ عَلَيْ أَقْوَامٌ))<sup>(٢)</sup> شاهد على وقوع المضارع المثبت المستقبل جواب قسم غير مؤكّد بالنون. وفيه غرابة. وهو مازعم أكثر النحوين أنه لا يجوز إلا في الشعر، كقول الشاعر:  
 لَعَمْرِي لَيُجْرِي الْفَاعِلُونَ بِفَعْلِهِمْ فَإِيَّاكَ أَنْ تُعَيِّنَ بِعَيْرِ جَمِيلٍ  
 والصحيح أنه كثير في الشعر قليل في النثر".<sup>(٣)</sup>

٥- ترجيحه تقديم الجمع، ثم الإفراد، ثم الشنفية، عند إضافة جزأين إلى كليهما، في نحو: قطعت رؤوس الكبشين، ورأس الكبشين، ورأسي الكبشين، قال: "إذا أضيف جزآن إلى كليهما، ولم يفرق المضاف إليه جاز في المضاف أن يجمع، وأن يوحد، وأن يثنى. والجمع أجود كقوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [سورة التحريم: ٦٦/٤]، وقوله -عليه الصلاة والسلام-: ((إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ)) رواه الإمام مالك<sup>(٤)</sup>؛ والثاني أجود من الثالث؛ لأن الثالث لم أره في غير الشعر، كقول الشاعر:  
فَتَحَالَّسَا نَفْسَيْهِمَا بِتَوَافِدِ  
كَوَافِدِ الْعُبُطِ الَّتِي لَا تُرْقَعُ

(١) شرح التسهيل . ١٣٨ / ٣ - ١٣٩ .

(٢) جزء من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه -، أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر .٤٦ / ٩

(٣) شواهد التوضيح. ص ٢٢١، وانظر شرح التسهيل ٢٠٩/٣.

٩١٤ / ٢ (الموطأ).

وأمام الثاني فوارد في النثر والنظم، وفي الحديث في صفة وضوء رسول الله - ﷺ : ((وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ وَأُدُنْيَهُ ظَاهِرِهِمَا وَبَاطِنَهِمَا))<sup>(١)</sup> ، ومن أمثلة الفراء في كتاب معاني القرآن<sup>(٢)</sup> : إيتني برأس شاتين<sup>(٣)</sup> .

#### رابعاً: تقوية بعض الآراء أو اللغات

يلجأ ابن مالك في تقوية بعض الآراء أو اللغات إلى حمل النصوص على ظاهرها، وعدم التأويل، ومن ذلك:

١- تقوية لغة "أكلوني البراغيث" حمل على ظاهر النصوص التي وردت فيها، وقد ذكرها في شرح التسهيل<sup>(٤)</sup> ، قال: "ومن العرب من يوليه قبل الاثنين ألفاً، وقبل المذكرين واواً، وقبل الإناث نوناً مدلولاً بها على حال الفاعل الآتي قبل أن يأتي، كما دلت تاء فعلت هند على تأنيث الفاعلة قبل أن يذكر اسمها. والعلم على هذه اللغة قول بعض العرب: أكلوني البراغيث. وقد تكلم بها النبي - ﷺ - فقال: ((يَتَعَاقِبُونَ فِي كُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ)) وعلى هذه اللغة قول الشاعر يرثي مصعب بن الزبير -

رضي الله عنه - :

لقد أورث المصرين خربياً وذلةً  
قتيلٌ بدَير الجاثيلق مُقيمٌ  
تولى قتال المارقين بنفسه  
وقد أسلم ما مُبَعَّدٌ وَحَمِيمٌ

(١) جزء من حديث المقدم بن معدى كرب الكندي ٦ - ٦٠٨، أخرجه الإمام أحمد. مسنن الإمام أحمد. ٤/١٣٢.

(٢) معاني القرآن. ١/٣٠٧.

(٣) شرح الكافية الشافية ٤/١٧٨٧ - ١٧٨٨، وانظر: شرح التسهيل ١/١٠٦ - ١٠٨.

(٤) شرح التسهيل. ٢/١١٦ - ١١٧، وينظر أيضاً: ابن مالك، شواهد التوضيح. ص ٢٤٧.

ومثله قول الآخر:

بني الأرض قد كانوا بَنِي فَعَزْنِي

ومثله:

نصرُوكَ قومي فاعتزَّزْتَ بنصرِهم

ومثله:

سِيَا حَاتِمٌ وَأَوْسٌ لَدُنْ فَا

ومثله:

نُسْتَحِ الرِّيْسُ مَحَاسِنَاً

ومثله:

رَأَيْنَ الْغَوَانِي الشَّيْبَ لَاحْ بِمَفْرَقِي

ويعض النحوين يجعل ما ورد من هذا خبراً مقدماً، ومبتدأ مؤخراً،

وبعضهم يبدل ما بعد الألف والواو والنون منهـنـ، على أنها أسماء مسند

إليها. وهذا غير متنع إن كان من سمع ذلك منهـنـ من أهل غير اللغة المذكورة.

وأمامـ أنـ يحمل جميع ما ورد من ذلك على أنـ الألف والواو والنون فيه ضمائر

غير صحيح؛ لأنـ أئمةـ هذا العلم متتفقون على أنـ ذلك لغة لقومـ من العربـ

خصوصـينـ فوجب تصديقـهمـ في ذلكـ كماـ تصدقـهمـ فيـ غيرـهـ، واللهـ أعلمـ".

٢ - تقوية الرأي القائل بجواز دخول (أنـ) في خبرـ (كـادـ)، حـمـلاـ علىـ

ظاهرـ النصوصـ الواردةـ فيـ ذلكـ، قالـ: "ومنـهاـ قولـ عمرـ بنـ الخطـابـ -

ـ ((مـاـ كـيـدـتـ أـنـ أـصـلـيـ حـتـىـ كـادـتـ الشـمـسـ تـغـربـ))<sup>(١)</sup>ـ، وقولـ أنسـ

(١) جـزـءـ منـ حـدـيـثـ جـابـرـ بنـ عـبـدـ اللهـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ أـخـرـجـهـ الـبـخـارـيـ. الجـامـعـ المسـنـدـ

الـصـحـيـحـ المـخـتـصـرـ ١٣٠ / ١.

بن مالك - رضي الله عنه - : ((فَمَا كِدْنَا أَنْ نَصْلِي إِلَى مَنَازِلِنَا))<sup>(١)</sup> ، وقول بعض الصحابة - رضي الله عنه - : ((وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَثَافِيْ قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ))<sup>(٢)</sup> ، وقول جبير بن مطعم - رضي الله عنه - : ((كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ))<sup>(٣)</sup> ، قلت : تضمنت هذه الأحاديث وقوع خبر (كاد) مقرونا بـ(أن) وهو ما خفى على أكثر النحويين، أعني وقوعه في كلام لا ضرورة فيه، وال الصحيح جواز وقوعه إلا أن وقوعه غير مقرون بـ(أن) أكثر وأشهر من وقوعه مقرونا بـ(أن)، ولذلك لم يقع في القرآن إلا غير مقرون بـ(أن)<sup>(٤)</sup>.

٣- تقويته جواز الفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف والجار والمجرور، قال : "وجعل أبو علي الفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف والجار والمجرور مخصوصاً بالضرورة ، واستشهد بقول الأعشى :

يَوْمًا تَرَاهَا كَشِبْهُ أَرْدِيَةَ الْ عَصْبِ وَيَوْمًا أَدِيهُهَا نَغْلًا

وهو جائز في أفصح الكلام المنشور إن لم يكن المعطوف فعلاً ، ولا اسمًا مجروراً ، وهو في القرآن كثير كقوله تعالى : ﴿رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١] ، قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدِّوَا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾

(١) جزء من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - أخرجه البخاري. الجامع المسند الصحيح المختصر . ٢٩ / ٢.

(٢) جزء من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - . أخرجه البخاري. الجامع المسند الصحيح المختصر . ١٠٨ / ٥.

(٣) جزء من حديث جبير بن مطعم - رضي الله عنه - أخرجه البخاري. الجامع المسند الصحيح المختصر . ١٤٠ / ٦.

(٤) شواهد التوضيح. ص ١٥٩ - ١٦٠ .

[النساء: ٥٨]، قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ [يس: ٩]، قوله تعالى: ﴿الَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلُهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]<sup>(١)</sup>.

### **توجيه العمل على الظاهر عند ابن مالك**

إن ابن مالك حين يأخذ بالظاهر فإنه يدعمه بتوجيهات تتوافق مع طبيعة اللغة، ومقاصد المتكلم، ومعاني الكلام؛ لذا فإنه حرص على ذكر هذه التوجيهات، وهو بهذا يقوى أخذه بالظاهر؛ لأن مقاصد المتكلم، ومعاني الكلام تؤيده، فمن ذلك:

١ - توجيهه للأخذ بلغة (أكلوني البراغيث) أو (يتعقوون فيكم ملائكة) كما يسميها، أن قصد أصحابها أن يرفعوا اللبس، قال موضحاً هذا الأمر: "والسبب في هذا الاستعمال أن الفاعل قد يكون غير قابل لعلامة تشية ولا جمع ك(من). فإذا قصدت تشيهه أو جمعه والفعل مجرد لم يعلم القصد. فأراد أصحاب هذه اللغة تمييز فعل الواحد من غيره فوصلوه عند قصد التشيه والجمع بعلامتيهما. وجروه عند قصد الإفراد، فرفعوا اللبس، ثم التزموا ذلك فيما لا لبس فيه، ليجري الكتاب على سنن واحد".<sup>(٢)</sup>.

٢ - توجيهه بجيء الإضافة بمعنى (في)؛ لأن المعنى يؤيده، وهو صريح وظاهر فيها، فلا يتكلف غيره، فكان المعنى المراد من الكلام هو الحامل على حمل الإضافة على معنى (في)، قال: "وقد أغفل النحويون التي بمعنى (في)، وهي ثابتة في الكلام الفصيح بالنقل الصحيح، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَخْصَام﴾ [البقرة: ٢٠٤]، وكقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرْبُصُ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، قوله تعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السُّجْنِ﴾

(١) التسهيل ١٧٨، شرح التسهيل ٣٨٤/٣، شرح الكافية الشافية ١٢٣٩/٣.

(٢) شواهد التوضيح. ص ٢٤٧.

[يوسف: ٣٩]، قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ﴾ [سبأ: ٣٣]، ومنه قول النبي - : ((فَلَا يَجِدُونَ أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ))<sup>(١)</sup>، وقول العرب: شهيد الدار، وقتيل كربلاء، ..... فلا يخفى أن معنى (في) في هذه الشواهد كلها صحيح ظاهر، لا غنى عن اعتباره، وأن اعتبار معنى غيره ممتنع، أو متوصل إليه بتكلف لا مزيد عليه، فصح ما أردناه، والحمد لله<sup>(٢)</sup>.

٣- توجيهه دخول نون التوكيد على الفعل الماضي بأن المعنى في المستقبل؛ لدخول (إماً) عليه، أو لوقوعه في الدعاء، قال: "وقد تلحق الفعل الماضي وضعاً المستقبل معنى، نحو قوله - : ((فِإِمَّا أَدْرَكَنَّ وَاحِدٌ مِنْكُمُ الدَّجَالُ))<sup>(٣)</sup> فلحقت أدرك، وإن كان بلفظ الماضي؛ لأن دخول (إماً) عليه جعله مستقبل المعنى، وكذا قول الشاعر:

دَامَنَ سَعْدُكَ إِنْ رَحْمَتِ مَتِيمًا لَوْلَاكِ لَمْ يَكُنْ لِلصَّبَابَةِ جَانِحًا  
فلحقت دام لأنه دعاء، والدعاء لا يكون إلا بمعنى الاستقبال<sup>(٤)</sup>.  
**أصول ابن مالك في الأخذ بالظاهر**

لقد اعتمد ابن مالك في أخذه بالظاهر على أصول، كما بدأ لي، متى ما وجد أحدها أخذ بظاهر اللفظ، ولم يؤول، وهي:

(١) جزء من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه ، أخرجه الطحاوي - وقامه: "يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم لا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة". شرح مشكل الآثار. ١٨٦/١٠. وأخرجه الإمام أحمد برواية: "... لَا يَجِدُونَ عَالِمًا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ..." مسنن الإمام أحمد. ٣٥٨/١٣.

(٢) شرح التسهيل. ٨٧/٣ . ٨٨-

(٣) جزء من حديث حذيفة - . أخرجه الإمام مسلم برواية: "... فِإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ..." المسند الصحيح. ٢٢٤٩/٤

(٤) شرح التسهيل. ١٤/١ .

## ١- كثرة النصوص

تعد كثرة النصوص مما توجب عنده عدم التأويل؛ وذلك لأن الكثرة مدار التععيّد، ومسوغ القياس، وهذا يظهر جلياً في كثرة الشواهد التي يسوقها في تقوية أخذه بالظاهر، كما في مسألة حذف حرف الجر وإبقاء عمله، ومسألة الفصل بين المضاف والمضاف إليه، ومسألة دخول (أن) في خبر (كاد)، وغيرها مما سبق ذكره. كما أنه يحيى استعمال (في) دالة على التعليل "لوروده في القرآن العزيز والحديث والشعر القديم"<sup>(١)</sup>، كما رجح مجيء (من) الزائدة دون شروط "لثبت السمعان بذلك نظماً وثراً"<sup>(٢)</sup>.

ولذلك نجده يصرح في بعض الموضع بـأن له نظائر<sup>(٣)</sup>، أو أنه "في أشعار الفصحاء من العرب"<sup>(٤)</sup>.

## ٢- ثبوت النقل

إذا كان المنقول ثابتاً صحيحاً فإنه يوجب الأخذ بظاهره، وعدم تكلف التأويل؛ لأن ما ثبت في كلام العرب بالنقل الصحيح مما يوجب الأخذ بها، وخاصة إذا كثرت شواهد؛ لذا نراه يستشهد بأحاديث النبي ﷺ -  
لثبوتها عنده، كما أنه يجعل ما كان "ثابت في أشعار الفصحاء من العرب"<sup>(٥)</sup>

(١) انظر: شواهد التَّوضيْح. ص ٢٤٨. ابن مالك، شرح التسهيل. ٢٢١/٢. شرح الكافية الشافية ٩٧٨/٢ - ٩٩٤.

(٢) شرح التسهيل. ١٣٨/٣ - ١٣٩.

(٣) انظر: شواهد التَّوضيْح. ص ٢٤٨. ابن مالك، شرح التسهيل. ٢٢١/٢. شرح الكافية الشافية ٩٧٨/٢ - ٩٩٤.

(٤) شرح التسهيل. ٦٩/٤.

(٥) شرح التسهيل. ٦٩/٤.

مرجح للقول به، ويصحح جواز تقدم الفاعل وتأخير المفعول، إذا كان في الفاعل ضمير يعود على المفعول "لوروده في كلام العرب الفصحاء"<sup>(١)</sup>.

ويصحح جواز ثبوت تاء التأنيث مع الفصل بـ(إلا) في غير الشعر؛ لثبوته في "قراءة مالك بن دينار، وأبي رجاء، والحدري بخلاف عنه" **﴿فَاصْبِحُو لَأُرْثَى إِلَّا مَسَاكِنُهُم﴾** [الأحقاف: ٢٥]<sup>(٢)</sup>، ويصحح زيادة (من) في الإيجاب؛ "ثبتت زيادتها دون الشرطين نثراً ونظمًا"<sup>(٣)</sup>.

### ٣- فصاحة القائل

لقد اعتمد في صحة الأخذ بالظاهر فصاحة القائل، مما نقل عن فصحاء العرب وجوب الأخذ به، والحمل على ظاهره، وعدم تكلف التأويل؛ ولأجل ذلك استشهد بقراءة ابن عامر لشبوتها، وصحتها قال عنها: "وأقوى الأدلة على ذلك قراءة ابن عامر: **﴿وَكَذَلِكَ زُيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أُولَادِهِمْ شُرَكَائِهِم﴾** [الأنعام: ١٣٧]<sup>(٤)</sup>؛ لأنها ثابتة بالتواتر، ومعزوّة إلى موثوق بعربيته، قبل العلم بأنه من كبار التابعين، ومن الذين يقتدي بهم في الفصاحة، كما يقتدي بمن في عصره من أمثاله الذين لم يعلم عنهم مجاورة للعجم يحدث بها اللحن، ويكتفي شاهدا على ما وصفته به، أن أحد شيوخه الذين عوّل عليهم في قراءة القرآن عثمان بن عفان - **عليه السلام** - ...".

(١) شرح التسهيل. ١٣٥/٢.

(٢) شرح التسهيل. ١١٤/٢.

(٣) شواهد التوضيح. ص ١٨٦ - ١٨٧.

(٤) انظر: شرح التسهيل ٣/٢٧٨ - ٢٧٢ ، شرح الكافية الشافية ٢/٩٧٨ - ٩٩٤ .

وعلى هذا يجب الأخذ بما ورد "كلام العرب الفصحاء"<sup>(١)</sup>، أو ما ثبت "في أشعار الفصحاء من العرب"<sup>(٢)</sup>.

#### ٤- ثقة الناقل

إذا كانت فصاحة القائل موجبة للأخذ بالظاهر، فإن ثقة الناقل أيضاً مما يجحب أن يعتد به في الأخذ بالظاهر عنده؛ ولأجل ذلك لا يمتنع عنده الأخذ بظاهر ما ثبت أنه لغة لأناس معينين إذا كان الناقل عنهم مما يوثق فيه، وعليه جوز لغة (أكلوني البراغيث) أو (يتعقوبون فيكم ملائكة) كما يسميها؛ لأن أئمة هذا العلم متتفقون على أن ذلك لغة لقوم من العرب مخصوصين فوجب تصديقهم في ذلك كما تصدقهم في غيره<sup>(٣)</sup>.

#### ٥- كون ذلك لغة

وما يعتمد عليه في الأخذ بالظاهر ما ثبت عنده أنه لغة لبعض العرب فإنه يوجب الأخذ به بناء على أن ذلك لغة لمن تكلم به؛ لذا فإنه يصحح لغة (أكلوني البراغيث) أو (يتعقوبون فيكم ملائكة) كما يسميها؛ لأنها لغة قوم مخصوصين، وهذا لأن بعض القبائل استعمالات خاصة بهم تختلف جمهور العرب، فقد نصّ على هذا بعد ذكر النصوص الواردة بهذه اللغة: "... وبعض النحوين يجعل ما ورد من هذا خبراً مقدماً، ومبتدأ مؤخراً، وبعضهم يبدل ما بعد الألف والواو والنون منهـنـ، على أنها أسماء مستند إليها. وهذا غير ممتنع إن كان من سمع ذلك منه من أهل غير اللغة المذكورة. وأما أن يُحمل جميع ما ورد من ذلك على أن الألف والواو والنون فيه ضمائر غير صحيح؛ لأن

---

(١) شرح التسهيل. ٢/١٣٥.

(٢) شرح التسهيل. ٤/٦٩.

(٣) شرح التسهيل. ٢/١١٦ - ١١٧، وينظر أيضاً: شواهد التوضيح. ص ٢٤٧.

ائمة هذا العلم متتفقون على أن ذلك لغة لقوم من العرب مخصوصين فوجب تصديقهم في ذلك كما تصدقهم في غيره، والله أعلم<sup>(١)</sup>.

وقد أجاز الجزم بـ(لن) في حديث ابن عمر -رضي الله عنهما-<sup>(٢)</sup>؛ لأنها لغة، قال: "ويجوز أن يكون السكون سكون جزم على لغة من يحزم بـ(لن)، وهي لغة سماها الكسائي"<sup>(٣)</sup>.

## ٦- كون ذلك ضرورة

تعد الضرورة الشعرية موجهاً عنده للحمل على الظاهر، ولا يحتاج الأمر إلى تكليف التأويل، فالحمل عليها أولى من التأويل؛ لذا فإنه يجيز حذف تاء التأنيث في الضرورة قال: "واحترزت أيضاً من حذف بعض الشعراء تاء من المسند إلى ضمير المؤنث، كقول الشاعر:

فَلَا مُرْزَّةٌ وَدَقَّتْ وَدَقَّهَا      وَلَا أَرْضَ أَبْهَ لَ إِنْقَاهُ  
وكل قول الآخر:

فِإِمَّا تَرَنِي وَلِي لَمَّةٌ      فِإِنَّ الْحَوَادِثَ أَوْدَى بِهَا  
وبعض النحوين يحملون ما ورد من هذا على التأويل بمذكرة،  
فيتأول(أرض) : بـ(مكان)، وـ(الحوادث) : بـ(الحدثان)<sup>(٤)</sup>.

(١) شرح التسهيل. ١١٦/٢ - ١١٧، وينظر أيضاً: شواهد التوضيح. ص ٢٤٧.

(٢) ورد في حديث طويل في رؤيا رأها عبدالله بن عمر رضي الله عنهما -، واللفظ في البخاري: "لن تُرَاعَ" وفي رواية ذكرها بالجزم: "لن تُرَاعَ". أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر. ٢٤/٥.

(٣) شواهد التوضيح. ص ٢١٧.

(٤) شرح التسهيل. ١١٢/٢.

## ٧- عدم التكليف

لقد لحظ بعض العلماء تكلفاً في توجيهه بعض النصوص؛ لتوافق آرائهم، في حين نجد بعضهم الآخر لا يذهب إلى هذا التكليف ما وسعه الأمر، وابن مالك يعتمد الأخذ بالظاهر للابتعاد عن التكليف، ومن ذلك ما ذهب إليه في ترجيح مجيء (ال) نائية عن الضمير، للبعد عن التكليف في التأويل، قال:

"وَمِنْ وَرُودِ الْأَلْفِ وَاللَّامِ عَوْضًا مِنْ الضَّمِيرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَآمَّا مَنْ طَغَىٰ﴾ (٣٧) وَآئِرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَآمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهُوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ"

النازعات: ٣٧ - ٤١ [ذكر ذلك الأستاذ أبو الحسن ابن خروف، وعزاه إلى جماعة من أئمة النحو، وعلى ذلك يحمل قوله تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠] وزعم أبو علي والرمخشري أن الأبواب بدل من ضمير مستكن بـ(مفتاح)، وهذا تكليف يوجب أن يكون الأبواب مرتفعاً بـ(مفتاح) المذكور، على القول بأن العامل في البدل والبدل منه واحد، أو بمثله مقدراً، على القول بأن العامل في البدل غير العامل في المبدل منه. وعلى كل حال قد صح أن (مفتاح) صالح للعمل في الأبواب، فلا حاجة إلى تكليف ببدل<sup>(١)</sup>.

وكذلك أنكر على الرمخشري تكليف تقدير جملة بين همزة الاستفهام وحرروف العطف كي لا يؤول إلى تقديم همزة الاستفهام على حرروف العطف؛ حيث يرى ابن مالك أن تقديم الهمزة على حرروف العطف خاص بها؛ لأنها أم الباب، تنبئها على أحقيه الاستفهام للصدارة، قال: "فالإعلان أن ي جاء بالهمزة بعد العاطف كما جاء به بعده بأخواتها، فكان يقال في

(١) شرح التسهيل. ٢٦٢/١

رَأْفَتْطَمْعُونَ》 [البقرة : ٧٥]، وفي ﴿أَوْكُلَّمَا﴾ [البقرة : ٧٥]، وفي {إِذَا مَا وَقَعَ} [يونس : ٥١] : (فَاتَّطَمْعُونَ)، و(وَأَكُلَّمَا)، و(ثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ)؛ لأن همزة الاستفهام جزء من جملة الاستفهام، وهي معطوفة على ما قبلها من الجمل. والعاطف لا يتقدم عليه جزء مما عطف، ولكن خصت الهمزة بتقديمها على العاطف تبيها على أنها أصل أدوات الاستفهام؛ لأن الاستفهام له صدر الكلام، وقد خولف هذا الأصل في غير الهمزة، فأرادوا التبيه عليه، فكانت الهمزة بذلك أولى، لأصالتها في الاستفهام. وقد غفل الزمخشري في معظم كلامه في (الكساف) عن هذا المعنى فادعى أن بين الهمزة وحرف العطف جملة ممحوظة معطوفا عليها بالعاطف ما بعده. وفي هذا من التكلف ومخالفه الأصول ما لا يخفى<sup>(١)</sup>.

### التأويل عند ابن مالك

إنَّ ما سبق بيانه لا ينفي أن ابن مالك يلجأ إلى تأويل النصوص عند مخالفتها للقواعد، بل يؤكّد على أن ابن مالك يحترم اللغة، فيأخذ بظاهرها؛ إذ إنَّ الأخذ بالظاهر هو الأصل، فإن قواعد اللغة بنيت على ظاهر النصوص الكثيرة، وما لجأ العلماء إلى التأويل إلَّا عند وجود نصٍّ يخالف ظاهره ظاهر نصوص أخرى أكثر منه، أو أثبتت منه، أو أقيس منه. ومع هذا فإن ابن مالك يعمد إلى التأويل، وكتبه شاهدة بذلك. وهو ينص على الحاجة للتأنويل عند إضافة الاسم إلى اللقب؛ لأنَّ الإضافة على خلاف الأصل؛ لأنَّ الاسم واللقب مدلولهما واحد، فيلزم من إضافة أحدهما إلى الآخر إضافة الشيء إلى نفسه، فيحتاج إلى تأويل الأول بالمعنى والثاني بالاسم، ليكون تقدير

(١) شواهد التَّوضيـح. ص ٦٤.

قول القائل : جاء سعيد كرزٍ ، جاء مسمى هذا اللقب ، فيخلص من إضافة الشيء إلى نفسه<sup>(١)</sup> .

كما أن الأخذ بالظاهر عنده قد يستلزم ما لا يجوز ، كما في توجيهه لقوله تعالى ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَّائِرُ [الطارق: ٨ - ٩] فإن ظاهره أن (يَوْمَ) منصوب بـ(رجْعِهِ) ، ولا يجوز ذلك لاستلزمـه الفصل بخبر (إِنَّ) الذي هو (لَقَادِرٌ) ، فالمخلص من ذلك أن ينصب ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَّائِرُ﴾ بعامل مقدر مدلول عليه بـ(رجْعِهِ) ، كأنه قيل : يُرْجِعُهُ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَّائِرُ<sup>(٢)</sup> . ولأن هذا البحث ليس معنياً بالتأويل عند ابن مالك ؛ لذا يمكن أن نشير إلى بعض تأويـلاتـهـ ، ولعل دراسة تأويـلاتـ ابن مالـكـ يكون لها مكان آخر ، وسأقتصر على مثال واحد لأنواع التأـوـيلـ :

**الحذف** : تأـوـلـ العـطـفـ عـلـىـ اـسـمـ (إـنـ)ـ بـالـرـفـعـ عـلـىـ قـبـلـ مـجـيـءـ الـخـبـرـ تـأـوـلـهـ عـلـىـ حـذـفـ الـخـبـرـ ، وـجـعـلـهـ أـسـهـلـ مـنـ تـقـدـيرـ الـتـقـدـيمـ وـالتـأـخـيرـ الـذـيـ قـالـ بـهـ سـيـبـويـهـ ، قـالـ : " وـحـمـلـ سـيـبـويـهـ مـاـ أـوـهـمـ الـعـطـفـ قـبـلـ التـمـامـ عـلـىـ التـقـدـيمـ وـالتـأـخـيرـ فـالـتـقـدـيرـ عـنـدـهـ فـيـ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى﴾ [المائدة: ٦٩] : " إـنـ الـذـيـنـ آـمـنـوا وـالـذـيـنـ هـادـوـا مـنـ آـمـنـ بـالـلـهـ وـالـيـوـمـ الـآـخـرـ وـعـمـلـ صـالـحـاـ ، وـالـصـابـئـوـنـ وـالـنـصـارـاـيـ كـذـلـكـ" . وـأـسـهـلـ مـنـ التـقـدـيمـ وـالتـأـخـيرـ تـقـدـيرـ خـبـرـ قـبـلـ الـعـطـفـ مـدـلـولـ عـلـيـهـ بـخـبـرـ ماـ بـعـدـهـ ، كـأنـهـ قـيـلـ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا فـرـحـوـنـ وـالـذـيـنـ هـادـوـا وـالـصـابـئـوـنـ وـالـنـصـارـاـيـ مـنـ آـمـنـ بـالـلـهـ وـالـيـوـمـ الـآـخـرـ وـعـمـلـ صـالـحـاـ فـلـاـ﴾

(١) شـرـحـ التـسـهـيلـ ١٧٣/١.

(٢) شـرـحـ التـسـهـيلـ ١١٤/٣.

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ ؛ فإن حذف ما قبل العطف لدلالة ما بعده مقطوع  
بشيته في كلام العرب قبل دخول (إن) <sup>(١)</sup>.

**الزيادة:** تأول زيادة (على) ؛ لأن الأفعال التي صاحبتها متعدية بنفسها،  
فلا بد من تأويل الزيادة، قال: "وقد جاءت على زائدة دون تعويض في قول  
حميد بن ثور:

أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنَّ سَرْحَةَ مَالِكٍ عَلَى كُلِّ أَفْنَانِ الْعِصَاءِ تَرُوقُ  
فزاد (على) ؛ لأن (تروق) متعدد مثل أعجب؛ لأنهما بمعنى واحد،  
يقال: راقني حُسن الجارية، وأعجبني عقلها. وفي الحديث ((مَنْ حَلَفَ عَلَى  
يَمِينٍ، فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَلَيُكَفِّرْ يَمِينَهُ، وَلَيُفْعَلِّ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ)) <sup>(٢)</sup>،  
والالأصل: من حلف يميناً، كما قال النابغة:  
..... حلفت يمينا غير ذي مثنوية

ف(على) زائدة <sup>(٣)</sup>.

**التقديم والتأخير:** جعل ما ظاهره تقديم معمول المصدر على نية التقديم  
والتأخير، في أحد التأويلات التي أجازها، قال: "قد تقدم بيان كون المصدر  
العامل بإجماع مقدراً بحرف مصدرى موصول بفعل، وأن ذلك التقدير غالب  
لا لازم، فاستحق بلزوم هذا التقدير أن يخالف معموله الصلة بجواز الاستغناء  
عنه، وأن يوافقها في منع التقدم والفصل. فلهذا قلت" ومعموله كصلة في منع  
تقديمه وفصيله". ثم قلت "ويضمر عامل فيما أوهم خلاف ذلك، أو يعد نادرا"

(١) شرح التسهيل. ٥٠/٢.

(٢) أخرجه الإمام مسلم. النيسابوري، المسند الصحيح. ١٢٧٢/٣.

(٣) شرح التسهيل. ١٦٥/٣.

فنبهت بذلك على أنه قد يحيى ما قبل المصدر متعلقا به من جهة المعنى تعلق المعمول بالعامل ، كقول نعيم العجلاني :

لقد طالَ عنَ دَهْمَاءَ لَدِي وَعِذْرَتِي وَكِتَمَاهَا أَكْنَيْ بِأُمِّ فَلان

وكقول عمر بن أبي ربيعة :

ظُنْهَا يَبِي ظُنْ سَوِءٍ كَلَهْ وبها ظَنِّي عَفَافٌ وَكَرَم

وك قوله :

طال عن آل زينب الإعراض للتعدي وما بنا الإبغاض

وكقول الآخر :

وَبَعْضُ الْحَلْمِ عِنْدَ الْجَهَنَّمِ لِلذَّلَّةِ إِذْعَانُ

فلنا في هذه أن نعلق ما تقدم بمصدر آخر ممحوف لدلالة الموجود عليه ،  
كانه لدّي عن دهماء لدّي ، وظني بها ظني ، وطال الإعراض عن آل زينب  
الإعراض ، وبعض الحلم إذعن للذلة إذعان.

ويكون هذا التقدير نظير قولهم في (وكانوا فيه من الزّاهدين) أن تقديره

وكانوا زاهدين فيه من الزاهدين . ونظير قولهم في :

..... أَيْنَمَا الرِّيحُ تُمْلِهَا تَمِلَ

أن تقديره : أينما تميلها الريح تميلها تمل . ولنا أن نجعل ما تقدم متعلقا  
بنفس المصدر الموجود ، إِمَّا عَلَى نِيَةِ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ ، وَإِمَّا عَلَى أَنْ ذَلِكَ  
استبيح في المصدر وإن لم يستبع مثله في الموصول المخصوص<sup>(١)</sup> .

الحمل على المعنى : تأوّل عود الضمير على المفرد ، والظاهر أنه يعود على  
الجمع في قول العرب : " هو أحسن الفتيان وأجمله " بالحمل على المعنى ؛ لأن  
معنى (أحسن الفتىان) : أحسن فتى ، قال : " ومن كلام العرب : هو أحسن

(١) شرح التسهيل . ١١٣ / ٣ - ١١٤ .



الفتىـان وأجمله؛ لأنـه بـعنىـ: أـحسن فـتـىـ، فـأـفـرـد الضـمـير حـمـلاـ عـلـىـ  
الـعـنـىـ<sup>(١)</sup>.

**التضمين:** تـَأـوـلـ تـضـمـينـ (عـسـىـ) مـعـنىـ (حـسـبـ)، فـنـصـبـ بـهـاـ مـفـعـولـيـنـ، فـيـ  
قولـ أـبـيـ بـكـرـ -ـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ -ـ: ((وـمـاـ عـسـيـتـهـمـ أـنـ يـفـعـلـواـ يـبـيـ))ـ، قـالـ:ـ  
ـ وـفـيـ قـولـ أـبـيـ بـكـرـ لـعـمـرـ -ـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـ -ـ: ((وـمـاـ عـسـيـتـهـمـ أـنـ يـفـعـلـواـ  
ـ يـبـيـ))ـ<sup>(٢)</sup>ـ شـاهـدـ عـلـىـ صـحـةـ تـضـمـينـ فـعـلـ مـعـنىـ فـعـلـ آخـرـ إـجـرـائـهـ مـجـراـهـ فـيـ  
ـ التـعـدـيـةـ.ـ فـإـنـ (عـسـىـ)ـ فـيـ هـذـاـ الـكـلـامـ قـدـ ضـمـنـتـ مـعـنىـ (حـسـبـ)،ـ وـأـجـرـيـتـ  
ـ مـجـراـهـاـ،ـ فـنـصـبـتـ ضـمـيرـ الغـائـبـيـنـ عـلـىـ أـنـ مـفـعـولـ أـوـلـ،ـ وـنـصـبـتـ (أـنـ يـفـعـلـواـ)  
ـ تـقـدـيرـاـ عـلـىـ أـنـ مـفـعـولـ ثـانـ،ـ وـكـانـ حـقـهـ أـنـ يـكـونـ عـارـيـاـ مـنـ (أـنـ)ـ كـمـاـ لـوـكـانـ  
ـ بـعـدـ (حـسـبـ)،ـ وـلـكـنـ جـيـءـ بـ(أـنـ)ـ لـثـلـاـ تـخـرـجـ (عـسـىـ)ـ بـالـكـلـيـةـ عـنـ مـقـطـصـاـهـ،ـ  
ـ وـلـأـنـ (أـنـ)ـ قـدـ تـسـدـ بـصـلـتـهاـ مـسـدـ مـفـعـولـيـ (حـسـبـ)،ـ فـلـاـ يـسـتـبـعـدـ مجـيـئـهاـ بـعـدـ  
ـ المـفـعـولـ أـلـأـوـلـ بـدـلـاـ مـنـهـ،ـ وـسـادـةـ مـسـدـ مـفـعـولـيـهاـ<sup>(٣)</sup>ـ.

**الـتـوـهـمـ:** تـَأـوـلـ جـرـ المـعـطـوفـ عـلـىـ خـبـرـ (لـيـسـ)،ـ وـخـبـرـ (مـاـ)ـ الـمـصـوبـ،ـ  
ـ بـدـخـولـ حـرـفـ الـجـرـ الزـائـدـ؛ـ لـأـنـ دـخـولـهـ فـيـ خـبـرـهـمـاـ كـثـيرـ،ـ قـالـ:ـ "ـلـماـ كـثـرـ دـخـولـ  
ـ الـبـاءـ عـلـىـ خـبـرـ (لـيـسـ)ـ وـخـبـرـ (مـاـ)،ـ جـازـ لـلـمـتـكـلـمـ أـنـ يـجـرـ المـعـطـوفـ بـعـدهـمـاـ عـلـىـ  
ـ الـخـبـرـ الـمـصـوبـ،ـ كـقـوـلـ الشـاعـرـ:

مشـائـيمـ لـيـسـواـ مـصـلـحـيـنـ عـشـيرـةـ      ولاـ نـاعـيـ إـلـاـ بـيـنـ غـرـابـهـاـ

وقـالـ آخـرـ فـيـ جـرـ المـعـطـوفـ عـلـىـ الـمـصـوبـ بـ(مـاـ):ـ

(١) شـرحـ التـسـهـيلـ.ـ ١٢٨/١ـ.

(٢) جـزـءـ مـنـ حـدـيـثـ عـائـشـةـ -ـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـاـ -ـ.ـ أـخـرـجـهـ الـبـخـارـيـ،ـ الـجـامـعـ الـمـسـنـدـ  
ـ الصـحـيـحـ الـمـختـصـرـ.ـ ١٣٩/٥ـ.

(٣) شـواـهـدـ التـوـضـيـحـ.ـ صـ ٢٠٣ـ.

ما الحازم الشهيم مقداماً ولا بطلٍ  
إن لم يكن للهوى بالعقل غالباً  
فكانه قال : ما الحازم بقادم ولا بطل<sup>(١)</sup>.  
فهذه نماذج من تأویلاته ، ولعل أن ييسر الله جمعها ، وتصنيفها ، وبيان  
أسلوبيه فيها ، ومعايير التأویل عنده .

\* \* \*

---

(١) شرح التسهيل . ٣٨٦ / ١.

## الخاتمة:

وبعد فإنَّه مَا سبق يبيِّن لنا أنَّ مفهوم الظاهر عند النحوين هو عدم تأويل النصوص، والأخذ بظاهرها ما أمكن ذلك؛ لأنَّ التأويل خلاف الظاهر. كما أنَّ ابن مالك -رحمه الله- اعتمد على الأخذ بظاهر النصوص احتراماً لها، وتوافقاً مع طبيعة اللغة، مع أنه قد يقول بعض النصوص إذا لزم الأمر، وكان الظاهر يخالف طبيعة اللغة أو لم يكن له في القياس مدخل. ويُكَلِّن أنَّ خلاص إلى أبرز النتائج والتوصيات التي يحسن الخلوص إليها في ضوء ما عرض، راجياً من الله أن ينفع بها:

### أولاً: النتائج

- ١- المذهب الظاهري مذهب في الفقه الإسلامي وأصوله، يعتمد على رفض القياس، وأن الأحكام تؤخذ من ظاهر نصوص الكتاب والسنة، ولا يصح إعمال العقل في الأحكام، فلا يلتفت فيه إلى المصالح، أو المقاصد، أو مراعاة المعاني التي من أجلها جاءت الأحكام.
- ٢- المذهب الظاهري في النحو مختلف عن المذهب الظاهري الفقهي، فإن النحو عدَّ القياس أبرز أدلة النحو، وأن النحو كله قياس متبع.
- ٣- المذهب الظاهري في النحو يقوم على الأخذ بظاهره النصوص، وعدم تأويتها ما أمكن ذلك؛ لأنَّ التأويل خلاف الظاهر.
- ٤- الأخذ بالظاهر أصل عند علماء النحو، وعليه بنيت كثير القواعد النحوية.
- ٥- يعد ابن مالك من أبرز العلماء الذين اهتموا بالأخذ بظاهر النصوص.
- ٦- وظَّف ابن مالك الأخذ بالظاهر في تعزيز الآراء، وتقويتها، وترجيح بعضها.

٧- كان ابن مالك أصول في الأخذ بالظاهر، لأن تكرر النصوص فيها، وأن يثبت النقل لها، أو تكون لغة لبعض القبائل، أو ضرورة شعرية.

٨- مع اعتداد ابن مالك بالحمل على ظاهر النص إلا أنه لم يلغ التأويل إذا كان يتوافق مع اللغة، والقياس يؤيده.

### ثانياً : التوصيات

١- إجراء مزيد من الأبحاث والدراسات لقضية الظاهر عند علماء العربية.

٢- تتبع هذه القضية للوقوف على أبرز العلماء الآخذين بها.

٣- عمل مقارنة بين المدرسة البصرية والковية حولها، وأي المدرستين تعتمدتها أكثر من الأخرى.

٤- عمل إحصاء للمسائل التي أخذ فيها ابن مالك بالظاهر، ومقارنتها المسائل التي أخذ فيها بالتأويل، للوقوف على منهج ابن مالك بصورة أدق وأوضح.

٥- دراسة هذه الظاهر عند علماء آخرين لإبرازها، والوقوف على الأصول التي يعتمد عليها في الأخذ بالظاهر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.



## المصادر والمراجع:

- الإحکام في أصول الأحكام، لابن حزم الظاهري علي بن أحمد (ت ٤٥٦ھـ)، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاکر، قدم له الأستاذ الدكتور إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- الأصول في النحو، لابن السراج محمد بن السري (ت ٣١٦ھـ)، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت.
- إعراب القراءات الشواذ، لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبری (ت ٦١٦ھـ)، تحقيق د.محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧ھـ=١٩٩٦م.
- الأعلام، للزرکلي خير الدين بن محمود بن محمد (ت ١٣٩٦ھـ)، دار العلم للملائين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.
- الاقتراح في أصول النحو وجده، للسيوطی عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ھـ)، تحقيق د.محمد فوجال، مطبعة الثغر، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ھـ=١٩٨٩م.
- إنباه الرواة على أنباء النحاة، لأبي الحسن علي بن يوسف القبطي (ت ٦٤٦ھـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ھـ=١٩٨٢م.
- الإنصال في مسائل الخلاف بين النحوين: البصريين والковفيين، لأبي البركات عبد الرحمن بن كمال الدين الأنباري (ت ٥٧٧ھـ)، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ھـ=٢٠٠٣م.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام، عبدالله بن يوسف (ت ٧٦١ھـ)، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- الإيضاح في علل النحو، للزجاجي عبد الرحمن بن إسحاق (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق د. مازن مبارك، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.
- البحر الحيط في التفسير، أبي حيان محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق صدقى محمد جميل، دار الفكر، بيروت، الطبعة ١٤٢٠هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي محمد بن محمد بن عبدالرزاق (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
- تاريخ التشريع الإسلامي، للشيخ محمد الخضري بك، دار الفكر، الطبيعة الثامنة، ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م.
- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م.
- التذليل والتمكيل في شرح التسهيل، لأبي حيان محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق د. حسن هنداوي، كنوز إشبيليا، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.
- تسهيل الفوائد وتمكيل المقاصد، لابن مالك محمد بن عبدالله (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م.
- التصریح بضمون التوضیح فی النحو، للأزهري، خالد بن عبدالله بن أبي بکر الجرجاويّ، (ت ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، لأبي محمد حسن بن قاسم بن عبدالله المرادي (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٨م.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، المبارك بن محمد (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق عبدالقادر الأرنؤوط، والتتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - ﷺ - وسننه وأيامه، لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، لابن أبي نصر محمد بن فتوح الحميدي (ت ٤٨٨هـ)، تحقيق د. علي حسين البواب، دار ابن حزم، لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م.
- الجني الدани في حروف المعاني، لأبي محمد حسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق د. فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل، دار كتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م.
- الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للطباعة والنشر، للكتاب، الطبعة الرابعة.
- ديوان الأعشى، ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الواثلي، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.
- ديوان الهمذاني، ترتيب وتعليق محمد محمود الشنقطي ، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م.

- سير أعلام النبلاء، للذهبـي محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق مجموعة من المحققـين بإشراف الشـيخ شـعيب الأرنـاؤوط، مؤسـسة الرـسالـة، الطـبـعة الثالثـة، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

- شـرح الأشـمونـي عـلـى الفـيهـ ابنـ مـالـكـ، لـلـأشـمونـيـ، عـلـيـ بنـ مـحـمـدـ بنـ عـيـسىـ (ت ٩٠٠هـ)، دـارـ الـكتـبـ الـعلـمـيـةـ بـبـيـرـوـتـ، لـبـنـانـ، الطـبـعةـ الـأـولـىـ، ١٤١٩هـ=١٩٩٨م. ٢١٢/٢.

- شـرح التـسهـيلـ (تسـهـيلـ الـفـوـائـدـ وـتـكـمـيلـ الـمـقـاصـدـ) لـابـنـ مـالـكـ مـحـمـدـ بنـ عـبـدـ اللهـ (ت ٦٧٢هـ)، تـحـقـيقـ دـ.ـ عـبـدـ الرـحـمـنـ السـيـدـ، دـ.ـ مـحـمـدـ بـدـوـيـ الـمـخـتوـنـ، هـجـرـ لـلـطـبـاعـةـ وـالـنـشـرـ وـالـتـوزـيـعـ وـالـإـعـلـاـنـ، بـبـيـرـوـتـ، لـبـنـانـ، الطـبـعةـ الـأـولـىـ، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

- شـرح الرـضـيـ عـلـىـ الـكـافـيـ لـابـنـ الـحـاجـبـ، لـلـاسـتـرـابـادـيـ، رـضـيـ الـدـيـنـ مـحـمـدـ بنـ الـحـسـنـ (ت ٦٨٦هـ)، تـحـقـيقـ دـ.ـ يـوسـفـ حـسـنـ عـمـرـ، جـامـعـةـ قـارـيـونـسـ، لـيـبـيـاـ، ١٣٩٥هـ=١٩٧٥م.

- شـرح السـنةـ، لأـبـيـ مـحـمـدـ الـحـسـنـ بـنـ مـسـعـودـ الـبـغـوـيـ (ت ٥١٦هـ)، تـحـقـيقـ شـعـيبـ الـأـرـنـاؤـوطـ، وـمـحـمـدـ زـهـيرـ الـشـاوـيـشـ، الـمـكـتـبـ الـإـسـلـامـيـ، دـمـشـقـ، بـبـيـرـوـتـ، الطـبـعةـ الـثـانـيـةـ، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.

- شـرح الكـافـيـ الشـافـيـ، لـابـنـ مـالـكـ، مـحـمـدـ بنـ عـبـدـ اللهـ (ت ٦٧٢هـ)، تـحـقـيقـ عـبـدـالـنـعـمـ أـحـمـدـ هـرـيـديـ، جـامـعـةـ أـمـ القـرـىـ مـرـكـزـ الـبـحـثـ الـعـلـمـيـ وـإـحـيـاءـ التـرـاثـ الـإـسـلـامـيـ كـلـيـةـ الشـرـيـعـةـ وـالـدـرـاسـاتـ الـإـسـلـامـيـةـ، مـكـةـ الـمـكـرـمـةـ، الطـبـعةـ الـأـولـىـ، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

- شـرح مشـكـلـ الـآـثـارـ، لأـبـبـ جـعـفرـ أـحـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ الـطـحاـويـ (ت ٣٢١هـ)، تـحـقـيقـ شـعـيبـ الـأـرـنـاؤـوطـ، مـؤـسـسـةـ الرـسـالـةـ، بـبـيـرـوـتـ، الطـبـعةـ الـأـولـىـ، ١٤١٥هـ=١٩٩٤م.

- شواهد التوضيح والتصحيح لشكلاط الجامع الصحيح ، لابن مالك محمد بن عبد الله (ت ٦٧٢هـ) ، تحقيق الدكتور طه محسن ، مكتبة ابن تيمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .
- ضرائر الشّعر ، لابن عصفور علي بن مؤمن (ت ٦٦٩هـ) ، تحقيق السيد إبراهيم محمد ، دار الأندرس للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠م.
- طبقات الشافعية الكبرى ، للسبكي تاج الدين عبدالوهاب بن تقى الدين (ت ٧٧١هـ) ، تحقيق د. محمود محمد الطناحي ، ود. عبدالفتاح محمد الحلو ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ .
- طبقات الفقهاء ، لأبي إسحاق الشيرازي ، إبراهيم بن علي (ت ٤٧٦هـ) ، تحقيق إحسان عباس ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠م.
- الفائق في غريب الحديث ، للزمخري محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، لبنان.
- فضائل القرآن ، لأبي عبد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) ، تحقيق مروان العطية وصاحبيه ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، ١٤٢٠هـ .
- كتاب التعريفات ، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.
- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، لابن خزيمة محمد بن إسحاق (ت ٣١١هـ) ، تحقيق عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان ، مكتبة الرشد ، السعودية ، الرياض ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.
- لسان العرب ، لابن منظور محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤هـ .

- لمع الأدلة في أصول النحو، الإغраб في جدل الإعراب، لأبي البركات عبد الرحمن بن كمال الدين الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق سعيد الأفغاني ، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ=١٩٧١م.
- المدخل الوسيط لدراسة الشريعة الإسلامية والفقه والتشريع، د.نصر فريد محمدواصل ، المكتبة الوقفية، الطبعة الثانية.
- المدخل إلى الشريعة والفقه الإسلامي، د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، عمان،الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ=٢٠٠٩م.
- المدخل في الفقه الإسلامي تعريفه وتاريخه ومذاهبه نظرية الملكية والعقد، د.محمد مصطفى شلبي ، الدار الجامعية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة العاشرة ، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.
- المدخل لدراسة الفقه الإسلامي تطوره مدارسه مصادره قواعده نظرياته ، د. رمضان علي السيد الشرباصي ، مطبعة الأمانة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ.
- المدخل للفقه الإسلامي تارixinه مصادره نظرياته ، د.محمد سلام مذكور ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٦م.
- المستدرک على الصحيحين ، لأبي عبدالله محمد بن عبد الله الحاکم (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ=١٩٩٠م.
- مسند الإمام أحمد ، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، وآخرون ، إشراف د.عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ=٢٠٠١م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله - ﷺ ، لمسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

- معاني القرآن، للفراء يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق أحمد يوسف النجاتي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولى.
- معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ=١٩٩٣م.
- معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعي، وحامد صادق قنبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس أحمد بن فارس بن زكرياء (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.
- المقصاد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، للشاطبي إبراهيم بن موسى (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين وآخرون، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.
- مقدمة في دراسة الفقه الإسلامي، د.محمد الدسوقي، ود.أمينة الجابر، دار الثقافة، قطر، ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.
- المقرب، لابن عصفور علي بن مؤمن (ت ٦٦٩هـ)، تحقيق أحمد عبدالستار الجواري، وعبدالله الجبوري، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م.
- الموطأ، للإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ=١٩٨٥م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، المبارك بن محمد (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناхи، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطى عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، تحقيق عبدالحميد هنداوى ، المكتبة التوفيقية، مصر.
- الوافى بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أبيك الصفدى (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركى مصطفى، دار إحياء التراث ، بيروت، ٢٠٠٠هـ=١٤٢٠م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلkan أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧١م.

\*       \*       \*



Zakariya, Ahmad F. Mu‘jam Maqayis al-Lughah. Ed. Abdusalam M. Haroun. Dar al-Fekr, 1399 AH – 1979 AD.

al-Shatebi, Ibrahim M. al-Maqased ash-Shafiyah fi Sharh al-Khulasah al-Kafiyyah. Ed. Abdulrahman S. al-Othaimin et al. 1st ed. Makkah al-Mukarramah: Umm al-Qura University, Institute of Scientific Research and Heritage Revival, 1428 AH – 2007 AD.

ad-Desouqi, Muhammad, al-Jaber, Aminah. Introduction to the Study of Islamic Fiqh. Qatar: Dar at-Thaqafa, 1420 AH – 1999 AD.

Ibn ‘Asfour, Ali M. al-Muqareb. Ed. Ahmad A. al-Jawari, and Abdullah al-Jabouri. 1st ed. 1392 AH – 1972 AD.

Anas, Malik. al-Muwatta. Ed. Muhammad F. Abdulbaqi. Lebanon, Beirut: Dar Ihya’ at-Turath al-Arabi, 1406 AH – 1985 AD.

Ibn al-Athir, al-Mubarak M. al-Nehayah fi Gharib al-Hadith wa al-Athar. Ed. Taher A. al-Zawi and Mahmoud M. al-Tanahi. Beirut: al-Maktabah al-‘Elmiyyah, 1399 AH – 1979 AD.

as-Suyuti, Abdulrahman A. Ham’e al-Hawame’ Sharh Jame’ al-Jawame’. Ed. Abdulhamid Hindawi. Egypt: at-Tawqifiyyah Library, n.d.

as-Safadi, Khalil A. al-Wafi al-Wafiyat. Ed. Ahmad al-Arna’out and Turki Mustafa. Beirut: Dar Ihya’ at-Turath, 1420 AH – 2000 AD.

Ibn Khalka, Ahmad M. Wafiyat al-‘Ayan wa Anba’ az-Zaman. Ed. Ihsan Abbas. 1st ed. Beirut: Dar Sader, 1971 AD.

\* \* \*

Wasel, Nasr F. Approach to the Study of Islamic Sharia, Fiqh and Legislation. 2nd ed. al-Waqfiyyah Library.

al-Ashqar, Omar S. Introduction to Islamic Sharia and Fiqh. 1st ed. Jordan, Amman: Dar an-Nafa'es, 1425 AH - 2009 AD.

Shalabi, Muhammad M. Introduction to Islamic Fiqh: Definition, History, Schools and Theory of Property and Contract. 10th ed. Lebanon, Beirut: ad-Dar al-Jame'iyyah, 1405 AH – 1985 AD.

ash-Sherbasi, Ramadan A. Introduction to the Study of Islamic Fiqh: Development, Schools, Rules, and Theories. 2nd ed. al-Amanah Press, 1403 AH.

Salammadkour, Muhammad. The Introduction to Islamic Fiqh: History, Sources, Theories. 2nd ed. Cairo: Dar al-Ketab al-Hadith, 1996 AD.

al-Hakem, Muhammad A. al-Mustadrek 'ala as-Sahihain. Ed. Mustafa A. Atta. 1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1411 AH – 1990 AD.

Ibn Hanbal, Ahmad M. Musnad al-Imam Ahmad. Ed. Shu'aib al-Ana'out et al. Supervised by Dr. Abdullah A. al-Turki. 1st ed. ar-Resalah Foundation, 1421 AH – 2001 AD.

an-Naisabouri, Muslim H. al-Musnad as-Sahih al-Mukhtasar bi Naql al-'Adl 'an al-'Adl ela Rasoul Allah. Ed. Muhammad F. Abdulbaqi. Beirut: Dar Ihyaat-Turath al-Arabi, n.d.

al-Fara', Yahya Z. Ma'ani al-Quran. Ed. Ahmad Y. an-Najati et al. 1st ed. Egypt: Dar al-Mesriyyah for authoring and translation, n.d.

al-Hamawi, Yaqout A. Mu'jam al-Odaba (Irshad al-Arib ela Ma'arefat al-Adib). Ed. Ihsan abbas. 1st ed. Beirut: Dar al-Gharb al-Islami, 1414 AH – 1993 AD.

Rawasqal'aji, Muhammad, & Qanbi, Hamed. Mu'jam Lughat al-Fuqaha'. 2nd ed. Dar an-Nafa'es for printing, publishing and distribution, 1408 AH – 1988 AD.



at-Tahawi, Ahmad M. Sharh Mushkel al-Athar. Ed. Shu'aib al-Arna'out. 1st ed. Beirut: ar-Resalah Foundation, 1415 AH – 1994 AD.

Ibn Malik, Muhammad A. Shawahid at-Tawdhib wa at-Tas'hih li Mushkelat al-Jame' as-Sahih. Ed. Dr. Taha Muhsen. 1st ed. Ibn Taymiyyah Library, 1405 AH.

Ibn Asfour, Ali M. Dhara'er ash-She'r. Ed. as-Saiyyed Ibrahim Muhammad. 1st ed. Dar al-Andalus for printing publishing and distribution, 1980 AD.

as-Sabki, Abdulwahhab T. Tabaqat ash-Shafe'iyyah al-Kubra. Ed. Dr. Mahmoud M. at-Tanahi and Abdulfattah M. al-Huluw. 2nd ed. Hadr for printing, publishing and distribution, 1413 AH.

ash-Sherazi, Ibrahim A. Tabaqat al-Fuqaha'. Ed. Ihsan Abas. 1st ed. Lebanon, Beirut: Dar ar-Ra'ed al-Arabi, 1970 AD.

az-Zamakhshari, Mahmoud O. al-Fa'eq fi Gharib al-Hadith. Ed. Ali M. al-Bejawi and Muhammad A. Ibrahim. Lebanon: Dar al-Ma'arefah, n.d.

Salam, al-Qasem. Fadha'el al-Qur'an. Ed. Marwan al-'Atyah et al. Damascus, Beirut: Dar Ibn Khathir, 1420 AH.

al-Jurjani, Ali M. Ketab at-Ta'refat. Ed. a group of scholars supervised by publisher. 1st ed. Lebanon, Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1403 AH – 1983 AD.

Ibn Khuzaimah, Muhammad I. Ketab at-Tawhid wa Ithbat Sefat ar-Rab 'aza wa Jall. Ed. Abdulaziz I. al-Shahwan. 5th ed. Saudi Arabia, Riyadh: ar-Rushd Library, 1414 AH – 1994 AD.

Ibn Manzhour, Muhammad M. Lesan al-Arab. 3rd ed. Beirut: Dar Sader, 1414 AH.

al-Anbari, Abdulrahman K. Lame' al-Adelah fi 'Usoul an-Nahw, al-I'ghrab fi Jadil al-Ierab. Ed. said al-Afghani. 2nd ed. Damascus: Dar al-Fekr, 1391 AH – 1971 AD.

al-Muradi, Haasn Q. al-Jana ad-Dani fi Hurouf al-Ma'ani. Ed. Dr. Fakhr ad-Din Qebawah and Muhammad N. Fadhel. 1st ed. Lebanon, Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1413 AH - 1992 AD.

Ibn Jenni, Othman. al-Khasa'es. 4th ed. Egyptian General Book Authority, n.d.

Jandal, Maymoun Q. Diwan al-'Asha. Biuret: Dar Sader 1414 AH – 1994 AD.

Diwan al-Huthaliyin. Ed. Muhammad M. ash-Shanqiti. Cairo: Egyptian National Library for printing and publishing, 1385 AH - 1965 AD.

ath-Thahabi, Muhammad A. Syiar A'lam an-Nubala'. Ed. a group of editors supervised by Shu'aib al-Arna'out. 3rd ed. Beirut: ar-Resalah Foundation, 1405 AH – 1985 AD.

al-Ashmouni, Ali M. Sharh al-Ashmouni ala Alfiyat Ibn Malik. 1st ed. Lebanon, Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1419 AH – 1998 AD.

Ibn Malik, Muhammad A. Sharh at-Tashil (Tashil al-Faw'ed wa Takmil al-Maqased). Ed. Dr. Abdulrahman al-Saiyyed and Dr. Muhammad B. al-Makhtoun. 1st ed. Lebanon, Beirut: Dar Hajar, 1410 AH – 1990 AD.

al-Istra`abathi, Muhammad H. Sharh ar-Radhi 'ala al-Kafiyah li Ibn al-Hajeb. Ed. Dr. Yousuf H. Omar. Libya: University of Qar Younis, 1395 AH – 1975 AD.

al-Baghawi, al-Hussain M. Sharh al-Sunnah. Ed. Shu'aib al-Arna'out and Muhammad Z. al-Shawish. 2nd ed. Damascus, Beirut: al-Maktab al-Islami, 1403 AH – 1983 AD.

Ibn Malik, Muhammad A. Sharh al-Kafiyah ash-Shafiyah. Ed. Dr. Abdulmun'em A. Haridi. 1st ed. Makkah al-Mukarramah: Umm al-Qura University, Center of Scientific Research and Islamic Heritage Revival, College of Sharia and Islamic Studies, 1410 AH – 1990 AD.



ath-Thahabi, Muhammad A. Tarikh al-Islam wa Wafyat al-Mashahir wa al-'Alam. Ed. Dr. Bash`shar A. Ma'arouf. 1st ed. Dar al-Gharb al-Islami, 2003 AD.

al-Khudhari, Muhammad. Tarikh at-Tashri'e al-Islami. 8th ed. Dar al-Fekr, 1387 AH - 1967 AD.

al-Baghdadi, Ahmad A. Tarikh Baghdad. Ed. Dr. Bash`shar A. Ma'arouf. 1st ed. Beirut: Dar al-Gharb al-Islami, 1422 AH – 2002 AD.

Abi Hayyan, Muhammad Y. at-Tathiyil wa at-Takmil fi Sharh at-Tashil. Ed. Dr. Hasan Hindawi. 1st ed. Kingdom of Saudi Arabia, Riyadh: Dar Kunouz Ishbiliya, 1426 AH – 2005 AD.

Ibn Malik, Muhammad A. Tashil al-Faw'ed wa Takmil al-Maqased. Ed. Dr. Muhammad K. Barakat. 1st ed. Dar al-Ketab al-Arabi for printing and publishing, 1387 AH – 1967 AD.

al-Azhari, Khalid A. at-Tasrih bi Madhmoun at-Tawdhib fi an-Nahw. 1st ed. Lebanon, Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1421 AH - 2000 AD.

al-Muradi, Hassan Q. Tawdhib al-Maqased wa al-Masalek bi Sharh Alfiyat ibn Malik. Ed. Dr. Abdulrahman A. Sulaiman. 1st ed. Dar al-Fekr al-Arabi, 1428 AH – 2008 AD.

Ibn al-Athir, al-Mubarak M. Jame' al-Usoul fi Ahadith ar-Rasoul. Ed. Abdulqadir al-Arna'out and Bashir Oiyoun. 1st ed. al-Halwani Library, 1392 AH - 1972 AD.

al-Bukhari, Muhammad I. al-Jame' al-Musnad as-Sahih al-Mukhtasar mn Omour Rasoul Allah wa Sunaneh wa Ayameh. Ed. Muhammad Z. al-Naser. 1st ed. Dar Tawq an-Najat, 1422 AH.

al-Humaidi, Muhammad F. al-Jam' bayn as-Sahihayn al-Bukhari wa Muslim. Ed. Dr. Ali H. al-Bawab. 2nd ed. Lebanon, Beirut: Dar ibn Hazm, 1423 AH - 2002 AD.

## **List of References:**

### **Works cited**

- azh-Zaheri, Ali M. al-Ihkam fi Usoul al-Ahkam. Ed. Dr. Ahmad M. Shaker and Ihsan Abas. Beirut: Dar al-Afaq al-Jadidah, n.d.
- Ibn as-Sarraj, Muhammad S. al-Usoul fi an-Nahw. Ed. Abdulhussain al-Fatli. Lebanon, Beirut: ar-Resalah Foundation, n.d.
- al-'Akbari, Abdullah H. 'Ierab al-Qara'at ash-Shawath. Ed. Dr. Muhammad S. Azoz. 1st ed. Lebanon, Beirut: 'Alam al-Kutub, 1417 AH – 1996 AD
- al-Zarkali, Khair ad-Din M. al-A'lām. 15th ed. Beirut: Dar al-Ilm Lil-Malayin, 2002 AD.
- as-Suyuti, Abdulrahman A. al-Iqterah fi 'Usuol an-Nahw wa Jadaleh. Ed. Dr. Mahmuod Fajal. 1st ed. ath-Thaghr Press, 1409 AH - 1989 AD.
- Al-Qafti, Ali Y. Inbah ar-Ruwat 'ala Anbah an-Nuhat. Ed. Muhammad A. Ibrahim. 1st ed. Cairo: Dar al-Fekr al-Arabi, alqahirat, 1406 AH – 1982 AD.
- al-Anbari, Abdulrahman K. al-Insaf fi Masa'el al-Khelaif bain an-Nahawiyen: al-Basriyen wa al-Kufiyan. 1st ed. al-Maktabah al-'Asriyyah, 1424 AH – 2003 AD.
- Ibn Hisham, Abdullah Y. Awdhah al-Masalek ela Alfiyat ibn Malik. Ed. Yousuf S. al-Beqa'i. Dar al-Fekr for printing, publishing, and distribution, n.d.
- az-Zajaji, Abdulrahman I. al-Idhah fi 'Elal an-Nahw. Ed. Mazen Mubarak. 3rd ed. Beirut: Dar an-Nafa'es, 1399 AH – 1979 AD.
- Abi Hayyan, Muhammad Y. al-Bahr al-Muhiṭ fi at-Tafsir. Ed. Dr. Sedqi M. Jamil. 1st ed. Beirut: Dar al-Fekr, 1420 AH.
- az-Zubaidi, Muhammad M. Taj al-'Arouos mn Jawaher al-Qamous. Ed. a group of editors. Dar al-Hidayah, n.d.

**Dr. Abdelaziz bin AbdelraHman AlKhathlan**

College of Arts  
King Faisal University

**Abstract:**

The current research paper tackles the question of adopting Explicitness ((alzahir: phenomenology) in Arabic grammar. This issue has not received adequate theoretical study, albeit its utilization by many scholars in forming their positions, directives and perspectives. The researcher studies this question in the works of a pioneering grammarian, Abu abdallah Muhammad bin abdallah Ibn malek, Jamal aldeen, altaaie, aljyani (672 A.H). The phenomenological orientation is attested in Imam alshaTebi's words about Ibn Malek, in the course of explaining Ibn Malek's work known as Alalfiyah, "particularly because Ibn Malek demonstrates explicitness, most of the time, in what he writes in his books".

This research deals with explicitness in the works of Arabic grammarians, starting from introducing the concept of explicitness in language, and in the works of Fuqaha' (Jurisprudents) and grammarians. Then Ibn malek is explained through his being influenced by explicitness and the specific areas where this doctrine is applied, his perspective of using explicitness, and the literature he utilized in adopting this doctrine.

This research is conducted in accordance with the inductive descriptive method, taking the analysis as a means to achieve the desired goals.

Keywords: Ibn Malik, Arabic grammar, the explicitness doctrine, interpretation

## **ابن مالك ظاهري النحو**

د. عبدالعزيز بن عبد الرحمن الخثلان  
كلية الآداب - جامعة الملك فيصل



## ابن مالك ظاهري النحو

د. عبدالعزيز بن عبد الرحمن الخثلان

كلية الآداب - جامعة الملك فيصل

تاريخ تقديم البحث: ٢٠/١٢/١٤٣٨ هـ تاريخ قبول البحث: ١٧/٤/١٤٣٩ هـ

### ملخص الدراسة:

يتناول هذا البحث قضية الأخذ بالظاهر في النحو العربي، وهي من القضايا التي لم تأخذ حظّها من الدراسة والتأصيل، رغم اعتماد كثير من العلماء عليها في آرائهم، وتوجيهاتهم، وترجيحاتهم، وقد تناولتها عند شخصية نحوية تعدّ رائدة في هذا الأمر، وهو أبو عبدالله محمد بن مالك، جمال الدين، الطائي، الجياني (ت - ٦٧٢ هـ)، وذلك لقول الإمام الشاطبي عنه في شرح الألفية: "ولا سيما وابن مالك ظاهري النحو في الغالب على ما يظهر من كلامه في تواليه".

فتناول هذا البحث الأخذ بالظاهر عند علماء النحو العربي، معرفاً بمفهوم الظاهر في اللغة، وعند الفقهاء، وعند النحويين، ثم الحديث عنه عند ابن مالك، من خلال ملامح تأثره بالظاهر، ومواضع أخذه بالظاهر، وتوجيهات للحمل على الظاهر، والأصول التي اعتمد عليها في الأخذ بالظاهر.

وسار هذا البحث وفق المنهج الاستقرائي الوصفي، المتخد من التحليل وسيلة للوصول إلى الأهداف المبتغاة.

الكلمات المفتاحية: ابن مالك، النحو، الظاهر، المذهب الظاهري، التأويل.



## المقدمة :

الحمد لله الذي عَلِمَ بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم، أَحْمَدَهُ حَمْدًا كثيًراً طيًّا، وأَصْلَى عَلَى مَنْ أَحْيَا -بِإِذْنِهِ- أَجيالًا مِنَ الرَّمْمَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَاحِبِهِ وَسَلَّمَ، أَمَا بَعْدُ:

فمنذ أن درجت في دراسة الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم وخصائص لغته المعجزة والنفس تتشوف لدراسة سورة القلم وتتوق لبحثها، ذلك أنها أول سورة قرآنية واجهت أهل مكة وهم أرباب الفصاحة والبيان بالتحدي وإرهادات التحدي حين افتتحت بحرفٍ من الحروف المقطعة في مطلعها، ولكونها أول سورة قرآنية يتتصدرها قسم. هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن سورة القلم تهدينا إلى الجو العام أول البعثة حين اشتدى إيزاد المشركين للنبي ﷺ بداية الدعوة الجهرية، وثقل عليه اللهم اتهامه بالجنون والسحر والكهانة، وهو المعروف بينهم بالصادق الأمين، فهو وإن كان نبياً مرسلاً يتلقى الوحي من رب العلمين فإنه بشر تخالجه مشاعر البشر ، ويعاني وقع هذه الاتهامات الأليمة على نفسه ، ففي سورة القلم وردت التهمة بأسلوب الغيبة : ﴿ وَإِنْ يَكُنُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَزَّلُوكُنَّكَ بِأَبْصَرِهِ لَمَّا سَمِعُوا الْذِكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لِجَنُونٌ ۝ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝ ۵۵﴾ وفي سورة الحجر بأسلوب الخطاب ﴿ وَقَالُوا يَتَأَيَّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الْذِكْرُ إِنَّكَ لَمَجْحُونٌ ۝ ۶۰﴾ فالتهمة هنا ليست مقالة تناقلها قومه وحسب ، بل واجهوه اللهم بها مع غاية الاستخفاف والتعمت والسفه ﴿ وَقَالُوا يَتَأَيَّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الْذِكْرُ ۝ ۶۱﴾ يقول الرازمي : ذكروه على سبيل الاستهزاء كما قال فرعون عن موسى اللهم في سورة الشعراء : ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُنْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْحُونٌ ۝ ۶۲﴾

### منهج الدراسة :

لهذا عزمتُ على المضي قدماً للكشف عن بعض الكنوز البلاغية لهذه السورة، والوقوف على ملامح هذه الرعاية من خلال ما ترسمه بأسلوبها وبنائها التركيبية<sup>(٢)</sup> دراسة تحليلية نظمية منطلقة من القاعدة البيانية التي يقررها عبد القاهر في الدلائل من أن بلاغة الكلام إنما هي بلاغة النفوس والعقول التي أنتجته، وأن هذه الأبنية اللغوية التي ندرسها والتركيب النحوية التي خلّلها ماهي إلا أمارات وعلامات تهدي إليها، وأن جمال العمل الأدبي لا يعود إلى العناية بالصياغة اللفظية وحدها، وإنما إليها على أنها أوعية المعاني؛ لأنها لامحالة تتبع هذه المعاني في مواقعها؛ فإذا وجب أن يكون المعنى أولاً في

(١) ينظر : التفسير الكبير : ١٩ / ١٥٨ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (ط ، ت : د )

(٢) وأقصد به (النظم التركيبية) وقد ورد عند برهان الدين البقاعي وتابعه في ذلك بعثاً للحياة في مصطلحاتنا البلاغية. يقول في معرض حديثه عن أهمية علم المناسبة : « وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين : أحدهما : نظم كل جملة على حاليها بحسب التركيب ، والثاني نظمها مع اختها بالنظر إلى الترتيب ..» نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين البقاعي : ١٠١ - ١١٠ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م. ويقصد بالنظم التركيبية النظم الذي أساسه النحو ، والذي تحكم مكوناته العلاقة النحوية ، والآيات القرآنية وإن تكونت من جمل عدة ، فإنك إذا تأملتها رأيت العلاقة بينها علاقة نحوية ، بل إن بعض السور ليست إلا جملة نحوية تختضن في سياقها جملًا صغيرًا كسوره العصر مثلاً ، والبقاعي في تحليله للنظم التركيبية يربط دلالات التركيب وسمات الأسلوب في السورة بالسياق القريب والبعيد للجملة ، وبالمقصد الرئيس من السورة فيتحقق الوحدة العضوية للسورة ، وهو المعنى الذي أردته. ينظر : الإمام البقاعي جهاده ومنهاج تأويله بلاغة القرآن الكريم ، د. محمود توفيق سعد : ٢٤٨ ، الناشر ومكان النشر (من دون) ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤ هـ.

النفس وجب أن يكون اللفظ الدال عليه أولاً في النطق، وهو ما عبر عنه عبد القاهر بتوصي معاني النحو وفق الأغراض التي تؤمّن<sup>(١)</sup> وأن اختيار الألفاظ وحدها لا يكفي في تبيان البلاغة والإعجاز وإنما لاتصال ما قبلها بما بعدها؛ بحيث «إذا قلنا في لفظة (اشتعل) من قوله تعالى : ﴿وَأَشْتَعِلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤] أنها في أعلى رتبة من الفصاحة لم تُوجَب تلك الفصاحة لها وحدها، ولكن موصولاً بها (الرأس) معرفاً بالألف واللام ومقروراً إليهما (الشيب) منكراً منصوباً<sup>(٢)</sup> وهكذا.. وقد سعى جاهدة إلى ملاحظة المعاني والإشارات التي تكمن وراء تلك الأبنية، وخلف تلك الأحوال.

وقد انتظمت الدراسة في ثلاثة مباحث حسب موضوعات هذه السورة :

**المبحث الأول – دراسة البناء التركيبي للمطلع (إظهار علم النبي ﷺ والثناء عليه والتعریض بأعدائه )**

**المبحث الثاني – دراسة البناء التركيبي للمعقد أو القلب (تهديد الأعداء وضرب المثل بأصحاب الجنة )**

**المبحث الثالث – دراسة البناء التركيبي للمقطع أو الختام (مجادلة الأعداء والأمر بالصبر وضرب المثل بيونس عليه السلام )**

بعد أن مهدت له بيان مقصود السورة، ونزلتها، ومناسبتها لما قبلها.

#### **الدراسات السابقة :**

**لم أجد – حسب علمي** - دراسة بلاغية تحليلية لسورة القلم تنطلق من بنائها التركيبي، وتستخلص الفوائد ولطائف المعاني البينية الكاشفة عن مدى

(١) ينظر : دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني : ٨٧ .

(٢) السابق : ٤٠٣ - ٤٠٢ .

رعاية الله لنبيه واحتضانه له وترتبطه بهذا المقصود، وإنما دراسات اتجهت للدراسة التحليلية العامة لجميع الجوانب البلاغية للسورة، أو وفق منطلقات أسلوبية تقاطعت مع بعض أجزائها، لكنها لم تعالج فكرة البحث، وهي تناسب تراكيذ السورة مع مقصودها، وهو الهدف الذي اختُص به هذا البحث، ومن هذه الدراسات :

- آيات تأييد الرسول ﷺ في القرآن الكريم : دراسة بلاغية تحليلية ، خالد القرني ، رسالة تخصص ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية اللغة العربية ، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي ، ١٤٢٤ هـ ، وقد أحصت هذه الدراسة آيات تأييد الرسول ﷺ في القرآن كاملاً ودرستها دراسة بلاغية تحليلية ، ولم تقف عند سورة القلم على الإطلاق !

- الآيات القرآنية المتعلقة بالرسول ﷺ ، دراسة بلاغية أسلوبية ، عدنان الجميلي ، بحث الدرجة العالمية ، كلية التربية ، جامعة بغداد ، وهي كسابقتها لم تقف عند سورة القلم استقلالاً ، وإنما اكتفت بالإشارة إلى ثلاث آيات فقط مع أنه قد نص في مقدمته أن الآيات موضع الدراسة قد بلغت عنده (١٤٦) وقد كانت مجالاً للتطبيق حسب الفن الذي يتناوله من فنون البلاغة وفق المنهج الأسلوبى بمستوياته الثلاثة : الصوتي والتركيبي والدلالي ، وليس دراسة كلية منطلقة من الآية كما هو منهج هذه الدراسة.

- جماليات النظم القرآني في قصة أصحاب الجنة في سورة القلم لـ : د. عبد الرحمن بن رجاء السلمي ، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية ، العدد (١٢) ، ١٤٣٢ هـ ، وهذه اقتصرت على الجماليات الفنية لقصة أصحاب الجنة وخصائص التصوير للقصة القرآنية وفقاً لنظرية سيد

قطب في (التصوير الفني) دون بيان علاقتها بموضوع رعاية الله وتثبيته الذي هو فكرة هذه الدراسة.

والقول نفسه ينسحب على الدراسات التي تناولت السورة كاملة بالدراسة التحليلية لجوانبها البلاغية بشكل عام دون التركيز على إبراز فكرة هذه الدراسة، وهي :

- الإعجاز البلاغي في سورة القلم، هناء عابدين عبدالله، مجلة كلية الآداب، جامعة أسيوط، العدد (٢٢) ٢٠٠٧ م، ويقع في أربع وخمسين صفحة. ومنهجها كما ذكرت في مقدمتها تناول الآيات بالتفسير أولًا مع ذكر المعنى الذي تدور حوله، ثم تحليلها بلاغياً وفق مسائل المعاني البليان والبلديع<sup>(١)</sup>، ويمكن عده تفسيرًا بلاغياً للسورة، تختلط فيه المباحث البلاغية بمسائل النحو والتفسير كما أنها لم ترصد نتائج علمية في ختامها.<sup>(٢)</sup>

- البلاغة القرآنية في سورة القلم - دراسة تطبيقية، رمضان محمد محمود حسان، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة الأزهر، القاهرة ، المجلد الرابع، العدد (٢٧)، ٢٠٠٩ م، ويقع في مئة وأربع صفحات. يذكر الباحث في مقدمته أنه درس السورة مبرزاً الجانب البلاغي، مظهراً عظمة القرآن في هذا الجانب، وأن منهجه « ذكر مناسبة الآية لما قبلها، ثم ذكر المعاني اللغوية، ثم المعنى العام للأية، ثم ذكر ما ورد بها من فنون بلاغية وأساليب أدبية »<sup>(٣)</sup>

(١) ينظر : الإعجاز البلاغي في سورة القلم ، هناء عابدين عبدالله ، مجلة كلية الآداب ، جامعة أسيوط ، العدد (٢٢) : ٢٤٩ .  
(٢) ينظر : السابق : ٢٩٧ .

(٣) البلاغة القرآنية في سورة القلم - دراسة تطبيقية ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية ، جامعة الأزهر ، المجلد الرابع ، العدد (٢٧) : ٢٠٢٢ .

والتركيز على الفنون البلاغية وفق علوم البلاغة (المعاني والبيان والبدع) مما يطبع هذا الدراسة، فضلاً عن إدارته موضوعات السورة حول إثبات نبوة محمد ﷺ.. يقول تحت عنوان (أهداف السورة ومقاصدها العامة) :

«تناولت هذه السورة ثلاثة مواضيع أساسية، وهي :

- أ. موضوع الرسالة والشبه التي أثارها كفار مكة حول دعوة محمد ﷺ.
  - ب. قصة أصحاب الجنة؛ لبيان نتيجة الكفر بنعم الله تعالى.
  - ج. الآخرة وأهواها وشدائدتها، وما أعد الله للفريقيين : المسلمين والمجرمين.
- ولكن المحور الذي تدور عليه السورة هو موضوع إثبات نبوة محمد ﷺ، وهذه السورة علاجات تربوية للرسول بشأن مواقف المكذبين برسالته وبالقرآن<sup>(١)</sup> وبذلك تبتعد عن موضوع هذه الدراسة، كما أنه يخالف أكثر المفسرين الذين قرروا أن مدار السورة رعاية النبي وإظهار علمه – كما سيأتي –
- كما أن نتائج الدراسة ركزت على اشتغال السورة على كثيرٍ من الفنون البلاغية موزعة على علوم البلاغة الثلاثة (المعاني والبيان والبدع) فمن علم المعاني : القسم والمحذف والوصل والفصل والاستفهام...، ومن فنون البيان : التشبيه والاستعارة والمجاز وهكذا !
- تحليل لغوي أسلوبي لسوره القلم، محمد مريري، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الرابعة
- والثلاثون، الكويت، ٢٠١٣م - ١٤٣٤هـ
- الدراسة كما صرّح في مقدمته إلى استجلاء

(١) السابق : ٢٠٢٥.

الجوانب اللغوية والأسلوبية من خلال الشرح والموازنات ورصد الظواهر الأسلوبية وفق المستويات الآتية : المعجمي ، والنحو ، والصوتي ، والقصة ، وقد وضح أنه وقف عند المستوى المعجمي ليكشف من خلال الشرح والمقارنات الدقة القرآنية في الاختيار ، وفي الجانب النحوي تناول التراكيب النحوية المتصلة بالناحية الجمالية والفنية بحسب المباحث المعروفة في علم المعاني ، وفي الجانب الصوتي درس الفاصلة والنظام الصوتي وتوزيعه على الأصوات في السورة ، واجتهد في إبراز الخصائص الفنية للقصة عند تناوله للقصة كل ذلك من أجل الاقتراب من المناحي الفنية للسورة<sup>(١)</sup> ، والحق أن له إضافة في الجانب الصوتي تُحسب له .

أما هذا البحث فمعني بالكشف عن ملامح رعاية الله للمصطفى ﷺ ومواساته وتشبيهه من خلال أسلوبها ، وخصائص نظمها وبنائها التركيبية ، وكيف استطاعت أن تؤديه على أبلغ وجه وأتم بيان ، وقد بذلك الوسع في تتبع أسرار هذا التناصب بلاغياً ، ولطائفه البيانية بمزيد من التأمل ، وإنعام النظر ، وأرجو أن أكون قد وفقت في تحقيق الهدف الذي سعيت إليه ، وأسائل الله المغفرة عن التقصير؛ مما يحمل بمقتوم هذا الميدان الذي أفتى فيه الأولون والآخرون بأعمارهم إلا أن يفعل كما فعلوا أو أن يسدد ويقارب .

فتتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم      إن التشبيه بالكرام فلاخ .  
والله المستعان، وعليه التكلان.

---

(١) ينظر : تخليل لغوي أسلوبي لسورة القلم : ١٤ - ١٦

## التمهيد:

### مقصود السورة :

إن آيات كل سورة إنما يكون بينهما من التنااسب والتجابب والتآخي والتناغي ما يتحقق لها وحده بيانية معجزة مذهبة، بل إن تسمية القسم من أقسام القرآن باسم (سورة) تدل على أن كل منها يجمع آياته غرض رئيس وترتبطها علائق داخلية وثيقة<sup>(١)</sup> ومجمل الأمر في هذا «أن كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وأخرها، ويستدل عليه فيها، فترتّب المقدّمات الدالة عليه على أتقن وجه وأبدع نهج، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليل استدل عليه، وهكذا في دليل الكلام، وهلم جرا، فإذا وصل الأمر إلى غايته ختّم بما منه ابتدأ، ثم انعطاف الكلام وعاد النظر عليه على نهج آخر بديع، ومرّ في غير الأول منيع، فتكون السورة كالشجرة النضيرة العالية، المزينة بأنواع الزينة المنظومة بأفنان الدر، وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدواير، وكل دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها، وشعبة ملتحمة بما بعدها، وأخر السورة قد واصل أولها، كما لاحم انتهاؤها ما بعدها، فصارت كل سورة دائرة كبرى، مشتملة على دواير الآيات الغرّ، العجيبة الضم، بلين تعاطف أفنانها، وحسن تواصل ثمارها وأغصانها»<sup>(٢)</sup>

ويكن تشبيه المعاني الجزئية في تلاحمها في السورة الواحدة كمثل أجزاء العضو الواحد من الإنسان.

(١) العزف على أنوار الذكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة ، محمود توفيق سعد : ٨١ / ١ ( المكتبة الشاملة كتاب آلي غير مطبوع ) ١٤٢٤ هـ.

(٢) نظم الدرر للبقاعي : ١ / ١٤.

والمعاني الكلية في السورة كلهَا تلتجم كما تلتجم الأعضاء في جسم الإنسان، ثم تتدشبة من الوسائل تحيط بها، كما تشتبك الأعضاء بالشرايين والعروق والأعصاب من وراء ذلك كله يسري في جملة السورة في اتجاه معين، وتؤدى بمجملها غرضًا خاصًا، كما يأخذ الجسم قوامًا واحدًا، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد مع اختلاف وظائفه العضوية<sup>(١)</sup>. ومن هنا تأتي أهمية معرفة مقصود السورة. فإن هذا المغزى الكلي والمقصود الرئيس هو مفتاح خزائن كل سورة من لطائف المعاني، ورائقها، وحقائقها، لأنَّه المهيمن على كل عنصر من عناصر البيان في السورة، والطريق لإدراك وجه التناسب فيها، يقول البقاعي «الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة»<sup>(٢)</sup>

ويقول أيضًا : «مَنْ حَقَّ الْمَفْهُومُ مِنْ كُلِّ سُورَةٍ عَرَفَ تَنَاسُبَ آيَاتِهَا وَقَصْصَهَا وَجَمِيعَ أَجْزَائِهِ، وَبِهِ يُنَكِّشَفُ غَامِضُ الْمَعْنَى وَتُتَبَيَّنُ أَسْرَارُ الْقَصَصِ الْمُكَرَّراتِ وَأَنَّ كُلَّ سُورَةً أُعِيدَتْ فِيهَا قَصْةً، فَلَمْ يَعْنِي ادْعَى فِي تِلْكُ السُّورَةِ.. غَيْرُ الْمَعْنَى الَّذِي سُيَقَتْ لَهُ فِي السُّورَةِ السَّابِقَةِ، وَمِنْ هُنَا اخْتَلَفَتِ الْأَلْفَاظُ بِحَسْبِ تِلْكُ الْأَغْرَاضِ، وَتَغَيَّرَتِ النَّظُومُ بِالْتَّأْخِيرِ وَالْتَّقْدِيمِ وَالْإِبْجَازِ وَالْتَّطْوِيلِ مَعَ أَنَّهَا لَا يَخَالِفُ شَيْءًا مِنْ ذَلِكَ أَصْلَ الْمَعْنَى الَّذِي تَكَوَّنَتْ بِهِ الْقَصْةُ»<sup>(٣)</sup>

(١) ينظر : النَّبَّاعُ الْعَظِيمُ ، د. عبد الله دراز : ١٥٥ ، الكويت ، ١٣٩٧ هـ.

(٢) البقاعي ، نظم الدرر : ١ / ١٤٩.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي : ١ / ١٤.

ومن الجدير أن استكشاف المغزى والمقصود الكلي في سورة يحتاج إلى مصايرة ومدارسة فسيحة عميقية متکاثرة الروافد، كما يلزم التسلح بالمنهج المعين على استبصاره وإدراكه<sup>(١)</sup>.

والمتأمل لمعاني سورة القلم يجد أن معظمها في الذب عن النبي وتسليته ﷺ، ومواساته والثناء عليه وعلى المؤمنين، وتولي حرب أعدائه وذمهم، وتهديد كبراء قريش المغترين بأموالهم وأولادهم بأن يلحقهم ما لحق مانعي الزكاة من البؤس والقطح بعد الخصب والنعيم، وأمره ﷺ بالصبر على أولئك الذين اتهموه بالجنون، المتربيين به وبدعوته والإشارة إلى حال يونس في قلة الصبر.<sup>(٢)</sup>

- (١) وقد اجتهد د. محمود توفيق سعد في استخلاص هذه الروافد التي يمكن أن يُستَّقِي منها المقصود ، وتعين في استبصاره. وهي :
١. اسم السورة ؟ فاسم كل سورة مترجم عن مقصودها كما يقرر البقاعي في قوله : « اسم كل شئ تلحظ المناسبة بينه وبين مسماه، عنوانه الدال بالإجمال على تفصيل ما فيه » نظم الدرر : ١ / ٤١.
  ٢. فاتحة السورة وخاتمتها.
  ٣. الخاتمة والمقاطع.
  ٤. تدبر الفروق البينية بين المعانى الكلية المصرفة فى سور كالقصص.
  ٥. تدبر الفروق البينية بين المعانى الجزئية المصرفة فى السورة.
  ٦. المعجم اللغوي للسورة
- ينظر : العزف على أنوار الذكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة، محمود توفيق سعد : ١ / ٨١.

- (٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩ / ٥٨ تفسير التحرير والتنوير ، الشیخ الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية ، تونس (ط ، ت : د) ؛ بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، الفيروز آبادی : ٤٧٦ / ١ ، ت : محمد النجار ، دار الباز ، مكة (ط ، ت : د) ؛ في ظلال القرآن ، سيد قطب : ٣٦٥٣ / ٦ ، دار الشروق ، الطبعة ٢١ ، ١٤١٩ هـ ١٩٩٣ م ؛ المختصر في التفسير ، جماعة من علماء التفسير : ص ٥٦٤ ، مركز تفسير للدراسات القرآنية ، الطبعة الثالثة ، ١٤٣٧ هـ. وفي تفسير القرطبي أن معظم السورة في الوليد بن المغيرة. ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٨ / ٢١ ، ت :

يقول البقاعي في بيان مقصودها رابطاً أولها بآخر سورة الملك : «  
مَقْصُودُهَا إِظْهَارٌ مَا اسْتَرَ، وَبِيَانٍ مَا أَبْهَمَ فِي آيَةٍ ﴿فَسَتَعْمَلُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾» [الملك: ٢٩] بتعيين المحتدي الذي برهن على هدایته حيازته  
العلم الذي هو النور الأعظم والتخلق بالفرقان ، وأدل ما فيها على هذا  
الغرض (ن) وكذا (القلم) »<sup>(١)</sup>

وحين تحدث عن التناسب بين المقصود وافتتاح السورة بالحرف(ن) قال :  
« فقد انطبقت بخرجها وجميع صفاتها على العلم الذي هو مقصود  
السورة..» أي علم النبي ﷺ  
نزو لها :

سورة القلم مكية باتفاق أهل العلم ، وتسمى سورة (ن) كذلك ،  
لابتدائها بحرف النون ، ولأهل العلم خلاف غير محسوم في ترتيب نزولها ،  
فالأصح الذي تضافرت عليه الأخبار الصحيحة أن أول ما نزل  
من القرآن سورة العلق <sup>(٢)</sup> ، ثم اختلف فيما نزل بعد من القرآن ، فقيل :  
سورة (ن) والقلم ، وقيل المدثر ، ثم المزمول ، وقيل : بل : العلق ثم المدثر ،  
ثم المزمول ، ثم القلم. <sup>(٣)</sup>

وإن كنتُ أميلُ إلى رأي د. بكري شيخ أمين بتأخر نزولها إلى ما بعد السنة  
الثالثة منبعثة ، أي في مرحلة الدعوة الجهرية ؛ لما فيها من الدلالة على

أحمد البردوني ، إبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ،  
١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

(١) نظم الدرر ، البقاعي : ٨٩/١ (بتصرف).

(٢) رواه البخاري في الصحيح الجامع ، كتاب بدء الوحي ، باب (٣) ، كتاب  
تفسير القرآن ، باب سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق.

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/٥٨.

حدوث المواجهة الصريحة الحادة مع المشركين، وذلك لم يحدث في بداية الدعوة؛ إذ كانت الدعوة سرية<sup>(١)</sup>، كما أن اتهام النبي بالجنون كان من أهم أسباب نزولها كما يتضح من تدبر معانيها.

### مناسبة السورة لما قبلها :

جاءت سورة القلم متلائمة مع سبقتها (سورة الملك)، آخذةً بمعصمتها في أناقة ولهفة كشأن القرآن في كل أغراضه ومعانيه : كالعقد النظيم الذي لا تنبو فيه درة عن أختها، ولا عجب فـ «أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط»<sup>(٢)</sup> كما يقول الرازبي.

ولقد تأمل العلماء سورتي القلم والملك للكشف عن العلاقة الدقيقة التي تربطُ بين السورتين، فهداهم إنعام النظر وحسن التأمل إلى روابط لطيفة؛ فابن الزبير الغرناطي يرى أن الدلالات العظيمة التي ذكرت في سورة الملك وبسطت في نسقٍ موجز، ونظمٍ يبهر العقول، ويفوق كل مقول لا يمكن أن تصدر عن موصوف بالجنون كما يدعى الكافرون، وهو الذي تصدرت سورة القلم بتنزيهه عنه، يقول : «فلعظيم ما انطوت عليه سورة الملك من البراهين، أتبعت بتنزيه الآتي به ﴿مَا تقوَّلَهِ الْمُطْلُونَ﴾، مقسمًا على ذلك زيادة في التعظيم وتأكيدًا في التمييز والتكرير، فقال تعالى: ﴿إِنَّ وَالْقَلْمَرَ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾<sup>①</sup> وأنى يصح من مجنون أن يتصور تلك

(١) ينظر : التعبير الفني في القرآن : ٢٧١ ، دار العلم للملاليين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢ م.

(٢) التفسير الكبير ، الرازبي : ١٤٠ / ١٠ .

البراهين، وقد انقطعت دونها أنظار العقلاء، فكيف ببسطها وإيصالها في نسق موجز، ونظم معجز، وتلاؤم حير العقول، وعبارة تفوق كل قول...<sup>(١)</sup>

و قريب منه تلميذه أبو حيان الأندلسي الذي رأى أن الله ﷺ ذكر في سورة الملك شيئاً من أحوال السعداء والأشقياء، وقدرته الباهرة، وعلمه الواسع، وأنه تعالى لو شاء لخسف بهم، أو لأرسل عليهم حاصباً، وكان الذي أخبر تعالى به هو ما تلقفه رسول الله ﷺ بالوحى، وكان الكفار ينسبونه مرة إلى الشعر، ومرة إلى السحر، ومرة إلى الجنون، فبدأ سبحانه وتعالى سورة القلم ببراءته مما كانوا ينسبونه إليه من الجنون، وتعظيم أجره على صبره على أذاهם وبالثناء على خلقه العظيم<sup>(٢)</sup>

ورأى البقاعي أن الإبهام الذي ختمت به سورة الملك في قوله :

﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٣)</sup> : أوضحته سورة القلم في مطلعها حين عينت المهدي الذي برهن على هدایته بحيازته العلم الذي هو النور الأعظم الذي لا يضل بصاحبه، وبينت أوصاف الضلال بما أفاده على هذا النبي الكريم الأمي من العلوم التي زخرت بحارها فافتتح هذه السورة بكلمة البيان — يقصد حرف النون — وبالقلم الذي رتبه في بيان العلم وكشف خفاياه بحيث لا يجهلها أحد اتصف بالعقل، وكان المخاطب بهذا قد عاشرهم دهراً طويلاً، وهو أعلاهم قدرًا، وأطهرهم خلقاً، وأحكمهم رأياً، وأزكاهم

(١) ينظر : البرهان في تناسب سور القرآن ، أبو جعفر أحمد ابن الزبيρ الغرناطي : ١٩٢ ، ت / سعيد جمعة الفلاح ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨ هـ.

(٢) ينظر : تفسير البحر المحيط : ٣٠١ / ٨.

نفساً.. ولم يتجدد له شيء يستحق به أن يصفوه بسببه بالجنون الذي ينشأ عنه الضلال المذكور آخر الملك.<sup>(١)</sup>

أما السيوطني فربط بين القدرة على إذهاب الماء وتغويه في آخر الملك :

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَا وُكِّعَ عَوْرَافِنَ يَأْتِكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ ٢٠ ﴾ بالقدرة على إذهاب الثمر في سورة القلم : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَافِئٌ تِنْ رَّيْكَ وَهُرْ نَّائِمُونَ ١٩﴾ فَاصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ

حيث يقول : « فلما ذكر خالقه التهديد بإذهب الماء ثم أصحاب البستان في ليلة يطاف عليها وهم نائمون ، فأصبحوا ولم يجدوا لها أثراً... وإذا كان هذا في الثمار وهي أجرام كثيفة ، فالماء الذي هو لطيف رقيق أقرب إلى الإذهاب »<sup>(٢)</sup> بل يضيف وجهاً لطيفاً آخر ، وهو اتفاقهما في وقت الإذهاب فكما أن تغوي الماء حدث ليلاً فكذلك إذهب الثمر. يقول : « ولهذا قال : ... وَهُرْ نَّائِمُونَ ١٩﴾ فَاصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ و قال هناك ﴿ إِنْ أَصْبَحَ مَا وُكِّعَ ﴾ إشارة إلى أنه يسري عليه في ليلة كما سرى على الثمرة في ليلة »<sup>(٣)</sup>

ومن تأمل هذه الوجوه من التناقض بين السورتين وجد أنها من اختلاف التنوع لا التضاد ، وأن كلاً منهم قد نظر إلى وشيعة رحم تربط بين السورتين لا تختلف صاحبه ، وإن كان ابن الزبير وتلميذه قد نظرا إلى جهة كلية تجمع بينهما ، أو بالأحرى كان يربط بينهما وعيته على مقصوديهما وكذلك فعل أبو حيان ؛ لذلك كان رأيهما أكثر كشفاً لللحمة القوية بين السورتين ، ولذلك

(١) ينظر : نظم الدرر للبقاعي : ٨ / ٩١.

(٢) تناقض الدرر في تناقض الآيات والسور ، السيوطني : ١٤٢ ، ت : عبدالله الدرويش ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٧ م.

(٣) المصدر نفسه.

يقول الغماري صاحب كتاب (جوواهر البيان في تناسب سور القرآن) تعليقاً على رأي ابن الزبير : « وهي مناسبة ظاهرة »<sup>(١)</sup>

بينما البقاعي نظر إلى علاقة خاتمة الملك بأول القلم وهذه صورة أخرى من صور التناسب في البلاغة القرآنية المقررة لدى العلماء<sup>(٢)</sup> ، أما السيوطي فإنه قد نظر إلى علاقة لطيفة وجليلة القدر بين السورتين ؛ لأن مقصود سورة القلم تنزيه النبي والثناء عليه ، أما سورة الملك فتركز على إظهار كمال ملك الله وقدرته بعثاً على الخضوع له وخشيته ، وهي القدرة على إذهب الماء ليلاً في سورة الملك بالقدرة على إذهب الشمر ليلاً في سورة القلم ، ولكنها أبعد عن المقاصد الكلية الأم للسورتين.

\* \* \*

(١) جواهر البيان في تناسب سور القرآن ، عبدالله الغماري : ١٢٠ ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

(٢) ينظر : التناسب في القرآن الكريم – صوره وأسراره البلاغية ، للباحثة : ٣٤٦ - ٣٥٦ ، بحث الدرجة العالية (دكتوراه) جامعة الإمام عبد الرحمن الفيصل (الدمام سابقاً) ١٤٢٣ هـ ؛ التناسب في تفسير الإمام الرازى – دراسة في أسرار الاقتران : ٣٠٢ - ٣٠٧ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

## المبحث الأول – دراسة البناء التركيبى للمطلع<sup>(١)</sup>

### ( إظهار علمه ﷺ والثناء عليه والتعریض بأعدائه )

قَالَ تَعَالَى: ﴿تَوَلَّهُ وَمَا يَسْطُرُونَ ١﴾ مَا أَنْتَ بِعَمَّةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ٢﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا عَيْرَ مَمْنُونٍ ٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴿ فَسَبِّحْرُ وَيَصْرُونَ ٥﴾ يَا يَابَّكُمُ الْمُفْتُونُ ٦﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ يَعْنَى ضَلَالَ عَنْ سَبِيلِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّمِينَ ٧﴾ [القلم: ١ - ٧]

يُقسم الله مطلع هذه السورة بالقلم والكتابة على براءة النبي ﷺ من تهمة الجنون بفضل الله ونعمته عليه ، ويؤكد ثوابه العظيم على ما يعانيه من أذى المشركين لتبييع الرسالة ؛ والثناء عليه بالأخلاق العظيمة ، ويبين صفات المكذبين عندما يتكشف الحق ويتبين من هو المفتون بالجنون ، وأن أعداءه هم الضالون والنبي هو المهتدى ، وينهاه عن طاعتهم ؛ فقد قتلوا لو لا ينهم ولا طفهم على حساب الدين<sup>(٢)</sup>

(١) إن مصطلح المطلع ليس مقصوراً على الآية الأولى أو الآيتين من أول السورة ، وإنما هو مفهوم يستقيم على كل ما من شأنه أن يكون مهادداً للغرض أو المقصود. ينظر : علاقة المطالع بالمقاصد ومواقعها في شعر الشعراء الأربعية الكبار ، نداء الحارثي : ٩ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥ م ؛ علاقة المطالع بالمقاصد (دراسة بلاغية نظرية تطبيقية) إبراهيم البدهد : ٢٣ ، مكتبة الإيمان ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م.

ويدل عليه صنيع السيوطي في بيان وجه المناسبة بين المطلع والمقطع ؛ فإنه يعدُّ من المطلع ما هو بعيد عن فاتحة السورة أو الآية والآيات من آولها كما في المائدة وغافر والحديد ، وكذلك المقطع ، وهو خاتم السورة فلا يقتصر على الآية والآيتين الأخيرتين في السورة ، بل ما يكون فكرة متكاملة ترتبط بالمقصود كما في حديثه عن مقطع سورة النور. ينظر : مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع ، السيوطي : ٦٩، ٦٣، ٤٩، ٥٦ و(مقدمة المحقق) : ٣٥، ٣٦ ، دار المنهاج ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٣٤ هـ. ويشيع في الدراسات القرآنية مصطلحاً (الفوائح والخواتيم) ينظر : البرهان في علوم القرآن للزرکشي : ١٦٤ - ١٨٢ ، إعجاز القرآن ، الباقلانى : ٢٠٨ ، ت / السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، (ت: د)

(٢) المختصر في التفسير : ٥٦

والتدبر البلاغي لبناء هذا المطلع وخصائص تركيبه يهدي لكثير من اللطائف والأسرار، وأول ما يقابلنا في هذه السورة هو الافتتاح بالحرف (ن)، وببلغة البدء بالحروف الهجائية المقطعة في أوائل السور هو تحدي المعاندين، وإثبات عجزهم عن الإتيان بمثل القرآن . وهذا أول التحدي الواقع في القرآن ؛ إذ ليس في سورة العلق ولا في المزمل . ولا في المدثر إشارة إلى التحدي لا تلميحاً ولا تصريحاً<sup>(١)</sup> ثم نزلت بعدها ثمان وعشرون سورة مبدوعة بحروف التهجي نحو: (ق . طه . آلم . حم . طسم . عسق . كهيعص ...)<sup>(٢)</sup>

لقد جاءت هذه الحروف في أوائل السور بياناً لإعجاز القرآن واحتاجاً على الكفار والعرب خاصة

بأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها . ليكون أبلغ في التحدي والإعجاز ، ولتكون كالمهيبة لهم . والموقظة للهمم الراقدة الغافلة من بلغائهم لطلب التساجل والمعارضة ، وتسترعى انتباهم فيفتحوا لها أسماعهم ، ثم يتلى عليهم فيسمعوا ، فيكون ذلك إلزاماً لهم باللحجة<sup>(٣)</sup>

(١) التحرير والتنوير : ٢٩ / ٥٨ .

(٢) وقد اختلف الأقدمون في معناها اختلافاً يعكس عجز البشر عن الإحاطة بأسرار القرآن ، وقد ساق جامع البيان عن تأويل آي القرآن ما توصل إليه عصره في معناها . لكننا نخرج من هذا الخلاف بقول يهدي إليه القرآن ذاته . وهو أنها لا معنى لها . فقد نزل القرآن بلسان عربي مبين وفي لغة العرب لا معنى لـ (آلم . آلم) وأمثالها . ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١ / ٧٣ ؛ تفسير القرآن العظيم : ١ / ٤٠ ؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : ٨ / ٤٥ .

(٣) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١ / ٧٣ ؛ نظم الدرر : ١ / ٦ ؛ الإتقان في علوم القرآن : ٢ / ٤٢ ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، ١٩٧٣م ؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : ٨ / ٤٥ .

والدليل على هذه النكتة البلاغية أن هذه الحروف لم تذكر قط إلا وعقبت غالباً بذكر القرآن إما مقسمًا به، وإما مخبراً عنه، للانتصار للقرآن. وبيان إعجازه وعظمته. وهذا معلوم بالاستقراء<sup>(١)</sup> ماعدا سور : مريم والقلم والعنكبوت والروم. ويؤكده أن جميع السور المفتتحة بهذه الحروف هي سور مكية ما عدا الرعد والبقرة وآل عمران . والجو الذي نزلت فيه السور المكية هو جو التحدي بالقرآن في وقت اشتد فيه التكذيب بالقرآن ، لذلك كان مجิئه في هذه السورة المكية المبكرة تمهدًا للتحدي ، ولفتاً واضحًا إلى سر الحرف في البيان المعجز لاسيما وأن في السورة جدلاً من المشركين في نبوته ﷺ وجحداً لعجزته بدلالة قولهم إنها أسطير الأولين<sup>(٢)</sup> ؛ فضلاً عما فيه من الدلالة على شرف الحروف كما يقول ابن القيم وجلالها وعظمتها باعتبارها من نعم الله على عباده حين أقدرهم على الكلام بها لينظموا بها العلوم<sup>(٣)</sup> .

والذي يعنينا في هذا الدراسة علاقة هذا التحدي بمقصودها الأعظم وهو رعاية النبي ﷺ وتأييده ، ولا يخفى على المتibir ما في التحدي من قوة الانتصار له ﷺ في مقام هذه الدعوى الباطلة والاتهام الجائر.

أما السر في اختصاص سورة القلم بحرف الهجاء (نون) بالذات دون غيره من حروف العربية ، والسر في غلبة هذا الصوت في فاصلتها ، فإنه يعود للخصائص الصوتية لهذا الحرف وفقاً لنظرية ابن جني في أن العربي قد أبدع كلماته بجعل أصواتها على سمت الأحداث المعبر بها عنها<sup>(٤)</sup> وقد حاول

(١) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٤٠ / ١.

(٢) ينظر : التفسير البياني ، د. عاشمة عبد الرحمن : ٤٢ / ٢.

(٣) ينظر : التبيان في أقسام القرآن : ٤ / ٢٠.

(٤) الخصائص : ٥٧ / ٢ ، وما بعدها في باب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ( ط ، ت : د )

بعض الباحثين الكشف عن خصائص الحروف العربية معتمداً على الرابطة الفطرية بين أصوات الحروف وبين الحواس والمشاعر، مقرراً أن «كل حرفٍ من حروف العربية مشحونة بشتى الأحساس والمشاعر، وأن كل حرفٍ من هذه الحروف بفعل هذه الخصائص الشعورية والحسية تحول إلى وعاء من الخصائص والمعاني فما أن يعيها القارئ أو السامع حتى تتشخص الأحداث والأشياء وال الحالات في مخيلته أو ذهنه و وجده ، وبذلك ينوب الحرف العربي عن الكلمة »<sup>(١)</sup> ويستشهد لذلك بكلام الرافعي حول إعجاز القرآن بأن « في الكلمة العربية موسيقى باطنية عفوية بلا تصنع ، قوامها التوافق الفطري بين خصائص أحرفها وما تدل عليه من المعاني إيحاءً وإيماءً »<sup>(٢)</sup> ولأن الحروف العربية كانت تتتمي إلى القطاع الصوتي قبل أن تتتمي إلى القطاع اللغوي ، فإن صوت النون صوتٌ هيجناني ينبع من الصميم للتغيير عفو الفطرة عن الألم العميق (أَنْ أَنِينَاً) ، ولذلك كان الصوت ذو المخرج النوني ، الذي تتجاوب اهتزازاته الصوتية في التجويف الأنفي ، هو أصلح الأصوات قاطبة للتعبير عن مشاعر الألم والخشوع ، على أن صوت النون إذا لفظ مخففاً مرقاً أو حى بالأناقة والرقابة والاستكانة ،<sup>(٣)</sup> وبالاعتماد على منهج الإحصاء والتقصي الشامل لمعاني المصادر المبدوعة والمختومة بحرف النون ، كانت النتيجة العثور على ثلاثة وثمانية وستين (٣٦٨) مصدراً تبدأ بحرف النون ؛ منها تسعه وعشرون مصدرًا تدلُّ معانيها على أصوات تحاكى في الغالب انباتاً

(١) خصائص الحروف العربية ومعانٰها ، حسن عباس : ٢٢ ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، (ط: د) ١٩٩٨ م.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ٢١٤ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثامنة ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

(٣) ينظر : خصائص الحروف العربية ومعانٰها ١٥٨ .

صوت النون من الصميم بما يتوافق مع مافيه من أنين أو رنين، نحو : ناج البوم، ونبّ التيس، ونبج الكلب، ونحّ ونخنج (تردد صوته في جوفه)، ونحب الباكى (أعلى بكاءه)، ونخر ونشج، ونعق الغراب ونعق ونعب، ونغم، ونفس الناقوس، ونقّ الصندع ونقنق... إلى آخر هذه المصادر.

ومئة وعشرون مصدراً تدل معانيها على الانشاق والخروج بما يحاكي خروج صوت النون من الصميم : منها : نباً (ارتفع وظهر) ونبت، ونبج الجرح (تورّم)، ونبغ ونبغ، ونضّ ونضج، ونتأ المكان ونجد (ارتفاع)، ونجم (طلع وظهر)...

وخمسة وأربعون مصدراً تدل معانيها على النفاذ في الأشياء مما يفيد الحركة من الخارج إلى الداخل، نحو : نبت الأرض (نبش ترابها) وثل الشيء (استخرجه)، ونقب الجدار، ونقد الشيء (نقره ليختبره)، ونقر الطائر الشيء (حفره بمنقاره)، ونكت الأرض بعود (نقب فيها)...

وبستة وأربعون مصدراً تدل معانيها على الرقة والأناقة والضعف بلا عيوب بما يتوافق مع صوت النون مرققاً مخففاً. منها : نُحْف ونَحْل (دقّ وهزل)، وندف القطن، ونسك الثوب (غسله بالماء فتضهر)، ونضد العقد (ضمّ حباته إلى بعضها) ونقط، ونيق في مأكله وملبسه (تألق) ونقيه (برئ من مرضه) ونفق الكتاب (أحسن كتابته)..<sup>(١)</sup>

أما المصادر المختومة بالنون، فهي متنان وستة وعشرون مصدراً، منها ثلاثية وخمسون مصدراً تدل معانيها على الرقة والأناقة والجمال، وفيها الكثير من مزايا النساء ومحاسنهن، منها: أرن (نشاط وفرح) البشة (الروضة والمرأة

(١) ينظر : السابق : ١٥٩ - ١٦١.

الحسناء)، الجُمان، الحُسْن، الحنان، خادنه (صادقه)، وامرأة رزان، ورقت المرأة (اختضبت بالزعفران)، زانه، وفتنته المرأة (استهواه)، والأفنون (الغصن الملتئف)، وفتاة فينانة (حسنة الشّعر طويلته)..

ومنها أربعة وثلاثون مصدرًا تدل معانيها على الإقامة والاستقرار والإحاطة والخلفاء، وذلك على النقيض من موحيات صوت النون في مقدمة المصادر ، من اهتزاز وانبات ونفذ في الأشياء. منها : أتن بالمكان ، وسكنه ، ورزن به ، وعدن به ، وعمن به ، وعهن به ، ومتن به ووتن ، ووطنه أي : أقام فيه ، وأكن الطائر ووكن : دخل عشه ، وأمن ، وجَنْ ، وحصن المكان (صار حصيناً) وحضنه ، ودجن ورجن بالمكان (أقام فيه وألفه) ، ودفن ، ورصن ، وركن إليه ...

وكان للمشاعر الإنسانية تسعة مصادر هي : ( حنَّ ، وحزن ، وهان ، وذعن ، ودان ديناً (خضع وذل) ، وشجن ، منها ثلاثة للحقد ، هي أحِنْ ، ودمَنَ (حقد) وضعن عليه .

وسعية تدل معانيها على أصوات. هي : آنٌ وحنٌ ، وخنٌ (خرج صوت بكائه من أنفه) ، ورنٌ وشجن وطنٌ ، وغنٌ (كان في صوته غنة) ، وكان للاهتزاز والاضطراب مصدر واحد هو : زفن (أي : رقص) ، وذلك يعود إلى حرف (الزاي) المختص أصلًا بمعاني الاهتزاز والاضطراب ، وكان للحركة من الداخل إلى الخارج مصدران اثنان ، هما : دنت العين (سال ما فيها من عمش) ، عن الشيء (ظهر وبان) ، أما مايفيد الحركة من الخارج إلى الداخل فكان له مصدر واحد هو (طعن).

وهكذا يكون حرف النون قد طبع بخصائصه الصوتية (٦٢٪) من معاني المصادر التي تنتهي به ، بعد أن طبع (٧٦٪) من المصادر التي تبدأ به ، مما يدل على أن هذا الحرف النسوي الرقيق الأنثيق يتمتع بشخصية فذة لا يتمتع بها غيره ، وذلك إشارة صريحة إلى ما في الرقة والأناقة من طاقات روحية كامنة.<sup>(١)</sup>

وبذلك خلص إلى معنى لطيف يتناسب وما نحن بصدده ، وهو أن « للنون من رقيق الفضة الخالصة صافي رينتها ، ومن أنين المجموع ذوب صميمه ، لا أمسُ بإنسانية الإنسان منها ولا الصق . ففي النون رقة وعصير أنفاس وإلفة ، لا أرشق بداية تبدأ الألفاظ بها ولا ألطف نهاية ! ماجاورة النون حرفًا إلا وكان له من سنا أناقتها طيفٌ خفةٌ ورقّةٌ ورشاقةٌ ، تفعل النون بأصوات الحروف ما تفعله الأنثيقات الأدبيات في نفوس الناس هزاً لمشاعرهم وتهذيباً لعواطفهم صحابة عيش ووفاء ، ورفقة رقة وإحاطة وحنان ، فكانت النون الأنثى بذلك وحدّها ، دنيا من المشاعر والشعر والموسيقى ، لو لاها ما اهتدى الإنسان إلى وترٍ يئنُ وناقوسٍ يرنُ ، ولا إلى ناي أو كمان »<sup>(٢)</sup>

ولا غرو إذن في اصطفاء البيان المعجز هذا الحرف الرقيق بما يوحى من رقة وخشوع واستكانة مطلع هذه السورة كما استقر في فواصلها ؛ فإنه يتناسب والعناية الربانية بشأن النبي والتسرية عنه برقة ولطف ، أو العلاج التربوي للرسول كما يسميه رمضان حسان<sup>(٣)</sup>.

ولله در البقاعي حين سبق إلىربط صفات هذا الصوت (ن) بمقصود سورة القلم عند توجيهه إيثار هذا الحرف مطلع هذه السورة حين تأمل صفات

(١) ينظر : خصائص الحروف العربية ومعانيها : ١٦١ - ١٦٣ .

(٢) خصائص الحروف العربية ومعانيها : ١٦٧ .

(٣) ينظر : البلاغة القرآنية في سورة القلم – دراسة تطبيقية : ٢٠٢٥ .

هذا الحرف وأن مبتدأه ومتهاه ذات الصوت، ودورانه مع الكلمات الدالة على النفاذ والانبعاث والظهور، وما في صفاته من الجهر وإنها بين الشدة والرخاوة والافتتاح والاستفال، وما فيها من الغنة فوجد ذلك كله مناسباً لمقصود السورة المعنية بتعيين أنه المهتمي بإظهار علمه عليه السلام كما قرر سابقاً، وأنه عليه السلام افتح هذه السورة بالحرف (نون) ليكون « دليلاً على العلم بما دلّ عليه من مخرج مسماه وصفاته وموقعه في الكلم في جميع تقلباته ، فقال (نون) التي هي اسم لسمى به ظهور الأشياء وعلمها وإدراكتها كما دل عليه موقعه في اسم النور والنار ، والنيل والنمو ، والنباهة والنقاء ، والنصح والنباء ، والتجلابة والنجاة ، والنحت والندم ، وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : لكل كتاب سر وسر القرآن هذه الحروف ، ويكون الإقسام وقع بالنون والقلم علواً للإحاطة .. ولما كان هذا الحرف آية الكشف للأشياء كان مخرجه أمكن المخارج وأيسرها وأخفها وأوسعها وهو رأس المقول ، فإنه يخرج ما بين طرف اللسان وفويق الثناء من اللثة ، هو ما كرر مسماه في اسمه فانتهى إلى حيث ابتدأ ، ومن صفاتها الجهر وبين الشدة والرخاوة والافتتاح والاستفال ، والغنة الخارجة من الخشوم إذا سكن ، وكل هذا واضح في العلم الذي له الاتساع والانتشار والتغلغل في الأشياء الباطنة » <sup>(١)</sup> .

ونلاحظ أن البقاعي ركز على ما في صوت النون من صفات تتناسب والعلم ، وكذا دورانه مع الكلمات الدالة على النفاذ والانبعاث والظهور ، وأن مبتدأه ومتهاه ذات الصوت ، فكان فيه إحاطة هي أنساب شيء للعلم الذي يرى أنه مقصود السورة ، وهذه من خصائص هذا الصوت في العربية نعم ،

---

(١) نظم الدرر للبقاعي : ٩٠ / ٨ (بتصرف)

ولكن الأنسب للمعنى الأعم والأعظم وهو الذب عن النبي ﷺ هي المعاني التي خلص إليها حسن عباس وما فيها من رقة وخشوع ول يونة تتناسب ورعاية النبي وتشييهه.

وقد أشار د. محمد مريني إلى هذه العلاقة ما بين صفات هذا الصوت في مطلع السورة، وغليتها في فواصلها أيضًا مع الميم التي شاركتها بعض فواصلها وبين مقصودها، وأن ما يتميز به النون ومثله الميم من خفة ول يونة على اللسان مرتبط بمقصودها؛ لأنها يضفي على الآيات نوعاً من الرقة والليونة، مع هذا الرنين الذي يحدثه التوازن الصوتي لآيات السورة، ونصه: « فهو إيقاع طويل الحركة بصفة عامة، رخيّ الموجة، ينساب هادئاً مترعاً بالشفافية والرقة، وهذا ما يتناسب مع الجو العام للأيات، وهو جو الإيناس والتسرية، والتعويض عمّا كان يلاقيه ﷺ من أعداء الدعوة»<sup>(١)</sup>

ولهذا السبب يدعو شيخنا أبو موسى إلى العناية بهذه الظاهرة في البيان المعجز، وهي اختصاص السورة في القرآن بحرف معين أو أكثر من حروف الهجاء دون الأخرى، ويقول: « استخراج مناسبات هذه الحروف وأحوالها إلى مقاصد السور وأغراضها يحتاج إلى مزيد من التوفّر والفهم والصفاء، ووراءه علم دقيق ومعرفة لطيفة شريفة »<sup>(٢)</sup>

ثم يتبعه تجلي بالقسم، والقسم من أقوى المؤكّدات في الكلام؛ إذ يدل على التوكيد والقوّة ويقطع على الخصم طريق الإنكار في ذاته، وبخاصة القسم الذي يلي الحروف المقطعة كما في هذه السورة، ولا يوجد أحدى من

(١) تحليل لغوي أسلوبي لسورة القلم : ٨٤.

(٢) الإعجاز البلاغي : ص ٢٣٦.

مقام اتهام النبي ﷺ بتهمة الجنون حتى يُساق القسم لأجله ، وقد أقسم بالقلم والكتابة ﴿وَالْقَلْمَ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ فإن (يسطرون) من سطر : أي كتب كلمات عدة تحصل منها صفوٌ من الكتابة<sup>(١)</sup> ، أما القلم فهو المقصود في قوله ﴿الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْمَ﴾ في سورة العلق<sup>(٢)</sup> أي : جنس القلم المعروف ؛ لأنَّه المناسب في الظاهر لقوله (وما يسطرون) أي الكتابة ، وما يتقتضيه حال المشركين المقصودين بالخطاب الذي لا يعرفون إلا القلم الذي هو آلة الكتابة عند أهل الكتاب . وعند الذين يعرفون الكتابة من العرب<sup>(٣)</sup> وإقسام الله بالكتابة وألتها القلم يجيء مقصوداً في هذه السورة ؛ لعظمته أولاً ؛ فإنَّ الله لا يقسم إلا على عظيم<sup>(٤)</sup> ، ول المناسبة هذا القسم لمقصود السورة.

أما الأمر الأول فأي عظمة تلك التي جعلت القلم والكتابة يقعان في أول قسم يقرع أسماع العرب مسلّمهم وكافرهم ؟ يحيي الزمخشري بأن ذلك « لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من الفوائد التي لا يحيط بها الوصف »<sup>(٥)</sup> أما ابن القيم فيرى أن عظمته في أنه إحدى آيات الله

(١) ينظر : جامع البيان : ٢٢/١٤؛ تفسير القرآن العظيم : ٤/٣٢٨ . وقد خالفت د. عائشة عبد الرحمن في التفسير البياني : ٢/٤٤ ورأت أنه مأخذ من (أسطورة) اعتماداً على كثرة ورود (أساطير) في القرآن ، ولا وجه له ؛ لسبعين : الأول — أنَّ الله لا يقسم إلا على عظيم ، وأين العظمة في أن يقسم الله جل وعلا بالأسطورة ، والثاني : أين الأسطورة من القلم حق يجمعهما قسم واحد ؟ وقد قرر العلماء خصيصة التنااسب بين المقسمات في القرآن الكريم . ينظر : التبيان في أقسام القرآن : ١٢-١٣ ، ٥٦-٥٧؛ وينظر : من بلاغة النظم القرآني عند ابن القيم للباحثة : ٣٨١، رسالة تخصص (ماجستير) جامعة الإمام عبد الرحمن الفيصل ، قسم اللغة العربية ، تخصص البلاغة والنقد ،

١٤١٦

(٢) ينظر : تفسير القرآن العظيم : ٤/٣٠ .

(٣) ينظر : التبيان في أقسام القرآن : ١٢٨ .

(٤) ينظر : السابق : ٣ .

(٥) الكشاف عن حقائق التزيل وعيون الأقوالين : ٤/١٤١ . دار الفكر ، بيروت (ط،ت : د)

وأول مخلوقاته الذي جرى به قدره وشرعه ، وقيد به الدين وأثبتت الشريعة ،  
وقادت به مصالح العباد <sup>(١)</sup>.

والحقيقة إن بلاغة هذا المطلع الفريد لهذه السورة المكية المبكرة في النزول تكشف لنا سرًا من أسرار هذا الدين العظيم كما تكشف عن تناسبه مع مقصود السورة وإظهار علم النبي ﷺ؛ ذلك أنه يتنزل على أممٍ أمية لا تقرأ ولا تكتب ، ويوجه الخطاب لنبيٍّ أميٍّ منوهٍ بها بالحرف وشرف الحرف الذي له مكانه من العلم والتعلم ، ثم يقسم بالقلم والكتابة . والعلاقة لا تخفي بين الحرف بوصفه أحد حروف التهجي (الكتابة) وبين القلم . لقد جاء لافتًا إلى سر الحرف الذي هو مناط القراءة والعلم والبيان ولا تخفي علاقته بكلمة الوحي الأولى (اقرأ) ؛ لتهيئة الأمة لخلع دثار الأمية عنهم ، وإقبالهم على الكتابة والعلم ؛ ليكونوا سبباً لحفظ القرآن <sup>(٢)</sup>

وبهذا تتجلى بلاغة القسم بالقلم والكتابة ، وأنه : « تعظيم لقيمة الكتابة ، وتوجيهه إليها وسط الأمة التي لم تكن تتجه إلى التعلم إلا عن هذا الطريق . وهو الضروري لدورها المقدر لها ؛ لتنهض لقيادة البشرية قيادة رشيدة ، وما من شك في أن الكتابة عنصر أساسى في النهوض بهذه المهمة الكبرى » <sup>(٣)</sup>. ولذلك استحقا أن يقسم بهما على براءة نبيه محمد ﷺ ما نسبه إليه أعداؤه من الجنون <sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر : التبيان في أقسام القرآن : ٢٠٧.

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٥٩/٢٩.

(٣) في ظلال القرآن : ٦/٣٦٥٤. وينظر : الكشاف : ١٤١/٤ ؛ التفسير البیانی ، د. عائشة عبدالرحمن : ٢/٤٣ - ٤٤.

(٤) ينظر : تيسير الكرييم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٥/٢٥٠.

وبعد أن دلل النظم المعجز بأسلوب القسم في المطلع على رجاحة عقله ﷺ تكون السبيل لبرئته من تهمة الجنون ، مضى ينفي عنه هذه الصفة الذميمة بأقوى ما في الكلام من مؤكّدات<sup>(١)</sup> وبنظم فيه من الشدة والقوّة ما لا يخفى ، فقال : ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ① وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا عَيْرَ مَمْنُونٍ ② وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ③﴾ وذلك بـ :

١ - نفي الجنون عنه بالباء ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَاجْنُونٍ ①﴾ ؛ فائدته تأكيد هذا النفي ، وإفاده الباء في الخبر لمعنى التأكيد يتضح بالاستقراء القرآني لماضي الباء في الخبر المنفي ، تقول د. عائشة عبدالرحمن : « والذي نطمئن إليه في هدى التدبر لما استقرأنا من هذا الأسلوب في القرآن هو أن الباء تأتي في خبر المنفي بـ (ما) »

أو (ليس) فتجعله جحداً أو أنكاراً... تصير به إلى إنكار باتٍ : (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) «<sup>(٢)</sup>»

٣ - ثم التعبير بالجملة الاسمية منافية ؛ لدلالة الاسمية على ثبات الخبر وتحققه.

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٦٢/٢٩ . وقد نصَّ ابن عرفة الدسوقي على المؤكّدات فقال : « واعلم أن مؤكّدات الحكم (إن) المكسورة والممزة والقسم ، و(نوننا التوكيد) (ولام الابتداء) (واسمية الجملة وتكريرها) (وأما الشرطية) (وحرروف التنبيه) (وحرروف الزيادة) على ما فصل في النحو ، (وضمير الفصل) ، (وتقديم الفاعل المعنوي لتقوية الحكم) ، (والسين إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه ؛ لأنها تفيد الوعد أو الوعيد) ، (وقد) التي للتحقيق ، (وكان) ، (ولكن) ، ( وإنما) (وليت) (ولعل) (وتكرير النفي) ...» حاشية الدسوقي على شرح السعد ضمن شروح التلخيص ٢٠٤ / ١ (بتصرف) ، دار السرور ، بيروت ، (ت ، ط : د) ؛ والبلاغة فنونها وأفاناتها ، د. فضل عباس : ١١٤ - ١٢٢ ، علم المعاني دراسة بلاغية ونقديّة لمسائل المعاني ، د. بسيوني فيود : ٣٦ .

(٢) التبيان في أقسام القرآن : ١٣٣ - ١٣٤ .

٤ - الاعتراض بجملة ﴿بِنَعْمَةِ رَبِّكُ﴾ بين المبدأ وخبره على سبيل التوكيد والتشديد والبالغة في انتفاء هذا الوصف عنه ﴿ال﴾<sup>(١)</sup> والمعنى : انتفى عنك الجنون بنعمة ربك ، نعمة الإيمان والنبوة ، وحصانة العقل وسائر الأخلاق الفاضلة ، وفيه الدلالة على أنه ﴿ال﴾ في غاية الغايات من حصانة العقل ورزانة الرأي<sup>(٢)</sup> يقول الرازي

« قوله (بنعمة ربك) كلام وقع في البين ، والمعنى : انتفى عنك الجنون بنعمة ربك كما يقال : أنت بحمد الله عاقل ، وأنت بحمد الله لست بجنون... ومعناه أن تلك الصفة المحمودة إنما حصلت ، والصفة المذمومة إنما زالت بواسطة إنعام الله ولطفه وإكرامه... »<sup>(٣)</sup>.

وهذا يدل على أن نعم الله تعالى كانت ظاهرة في حقه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية ، والبراءة من كل عيب ، والاتصال بكل مكرمة ، وإذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة ، فوجودها ينافي حصول الجنون ، فالله تعالى نبه على هذه الدقيقة لتكون جارية مجرى الدلالة اليقينية على كونهم كاذبين في قولهم : إنه مجنون.

٥ - إضافة اسم الربوبية إلى كاف خطاب النبي ﷺ (ربك) ، وفي هذه الإضافة في باكر الأمر تربية له ﷺ في أفقها الأكمل والأجمل ؛ إذ تحمل إعلاماً بفيوض العطاء « وفيه لفت إلى أنه رباك أحسن تربية ، ونشأك أكرم

(١) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٣٠٢ / ٨.

(٢) ينظر : تفسير أبي السعود : ١١ / ٩ - ١٢ - ١٣؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ٣٩ / ٢٥.

(٣) التفسير الكبير : ٣٠ / ٨٠.

تنشئة، ورعاك خير رعاية، وهو ربك الذي قربك أفضلي تقريب، وزادك شرفاً بإضافتك إلى حضرته، ثم إنه ربى نفسك وقلبك وروحك بهذا الوحي، فكنت خير خلقه قوة نفس، وصحة وجдан، وصفاء روح «(١)» وإشار لفظ (الرب) دون لفظ الجلالـة (الله) هو من الأمر اللافت في بناء السورة كاملـة، (٢)، وذلك أنه تعـبـيرـيـوـحـيـ بالـقـرـبـ والمـوـدـةـ، هـكـذـاـ فيـ عـطـفـ وـفـيـ إـنـاسـ وـتـكـرـيمـ، وـفـيـ دـلـالـةـ عـلـىـ أـنـهـ المـرـبـيـ لـكـ بـمـثـلـ تـلـكـ الـهـمـمـ الـعـالـيـةـ، وـالـسـجـاـيـاـ الـكـامـلـةـ؛ لـتـشـرـيفـهـ وـتـنـزـيـهـهـ ﷺـ وـالـرـدـ عـلـىـ ذـلـكـ الـافـتـرـاءـ الـذـمـيـمـ وـمـاـ يـنـسـبـ إـلـيـهـ ﷺـ مـنـ الجـنـونـ حـسـداـ وـعـدـاوـةـ وـمـكـابـرـةـ ﷺـ<sup>(٣)</sup>

وهـنـاـ يـرـدـ تـسـاؤـلـ : لـمـاـ يـؤـثـرـ الـقـرـآنـ هـذـاـ الـبـنـاءـ التـرـكـيـيـ الـذـيـ يـتـقـدـمـ فـيـ نـفـيـ التـهـمـةـ ذـاتـهـاـ، وـأـنـاـ يـخـتـارـ تـأـخـيرـهـاـ إـلـىـ نـهـاـيـةـ السـوـرـةـ حـكـاـيـةـ عـنـهـمـ : ﴿وَإِنْ يَكُدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَزْلُّوْنَكَ بِأَضَصِّهِمْ لَمَا سَعَوْا إِلَيْكَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لِمَجْوُنٌ﴾، وـلـمـ لاـ يـذـكـرـهـاـ أـوـلـاـ ثـمـ يـنـفـيـهـاـ؟ـ!

يـحـيـيـبـ اـبـنـ الزـبـيرـ الغـرـنـاطـيـ جـوـابـاـ كـاـشـفـاـ عـنـ عـلـاقـةـ ذـلـكـ بـمـقـصـودـ السـوـرـةـ وـأـنـ «ـتـقـدـمـ الـجـوـابـ بـنـفـيـ قـوـلـهـمـ وـتـنـزـيـهـ عـنـهـ عـلـىـ حـكـاـيـةـ قـوـلـهـمـ؛ لـيـكـونـ أـبـلـغـ فـيـ إـجـالـلـهـ ﷺـ، وـأـخـفـ وـقـعـاـ عـلـيـهـ، وـأـبـسـطـ حـالـهـ فـيـ تـلـقـىـ ذـلـكـ مـنـهـمـ، وـلـذـاـ قـدـمـ مـدـحـهـ ﷺـ بـمـاـ خـصـّـ بـهـ مـنـ الـخـلـقـ الـعـظـيـمـ، فـكـانـ هـذـاـ أـوـقـعـ فـيـ الإـجـالـلـ مـنـ

(١) من أسرار التعبير القرآني - دراسة تحليلية لسورـةـ الأحزـابـ ، محمد أبو موسـىـ : ٥١ .  
 (٢) في شأن عليه السلام : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ ، في شأن أصحابـ الجنةـ : ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَافَيْفَ مِنْ رَبِّكَ﴾ ، ﴿يَعْمَلُهُ رَبُّكَ﴾ ، ﴿قَالُوا سَبِّخْنَا رَبَّنَا﴾ ، ﴿عَسَى رَبُّنَا﴾ ، ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا﴾ ، في شأن يومنـ السـمـاءـ الـمـفـتـوحـةـ : ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَرَّكُهُ يَعْمَلُهُ مِنْ رَبِّهِ﴾ ، ﴿فَاجْبَهُهُ رَبُّهُ﴾ ، وفي سياقـ المتـقـينـ : ﴿إِنَّ الْمُقْرَنَ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ .  
 (٣) يـنظـرـ : تـقـسـيـرـ أـبـيـ السـعـودـ : ١٢/٩ .

تقديم قولهم ثم رده ؛ إذ كسر سورة تلك المقالة الشنعة بتقديم التزه عنها أتم في الغرض وأكمل »<sup>(١)</sup>

٦ - الخبر الإنكارى المؤكذ عن عظمة الأجر لتحمل أعباء التبليغ بعد أن ثبتَ الله رسوله ، ودفع بهتان أعدائه ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا عَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ والأجر لا يكون إلا على العمل الصالح المؤسس على الأخلاق الحسنة والعقل الراجح <sup>(٢)</sup>. ولما كان أجرًا عظيمًا آخر تكيره في القرآن كله ، فلم يأت معرفًا حتى يعطي اللفظ مع التنكير امتدادًا لا يحده قيد؛ ليدل على أنه ثواب عظيم لا يقادر قدره <sup>(٣)</sup>.

إن هذه الجملة من الله لنبيه إيناس وتسرية ، وتعويض غامر عن كل حرمان ، وعن كل جفوة ، وعن كل بهتان يرمى به ، فماذا يؤثر فيه هذا الاتهام والله يقول له هذا الكلام في عطف ومودة وتكريم ؟ ! <sup>(٤)</sup> . وفائدة جليلة أخرى هي أنه لا يمنعك هذا الاتهام عن الاستغفال بالمهمة العظيمة ، وهي الدعوة إلى الدين القويم لما يترب عليه من الثواب العظيم <sup>(٥)</sup>.

لقد أخرج الخبر في قوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ على الضرب الذي يسميه البلاغيون الضرب الإنكارى <sup>(٦)</sup> ؛ فزاد في التأكيد بإن واللام والاسمية

(١) البرهان في تناسب سور القرآن : ١٩٣.

(٢) ينظر : نظم الدرر : ٩٩ / ٨ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٣٠٢ / ٨.

(٣) ينظر : تفسير أبي السعود : ١٢ / ٩.

(٤) ينظر : في ظلال القرآن : ٣٦٥٥ / ٦.

(٥) ينظر : التفسير الكبير : ٨٠ / ٣٠ ؛ غرائب القرآن ورغائب الفرقان : ٦ / ٣٣٥ ، البحر المحيط لأبي حيان : ٣٠٢ / ٨.

(٦) ينظر : الإيضاح : ٧١ / ١ ؛ البلاغة العربية - أسسها وعلومها وفنونها ، عبد الرحمن حنكة الميداني : ١٧٩ / ١ ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

لزيادتهم في المكابرة، وعناصر التوكيد إنما تكاثر وفقاً لتصاعد أحوال إنكار المخاطب<sup>(١)</sup>، كما يجيء هذا التأكيد ليكون الوثيقة السماوية والشهادة الكبرى التي يجد الله فيها نبيه ﷺ، ويجد بها العنصر الأخلاقي في دعوته وعقيدته<sup>(٢)</sup>، ولا يخفى ما في هذه الجملة من الانتصار لنبيه، وتفسيفه قول الأعداء؛ لأن من تلبّس بخلق عظيم لم يجز إضافة الجنون إليه<sup>(٣)</sup> حقيقةُ الخلق في اللُّغة : هُوَ مَا يأخذ به الإِنْسَان نفسه من الأدب ، يُسَمَّى خُلُقاً ؛ لَأَنَّه يصير كالخُلُقة فيه<sup>(٤)</sup> ولفظُ الْخُلُق خُصّ بالقوى والسمجايا المدركة بال بصيرة كما خُصّ لفظُ الْخُلُق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر<sup>(٥)</sup>، وفي هذا تكذيب للحساد؛ لأن الأخلاق الحسنة لا تجتمع الجنون<sup>(٦)</sup> فضلاً عما ألقاه التعبير بـ(على) دون (صاحب) أو (ذي) من ظلالٍ خاصة على المقصود، وكان لفتاً بديعاً، وتصويراً رائعاً لسمو أخلاقه ﷺ، والدلالة على تمكن العنصر الأخلاقي في النبي ودعوته؛ فإن (على) هنا للاستعلاء المجازي المراد به

(١) ينظر : خصائص التراكيب ، د.محمد أبو موسى : ١١٨ .

(٢) وقد قيل أدب عظيم ، وقيل : دين عظيم. ينظر : جامع البيان عن تأويلي أي القرآن : ٢٩ / ٢٤ - ٢٥ . وقد ورد عن ابن تيمية أنها سورة الخلق ينظر : دقائق التفسير ، ابن تيمية : ١٤ / ٥ . ولذلك ذهب بعض الباحثين من كلية أصول الدين \_ القرآن وعلومه إلى أن الخلق هو محورها الأساس الذي تدار عليه جميع موضوعاتها. ينظر الجانب الخلاقي في سورة القلم ، إبراهيم الدسوري ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد (٢٩) ٢٠١٤ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٣) ينظر : التفسير الكبير : ٣٠ / ٨٠ .

(٤) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ١٨ / ٢٢٧ .

(٥) ينظر : المفردات في غريب القرآن : ١٦٤ .

(٦) ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ٥ / ٢٨٥ ؛ التفسير الكبير : ٣٠ / ٨١ .

التمكّن كقوله : ﴿أَوَيْكَ عَنْ هُدَىٰ مِنْ يَتَّقُمُ﴾ [البقرة: ٥] والمعنى أنك مستعد بخلقك وأن هذا الخلق متمكن منك في نفسك وفي دعوتك <sup>(١)</sup>

ثم يحيى الوصف بـ (العظيم) للدلالة على أنه البالغ أشد الكمال المحمود في طبع الإنسان ، وهو أرفع من مطلقخلق الحسن(٢) وقيل سمي خلقه عظيما لأنّه لم تكن له همة سوى الله تعالى ، وقيل لاجتماع مكارم الأخلاق فيه ، وقيل : لأنّه امثّل تأديب الله تعالى إياه بقوله تعالى : ﴿خُذُ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَهَلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وغيرها من آيات ، وعلى كل فإنه انتصار للنبي وأي انتصار ؟

- ثم إنه بعد أن أبطل مقالتهم فرع عليه أنهم إذا نظروا الدلائل ، وتوسموا الشمائل علموا أي الفريقين المفتون ؛ أهم المفتونون بالانصراف عن الحق أم هو المفتون باختلال العقل ؟ <sup>(٣)</sup>

- وإيشار المفتون(٤) دون المجنون في قوله ﴿يَا يَابَّنِيَّكُمُ الْمُفْتُونُ﴾ من الكلام الموجه ليصح فرضه للجانبين<sup>(٥)</sup> وسواء كان المعنى أيكم المفتون أو أي الفريقين

(١) ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الننان : ٢٨٥ / ٥ ؛ التفسير الكبير : ٣٠ / ٨١ ؛ وغرائب القرآن ورغائب الفرقان : ٣٣٥ / ٦ التحرير والتنوير : ٦٣ / ٢٩ ، ٦٤ ؛ ومن أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم : ص ٥ وما بعدها.

(٢) ينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٣٠٤ / ٨.

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ٦٥ / ٢٩.

(٤) يجوز أن يراد به المجنون ، ويقال فتنة الجن ، أي أصحاب الشيطان بالخبل ، ويجوز أن يراد به ما يصدق على المضطرب في أمره ، المفتون في عقله. ينظر : التحرير والتنوير : ٦٥ / ٢٩ « والأقرب إلى الظن أنهم لم يكونوا يقصدون به ذهاب العقل ، فالواقع يكذب هذا القول ، إنما كانوا يعنون به مخالطة الجنة له » في ظلال القرآن : ٦ / ٣٦٥٨.

(٥) ينظر : تفسير أبي السعود : ١٢ / ٩ . التوجيه فن من الفنون البدوية التي يورد الكلام فيه محتملا وجهين مختلفين على حد سواء. الإيضاح : ٦ / ٨١ ؛ وعلم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع ، بسيوني قيود : ١٨٩ ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ١٤٣٤ هـ ٢٠١٣ م

يوجد به الجنون ؟ فريق المؤمنين أم الكافرين ؟ فإنه تعريض بديع مزوج بوعيد بسوء المستقبل<sup>(١)</sup> بأن الجانب المفتون هو الجانب القائل له ﴿إِنَّهُ لِمَجْنُونٌ﴾ وأن ضده هو الراوح العقل، والمقصود أبو جهل والوليد بن المغيرة وغيرهما من مدبري هذه الأقوال الشبيهة بأقوال المجانين ؛ ذلك أنهم وصفوا رجلاً معروفاً بين العقلاء برجاحة العقل بالجنون<sup>(٢)</sup>.

- وتعديبة الفعل (ستبصر) بالباء (بأيكم المفتون) فيه معنى التهديد ؛ لأنه متضمن معنى تشعر وتعلم ، كما تقول : ستشعر بكلذا وتعلم به ، فموضع الباء كموضعها في قوله : ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ إِنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: ١٤] وهي كناية عن : التحقق واليقين والتقدير : توقين ويوقنون أو تتحقق ويتتحققون كثيًّا بفعل الإبصار عن التتحقق ؛ لأن حاسة البصر أقوى طرق الحسن ، وهذا الوعد فيه من الطمأنينة لرسول الله ﷺ وللمؤمنين معه بقدر ما فيه من التهديد للمناوئين

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٦٩ / ٦٩ . والتعريض من طرائق البيان في التعبير عن المعنى بطريقة غير مباشرة ، وقد عرفه الزمخسرى فقال : « أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج إليه : جئتك لأسلم عليك ولأنظر إلى وجهك الكريم... وكأنه إمالة الكلام إلى عرض يدل على الغرض ، ويسمى التلويح » الكشاف : ٣٧٣ / ١ ، وينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الأثير / ٣٣ ، ت : أحمد العوفي ، بدوي طباعة ، دار الرفاعي ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ؛ التبيان في علم المعاني والبديع والبيان ، شرف الدين الطيبى : ٢٧٤ ، ت : هادي الهلالي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م . وللشيخ إبراهيم الخولي بحث قيم حول التعريض ، ففصل فيه القول في تعريفه ومعانيه اللغوية مستشهاداً لها بأي التنزيل وبأقوال أئمة التفسير وأمثالهم في معنى التعريض ، وقد استحسن تعريفات المفسرين وعلى رأسهم الطبرى مبيناً اضطرابات البلاعجين في تعريف التعريض ، الأمر الذي عزاه إلى استقاء المفسرين من أسلوب القرآن الكريم الفصيح . ينظر : التعريض في القرآن الكريم : ١٧ - ٣٨ ، دار البصائر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٦٦ / ٦٩ .

له المفترض عليه<sup>(١)</sup> لذلك قال قتادة : هذا وعید بعذاب بدر<sup>(٢)</sup> ثم يأتي الضرب الخبري الإنكارى والتأكيد المشدد في قوله : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ﴾ حيث صدرت بـ (إن) وضمير الفصل (هم) مرتين ، والتعبير بالاسم الموصول (من) ؛ لما في جملة الصلة من تقرير للغرض المسوق له الكلام ، لذا فهو أبلغ من الضالين ، وأثر الفعل مفرداً ولم يقل : إن ربك أعلم بالذين ضلوا عن سبيله ، بل لبيان حقارتهم ، وكأنهم فرد واحد<sup>(٣)</sup> ، ثم تأمل الدقة العجيبة في التعبير بالهداية والضلال دون العقل والجنون والأصل : إن الله أعلم بالجانين وهو أعلم بالعقلاء ، والمعنى أنهم الموصوفون بالضلال وأنت الموصوف بالهداية ، لكنه آثر التعبير بالهداية والضلال دون العقل والجنون ؛ ليتضمن وعداً ووعيداً ؛ فالهداية ثرتها السعادة الأبدية والضلال ثرته الشقاوة الأبدية<sup>(٤)</sup> وبهذا يكون من معارض الكلام ، ومقصوده : إن ربك هو أعلم يا محمد بك ، وأنك المهتدى ، وبكفار قريش وأنهم الضالون<sup>(٥)</sup> . وقد وصل بين الجملتين للتناسب بين الجملتين ؛ فمن المقرر بلا غيّا أنه « إذا كان الخبر عنه في الجملتين واحداً كقولنا : هو يقول ويفعل ويضر وينفع ازداد معنى الجمع في الواو قوّة وظهوراً ، وكان الأمر حينئذٍ صريحاً... كنت قد أفدت بالواو أنك قد أوجبت له الفعلين جميعاً ، وجعلته يفعلهما معًا ، ولو قلت : يضر وينفع من غير الواو لم يجب ذلك ، بل

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٦٨ / ٢٩ . ٣٦٥٨ / ٦ .

(٢) ينظر : تفسير أبي السعود : ١٢ / ٩ .

(٣) ينظر : التعبير الفني ، بكرى الشيخ أمين : ٢٧٧ .

(٤) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٩ / ٢٩ . ٢٥ / ٢٩ .

(٥) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٩ / ٢٩ .

قد يجوز أن يكون قوله ينفع رجوعاً عن قوله يضر<sup>(١)</sup> وقد أثر الفعل في جانب الضلال للإيماء بأنه خلاف ما تقتضيه الفطرة؛ لدلالة الفعل على التجدد والخدوث بمعنى أن الضلال ليس شيئاً راسخاً في فطر الناس، وهو الأقرب لروح السياق كونه مقابلاً للوصف الثابت (المهتدين) من أن يكون إشار الفعل الماضي؛ لأن الضلال ثابت في هؤلاء منذ القدم كما يرى د. محمد مرني<sup>(٢)</sup>، بينما آثر الاسم والوصف الدال على الثبوت في جانب الهدایة؛ لدلالة الاسم الثابت على رسوخ الهدایة في النبي ﷺ ومن معه. ولا يخفى ما يسكيه هذا المعنى مع تكرار (وهو أعلم) في نفس النبي من اليقين وزيادة التقرير.<sup>(٣)</sup>

وقد جاءت هذه القوة في البناء التركيبي لطلع هذه السورة مقابلة لقوة اتهامهم المؤكدة على لسانهم في ختامها : ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ مَجْنُونٌ﴾ التي تناقلها أهل مكة، ليصدوا الناس عنه. ولاشك أن هذه القوة تأنيسٌ له اللَّهُمَّ إِنِّي عَلَيْكَ وَشَرِّعْ لصدره مما أوجبه افتراوهم عليه من الوحشة<sup>(٤)</sup>

(١) دلائل الإعجاز : ٢٢٦.

(٢) ينظر : تحليل لغوي أسلوبى لسوره القلم : ٦٠.

(٣) ينظر : التفسير الكبير : ٣٠/٨٢.

(٤) ينظر : نظم الدرر : ٩٥/٨ ؛ التفسير البیانی ، د. عائشة عبدالرحمن : ٤٤/٢ - ٤٥.

## المبحث الثاني

### البناء التركيبية للمعهد

(تهذيد أعدائه وضرب المثل بأصحاب الجنة )

قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَا تُطِعُ الْمُكَذِّبِينَ ٨ وَدُولَوْ نَدِهِنْ فِي دِهِنُونَ ٩ وَلَا تُطِعُ كُلَّ حَلَّافِ مَهِينِ ١٠ هَمَازِ مَشَاءِ بِسَمِيمِ ١١ مَنَاعَ لِلْخَيْرِ مُعْتَدِلِ أَثِيمِ ١٢ عُتْلِ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمِ ١٣ أَنْ كَانَ ذَا مَالِ وَبَزَنِ ١٤ إِذَا تُتَلَّ عَلَيْهِ إِذَا نَنَأَنَا قَالَ أَسْطَرِي أَلْأَوَيْنِ ١٥ سَنِسِمَهُ عَلَى أَنْزُطُورِ ١٦ إِنَا بَلَوَنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَحْجَبَ الْجَنَّةِ إِذْ أَفْسَمُوا يَصِرَّمَنَا مُصِبِّحِينَ ١٧ وَلَا يَسْتَنْوَنَ ١٨ قَطَافَ عَلَيْهَا طَلَيفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُرْ نَاهِمُونَ ١٩ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ٢٠ فَنَادَوْا مُصِبِّحِينَ ٢١ أَنْ أَغْدُوا عَلَى حَرَثُكُمْ إِنْ كُنُمْ صَرِيمِينَ ٢٢ فَانْتَلَقُوا وَهُرْ يَنْخَفَنُونَ ٢٣ أَنْ لَا يَدْخُلَهُمُ الْيَوْمَ عَيْتَكُمْ مَسْكِينِ ٢٤ وَعَدْوَا عَلَى حَرَثِ قَدِيرِينَ ٢٥ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَا لَضَائِلُونَ ٢٦ بَلْ نَحْنُ مُحْرُمُونَ ٢٧ قَالَ أَوْسَطُهُمُ الَّرَّ أَقْلَ لَكُمْ لَوْلَا شَيْخُونَ ٢٨ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَا كُنَا طَلَمِيتِ ٢٩ فَاقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضِ يَتَلَمُونَ ٢٠ قَالُوا يَوْنَيْنَا إِنَا كُنَا طَغِيَنَ ٢١ عَسَى رَبِّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا حَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغُونَ ٢٢ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَذِنَابُ الْأَكْرَافِ أَكْرَلُو كَانُوا يَعْلَمُونَ ٢٣ [ القلم : ٨ - ٣٣ ]

إذا تأملنا الدلالات البلاغية للبناء التركيبية لهذا المقطع في اختيار ألفاظه وتراتيكية ، فسنجد أن أول ما يُلقى في الروع منها فاء التسبيب في قوله ( فلا تطع ) ولهذه الفاء في النفس موقع بديع وعجب ، يُدرك أثره ولا يحسن التعبير عنه ؛ لما توحى به من الإضراب عنهم والإعراض ، وهي تفريغ على جملة ( إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ ) باعتبار ماتضمنته من أنه على هدى وهم في ضلال ، وأن ذلك يقتضي مشاداتهم ومعاصاتهم وليس الملاينة ، لذا جاء التهيج والإلهاب للتصميم على معاصاتهم وعدم إجابتهم لأمر المصالحة والملاينة حين سألوه تعظيم آلهتهم شرطاً لطاعته في

قوله : (فلا تطع المكذبين) <sup>(١)</sup> ولا يتصور من النبي متابعة هؤلاء المكذبين ولكن خطاب له والمراد به أمهه ، ليكون أبلغ في استجابتهم <sup>(٢)</sup> ذلك أنه حين يُنهى النبي بجلالة قدره عن أمرٍ ما يدركون خطورته فيكون أعظم في انتهاءهم . وآخر وصف أعدائه بـ (المكذبين) للدلالة على عراقتهم في التكذيب <sup>(٣)</sup> واختير تعريفه بأـل دون غيره من طرق التعريف ؛ لأنـه منزلة الموصول في الإياء إلى وجه بناء الحكم ، وهو حكم النهي عن طاعتهم ؛ فإنه مبني على أنـهم كذبوا رسالته ، وفصل جملة (ودوا لو تدهن فيدھنون) عما قبلها ؛ لأنـها بيان متعلق الطاعة ؛ فإنـ النهي عن طاعتهم لتكذيبـهم رسالتـه <sup>(٤)</sup> ، ولعلـ في إيثار (لو) أداة الشرط التي استعملـت في معنى التمنـي والترجـي دون غيرـها من الأدوات الصريحة في التمنـي ما يـفيـد قـوـة رغـبـتهم في هذه المـلاـيـنة « كـأنـها تـبرـز شـعـورـ اللـهـفةـ اليـائـسـ » <sup>(٥)</sup> وـحـدـفـ المـبـدـأـ فيـ (فيـدـھـنـونـ)ـ والتـقـدـيرـ : فـهـمـ يـدـھـنـونـ يـقـولـ ابنـ عـاشـورـ « وـسـلـكـ هـذـاـ الأـسـلـوبـ لـيـكـونـ الـاسـمـ المـقـدـرـ مـقـدـمـاـ عـلـىـ الـخـبـرـ الفـعـليـ يـفـيـدـ مـعـنـىـ الـاـخـتـصـاصـ ،ـ أـيـ :ـ الإـدـهـانـ مـنـهـمـ لـاـ مـنـكـ » <sup>(٦)</sup>ـ وـالـتـعـبـيرـ بـالـفـعـلـ (ـتـدـهـنـ ،ـ وـيـدـھـنـونـ)ـ هوـ مـاـ اـخـتـصـتـ بـهـ سـوـرـةـ الـقـلـمـ دـوـنـ سـائـرـ الـقـرـآنـ ،ـ فـلـمـ تـرـدـ (ـمـادـةـ الـدـهـنـ فـيـ الـقـرـآنـ)ـ إـلـاـ اـسـمـاـ ،ـ وـذـلـكـ فـيـ ثـلـاثـةـ مـوـاضـعـ ،ـ وـهـيـ :

(١) يـنظـرـ :ـ التـحرـيرـ وـالـتـنـوـيرـ :ـ ٦٩ـ/ـ٢٩ـ .

(٢) يـنظـرـ :ـ رـوـحـ الـمـعـانـيـ فـيـ تـفـسـيرـ الـقـرـآنـ الـعـظـيمـ وـالـسـبـعـ الـثـانـيـ :ـ ٢٦ـ/ـ٢٩ـ .

(٣) يـنظـرـ :ـ تـفـسـيرـ أـبـيـ السـعـودـ :ـ ١٢ـ/ـ٩ـ .

(٤) يـنظـرـ :ـ التـحرـيرـ وـالـتـنـوـيرـ :ـ ٦٩ـ/ـ٢٩ـ .

(٥) دـلـالـاتـ الـتـرـاكـيـبـ ،ـ مـحـمـدـ أـبـوـ مـوسـىـ :ـ ٢١١ـ .

(٦) وـقـدـ ذـكـرـ عـبدـ الـقـاـهـرـ جـمـلـةـ مـنـ الـفـوـاـئـدـ لـهـذـهـ الصـورـةـ مـنـ تـقـدـيمـ الـمـبـدـأـ عـلـىـ خـبـرـ الـفـعـليـ .ـ يـنظـرـ :ـ دـلـالـلـ إـلـاـعـجـازـ :ـ ١٣٥ـ -ـ ١٢٨ـ .

﴿ وَشَجَرَةٌ تَحْمُلُّ مِنْ طُورٍ سِيَّاءً تَبْتُ بِالْدَهْنِ وَصَبِغَ لِلأَكْلِينَ ﴾ [ المؤمنون: ٢٠ ] ﴿ فَإِذَا أَنْشَقَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرَدَةً كَالْدَهَانِ ﴾ [ الرحمن: ٣٧ ] والمقصود بالدهن والدهان : الدهن والزيت المعروفان<sup>(١)</sup> ﴿ أَفَهُنَّا لَهُدَىٰ إِنَّمَا مُدْهُنُونَ ﴾ [ الواقعة: ٨١ ] أي مكذبون ومنافقون ، شبههم بالدهن في سهولة الظاهر ؛ لأنهم يلينون جانبهم ليخفوا ظاهراهم.<sup>(٢)</sup>

أما إيشار التعبير عن الإدهان بالفعل ففيه تحديد معنى الملاينة والمصانعة والمداراة وترك الجد ، وهو مأخوذ من الدهن - كما سبق - لأنه يلين ما يدهن به<sup>(٣)</sup> ، شبه التلتين في القول بتلتين الدهن ، ولا شك أن له دلالة بلاغية خاصة ، وإنعام النظر ودقة التأمل تهدي إلى سر عميق هو أن فيه إيماءة إلى أنهم ليسوا أصحاب عقيدة ثابتة راسخة ؛ لأنهم على استعداد أن يلينوا ويتنازلوا ، وكأنها تقول للمصطفى الحبيب ﷺ : ما بالك يا محمد بعقيدة لا جد فيها ، ولا رسوخ ، ولا يقين ؟ ! وقيل : إظهار خلاف ما يضمر ، والانحرار بالباطل ، وإغماض عن الحق مع المعرفة بذلك ؛ يقول الفراء : الإدهان التلتين لمن لا ينبغي له<sup>(٤)</sup> .

وإعادة فعل النهي عن الطاعة (ولا تطع) بعد (فلا تطع) ؛ للاهتمام به ، فلم يكتفى بدخول أصحاب هذه الأوصاف في عموم المكذبين ، ولا بتخصيصهم بالذكر ، بمجرد عطف الخاص على العام بأن يقال : ولا كل حلاف ، بل جيء في جانبهم بصيغة نهي أخرى ماثلة للأولى ، لإفاده تسليط

(١) ينظر : المفردات في غريب القرآن : ١٨٠ ، لسان العرب ، مادة دهن.

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ٢٢٧/١٧.

(٣) ينظر : لسان العرب مادة (دهن) ؛ بصائر ذوي التمييز : ٦١٢/٢.

(٤) نقله القرطبي عن الفراء . ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٣٠/١٨ ؛ نظم الدرر : ١٠٠/٨ ؛ التحرير والتنوير : ٦٩/٢٩ .

الوعيد الخاص وهو الوسم على الخرطوم على أصحاب هذه الصفات الخاصة زيادة على وعيد المكذبين<sup>(١)</sup> ووصل بين الجملتين لاتفاقهما في الإنسانية لفظاً ومعنى، ثم تجيء التهديدات العنيفة القاسمة لصاحب هذه الصفات دليلاً وشاهدأً على قوّة دوره في حرب النبي ﷺ وعلى سوء طويته وفساد نفسه، وخلوها من الخير مع ما تحمله من تنفير ونهي عن هذه الأخلاق الديميمية سواء كان المقصود الوليد بن المغيرة أو غيره<sup>(٢)</sup> ومناسبة هذه الآيات لما قبلها : أنه لما نهاه عن طاعة المكذب ساق عشر علامات لهؤلاء المكذبين على صيغتي المبالغة (فعال وفعيل) وأوثر مجئها نكرة مفصولة عن بعضها؛ لترسيخ قبح صاحب هذه الصفات؛ فإن فعال يقتضي تكرار الفعل من الشخص حتى صار حرفه ومهنة؛ لأنّه منقول عن فعال في الصناعة كالنجار والطحان.. فعندما تقول هو كذاب كان المعنى هو كالنجار الذي حرفته التجارة، كما يقتضي المزاولة والتجديد؛ لأنّ صاحب الصنعة مداوم على صنعته ملازم لها، والكذاب هو شخص مداوم على هذه الصنعة كثير المعاناة لها لم ينقطع عنها<sup>(٣)</sup>. وأما (فعيل) فهو لمن صار له الفعل كالطبيعة وهذا البناء منقول من فعيل الذي هو من أبنية الصفة المشبهة، وبناء فعيل في الصفة المشبهة يدل على الثبوت فيما هو خلقة أو بمنزلتها كطويل وخطيب، وفي المبالغة يدل على

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٧٠/٢٩.

(٢) ينظر : الكشاف : ٤/١٤٢. قال ابن قتيبة : «لا نعلم أن الله وصف أحداً ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة» التحرير والتنوير : ٢٩/٦٩. قال القرطبي : «أن معظم السورة نزل في الوليد بن المغيرة» الجامع لأحكام القرآن : ٨/٢١٤. وينظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٨/٣٠١ ؛ التحرير والتنوير : ٢٩/٥٨.

(٣) ينظر : الصرف العربي أحكام ومعان - كتاب منهجي يجمع بين الأحكام الصرفية ومعاني الأبنية ، محمد السامرائي : ٩٩ - ٠٠١.

معاناة الأمر وتكاره حتى أصبح كأنه خلقة فيه كعليم، أي هو لكثرة نظره في العلم وتبصره فيه صار سجية ثابتة فيه<sup>(١)</sup> وأما تنكيرها : فلتتحقق الموصوف بها، **وأول هذه الصفات الحلف**، والخلف لفظ لم يرد في القرآن إلا في مقامات الحنث باليمين، لذلك غالب في سياقات الذم ؛ ذم المنافقين والكافرين<sup>(٢)</sup> وهي المرة الوحيدة التي يؤتى بهذا اللفظ في القرآن اسمًا وعلى صيغة المبالغة<sup>(٣)</sup> وأريد به الكناية عن عدم المبالغة بالكذب وبالآيمان الفاجرة ؛ فجعلت صيغة المبالغة كناية عن تعمد الحنث<sup>(٤)</sup> **الهماز** : من الهمز، وأصله في اللغة الطعن بعوده أو يد، أطلق على الأذى بالقول في الغيبة على وجه الاستعارة وشاع حتى صار كالحقيقة، ومنه ﴿وَيَلِّكُلٌ هَمَّزَ لَمَّزَ﴾ [الهمزة: ١٥] <sup>(٥)</sup> يقول الطبرى : « قيل للمنتسب همّاز ؛ لأنّه يطعن في أعراض الناس بما يكرهون ، وذلك غمز عليهم » كأنه انتقل من الطعن والغمز الحسينين إلى الطعن والغمز المعنوين ، وفائدة صيغة المبالغة الدلالة على قوة الصفة ، فإذا كان أذى شديداً فصاحب همّاز ، ومثله (مشاء بنميم) و (غيم وغيمة) مصدران لـ (نم)<sup>(٦)</sup> وهو نقل ما يسمع مما

(١) ينظر : السابق : ١٠٢ - ١٠١.

(٢) وردت سبعة مواضع في ذم المنافقين في سورة التوبه وحدها ، منها على سبيل المثال : ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ أَسْتَطَعْنَا لَرْجَنَا مَعَكُمْ يَهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَذِّابُونَ﴾ [٤٥] ، ﴿وَخَلُوَتْ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مُنْكَرٌ﴾ [٥٦] ﴿يَخْلُقُونَ بِاللَّهِ مَا قَاتُوا وَلَقَدْ قَاتُلُوا كَلَّةَ الْكُفَّارِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [٦٧] وهكذا يعكس أقسام التي ترد في الذم وغيره. القسم وجوابه في العشر الأخير من القرآن ، إحسان إبراهيم : ١٣ ، رسالة تخصص (ماجستير) ، كلية التربية ، جامعة أم درمان الإسلامية ، ٢٠١٥ م.

(٣) ينظر : السابق : ١٣.

(٤) ينظر : في ظلال القرآن : ٦ / ٣٦٥٨.

(٥) ينظر : البحر المحيط : ٨ / ٣٠٠.

(٦) ينظر : السابق نفسه .

يسوء ويحرش النفوس، وهو نقل الحديث على وجه الإفساد والوشایة<sup>(١)</sup> فالمشيء بالنميمة فيه تصوير لحال النمام واستعارة لتشويه حاله بأنه يتجشم المشقة لأجل النميمة كالسعى في قوله ﴿وَيَسْعَونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [المائدة : ٣٣]؛ ذلك أن أسماء الأشياء المحسوسة أشد وقعاً في تصور السامع من أسماء المعقولات<sup>(٢)</sup> والمنّاع للخير : البخيل، والمراد منه منعه عنم أسلم، فقد كان الواحد منهم يقول لمن أسلم من أهله ومواليه : من دخل منكم في دين محمد لا أنفعه بشيء أبداً<sup>(٣)</sup> ومن عادة الاستعمال القرآني عدم عطف الصفات بعضها على بعض إلا عند التضاد أو المغايرة، ومقتضى المغايرة ألا تدخل بين الشيء نفسه.

وقد روعي التوازن وتقابل الصيغة في هذه الصفات الأربع وهي : حلاف وهماز ومشاء ومناع، والموازنة « معلم من معالم البلاغة العربية يرفع قيمة الكلام، ويجعله أكثر حسناً، وأكثر تأثيراً في النفس، وترفع المفردة القرآنية بميزات ثلاثة رئيسية، وهي : جمال وقعها في السمع، واتساقها الكامل مع المعنى، واتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى »<sup>(٤)</sup> والمعتدل الأئمّ : الاعتداد صيغة مبالغة في

(١) ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٥٠٨ ؛ لسان العرب مادة (غم).

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩ / ٧١.

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢١٤ / ٨.

(٤) علم البديع وبلايته في القرآن الكريم - دراسة تحليلية بلاغية لفن الموازنة في جزء تبارك ، نصر الدين إبراهيم أحمد حسين ، آخرون : ١٩١ ، الجامعة الإسلامية ماليزيا (باقي بيانات النشر : من دون )

العدوان ، والافتعال فيه للدلالة على الشدة. والأئم : كثير الإثم ، والمراد منه هنا ما يُعد خطيئة وفساداً عند أهل العقول والمرؤة<sup>(١)</sup>.

وقد أشار أبو حيان إلى بلاهة هذه الصفات ، وما نتج عن نظمها وصيغها من توازن صوتي ، يقول : « وجاءت هذه الصفات صفات مبالغة ونوسب فيها ، فجاء (حَلَّاف) وبعده مهين ؛ لأن النون فيها تواخ مع ميم أثيم ، ثم جاء (هَمَّاز ومشاء) ، بصفتي المبالغة ، ثم جاء (مناع للخير معند أثيم) صفتا مبالغة »<sup>(٢)</sup> وهو عتل وزنيم ، والعُتل : الغليظ الجافي من عتله إذا قاده بعنف وغلظة ، وقيل : إنَّه الَّذِي يعتل النَّاسَ فيجرهم إلى حبس أو عذاب ، مأخوذ من العتل وهو الجر<sup>(٣)</sup> والزنيم<sup>(٤)</sup> : الداعي الملحق بالقوم ، الذي لا أصل له ولا مادة ينتفع منها الخير ، بل أخلاقه أقبح الأخلاق ، ولا يرجى منه فلاح ، له زنة أي : عالمة في الشر يعرف بها. ومن معانيه الذي اشتهر وعرف بين الناس بلوئمه وخبيثه وكثرة شروره . وهاتان اللفظتان من الألفاظ التي انفردت بها سورة القلم ، وكأنهما اصطفتا اصطفاءً لهذا الموضع ؛ لتأديبا دورهما المقصود من تصوير بشاعة هذه الشخصية ؛ فالعتل « لفظة تعبّر بحرسها وظلها عن مجموعة من الصفات ، ومجموعة من السمات ، لا تبلغها مجموعة ألفاظ وصفات ، فقد يقال : إن العتل هو الغليظ الجافي ، وإنه الأكول الشروب ،

(١) ينظر : في ظلال القرآن : ٦ / ٣٦٦٢.

(٢) البحر الحيط : ٨ / ٣٠٤.

(٣) ينظر : نظم الدرر : ٨ / ١٠٢.

(٤) يقول الراغب الأصفهاني في معنى الزنيم هو : « في الزائد في القوم وليس منهم تشبيهاً بالزنتين من الشاة وهذا المتدليتان من أذنها ومن الحلق » وفي لسان العرب : أنه مأخوذٌ من الرَّزْمَة بالتحريك وهي قطعة من أذن البعير لا تُتنزعُ بل تبقى معلقة بالأذن عالمة على كرم البعير والزَّنْتَان بضutton في رقب المعز ، وأن قوله تعالى : ﴿عَتْلٌ بَعْدَ ذَكَرِ زَنْتَيٍ﴾ موسوم بالشر ؛ لأن قطع الأذن وسم. ينظر اللسان مادة (زنم).

ولكن تبقى بذاتها أدل على كل هذا وأبلغ تصویراً للشخصية الكريهة من  
جميع الوجوه<sup>(١)</sup>

والبعدية هنا في قوله (بعد ذلك) بعدية في الترقي في درجات الأوصاف المذكورة، وهي تؤدي فائدة بلاغية جليلة هي التراخي والبعد الرتبي، فهو علاوة على ما عُدِّ له من الأوصاف عتل، سيئ الخلقة، سيئ المعاملة، دعى في قومه إما بغمز في نسبه، وإما بكونه مولى<sup>(٢)</sup>. لقد جعل القرآن « جفاءه ودعوته أشد معاييره؛ لأنه إذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترا على كل معصية؛ ولأن الغالب أن النطفة إذا خبست خبت الناشئ منها»<sup>(٣)</sup> ولقد أدى الفصل بين هذه الجمل الدلالة البلاغية اللطيفة على اجتماع هذه الصفات في المذموم ورسوخ السوء فيه؛ إذ جرى الاستعمال البليغ على عدم عطف الشيء على نفسه إلا إذا كان بينها تضاد أو مغايرة، ومقتضى المغايرة ألا تدخل بين الشيء ونفسه<sup>(٤)</sup>، ووصفه بالمال والولد (أن كان ذا مال وبنين) جعل بعض المفسرين يرجح أن المقصود الوليد بن المغيرة لكونه ذا مال وبنين، والراجح أنها ليست لمعين بدلاله (كل حلاف) وهو الأقرب للسياق، وإن كانت تعريضا به وأمثاله<sup>(٥)</sup>

(١) في ظلال القرآن : ٦ / ٣٦٦٣.

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩ / ٧٣.

(٣) التحرير والتنوير : ٢٩ / ٧٣. وقيل : إن المراد به الوليد بن المغيرة؛ لأن أباه ادعاه بعد ثمان عشرة سنة من مولده ، وقيل الأخنس بن شريق؛ لأنه كان من ثقيف ، مخالفًا لقريش وحلَّ بينهم. ينظر : البحر الحبيط لأبي حيان : ٨ / ٣٠٤.

(٤) ينظر : دلالات التراكيب ، محمد أبو موسى : ٢٨٠ وما بعدها.

(٥) ينظر : في ظلال القرآن : ٦ / ٣٦٦٣ ، التحرير والتنوير : ٢٩ / ٧٥.

ومن التناسب اللطيف بين هذه الآيات أن بدأ بـ(فلا تطبع المكذبين) وختمت بـ(وصف التكذيب)، وهو مضمون قوله : (قال أساطير الأولين) <sup>(١)</sup>. والمعنى : كذب بأياتنا بسبب أن كان ذا مالٍ وبنين، وهذه أقبح صفة مرت ؛ أن يجاري الإنسان نعمة الله عليه بالمال والبنين استهزاً بأياته وسخرية من رسوله ، واعتداءً على دينه ، وهذه وحدتها تعديل كل ما مرّ من ذم <sup>(٢)</sup>.

وقد يُسأل عن التنويع الأسلوبي وهذا التشابه اللغوي <sup>(٣)</sup> بين هذه الآية وقوله في سورة المطففين : ﴿ وَلَلّٰهُ يُؤْمِنُ لِلْمُكَذِّبِينَ ١٠ ﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الْيَمِنِ ١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدِي أُثْيِرٍ ١٢ إِذَا ثَلَّ عَلَيْهِ أَيَّتُنَا قَالَ أَسْطِرُ الْأَوَّلِينَ ١٣ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ١٤ ﴾

إذ عقب الآية في سورة القلم بـ(سنسمه على الخرطوم) وفي سورة المطففين عقبها بـ(كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) مع اتخاذ الوصف قبلهما ؟! والجواب : أن آية القلم وصفت المكذبين بأشياء ظاهرة القبح ، وحصل جامدة لكل خصال الذم الفاضحة ، فقابلها بالعلامة التي تشهره وتنبيئ عن قبائحه وفضائحه ، أما آية المطففين فإنها في وصف المكذبين

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/٧٥.

(٢) ينظر : السابق : نفسه .

(٣) المتشابه اللغطي هو ما تكرر لفظه مع تغير في بنائه ، أو الآيات التي تشابهت في تركيبها وبنائها اللغوي تشابها تماماً ، لكن اختفت بإبدال الكلمة مكان الكلمة ، أو حرف مكان حرف ، أو بزيادة أو نقص ، وببعضها يتشارب مع وجود تقديم أو تأخير في التركيب ، أو تعریف أو تنصیر... إلى غيرها من وجوه الاختلاف. ينظر : درة التنزيل وغرة التأويل : ٣ ، وملالك التأويل : ١ / ٤٥ ، والبرهان في توجيهه متشابه القرآن : ١٩ - ٢٠ ؛ وكشف المعاني في المتشابه المثاني : ١٨ ؛ وفتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن : ١٥ .

بيوم الدين ، الذين لا يؤمنون بالبعث ، وأن ذنوبهم غلت على قلوبهم حتى كأنها تنكرت لها ، فلما لم ينعتهم إلا بهذا النعت ذكر جزاءهم في الآخرة ، وهو أن يحجبوا عما لا يحجب عن المؤمنون من ثواب الله يوم القيمة ، هذا توجيه الإسکافي<sup>(١)</sup> وأرى أنه أقرب وأليق من توجيه ابن الزبير الغرناطي الذي ذهب إلى أن سبب تعقيب الأولى بما عقبت به أن الوعيد كان خاصاً بمعين ، وهو الأحسن بن شريق أو الوليد بن المغيرة ، وأما الثانية فليست لمعين ، وإنما من يكذب بيوم الجزاء ، ولكل من وقع عليهم أن المانع لهم ما غطى قلوبهم من الرين وهؤلاء غير معينين .<sup>(٢)</sup>

ولأن صاحب هذه الصفات يستحق التشنيع والإهانة والتحقير توعده بوسم أنفه ﴿سَيِّمَةُ، عَلَى الْخَرْطُوم﴾ وُفصلت عما قبلها للاستئاف البياني<sup>(٣)</sup> لأن وصفه بالصفات المذمومة السابقة حرك النفوس لتسأل : مما جزاوه ؟ وهي متعلقة بما قبلها تعلقاً جميلاً وتأمل هذا المقابلة البديعة بين الوصف المعنوي والوصف الحسي ، فإنه طعن فيه أولاً موضع الاختيال بالمكانة والنسب ، بوصفه بـ(زنيم) ثم لمس في نفسه هنا موضع الاختيال والفاخر وهو الأنف ؛ لأن العرب تقول : شمخ بأنفه تعبيراً عن الأنفة والاعتزاز ، فقال سنضع على أنفه علامة تشينه ، ويشتهر بها في الدارين يبين بها عن سائر الكفار كما عادى رسول الله ﷺ عدواه بـ(عنهـم)<sup>(٤)</sup> ولهذا التشنيع والتحقير آثر لفظ (الوسم) دون (الوضع) وكذا (الخرطوم) دون (الأنف)؛ لأن الوسم للإبل ،

(١) ينظر : درة التنزيل وغرة التأويل : ٢٨٤ .

(٢) ينظر : ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل : ٢ / ٩٣ .

(٣) ينظر : دلائل الإعجاز : ٢٣٥ وما بعدها .

(٤) ينظر : الكشاف : ٤ / ١٤٣ ؛ والبحر المحيط لأبي حيـان : ٨ / ٣٠٤ .  
والتحـير والتنـوير : ٢٩ / ٧٦ .

وهو هنا تأثير لهذا الكافر بالحيوان ، تتبعه كنایة عن قوة التمكّن<sup>(١)</sup> ، لأن دلالتها على تمام الغلبة والعجز عن المقاومة صالحة لأن تكون مجازية ، وأن تكون حقيقة ؛ لأنه قد حقق في الدنيا هذا الخطم حسًّا بأنه ضُربَ يوم بدر ضربة خطمت أنفه ، ومن الاستعارة إطلاق الخرطوم على أنف الإنسان ، وقد اشتهر التعبير عن ظهور الذلة بكسر الأنف وجده ، ووقوعه في التراب في قولهم : رغم أنفه . ففيه إذن جمع بين التشويه والإهانة كما لا يخفى ؛ لأن الوسم يقتضي التمكّن وكونه على الوجه شين وإذلال ، فكيف به على أكرم موضع منه ؟ فهو أشد إذلالاً<sup>(٢)</sup> وما من شك أن وقع هذه الآيات على نفس عدوه العظيم كان قاصماً ؛ فهو من أمة كانت تعدد هجاء شاعر ولو بالباطل مذمة يتواهاها الكريم ، فكيف بدمعه بها من خالق السماوات والأرض بهذا الأسلوب الذي لا يبارى ؟ !

ومناسبة قصة أصحاب الجنة لمعنى الثناء على النبي ﷺ وعلمه وخلقه وتأييده ظاهر يّين ؛ فإنه بعد تطاول المشركين عليه اغتراراً بأموالهم وأبنائهم ، جاء ضرب المثل لهم بأصحاب القصة للاعتبار والاتعاظ بأن الإزدهاء والغرور بسعة الرزق والأبناء يوقعان أصحابها في بطر النعمة وإهمال الشكر<sup>(٣)</sup> . ولasisima بعد الإشارة إلى سبب بطر المكذبين ﴿أَنَّ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ ورأى أبو حيان أنه لما ذكر المتصفون بذلك الأوصاف الذميمة ، وهم كفار قريش أخبر تعالى بما حلّ بهم من الابلاء بالقطط والجوع بدعة رسول الله ﷺ :

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩ / ٧٦ - ٧٧ .

(٢) ينظر : نظم الدرر : ١٠١ / ٨ .

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩ / ٧٩ ، ٢٩ / ٨١ .

(اللهم اشدد وطأتك على مصر واجعلها عليهم سنين كستني يوسف)<sup>(١)</sup> كما أن القصة إحدى طرق الأداء الفني للقرآن، وهو أسلوب تربوي مؤثر، يلامس قلوبهم بأقرب طريق بحيث يجعل الجمال الفني أدلة مقصودة للتأثير الوجданى<sup>(٢)</sup>

وقد بنيت على التأكيد وجاءت على الضرب الإنكارى ﴿إِنَّا بِقُوَّتِهِمْ كَمَا بَلَوْنَا أَحَبَّ الْجَنَّةَ﴾ وزاد التشبيه في (كما بلونا) المعنى قوة وتهديداً بأن يلحقهم مالحق أصحاب الجنة من المؤس بعد النعيم والقطط بعد الخصب<sup>(٣)</sup> فهو إذن مثل لعاقبة البطر وتهديد لقراء قريش الكائدين للدعوة بمالهم من مال وبنين، والمعنى : يوشك أن نأخذهم بعثة كما فعلنا بأصحاب الجنة<sup>(٤)</sup> وجه الشبه : بطر النعمة، والاغترار بالقوة، والإعراض عن الله، وعن شكر النعمة<sup>(٥)</sup>. وقد تكون المشابهة بين أعمال هؤلاء المغترين وهذه الجنة حين تخونهم أشد ما يكونون حاجة إليها<sup>(٦)</sup> وللتمثيل أثره الجليل في تجلية المعاني وترسيخها في النفوس ورفع الأستار عن الحقائق - كما يقول الزمخشري - «حتى يريك التخيل في صورة الحقق، والمتوهם في معرض المتيقن، والغائب كأنه شاهد»<sup>(٧)</sup> وهو إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت في معرضه كساها أبهة واستثار لها

(١) صحيح البخاري ، كتاب الاستسقاء ، باب دعاء النبي ﷺ : اجعلها عليهم كستني يوسف.

(٢) ينظر : فصل القصة في القرآن في كتاب التصوير الفني في القرآن : ١١٩ وما بعدها.

(٣) ينظر : الكشاف : ٤/٤١؛ والتحرير والتنوير : ٢٩/٧٩.

(٤) ينظر : نظم الدرر : ٨/٤٠؛ وفي ظلال القرآن : ٦/٣٦٥٣.

(٥) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/٧٩، ٧٩/٢٩، ٢٩/٨١.

(٦) ينظر : نظم الدرر : ٨/٤٠.

(٧) الكشاف : ١/١٩٥.

من أقاصي الأفتشة صبابةً – كما يعبر الإمام عبد القاهر، ونصه : « واعلم أنَّ ما اتفق العقلاءُ عليه، أن التمثيل إذا جاءَ في أعقاب المعاني، أو بَرَزَتْ هي باختصار في مَعْرِضِهِ، وُنْقِلَتْ عن صُورَها الأصلية إلى صورتهِ، كساحتها أُبَهَّةً، وَكَسَبَهَا مَنْقَبَةً، ورفع من أقدارها، وشَبَّ من نارها، وضاعف قُوَّاهَا في تحريرِ النُّفوسِ لها، ودعا القُلُوبَ إليها، واستشار لها من أقاصي الأفتشة صبابةً وكَلَفًا، وَقَسَرَ الطَّبَاعَ على أن تُعطِيَها مُحبَّةً وشَغَفًا... »<sup>(١)</sup>

وتظهر شدة التواطؤ على منع الزكاة عن المساكين بأمور، منها : القسم في قوله ﴿إِذَا أَفْتَمُوا﴾ الدال على إِلزام أنفسهم بتنفيذ ما تداعوا عليه<sup>(٢)</sup>. فعل الصرم يدل على عموم جميع الشمر وتأكيده بنون التوكيد يوحى بقوته وشدة في العزم على هذا المنع ؛ دون أن يتركوا منه شيئاً، ولفظ القسم مع التعبير بالمضارع في قوله بعدها ﴿إِذَا أَفْتَمُوا لِيَصْرِمُنَّا مُصْبِحِينَ﴾ لاستحضار حالتهم العجيبة وهي بخلهم على الفقراء والأيتام، فكأنهم لمبلغ غرورهم بقوتهم أنفسهم صاروا إذا عزموا على فعل شيء لا يتوقعون له عائقاً<sup>(٣)</sup> بل تأمل حذف المفعول في ﴿لَا يَسْتَئْنُونَ﴾ أي : أحداً، وما دلّ عليه من تعميم يطبع في أذهاننا صورة الشر والطمع المستحكمين في أنفسهم !

وفي المقابل تأمل التعبير بـ (طاف) في قوله ﴿فَطَافَ عَنْهَا طَافِّ﴾ الذي يوحى بأن هناك مفاجأة تم في خفية، وحركة كحركة الأشباح في الظلام، وأريد به هنا تمثيل حالة الإصابة للشئ كله بحال من يطوف بمكان ؛ لدلالة

(١) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني : ١١٧ ، قرأه وعلق عليه / محمود شاكر ، مطبعة المدنى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٠ م.

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩ / ٨٠.

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٩٨٩ ؛ والتحرير والتنوير : ٢٩ / ٨٠ .

الطواف على المشي حول الشيء من كل جوانبه. وما أفاده حرف الاستعلاء (على) من معنى تسلط ونزع، وتنكير طائف دالٌ على ع神性 هذا الهاك الذي أصابها في الليل، ولاحظ كيف دلَّ حذف الموصوف على ظهوره، وأنه مما يصيب الجنات من الهاك، ولعدم تعلق غرض بذكره وتعيينه، إذ العبرة في الحال (١) ولما كان هذا العذاب الذي أصابها فأصبحت كالأشجار المحروقة أو الليل المظلم الأسود مقتاً في الظاهر أخبر بأنه لطف وتربيَّة في المعنى بدلالة قوله (من ربك) المعروف بالإحسان إليك، فهذا جديرون بأن يؤدب قومك؛ ليقبلوا منك كما أَدَّبَ أصحاب الجنة (٢)؛ وذُكر وقت الإهلاك ﴿وَهُنَّ نَائِبُونَ﴾ وتقييده بوقت النوم تأكيدٌ لمعنى كون الطائف بالليل.

وهنا لفتة عجيبة يدل عليها تقديم العقوبة قبل وقوع الذنب، فقد أهلتها الله، وعجل العقاب لهم قبل التلبس بمنع الصدقة؛ للدلالة على أن عزهم على المنع وتقاسمهم عليه واقعٌ لا محالة، وأمر آخر هو التعبير بفعل التنادي (وتنادوا)؛ لأنَّه مشعر بالتحريض على ذلك أيضاً (٣). و فعل الأمر (اغدوا) بماته يقوي هذا العزم؛ لأنَّ المعنى : بکروا جداً (٤). وكذا التعدية بـ (على) فإنها دالة أيضاً على قوة في العزم؛ لأنَّ غدوهم كان ليصرموه؛ وعلى تمكن الوصول إليه؛ كأنَّه قال : مستقررين على حرثكم (٥).

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/٢٢.

(٢) ينظر : الكشاف : ٤/١٤٤؛ ونظم الدرر : ٨/٥٠؛ والجامع لأحكام القرآن : ص ٨٨٩؛ والتحرير والتنوير : ٢٩/٨١.

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/٤٨.

(٤) ينظر : نظم الدرر : ٨/٥٠.

(٥) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/٨١.

إن السياق يضي في السخرية بهم، فيصورهم أولاً منطلقين في خفوت زيادة في إحكام التدبير؛ ليجبوا الشمر كله لهم (ليصر منها). ويكشف عن النية السيئة المبيتة المؤكدة التي يدلُّ عليها تقديم المبتدأ على خبره الفعلي في (وهم يتخافتون) كما تدل مادته، أي يتشارون كأنهم ذاهبون إلى سرقة، من الخفوت وهو الخمود<sup>(١)</sup> مع دلالة الفعل المضارع على الاستمرار واستحضار الحال. ثم تجيء الكناية في قوله : ﴿أَنَّ لَا يَدْخُلُنَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِنٌ﴾ للبالغة في نهي أنفسهم عن دخول المسكين وإلا فهو نهي للمسكين في الأصل<sup>(٢)</sup>.

ثم يسخر منهم بقوله ﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَدِيرِينَ﴾ وهنا تبلغ قوة السخرية بهم في مقابل قوة تعاظمهم، أجل إنهم لقادرون على المنع والحرمان، ولكن أي حرمان، وأي منع؟ إنه حرمان أنفسهم ومنع الخير عن أنفسهم ! فإن معنى الحرد في اللغة : الجلد والقصد، وفي سياق الآية المنع عن حدة وغضب<sup>(٣)</sup>، يقول ابن عاشور مبيناً بلامحة التهكم بهم من خلال هذا الأسلوب القرآني : «وفي إيهار الكلمة (ح رد) في الآية نكتة من نكت الإعجاز المتعلق بشرف اللفظ ورشاقته من حيث المعنى، ومن جهة تعلق المجرور به بما يناسب كل معنى من معانيه أي بأن يتعلق (على ح رد) بـ (قادرين) أو بقوله (غدوا) فإذا علق بـ (قادرين) فتقديم المتعلق يفيد تخصيصاً أي قادرين على المنع، أي : منع الخير، أو منع ثر جنتهم غير قادرين على النفع، والتعبير بقادرين على الحرد دون أن يقول : (وقدوا حاردين) تهكم؛ لأن شأن فعل القدرة أن يذكر في الأفعال التي يشق على الناس إتيانها. قال تعالى (لا يقدرون على شيء مما

(١) ينظر : نظم الدرر : ١٠٥/٨.

(٢) ينظر : نظم الدرر : ١٠٥/٨ ؛ والتحرير والتنوير : ٢٩/٨١.

(٣) ينظر : المفردات في غريب القرآن : ١٢٠.

كسبوا ) وقال ( بلى قادرين على أن نسوى بنانه ) فقوله ( على حرد قادرين ) على هذا الاحتمال من باب قوله : فلان لا يملك إلا الحرمان أو لا يقدر إلا على الخيبة <sup>(١)</sup>

لقد جاء التعبير بلفظة ( حرد ) الدالة على قصد المنع مع شدة وغضب وجزم بالأمر ، وقلة الخير على طريقة التقابل المعنوي بين الفعل والجزاء ؛ فإنهم لما خبّثت نياتهم وطلّبوا حرمان المساكين عاجلهم الله بالحرمان والمسكنة ! <sup>(٢)</sup> وبذلك يظهر أن استخدام ( قادرين ) هنا من عكس الكلام ؛ للتهكم بهم <sup>(٣)</sup> . وفيه ما فيه من لمس نفوس من ضرب لهم المثل ، وهم كفار قريش . وها هم سرعان ما فوجئوا بعاقبة اغترارهم دلت عليه الفاء في ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ﴾ كما دلت على قرب الجنة من منزلتهم وعلى الفور والبهادة <sup>(٤)</sup> . وتأمل التأكيد في ( إننا لضالون ) وما يحمله من دلالة على قوة التحسن والندم من عاقبة البطر <sup>(٥)</sup> ﴿بَلْ يَخْنُ مَحْرُومُونَ﴾ والإيذان بتهيؤهم للتوبية بعد أن حاقت بهم عاقبة البطر والمنع <sup>(٦)</sup> .

هنا يتقدم أعقّلهم وأصلحهم الذي كان قد خالفهم الرأي لكنه لم يعزّم على مخالفتهم ، فناله الحرمان الذي نالهم <sup>(٧)</sup> ، وغاية الخيبة نلمحها في الاستفهام التقريري على لسانه <sup>(٨)</sup> ﴿أَمْ أَقْلَ لَكُلُّوَلَا تُسْبِحُونَ﴾ فإن فيه تقريراً بالأدلة

(١) التحرير والتنوير : ٢٩/٢٩.

(٢) الحرد ، من حاردت السنة : إذا لم تنظر ، والإيل إدا منعت درها ، وحرد إذا أسرع المفردات في غريب القرآن : ١٢٠ ، الكشاف : ٤/٤٤ .

(٣) نظم الدرر : ١٠٦/٨ ، والتحرير والتنوير : ٢٩/٨٥ .

(٤) التحرير والتنوير : ٢٩/٨٥ .

(٥) التحرير والتنوير : ٢٩/٨٥ ، وفي ظلال القرآن : ٦/٣٦٦٧ .

(٦) في ظلال القرآن : ٦/٣٦٦ .

والاعتراف بالذنب مع العتاب والتوبخ<sup>(١)</sup>، ثم تسييحهم وتعبيرهم بالاسم ﴿إِنَّا كُنَّا ظَلَمِينَ﴾ دال على أنهم راسخون في إيقاع الأشياء في غير م الواقعها<sup>(٢)</sup>، والإقرار بالذنب وتأكيده مع حذف المفعول في ( ظالمين ) للدلالة على عموم ظلمهم لأنفسهم ، وظلمهم المساكين بمنعهم حقهم<sup>(٣)</sup> .

ثم يجيء تصوير الحسرة في قوله ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوَّمُونَ﴾ فإن اختيار فعل الإقبال فيه عناية باللوم ، وصيغة التلاوم تصوّر في ذهنك حالة تشبه المهاجمة والتقرير في لوم بعضهم بعضاً<sup>(٤)</sup> يجعلك تشعر بهم وقد جاء كل واحد منهم يلوم الآخر ، لقد صور هذا التعبير التناقض الواقع بينهم بغاية الإجمال ونهاية الإيجاز ، ثم هاهم يتركون التلاوم ؛ ليعرفوا بالخطيئة أمام العاقبة الرديئة عسى أن يغفر الله لهم ، ويعوضهم من الجنة الصائعة ، وإذا تأملنا الإطناب في كلامهم بعد حلول العذاب فسندرك أثره في نفوس أهل مكة الذين ضرب لهم المثل ، وكأنه تلقين لهم بأن في مقدورهم الإنابة والتوبة إنهم بادروا بنبذ الكفر<sup>(٥)</sup> .

وتكرر لفظ الريبوية على لسانهم مضافاً إليهم في كل مرة ﴿سُبْحَنَ رَبِّنَا﴾ و﴿عَسَى رَبُّنَا﴾ ﴿إِنَّا إِلَّا رَبُّنَا﴾ الذي أحسن إلينا بتربية هذه الجنة بإهلاك ثرها الآن تأدیباً لنا أن يبدلنا خيراً منها<sup>(٦)</sup> . والخبر في جملة ﴿فَأَلْوَيْوَلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾

(١) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم ، عبد العظيم المطعني : ٤ / ٢٨٧.

(٢) التحرير والتنوير : ٢٩ / ٨٥ ؛ نظم الدرر : ٨ / ١٠٧.

(٣) التحرير والتنوير : ٢٩ / ٨٧.

(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩ / ٨٧.

(٥) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩ / ٨٧.

(٦) ينظر : نظم الدرر : ٨ / ١٠٧ - ١٠٨.

مستعمل في التقرير على طريقة التعریض بغیره والإقرار على نفسه مع التحسن  
والتندم بما أفاده (يا ويلنا) وذلك كلام جامع للملامة كلها<sup>(١)</sup>

وهنا تبرز ظاهرة أسلوبية تؤدي دورها في التكثيف الفني للقصة، وهي  
العطف بين الأحداث بحرف الفاء دون الواو؛ (فطاـف.. فانطلـقوـا..، فلـماـ..  
فأـقـبـلـ).. بحيث يطوى الكلام ولا يؤثر على أحـدـاثـهاـ الأساسية<sup>(٢)</sup> وهذا يتلاءـمـ  
مع الطبيعة الدلالـيةـ لـحـرـفـ الفـاءـ؛ لأنـهاـ تـحـركـ الزـمـنـ فيـ الفـعـلـ المـاضـيـ وـقـدـهـ،ـ  
وـقـطـلـهـ حـتـىـ تـبـلـغـ بـهـ أـوـلـ الزـمـنـ فيـ الفـعـلـ الـذـيـ يـلـيـهـ<sup>(٣)</sup>ـ والـذـيـ يـعـنـيـنـيـ هوـ  
عـلـاقـهـاـ بـمـقـصـودـ السـوـرـةـ،ـ وـهـوـ أـنـ هـذـاـ التـكـثـيفـ الـذـيـ تـؤـدـيـهـ الفـاءـ يـسـلـمـنـاـ إـلـىـ  
الـعـاـقـبـةـ سـرـيـعاـ وـهـوـ الـأـمـرـ الـذـيـ سـيـقـتـ لـهـ لـيـحـدـثـ الـأـثـرـ النـفـسـيـ الـمـطـلـوبـ فيـ  
نـفـوسـ الـخـصـومـ وـيـرـوـعـهـمـ بـهـاـ،ـ وـلـمـ كـانـ الـمـقـامـ مـقـامـ تـرـهـيـبـ قـالـ مـهـدـداـ<sup>(٤)</sup>ـ (ـكـذـلـكـ  
الـعـذـابـ<sup>(٥)</sup>)ـ هـذـهـ هـيـ الـغاـيـةـ مـخـتـصـرـةـ مـنـ ضـرـبـ الـمـشـكـرـ بـهـمـ،ـ وـالـقـصـدـ بـهـذـاـ مـشـرـكـوـ  
مـكـةـ (ـوـلـأـنـ إـنـكـارـهـمـ لـأـمـرـ الـآـخـرـةـ أـشـدـ مـنـ إـنـكـارـهـمـ لـأـمـرـ الدـنـيـاـ أـكـدـ قـوـلـهـ  
ـلـيـقـعـ كـوـقـعـ الـزـلـزلـةـ فيـ نـفـوسـ الـمـشـكـرـكـينـ الـمـغـتـرـينـ بـقـوـتـهـمـ  
ـوـأـقـوـالـهـمـ.ـ وـالـذـيـ أـدـىـ هـذـاـ التـفـخـيمـ وـالـتـهـوـيـلـ :ـ الـجـيـءـ بـالـمـسـنـدـ إـلـيـهـ اـسـمـ إـشـارـةـ  
ـلـلـبـعـدـ،ـ وـإـظـهـارـ لـفـظـ الـعـذـابـ الـثـانـيـ فيـ مـقـامـ إـضـمـارـهـ،ـ الـقـوـةـ فيـ الـقـصـرـ بـتـعـرـيـفـ  
ـالـطـرـفـيـنـ :ـ ذـلـكـ الـعـذـابـ وـفـيـ هـذـهـ الـآـيـاتـ وـهـذـاـ التـهـكـمـ بـهـمـ وـالـسـخـرـيـةـ مـنـهـمـ  
ـمـاـلـاـ يـخـفـيـ مـنـ تـسـلـيـتـهـ<sup>(٦)</sup>ـ وـأـنـ اللهـ مـعـهـ بـالـنـصـرـ وـالـتأـيـدـ.

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٨٧٩ / ٢٩.

(٢) ينظر : تحليل لغوي أسلوبی لسورۃ القلم : ٦٤.

(٣) ينظر : دلالات التراكيب : ٣٤٤ ، نقلًا عن كلام الشيخ محمود شاكر.

(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ٩٠ / ٢٩.

(٥) ينظر : في ظلال القرآن : ٦ / ٣٦٦.

ومن التقابل بين جزاء الدنيا والآخرة لهؤلاء ينتقل إلى التقابل بين جزاء أولئك الكافرين وجزاء المتقين ﴿إِنَّ الْمُتَقِّنَ عِنْ دَرَرِهِمْ جَنَاحَتِ النَّعِيم﴾ هذا الضرب الإنكارى أدى الغرض البلاغي منه في الآية، وهو تعميق البشارة في نفس النبي ومن معه من المؤمنين المتقين، بدءاً بتقديم المسند على المسند إليه والعندية التي هي عندية كرامة واعتناء، والجمع في جنات مع لفظ النعيم الذي انفرد القرآن باستعماله في نعيم الآخرة دون النعمة التي وردت أول السورة في معنى نعيم الدنيا. يقول الراغب الأصفهانى : «النعيم هو النعمة الكثيرة»<sup>(١)</sup> ، وما فيه من تبشير لا يخفى ؛ ليشرح صدر نبيه ﷺ والمؤمنين معه بهذه العاقبة وهذا الثواب<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

(١) المفردات : ٥٠١

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٩٠ / ٢٩

### المبحث الثالث

#### دراسة البناء التركيبية للمقطع (١) أو الختام

##### مجادلة الأعداء والأمر بالصبر وضرب المثل بيوسنس الغاشية.

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُشْفِقَيْنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا ۚ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۚ مَا لَكُوْنُوا ۖ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۖ أَمْ لَكُوْنَتِبْ فِيهِ نَدْرُسُونَ ۖ إِنَّ لَكُوْنَ فِيهِ لَمَغْبِرُونَ ۖ أَمْ لَكُوْنَ أَيْمَنَ عَيْتَا بَلْغَةً إِنَّ ۖ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُوْنَ لَمَّا تَحْكُمُونَ ۖ سَلَّمُهُمْ أَبْهُمْ بِذَلِكَ رَبِّيْمُ ۖ أَمْ لَهُمْ شَرَكَاءٌ فَلَيَأْتُوْنَا شُرَكَاهُمْ إِنَّ كَانُوا ۖ صَدِيقِنَ ۖ يَوْمَ يُكَشَّفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِعُوْنَ ۖ خَيْشَعَةً أَصْرَهُمْ تَرْهِقُهُمْ ذَلِكَ ۖ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ ۖ فَذَرُوهُنَّ وَمَنْ يَكْذِبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَسْتَدِرْجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا ۖ يَعْلَمُونَ ۖ وَأَتْلُوْنَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَيْتَنَ ۖ أَمْ تَسْلَمُهُمْ أَجْرَافُهُمْ مِنْ مَغْرِبِهِ مُشْقَلُونَ ۖ أَمْ عَنْهُمُ الْفَتْيَهُ ۖ فَهُمْ بَكْبَيْوَنَ ۖ فَأَعْصِرْ لِكِيرْ رَيْكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْمَوْتِ إِذْ نَادَيْهُ وَهُوَ مَكْظُومٌ ۖ تَوَلَّاْ أَنْ تَدْرِكُهُ ۖ يَعْمَمَهُ مِنْ رَبِّهِ لَنِدَّ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ۖ فَأَجْبَهَهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ۖ وَإِنْ يَكُادَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ لَيُزَلُّوْنَكَ يَأْصِرُهُمْ لَمَّا سَمِعُوا الْذِكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمْ يَجْعُلْهُ ۖ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۖ [٥٢-٣٥] [ رقم : ٥٢-٣٥ ]

ينتقل السياق من نسق القصة بعد أن أدت دورها في تهديد أعدائه الغاشية وشرح صدور أصحابه لعاقبة المتقين إلى نسق الاستفهام ليؤدي الدور ذاته ،

(١) والمقصود بالمقطع هو ختام السورة ، يقول البقاعي في ختام تفسير سورة البقرة : « وقد بان بذكر المنزل والإيمان به والنصرة على الكفار بعد تفصيل أمر النفقة... رد مقطوعها على مطلعها ، وأخراها على أولها » كما يدل عليه صنيع السيوطي في كتابه (مراصد المطالع في تناسب المقاوط والمطالع ) ومضمونه بيان علاقة ختام السورة بمطلعها. أما في الشعر فقد يقصد بها أواخر الفصول ، ذكره ابن رشيق معلقاً على إجابة العتابي على من سأله عن الاستعانة في الشعر ( ما الاستعانة ؟ ) فقال : « أما تراه إذا تحدث قال عند مقاطع كلامه : ياهناه اسمع مني » قال ابن رشيق : « وهذا القول من العتابي يدل على أن المقاطع أواخر الفصول » العمدة في محسن الشعر وآدابه ، ابن رشيق القير沃اني : ٢١٥ ، ت : محمد محى الدين عبدالحميد ، دار الجليل ، بيروت ( ط ، ت : د ).

وقد جاء في سبب نزول هذه الآيات أن عتبة بن ربيعة قال : « لئن كان ما يقول محمد لأصحابه من الجنة والنعيم حقاً لنحن أفضل منهم في الآخرة »<sup>(١)</sup> ولهذا يستكمل البناء التركيبي للسورة في هذا الجزء رسم ملامح أخرى من الرعاية للنبي ﷺ تمثل في التهديد العنيف لأعدائه، وتحديهم وإخراجهم بالسؤال حتى يتنهى بهم السياق إلى مشهد رهيب يزلزلهم، ويسكب الطمأنينة في قلب النبي والمؤمنين متخدّاً أسلوب الاستفهام طريقاً لهذا التصوير؛ فيبدأ بالاستفهام الاستنكاري التوسيخي الأول ﴿أَفَنَجِعُ الْمُسْلِمِينَ كَلْمَجِرِمِينَ﴾ منكراً ومكذباً مع ما يحمله من تجھيل لهم ، نافياً المساواة بين المسلمين ، وهم العريقون في الانقياد لأوامروا . وال مجرمون الراسخون في قطع ما أمرنا به أن يوصل<sup>(٢)</sup> ، ثم يجيء الاستفهام الاستنكاري التعجبي الثاني : ﴿مَا لَكُوْكَفَ تَخْكُوْنَ﴾ على طريقة الالتفات من العام إلى خطابهم مباشرة ، وهو التفات الغضب المنبه على ماهم فيه من اعوجاج الفطر والفكر<sup>(٣)</sup>. فعلام تبنون أحکامكم وكيف تزنون القيم حتى يستوي عندكم من يسلمون ومن يجرمون ؟! ومن الاستنكار والإنكار والتوييخ ينتقل إلى السخرية والتهكم : ﴿أَمْ لَكُوْكَفَ كَيْتَبٌ فِيهِ تَدْرِسُونَ إِنَّ لَكُوْزَ فِيهِ لَمَّا تَخْبِرُونَ﴾<sup>(٤)</sup> يتهكم بهم ويُسخر بأسلوب الاستفهام أن يكون لديهم كتاب يدرسوه ، يستمدون منه هذا الحكم الذي لا يقبله عقل ولا عدل. كتاب يوافق هواهم ، لهم فيه ما يختارون وما يشتهون ! ويبلغ التهكم بهم مبلغه في إثارة التعبير بـ(تخبرون) وتحير الشيء واختاره أخذ

(١) تنویر المقباس من تفسیر ابن عباس : ٤٨١.

(٢) ينظر : التحریر والتنویر : ٩١/٢٩.

(٣) ينظر : التحریر والتنویر : ٩١/٢٩.

خيره، وهذا قمة التهكم به<sup>(١)</sup>؛ لأن المعنى: إن في ذلك الكتاب ما تختارون من الجزاء، ثم التعریض بهم في قوله (فيه تدرسون) فإنه فعل يشير إلى قمة التعمق في الدراسة والتبصر فيما يتضمنه . وهم أميون لا كتاب لهم . ولما جاءهم كتاب لهدايتهم وإلحاقة بهم بالأمم ذات الكتاب كفروا به وكذبوا<sup>(٢)</sup> مع تكرر الظرف (فيه) في قوله (إن لكم فيه) فهو توكيد لفظي<sup>(٣)</sup> ويأتي الاستفهام الإنكاري التعجبي في قوله : ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَنٌ عَيْنًا بِلَغَةٍ إِنْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ مَا تَحْكُمُونَ﴾ لتبلغ السخرية بهم مداها . وهو أن تكون لهم مواثيق على الله سارية إلى يوم القيمة . وليس هذا شيء ، فعلام إذن يتكلمون وإلى ماذا يستندون ؟ !<sup>(٤)</sup> وفي التعبير بقوله (بالغة) سخرية عميقة ، وهي استعارة لمعنى مغلظة ، شُبهت بالشيء البالغ إلى نهاية سيره كقوله ﴿قُلْ فَلَهُ الْحَجَةُ الْبَلَاغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

وقد زاد التهكم قوة تقديم الجار والمجرور (لكم) وتكرره في كل مرة بما لا تخفي. ذلك أن تقديم بعض المتعلقات على بعض في البلاغة العربية «يجري على نسق دقيق من مراقبة المعاني ، ومتابعة الأحوال »<sup>(٥)</sup> ثم التهكم الساخر **الأعمق والأبلغ** الذي يكاد يذيب الوجوه من الحرج والتحدي الساخر المكشوف : ﴿سَلَّهُمْ أَيُّهُمْ بِنَذِلَكَ رَعِيمٌ﴾؛ لأن الأئمان وهي العهود عادة تقتضي الكفالة . فلما ذكر إنكار أن يكون لهم عهود . كمل ذلك بأن يطلب

(١) ينظر : المفردات في غريب القرآن : ١٦٨ ؛ الكشاف : ١٤٦/٤.

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٩٣/٢٩.

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ٩٤/٢٩.

(٤) ينظر : نظم الدرر : ١١١/٨ ؛ في ظلال القرآن : ٣٦٦٥/٦.

(٥) خصائص التراكيب ، محمد أبو موسى : ٤٠٣.

منهم أن يُعيّنوا الكفلاء<sup>(١)</sup> وجعل الرعيم أحداً منهم زيادة في التهكم<sup>(٢)</sup>، ولما نفى أن يكون لهم في تسويتهم الكفار المسلمين دليل عقلي أو نصلي أو عهد وثيق، أتبعه ما يكون من عند غيره إن كان ثم غير، فقال بأسلوبه الاستفهام والأمر معاً، المشوين بالسخرية والتعجيز : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلَيَأْتُوْنَا شُرَكَاءُهُمْ﴾<sup>(٣)</sup> وإضافة الشركاء إلى ضميرهم لإبطال صفة الشركة في الإلهية عنهم، وتجاهل أن هناك شركاء عند هؤلاء . فإن الإلهية الحقة لا تكون نسبة بالنسبة إلى فريق أو قبيلة<sup>(٤)</sup>.

ثم يأتي الشرط بالتحدي الصارم ﴿إِن كَانُواْ صَدِيقِنَ﴾ فيكون ذلك أعظم دليل على إبطالهم ولكن متى يدعونهم ؟ ! ﴿يَوْمَ يُكَشَّفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدَعَّوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيْعُونَ﴾ وهنا يجيء التهديد المرعب المزلزل . بعد أن نفى جميع الشبه التي يمكن أن يتسبّبوا بها ، وبعد تفتيق الأدلة ، أتبع ذلك هذا التهديد المبني للمفعول به ؛ لأن المخيف وقوع الكشف لا من يوقعه<sup>(٥)</sup>. ولفظ الكشف كناية عن تفاقم الأمور وخروجها عن حد الطوق . وهو مثل لشدة الحال . وصعوبة الخطب . وبخاصة أنه محنّف الجواب ، والتقدير : يوم يكشف عن ساق ويكون كيت وكيت . ولكنه حذف للتهويل وللدلاله على وقوع مالا يوصف لعظمته ، يزيده تهويلاً وتعظيمًا تنكير(ساق) ؛ أي يشدّ الأمر غاية الاشتداد ؛ لأن من اشتد عليه الأمر وجد فيه شمر عن ساقه لأجله ، وشمرت حرمه عن سوقة عن سوقة كناية – في تعبيرات اللغة العربية المأثورة

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٩٥/٢٩

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٩٥/٢٩

(٣) ينظر : نظم الدرر : ١٨/١١١

(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ٩٧/٢٩

(٥) ينظر : نظم الدرر : ١١١/٨

– عن الشدة والكرب والعجز والضيق<sup>(١)</sup> لأنهم لا يدعون إلى السجود تعبداً وتكليفاً، ولكن توبيخاً وتعنيفاً على تركهم السجود في الدنيا.<sup>(٢)</sup> وهم لا يستطيعون السجود مع شدة محاولتهم ومعاجلتهم لأنفسهم لتطوع لهم بما تفهمه هذه الصيغة (فلا يستطيعون) والنفي تحسيراً لهم وتنديم على ما فرطوا فيه<sup>(٣)</sup>

إن القرآن يوقف هؤلاء المتكبرين «وجهها لوجه أمام هذا المشهد كأنه حاضر اللحظة . وكأنه يتحداهم فيه أن يأتوا بشركائهم المزعومين وهذا اليومحقيقة حاضرة في علم الله . لا تتقيد في علمه بزمن واستحضارها للمخاطبين على هذا النحو يجعل وقعاها عميقاً حياً حاضراً في النفوس»<sup>(٤)</sup> ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدعَّونَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ﴾ ليس في أعضائهم ما يمنع كما في يوم القيمة . ولكنها الشماخة والكبـرـ وربما ظنـ أنـ المـانـعـ لـهـمـ الـكـبـرـ كـمـاـ كـانـ فـيـ الدـنـيـاـ ،ـ فـقـالـ نـافـيـاـ ذـلـكـ ﴿تَرَهُّفُهُمْ ذَلَّةٌ﴾<sup>(٥)</sup> «والأبصار الخاشعة ، والذلة المرهقة هـمـ المـقـابـلـانـ للـهـامـاتـ الشـامـخـةـ وـالـكـبـرـاءـ المـنـفـوـخـةـ .ـ وـهـيـ تـذـكـرـ بـالـتـهـدـيدـ الـذـيـ جاءـ فـيـ أـوـلـ السـورـةـ (ـسـنـسـمـهـ عـلـىـ الـخـرـطـومـ)ـ فـإـيـحـاءـ الذـلـةـ وـالـانـكـسـارـ ظـاهـرـ عـمـيقـ مـقـصـودـ»<sup>(٦)</sup> وبينما هـمـ فـيـ هـذـاـ الـكـرـبـ يـجـيـئـهـمـ التـهـدـيدـ الرـعـيـبـ الـذـيـ يـهـزـ الـقـلـوبـ فـيـ صـورـةـ

(١) إما لأنه وقته قد فات . وإما لأنهم كما وصفهم مهبطين مقنعي رؤوسهم وكأن أجسامهم وأعصابهم مشدودة من الهول على غير إرادة منهم . يقول البقاعي : «لأن ظهورهم وأعضاءهم تكون طبقاً واحداً لا ينتهي» نظم الدرر : ١١١/٨ - ١١٢ - ٣٦٦٨ . وينظر : في ظلال القرآن : ٦/٣٦٦٨ .

(٢) ينظر : الكشاف : ٤/٤٧؛ فتح الرحمن بكشف ما يلبس في القرآن : ٤٣٢ .

(٣) ينظر : الكشاف : ٤/٤٧؛ نظم الدرر : ٨/١١٢ .

(٤) في ظلال القرآن : ٦/٣٦٦٧ .

(٥) ينظر : نظم الدرر : ٨/١١٣ .

(٦) في ظلال القرآن : ٦/٣٦٦٨ .

**الأمر أيضاً** ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ إنَّهُ أَمْرٌ بِعْنَى التَّهْدِيدِ وَالْوَعْدِ . وهي كَلْمَةٌ يَقُولُهَا الْمُغْتَاظُ إِذَا شَتَّدَ غَضْبَهُ ، وَكَرْهَ الشَّفَاعَةَ لِمَنْ غَاطَهُ . وَالْعَنْيُ : خَلَّ بَيْنِي وَبَيْنِهِ . فَإِنِّي عَالَمٌ بِمَا يَجِبُ أَنْ يَفْعَلَ بِمَنْ يُكَذِّبُ بِالْقُرْآنِ . فَلَا تَشْغُلْ قَلْبَكَ بِشَأْنِهِ تَسْلِيَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ . وَتَهْدِيدًا لِلْمُكَذِّبِينَ<sup>(١)</sup> وَهَذَا يَدْلِي عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَجِدُ مَشْقَةً عَظِيمَةً لَا يَعْلَمُ مَقْدَارَهَا إِلَّا اللَّهُ سَبَّحَهُ وَتَعَالَى . وَكَانَ عَلْمُهُ بِاَقْتِدارِهِ سَبَّاحَهُ عَلَى مَا يُرَادُ مِنْهُ أَقْرَأَ لِعِينَهُ ؛ لِذَلِكَ قَالَ عَلَى طَرِيقَةِ الْالْتِفَاتِ لِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْمُفَرِّدِ ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ زِيَادَةً فِي تَسْكِينِ قَلْبِهِ وَشَرْحَ صَدْرِهِ بِأَنَّهُ مَن يَتَوَلِّ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ فَكَيْفَ لِنَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ أَنْ تَقْلُقَ بَعْدَ ذَلِكَ ؟<sup>(٢)</sup> . وَلَمْ يَقُلْ (فَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ) . بَلْ أَفْرَدَ الضَّمِيرَ فِي (وَمَن يُكَذِّبُ) لِلَّدْلَالَةِ عَلَى تَهْدِيدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ<sup>(٣)</sup> «إِنَّهُ تَهْدِيدٌ مَزْلُزٌ . وَالْجَبَارُ الْقَهَّارُ الْقَوِيُّ الْمُتَّيِنُ يَقُولُ لِرَسُولِ ﷺ : خَلَّ بَيْنِي وَبَيْنِ مَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ . وَذَرْنِي لَحْرَبَهُ فَأَنَا بِهِ كَفِيلٌ ! ... وَاسْتَرِحْ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحَرْبِ مَعِي لَا مَعَكَ وَلَا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ . وَهَذَا عَدُوِّي وَسَائِلُّي أَمْرِهِ فَدَعْهُ لِي . أَيْ هُولٌ مَزْلُزٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ! وَأَيْ طَمَانِيَّةٌ لِلنَّبِيِّ وَالْمُسْتَضْعِفِينَ !»<sup>(٤)</sup>

وَيَأْتِي جَمْعُ الضَّمِيرِ فِي فَعْلِ الْاَسْتَدْرَاجِ (سَنْسَتِدْرَجَهُمْ) بَعْدِ الْإِفْرَادِ فِي (فَذَرْنِي) لِلتَّعْظِيمِ وَالتَّهْوِيلِ . أَيْ : فَنَأْخُذُهُمْ بِعَظَمَتِنَا إِلَى الْهَلاَكِ دَرْجَةً دَرْجَةً . وَاسْتَدْرَاجَهُمْ بِمَا تَوَاتَرَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّعْمِ لِعَدَمِ الشُّكْرِ ؛ فَيُؤْخَذُونَ مِنْ مَأْمَنِهِمْ عَلَى غَفْلَةٍ.<sup>(٥)</sup> (وَلِيُسَّ أَكْبَرُ مِنَ التَّحْذِيرِ، وَكَشْفُ الْاَسْتَدْرَاجِ وَالْتَّدْبِيرِ عَدَلًا

(١) يَنْظُرُ : الْكَشَافُ : ١٤٧/٤ ؛ التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ : ٢٩/١٠٠.

(٢) يَنْظُرُ : نَظَمُ الدَّرَرِ : ٨/١١٣.

(٣) التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ : ٢٩/٢٩ .

(٤) فِي ظَلَالِ الْقُرْآنِ : ٦/٣٦٦٨ . (بِتَصْرِفِ)

(٥) يَنْظُرُ : الْكَشَافُ : ١٤٧/٤ ؛ التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ : ٨/١١٣.

ورحمة . والله سبحانه يقدم لأعدائه وأعداء دينه ورسوله عده ورحمته في هذا التحذير وذلك النذير . ويقول لرسوله ﷺ : ذرني ومن يكذب بهذا الحديث . وخل بيدي وبين المغرين بالمال والبنيان والجاه والسلطان . فأملي لهم ، فيطمئن رسوله ويحذر أعداءه ، ثم يدعهم لذلك التهديد الرعيب «<sup>(١)</sup>» .

وليس أجلب لقوة حسرتهم عند حلول المصائب بهم من قوله ﴿مَنْ حَيَثْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي الأسباب والأفعال والأحوال التي يحسبونها تأثيرهم بخبير فتكتشف لهم عن الشر ، فأي تسلية للنبي أعظم من هذه التسلية ! «<sup>(٢)</sup>﴾وَأَمْلَى﴾ بضمير المفرد أي آخر أنا وحدى في آجالهم وأوسع في جميع ملذاتهم ؛ ليزدادوا إنّا «<sup>(٣)</sup>» وسمى إحسانه وإنعامه كيداً كما سماه استدرجًا «<sup>(٤)</sup>» ؛ لأنّه يaldo لهم في ملابس الإحسان وخلع البر والامتنان . وهو هلاك وأسباب هلاك !

وتأمل وصف الكيد بـ (المتين) والسر أنه في غاية القوة حيث كان حاملاً للإنسان على إهلاك نفسه باختياره «<sup>(٥)</sup>» ، ثم كيف جمع الفعل الذي تقوم به الملائكة بأمره بِعِنْدِكَ . فقال سنسنستدرجهم وأفرد الفعل الذي لا يصح إلا منه بِعِنْدِكَ وهو الإملاء !

وبعد إبطال معاذيرهم واحداً بعد الآخر بلغ استفهام النفي والاستعارة التصريحية في قوله : ﴿أَمْ سَنَهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرِمٍ مُّمْقَلُونَ﴾ التي تنفي أنّ الرسول يفرض عليهم الأجور البالغة نظير إيانهم ، فتشكلهم الأجور والمغارم ، لأنّ ثقل الغرامات هو الذي يدفعهم إلى الإعراض والتکذیب ولذلك

(١) في ظلال القرآن : ٣٦٦٨/٦.

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ١٠١/٢٩.

(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١١٣/٨.

(٤) ينظر : الكشاف : ١٤٧/٤.

(٥) ينظر : نظم الدرر : ١١٤/٨.

قدّم (المغرم) على (مقلدون) لأنها محط الإنكار، وللاهتمام بمحاجب المشقة قبل ذكرها. وفي مقلدون استعارة تصريحية تعبية شبه فيها بهادة المغرم وهو أمر معنوي بوظأة الأحوال المضنية<sup>(١)</sup>، ونلمح في الاستفهام الإنكاري ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ الْغَيْثُ فَهُمْ يَكْبُرُونَ﴾ السخرية بهم، لأن علم الغيب صار عندهم وليس عند الله، ولذلك قدم الظرف (عندهم)؛ لأنها محط الإنكار.

وبعد إقرار حقيقة أن حرب الكافرين قد قضى الله أنه هو الذي يتولاها مهما بدا أن للنبي ﷺ ومن معه من المؤمنين دوراً في هذه الحرب.. يجيء الأمر وضرب المثل بيونس ليوجه نبيه إلى الصبر على تكاليف الرسالة وعلى عباء هداية الأجيال جميعها، ويذكره بتجربة أخي له، استشقق أعباء الرسالة؛ لما فيها من شدة معالجة الخلق، فابتلي وامتحن باللبث في بطن الحوت، وهو يonus العلية<sup>(٢)</sup>؛ وإضافته للحوت بلفظ المصاحبة، ولا يخفى ما في هذا التعريف من تصوير الحالة النفسية التي أصابت النبي من جراء إتهامه بالجنون وأنه ضاق بهم وضجر باتهامهم حتى كان أقرب لضجر يonus العلية<sup>(٣)</sup>، لذلك نهاد عن هذا الضجر، أو العجلة وعدم الصبر، وألا يكن منه ما يلجهه إلى مثل نداء يonus<sup>(٤)</sup> ولاحظ كيف سمي ما أوحى الله إليه من التضرع والتسبيح وطلب التوبة (نعمـة)، وهذه المرة الثانية التي يمن الله على نبيه بلفظ النعمة التي لم يستعملها القرآن إلا فيما يمن على الناس في هذه الحياة الدنيا، سواء كان نعماً مادية أو روحية وهذه الدلالـة مطردة في القرآن في الحديث عن النعم

(١) ينظر : التفسير البلاجي للاستفهام ، المطعني : ٢٩٣ / ٤ .

(٢) صاحب الحوت هو يonus العلية<sup>(٥)</sup> ؛ أطلق عليه هذا اللقب هنا ، و(ذا النون) في سورة الأنبياء ﴿وَذَا الْنُّونِ إِذْ دَهَبَ مُعَصِّبًا﴾ [آية: ٨٧] ؛ لأن الحوت التقمـه ، ثم قذـه ، فصار (صاحب الحوت) لقبـاً له .

(٣) ينظر : نظم الدرر : ١١٤ / ٨ ؛ التحرير والتنوير : ١٠١ / ٢٩ .

الدنيوية<sup>(١)</sup>؛ وقد وردت في المطلع أيضًا في قوله (ما أنت بنعمه ربك بمحنون) وإضافتها إلى الله بلفظ الربوبية الذي شاع في هذه السورة للإيماءة إلى أنها نعم كثيرة، وأنه أنقذه إنقاًداً خارقاً للعادة<sup>(٢)</sup>. مع ما في تنكير نعمة من الدلالة على تفخيمها وتكثيرها؛ لأنها مكررة مضاعفة، والتدارك على صيغة التفاعل للدلالة على أنه إدراك عظيم كأن كلاً من النعمة والمنة تزيد أن تدرك الآخر<sup>(٣)</sup> وهو يطوي هذا المعنى بإيجاز بديع ويشير إليه إشارة بلغة بجملة ﴿لَوْلَا أَن تَدَرَّكُمْ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ لَنِدَّ إِلَّا عَرَاءٌ وَهُوَ مَدْمُومٌ﴾ ويحيى الختام ليرد المقطع على المطلع ويكشف السبب الذي من أجله تأزرت وحدات السورة بكل مكوناتها اللغوية لترسم العناية الربانية بأمره، وكيف كان يحوطه ويختضنه وياخذ بيده؛ ذلك أن هذه الآية تقدم صورة تنطق بالحالة النفسية لكباء مكة تجاه الرسول ﷺ من خلال حركة العين المحدقة بالعداوة والبغضاء، مما يؤدي إلى إيذاء الرسول الكريم عبر نظراتهم المليئة بالحقد والكراهية : ﴿وَلَن يَكُادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَئِلَّا لَقُونَكَ يَأْتِصَرُهُ لَتَسْمِعُوا الْذِكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ فهم من شدة تحديقهم بك، ونظرهم إليك بعيدون العداوة والبغضاء يقادون يزلون قدمك ويهلكونك (ليزلونك)، وهذه النظارات متعددة دائمة الحدوث متكررة تقاد تؤثر في أقدام الرسول، فتجعلها تزل وتتنزلق وتفقد توازنها على الأرض<sup>(٤)</sup> واختار

(١) بينما يستخدم لفظ (التعيم) في مقام الحديث عن إنعام الله على صالح عباده في الآخرة. دراسات جديدة في إعجاز القرآن – مناهج تطبيقية في توظيف اللغة ، د. عبد العظيم المطعني : ٨٨.

(٢) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٩/١٠٧ .

(٣) ينظر : نظم الدرر : ٨/١١٦ .

(٤) ينظر : الكشاف : ٤/١٤٨ ؛ نظم الدرر : ٨/١١٧ ؛ التحرير والتنوير : ٢٩/١٠٣ .

يُزلقونك مضارعاً؛ لأنها الأدل على عمق الغيظ؛ فإنها بمعانٍها وصوتها وصيغتها تفضي إلى السقوط غالباً على وجه الاستعارة المكنية؛ حيث شبهت الأ بصار بالسهام.<sup>(١)</sup> كما تصور حقيقة نظراتهم التي تُنزل وتُنزلق، وهي في الوقت نفسه تكشف عن ذلك الشعور بالغيظ المحموم، وبالحسد العميق الذي كانوا يسررونه للنبي ﷺ<sup>(٢)</sup>، وجاء الفعل (ويقولون) بصيغة المضارع للدلالة على أنهم مازالوا يجددون القول حيناً بعد حين (إنه لجنون)، ثم يجيء التعبير بالفعل الماضي (سمعوا) بعد المضارع (يُزلقونك) التفاتاً للتذكير بالحال الماضية.

والاحظ كيف جاء بناء مقولتهم على هذا النحو من البناء المؤكّد بالمؤكّدات اللفظية؛ حيث جاء بصيغة الجملة الاسمية الدالة على الثبوت، مقرونة بأن المؤكّدة، واللام الواقعـة في خبر إنـ، كل ذلك لمحاولة تأكيد ادعائهم؛ لغلبة شك الناس في جنونـ، كيف وهو الصادق الأمين عندـهمـ، إنه يدل دلالة قوية على تهافتـهاـ، وأنـهاـ دعوى باطلـةـ، واتهـامـ لاـ حـبـكةـ فـيـهـ ولاـ بـرـاعـةـ؛ ذلك أنه ﷺـ فيـ غـاـيـةـ الـبـعـدـ عـمـاـ يـشـيـنـ، لـكـنـهاـ حـيـلـةـ وأـسـلـوبـ منـ لاـ يـجـدـ إـلـاـ الشـتـمـ الـغـلـيـظـ، يـطـلقـهـ بلاـ تـهـيـيدـ وـلـاـ بـرهـانـ كـمـاـ يـفـعـلـ السـذـجـ الـبـدـائـيـونـ؛ إـذـ لمـ يـجـدواـ فـيـ الذـكـرـ الـذـيـ يـسـمـعـونـهـ مـدـخـلاـ لـلـطـعنـ، فـاـنـصـرـفـواـ إـلـىـ الطـعنـ فـيـ

(١) عن مجاهد ينفذونك بنظرهم ، وقال الجامع لأحكام القرآن : يقال زلق السهم وزرق إذا نفذـ. قال الراغـبـ : قال يونـسـ : لمـ يـسـمـعـ الزـلـقـ وـالـإـلـزـاقـ إـلـاـ فـيـ الـقـرـآنـ. يـنـظـرـ : التـحرـيرـ وـالـتـوـبـيرـ : ٢٩/١٠٧ـ ؛ الجـامـعـ لـأـحـكـامـ الـقـرـآنـ : ١٨/٢٥٥ـ.

(٢) يـنـظـرـ : تـخلـيلـ لـغـوـيـ أـسـلـوبـيـ لـسـوـرـةـ الـقـلـمـ : ٩١ـ.

صاحب بالجنون<sup>(١)</sup> ، أو أن ما يقوله تخاليط من يُصرع بالجن ؛ ليشكوا في  
كلامه فيصرفوا دهماءهم عن سماعه<sup>(٢)</sup>

فأبطل الله فريتهم بأن ما جاء به شرف ورفة للعالمين بأسلوب قصر  
القلب<sup>(٣)</sup> تأكيداً ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ وقد بين عبد القاهر بلاغة القصر بهذا  
الطريق ودلالته على الأمر ينكره المخاطب ويشك فيه<sup>(٤)</sup> فقد كانوا ينكرون أن  
يكون ذكراً ورفة لهم ، ولذلك يقول أبو موسى : « وهذا هو رأس الأمر في  
هذا الطريق فلا يأتي إلا في المعنى الذي يحتاج إلى فضل تقرير وتوكيد »<sup>(٥)</sup> وإذا  
ثبت بهذا التأكيد وهذه القوة التي دلّ عليها القصر بالنفي والاستثناء أن القرآن  
ذكر فقد بطل أن يكون مبلغه مجنوناً ، وبذلك يكون الختام مؤكداً لضمون  
المطلع ، والتوكيد لونٌ من ألوان العلائق ، ومظهرٌ من مظاهر الارتباط بين  
المطلع والختام نبه إليه الرازبي في تفسيره<sup>(٦)</sup> « وهو أن تكون معاني الخاتمة

(١) ينظر : في ظلال القرآن : ٣٦٦٨/٦

(٢) ينظر : نظم الدرر : ١١٨/٨

(٣) هو نوع من أنواع القصر الإضافي ؛ سمي بذلك لأن المتكلم يقلب اعتقاد  
المخاطب. ينظر : دلالات التراكيب : ٥٧ - ٥٨ .

(٤) ينظر : دلائل الإعجاز : ١٢٧ .

(٥) دلالات التراكيب : ٤٠ . جاءت الآية على الأصل من القصر بالنفي  
والاستثناء من مراعاة حال المخاطب المنكر ، وإن كان الشيخ أبو موسى يرى أن عبد  
القاهر وجمهور البلاغيين أغفلوا ضرورةً من القصر بالنفي والاستثناء لا يجري فيهم نظرٌ  
حال المخاطب وإنما هو حال المتكلم وحسه بالمعنى وأن «النفي لم يحصل التوكيد وإفراغ  
الحقيقة في قالب متيقن موافق ؛ لتقريرها وتوكيدها في النقوس بهذه اللهجة الخامسة»  
وللاستزادة ينظر : أسلوب القصر في القرآن الكريم – دراسة تحليلية بلاغية ، نجاة محمد  
عبدالعزيز : ٨ ، رسالة تخصص (ماجستير) ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم درمان  
الإسلامية ، ١٩٩٨ م ؛ القصر في سورة الأعراف دراسة بلاغية تحليلية ، د. هند ناية ،  
مبحث (القصر بالنفي والاستثناء) ٧٦ - ١١٤ ، مجلة كلية دار العلوم ، العدد (٨٣)  
، جامعة القاهرة .

(٦) اعتنى الرازبي في تفسيره بكثير من صور التناسب في البيان المعجز. ينظر :  
التناسب في القرآن الكريم – صوره وأسراره البلاغية ، للباحثة : ٧٣ - ٨٨ ، رسالة

مطابقة في مغزاها لمعاني الفاتحة، فتواطئ الدلالة الدالة، فتقويها وعليه أكثر سور القرآن<sup>(١)</sup>

والتأمل الدقيق للمطلع والختام من العوامل الهادبة للمقصود – كما سبق – فقد كانا من السبل والمفاتيح الهادبة إليه، وكان التمازهما على هدف واحد هو الكاشف عن الخطأ الذي يربط بين أوصالها، والروح التي تهيمن على أغراضها، وهو تأييد النبي ودفع هذه الغرية عنه ﷺ؛ تأييداً له بعد تطاول المشركين عليه عامة، واتهامه بالجنون خاصة الذي ينتظم أغراض السورة؛ يشرق هذا المقصود في المطلع، ويستقر في الختام<sup>(٢)</sup> بعد أن يسري في أوصال السورة ومعاناتها؛ ففي المطلع يجيء أسلوب القسم ليدفع عنه هذه التهمة ﴿تَ وَقْلَمٌ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾١﴿ مَا أَنْتَ بِعَمَّةٍ رَبِّكَ إِمَاجُونٌ ﴾ ثم تضي السورة تذب عنه ﷺ وتشبهه وتواسيه، وتصدى لأعدائه، وفي الختام يجيء التنديد بوصفهم له ﷺ بالجنون بأسلوب القصر : ﴿ وَقَوْلُونَ إِنَّهُ لَمَجُونٌ ﴾٥﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذَكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ كما نفى التهمة عنه ﷺ في المطلع بأسلوب القسم. يقول الرازى في بيان هذه العلاقة التي تدلل الألفاظ والتركيب فيه عليها دون حاجة إلى طول تأمل وإنعام فكرة : « قال تعالى : ﴿ وَقَوْلُونَ إِنَّهُ لَمَجُونٌ ﴾ وهو على ما افتتح به السورة ﴿ وَمَا هُوَ ﴾ أي وما هذا القرآن الذي يزعمون أنه دلالة جنونه ﴿ إِلَّا ذَكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ فإنه تذكير لهم وبيان لهم وأدلة لهم، وتنبيه لهم على ما في

---

الدرجة العالمية، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة الإمام عبدالرحمن الفيصل ١٤٢٣هـ ؛ وقد أفردت له دراسة منال سعودي بدراسة مستقلة، هي (التناسب في تفسير الإمام الرازى – دراسة في أسرار الاقتران) مكتبة وهبة، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.

(١) التفسير الكبير : ٢٩ / ٦١٩.

(٢) ينظر : جواهر البيان في تناسب سور القرآن ، عبدالله الغماري : ١٢٠.

عقولهم من أدلة التوحيد، وفيه من الآداب والحكم مع أنه من أدل الأمور على كمال الفضل والعقل<sup>(١)</sup> فأكّد أن الخاتمة استصبحت معنى الافتتاح بتكرار ذكره ليكون في هذا العنصر المسترجع دلالة على أنه قطب مدارها<sup>(٢)</sup> كما عدها البقاعي استحضاراً لمعاني الافتتاح في إزالة ما وصف به النبي ﷺ من أن ما يقوله من تخاليط من يصرع بالجن، وتأكيد ما جرى في أولها من القسم على كونه على خلق وذكر عظيم وأن في وصف القرآن في الختام بأنه ذكر للعالمين إيماءً قوياً إلى قوله في المطلع : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ فليس الذكر والرفة سوى الخلق العظيم، وأن وصفهم له ﷺ بالجنون في الختام أيضاً منطبق على قوله في المطلع ﴿مَا أَنْتَ بِنَعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْوِنٍ﴾ إذ يقول : «قد رجعت خاتتها على فتحتها بالنون والقلم وما يسطرون من هذا الذكر، وسلب ما قالوا فيه من الجنون والإقسام على الخلق العظيم الذي هو الذكر الحكيم»<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

---

(١) التفسير الكبير : ٣٠ / ١٠١.

(٢) ينظر : التناسب في تفسير الإمام الرازى – دراسة في أسرار الاقتران ، د. منال المسعودي : ١٦٩.

(٣) نظم الدرر : ١١٨/٨ ؛ وينظر : في ظلال القرآن : ٦/٣٦٦٨.

## الخاتمة

وبعد : لقد عمد هذا البحث إلى الاستدلال لفكرة قائمة على الربط بين البناء التركيبي للسورة ومقصودها ومحاولة الإجابة عن السؤال الآتي : كيف يمكن أن يشكل المضمون أو المقصود الأعظم للسورة منهج البناء التركيبي للسورة ؟

هذا ما سعى إليه الدراسة ووضعته نصب عينها ، وقد كشف تحليلها البلاغي أن موضوع السورة هو رعاية النبي يأظهرار علمه وكمال خلقه وتولى أعدائه . وأن البناء التركيبي للسورة بكل دقائقه قد قام بدوره في رسم معالم هذا المقصود ، وأن هناك علاقة عضوية حية بين مضمون السورة ومنهج بنائها التركيبي بدءاً بالافتتاح بحرف النون دون غيره من حروف التهجي مع أسلوب القسم وانتهاءً بالخبر المؤكـد بأسلوب القصر ، وكل جملة من جمل السورة بأنساقها المختلفة المتتجدة قد أدت وظيفتها في رعايته ﷺ وتـأيـده ، هذا على الإجمال أما على التفصـيل فقد خلصت إلى :

- البراعة في استهلال السورة بما يتناسب ومضمونها ، وقوة دلالة المطلع المشرقة على مقصود السورة ؛ ففي اختيار الحرف نون الذي يكثـر دورـانـه في الكلمات التي تحمل معاني ظهور الأشيـاء وعلـمـها وإـدراكـها كالنور والنـار والنـيل والنـباـهـة والنـقـاء والنـصـح والنـبـأ دلـلة قـويـة على ظـهـورـ علمـهـ وكـمالـ أـخـلاقـهـ الشـفـقـةـ وكـمالـ دـعـوـتـهـ . مع ما فيهـ من رـقـةـ وليـونـةـ تـنـاسـبـ وـرـعاـيـةـ النـبـيـ ﷺ .  
فضلاً عن قـوـةـ أـسـلـوبـ القـسـمـ فيـ المـطـلـعـ فيـ نـفـيـ التـهـمـةـ عـنـهـ ﷺ .

- التـنـاسـبـ الـبـدـيـعـ بـيـنـ الـمـطـلـعـ وـالـخـتـامـ ، وـاـسـتـرـجـاعـ الـمـعـنـىـ نـفـسـهـ بـأـبـنـيـةـ مـتـقـارـبـةـ وـأـسـالـيـبـ بـلـاغـيـةـ مـتـقـارـبـةـ ، وـالـتـقـاؤـهـمـاـ مـعـاـ عـلـىـ نـفـيـ تـهـمـةـ (ـالـجـنـونـ)ـ الـتـيـ آـلـمـهـ الشـفـقـةـ وـأـحـزـنـتـ قـلـبـهـ بـأـسـلـوبـ يـتـسـرـبـ إـلـىـ وـجـدـانـهـ فـيـ كـلـ مـرـةـ بـأـلـطـفـ .

طريق، فأسلوب القسم في المطلع يقابله أسلوب القصر في الختام لتأكيد الحقيقة ذاتها.

- اختصاص السورة بإيشار التعبير عن الله بـجَلَّ بلفظ الربوبية دون لفظ الألوهية (الله) في عشرة مواضع

من السورة : مضافاً إلى ضمير نفسه الشريفة رَبُّكَ (ربك) أربع مرات ، وإلى ضمير أصحاب الجنة ثلاث مرات (ربنا) ومرة واحدة لضمير المتدين (عند ربهم) ، وفي مواضعين في الختام في شأن يonus الْكَلِيلَةِ (نعمة من ربها ، فاجتباه ربها) وما فيه من الإيماء باتساع فيوض العطاء المناسب لتأييده ورعايته وإناسه كَلِيلَةِ.

- اصطفاء مادة الفعل (يدهن ويدهون) خاصة في هذه السورة دون غيرها من القرآن ، ودورها في رسم ملامح عقيدتهم المهزولة للنبي الْكَلِيلَةِ وشرح صدره بعدم رسوخ عقيدتهم في مقابل ثبات إيمانه ومن معه من المهددين.

- اصطفاء صيغ المبالغة (فعال وفعيل) في ذكر صفات المكذبين ، وبلاوغتها في ذم أعداء النبي كَلِيلَةِ ودورها في احتضانه والتسرية عنه الْكَلِيلَةِ حيث جاءت أربع صفات على صيغة فعال ، وأربع على وزن فعيل ؛ لما تحمله من معاني التكرار والمداومة على الفعل حتى صار كالصنعة أو كالسجية.

- اختيار أسلوب القصة وضرب المثل بقصة أصحاب الجنة ودوره في تهديد كبراء قريش المغترين بأموالهم بالصير نفسه ، ليمضي النبي راسخاً مطمئن الكيان ، مستبشرًا بمعية الله غير عابئ بتهديدهم واتهاماتهم.

- نهوض ست جمل إنشائية استفهامية بأبلغ التهكم بهم والسخرية منهم.

- دور الاستعارة التهكمية الساخرة في التعبير بالوسم على الأنوف  
(سننمه على الخرطوم) بالتنفير منهم والتضخيم لعيوبهم مما يسمى في العصر الحديث بالرسم الساخر (الكاريكاتوري).

كل ذلك يؤكد أهمية البلاغة بعلومها في تدبر القرآن، وأن التفسير المعتمد على البلاغة وأدواتها هو الأعمق أثراً في التدبر المنهجي للمقاصد الدقيقة والمعاني القرآنية، وأنه لابد من الإمام بقواعد هذا العلم لعرفة ما يدل عليه التكرار، وما ينطوي عليه الحذف، وما يفيده التقديم، والتعريف والتنكير.. وغير ذلك مما يتصل بقواعد وفنونه.

- أن المسائل البلاغية في ميدانها التطبيقي وترتبتها الخصبة - وأقصد بها البيان العالى : كلام الله ثم كلام المختار للله ، ثم نصوص الأدب العربي الرفيع شعره ونثره - هي أنضر وأزهى منها فى كتب البلاغة النظرية التي تسوق القاعدة ، ثم تضرب لها المثال والشاهد.

## فهرس المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، (ط: د)، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المعروف بـ تفسير أبي السعود، محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
٣. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدنى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٠ م.
٤. أسلوب القصر في القرآن الكريم - دراسة تحليلية بلاغية، نجاة محمد عبدالعزيز، رسالة تخصص (ماجستير)، كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان الإسلامية، ١٩٩٨ م.
٥. إعجاز القرآن، الباقلازي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، (ت: د)
٦. الإعجاز البلاغي - دراسة تحليلية لمسائل أهل العلم، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة (ط، ت، د)
٧. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعى، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
٨. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بـ تفسير البيضاوى، دار الجيل، بيروت (ط، ت: د)
٩. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية القاهرة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

١٠. البرهان في تناسب سور القرآن، أبو جعفر أحمد ابن الزبير الغرناطي، تحقيق: سعيد جمعة الفلاح، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ.
١١. البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان المسمى أسرار التكرار في القرآن، محمود بن حمزة الكرمانی، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الفضيلة، القاهرة.
١٢. البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة (ط، ت: د)
١٣. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين الفيروز أبادي، دار البارز، مكة المكرمة، المكتبة العصرية، بيروت (ط، ت: د)
١٤. البلاغة العربية – أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكلي جديد من طريفٍ وتليد، عبدالرحمن بن حنبلة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
١٥. البلاغة فنونها وأفاناتها، د. فضل عباس، دار الفرقان، عُمان، الطبعة الثانية، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
١٦. تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق : عادل عبد الموجود، الشیخ محمد عوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م.
١٧. تأویل مشکل القرآن، ابن قتيبة، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م.
١٨. التبيان في أقسام القرآن، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م.

١٩. التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، شرف الدين الطبيبي، ت : هادي الهلالي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م
٢٠. تحليل لغوي أسلوبي لسورة القلم، د. محمد مريني، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الكويت، المجلد ٣٤، ٢٠١٣م.
٢١. التفسير البياني، د. عائشة عبدالرحمن، دار المعارف، مصر، الطبعة الرابعة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
٢٢. تفسير التحرير والتنوير، الشيخ الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس (ط، ت : د)
٢٣. التناسب في تفسير الإمام الرازى - دراسة في أسرار الاقتران، مكتبة وهمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٢٤. التناسب في القرآن الكريم - صوره وأسراره البلاغية، منى النصر، بحث الدرجة العالمية (دكتوراه) جامعة الإمام عبد الرحمن الفيصل (الدمام سابقاً) ١٤٢٣هـ
٢٥. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٢٦. التفسير الكبير، الفخر الرازى، دار إحياء التراث العربي، بيروت (ط، ت : د)
٢٧. التلخيص في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٩٠٤م.
٢٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن السعدي، دار المدنى، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
٢٩. جامع البيان في تفسير القرآن، ابن جرير الطبى، دار المعرفة، بيروت (ط : د) ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣٠. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ت : أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
٣١. جواهر البيان في تناسب سور القرآن، عبدالله الغماري، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
٣٢. الخصائص، ابن جني، دار الكتاب العربي، بيروت (ط، ت: د)
٣٣. خصائص التراكيب، د.محمد أبو موسى - دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٣٤. دراسات جديدة في إعجاز القرآن - مناهج تطبيقية في توظيف اللغة، د. عبدالعظيم المطعني، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م.
٣٥. درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، الخطيب الإسکافي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧ م.
٣٦. دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، ت : محمود شاكر، دار المدنی، جدة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
٣٧. دلالات التراكيب، أ. د محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
٣٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة الآلوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٦ م.
٣٩. الصرف العربي أحكام ومعانٍ - كتاب منهجي يجمع بين الأحكام الصرافية ومعاني الأبنية، محمد فاضل السامرائي، دار ابن كثیر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٤ هـ، ٢٠١٣ م.

٤٠. العرفُ على أنوار الْذِكْرِ مَعَالِمُ الطَّرِيقِ إِلَى فَقْهِ الْمَعْنَى الْقُرآنِيِّ فِي سِيَاقِ السُّورَةِ، د. محمود توفيق سعد، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ، المكتبة الشاملة (كتاب آلي)
٤١. علاقَةُ المطالعِ بِالْمَقَاصِدِ (دراسة بلاغية نظرية تطبيقية) إبراهيم الدهد، مكتبة الإيمان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٢ - ٢٠١١ م.
٤٢. علاقَةُ المطالعِ بِالْمَقَاصِدِ وَمَوَاقِعُهَا فِي شِعْرِ الشُّعَرَاءِ الْأَرْبَعَةِ الْكَبَارِ، نَدَاءُ الْحَارَثِيِّ، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ، ٢٠١٥ م.
٤٣. علم البديع – دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، د. بسيونى فيود، مؤسسة المختار القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.
٤٤. علم البديع وبلايته في القرآن الكريم - دراسة تحليلية بلاغية لفن الموازنة في جزء تبارك، نصر الدين إبراهيم أحمد حسين، وأخرون، الجامعة الإسلامية ماليزيا (باقي بيانات النشر : من دون )
٤٥. علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، د. بسيونى فيود، مؤسسة المختار القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.
٤٦. علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، د. بسيونى فيود، مؤسسة المختار، الطبعة الثانية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٤٧. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني تحقيق : محمد محى الدين عبدالحميد، دار الجليل، بيروت (ط، ت : د).
٤٨. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للحسن بن محمد النيسابوري، ضبطه وخرج أحاديثه، الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ١٩٩٦ م.



٤٩. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، للإمام أبي بحبي زكرياء الأنصاري، تحقيق محمد علي الصابوني، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
٥٠. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة ٢١، ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م.
٥١. القرآن إعجازه وبلاغته، د. عبد القادر حسين، المطبعة النموذجية، القاهرة، د.ط، ١٩٧٥ م.
٥٢. القصر في سورة الأعراف دراسة بلاغية تحليلية، د. هند نايتة، مجلة كلية دار العلوم، العدد (٨٣)، جامعة القاهرة.
٥٣. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت (ط : د) ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م.
٥٤. كشف المعاني في المتشابه المثاني، بدر الدين ابن جماعة، تحقيق وتعليق : ناصر القطامي، مجموعة آيات للإعلام القرآني، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
٥٥. لسان العرب، لابن منظور، دار المعارف، مصر (ط ، ت : د)
٥٦. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين ابن الأثير، تحقيق : أحمد العوفي، بدوي طباعة، دار الرفاعي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
٥٧. مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، جلال الدين السيوطي، دار المنهاج، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٤ هـ.
٥٨. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق : عبدالسلام هارون، اتحاد الكتاب العربي، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٥٩. معاني الأبنية، فاضل السامرائي، دار عمار، الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
٦٠. مفتاح العلوم، لأبي يعقوب السكاكى، ضبطه وشرحه : أ. نعيم زرور، دار الكتب العلمية - بيروت (ط: د)، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
٦١. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهانى، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة، بيروت (ط : د)
٦٢. ملاك التأويل القاطع بذوى الإلحاد والتعطيل في توجيهه المشابه للغظ من آى التنزيل، أبو جعفر أحمد بن الزبير الغرناطي، تحقيق : سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
٦٣. من أسرار التعبير القرآني - دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
٦٤. من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، محمد أمين الخضري، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٤ م
٦٥. من بلاغة المشابه اللغظي في القرآن الكريم، أ.د. محمد بن علي الصامل، دار إشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٦٦. من بلاغة النظم القرآني عند ابن القيم، منى النصر، رسالة تخصص (ماجستير) جامعة الإمام عبد الرحمن الفيصل (الدمام سابقاً) قسم اللغة العربية، تخصص البلاغة والنقد، ١٤١٦ هـ.
٦٧. البناء العظيم - نظرات جديدة في القرآن، د. محمد عبدالله دراز، دارا القلم، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.



٦٨. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٦٩. النكت في إعجاز القرآن، لعلي بن عيسى الرمانى، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ت: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة (ت : د).

\* \* \*

an-Nasr, Mona. Rhetoric of Quranic Composition According to Ibn al-Qayyim. Master's thesis, Imam Abdulrahman al-Faisal University (formerly Dammam), Department of Arabic Language, Rhetoric and Criticism, 1416 AH.

Darraz, Muhammad A. an-Naba' al-Azhim: New Visions in Quran. 3rd ed. Kuwait: Dara al-Qalam, 1988 AD.

al-Baq'a'i, Ibrahim O. Nazhm ad-Durar fi Tanasub al-Ayat wa as-Suar. 1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1415 AH – 1994 AD.

al-Rummani, Ali I. an-Nukat fi I'ejaz al-Quran. Ed. Muhammad K. Ahmad and Muhammad Z. Salam. Cairo: Dar al-Ma'aref, n.d.

\* \* \*



Ibn Jama'ah, Badr ad-Din. *Kashf al-Ma'ani fi al-Mutashabeh al-Mathanin*. Ed. Nasser al-Qatami. 1st ed. Ayat Group for Quranic Media, Saudi Arabia, Riyadh, 1432 AH – 2011 AD.

Ibn Manzhour. *Lesan al-Arab*. Egypt: Dar al-Ma'aref, n.d.

Ibn al-Athir, Dhya' ad-Din. *al-Mathal as-Sa'er fi Adab al-Kateb wa ash-Sha'er*. Ed. Ahmad al-Awfi and Badawi Tabanah. 2nd ed. Riyadh: Dar Refa'i, 140<sup>هـ</sup> AH -198<sup>مـ</sup> AD.

al-Suyuti, Jalal ad-Din. *Marased al-Matale' fi Tanasub al-Maqate' wa al-Matale'*. 2nd ed. Riyadh: Dar al-Menhaj, 1434 AH.

Ibn Faris. *Mu'jam Maqyis al-Lughah*. Ed. Abdussalam Haroun. Arab Writers Union, 1423 AH – 2002 AD.

al-Samurra'i, Fadhel. *Ma'ani al-Abniyyah*. 2nd ed. Jordan: Dar Ammar, 1428 AH -2007 AD.

al-Sakaki, Abu Yaqoub. *Meftah al-Oloum*. Ed. Na'im Zarour. Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1403 AH -1983 AD.

al-Asfahani, al-Hussain M. *al-Mufradat fi Gharib al-Quran*. Ed. Muhammad S. Kilani. Beirut: Dar al-Ma'arefah, n.d.

al-Gurnati, Ahmad Z. *Malak at-Ta'wil al-Qate' Bithawi al-Ilhad wa at-Ta'til fi Tawjih al-Mutashabeh al-Lafzh mn Ayi at-Tanzil*. Ed. Saeed al-Falah. 1st ed. Beirut: Dar al-Gharb al-Islami, 1403 AH -1983 AD.

Abu Mousa, Muhammad. *Mn Asrar at-Ta'bir al-Qurani: An Analytical Study of Surat al-Ahzab*. 2nd ed. Wahbah Library, 1416 AH – 1996 AD.

al-Khudhari, Muhammad A. *Mn Asrar Hurouf al-Jarr fi ath-Thekr al-Hakim*. Cairo: Wahbah Library, 1994 AD.

as-Samil, Muhammad. *Mn Balaqhat al-Mutashabeh al-Lafzhi fi al-Quran al-Karim*. 1st ed. Riyadh: Dar Ishbilia, 1422 AH – 2001 AD.

Fayoud, Bassiouni. Science of al-Badie': Historical and Artistic Study of the Fundamentals of Rhetoric and Issues of al-Badie'. 3rd ed. Cairo: al-Mukhtar Foundation, 1434 AH – 2013 AD.

Hussein, Nasr ad-Din I. et al. Science of al-Badie' and its Rhetoric in Quran: Analytical Rhetorical Study of the Rhyme in Surat Tabarak. Islamic University of Malaysia, n.d.

Fayoud, Bassiouni. al-Bayan Science: Analytical Study of the Issues of al-Bayan. 3rd ed. Cairo: al-Mukhtar Foundation, 1434 AH – 2013 AD.

Fayoud, Bassiouni. Semantics: A Rhetorical and Critical Study of Semantic Issues. 2nd ed. al-Mukhtar Foundation, 1425 AH – 2004 AD.

al-Qairwani, Ibn Rashiq. al-Omdah fi Mahasen ash-She'r wa Adabeh. Ed. Muhammad M. Abdulhamid. Beirut: Dar al-Jil, n.d.

an-Nisabouri, al-ZHassan M. Ghara'eb al-Quran wa Ragha'eb al-Furqan. Ed. Zakaria Omairat. 1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1426 AH – 1996 AD.

al-Ansari, Zakaria. Fat'h ar-Rahman bi Kashf ma Yaltabes fi al-Quran. Ed. Muhammad A. as-Sabouni. 1st ed. Beirut: 'Alam al-Kutub, 1405 AH – 1985 AD.

Sayyid Qutb. Fi Zhelal al-Quran. 21st ed. Dar al-Shorouq, 1414 AH – 1993 AD.

Hussain, Abdlqader. Quran: Miracle and Rhetoric. Cairo: an-Namouthejiyyah Press, 1975 AD.

Nayita, Hind. Determining Style in Surat al-A'raf: An Analytical Rhetorical Study. Journal of the Faculty of Dar al-Uloum, Cairo University, No.83.

az-Zamakhshari, Mahmoud O. al-Kash`shaf 'an Haqa'eq at-Tanzil wa Oyoun al-Aqawil fi Wjouh at-Ta'wil. Beirut: Dar al-Ma'arefah, 1387 AH – 1968 AD.



al-Muta'ani, Abdulazhim. New Studies in the Inimitability (I'ejaz) al-Quran: Applied Approaches to the Use of Language. 2nd ed. Wahbah Library, 1435 AH -2014 AD.

al-Eskafi, al-Khatib. Durrat at-Tanzil wa Ghurrat at-Ta'wil fi Bayan al-Ayat al-Mutashabehat fi Ketab Allah al-Aziz. 2nd ed. Beirut: Dar al-Afaq al-Jadidah, 1977 AD.

al-Jurjani, Abdulqaher. Dala'el al-I'ejaz. Ed. Mahmoud Shaker. 3rd ed. Jeddah: Dar al-Madani, 1413 AH – 1992 AD.

Abu Mousa, Muhammad. Dalalat at-Tarkib. 2nd ed. Cairo: Wahbah Library, 1408 AH – 1987 AD.

al-Baghdadi, al-Alusi. Rouh al-Ma'ani fi Tafsir al-Quran al-Azhim wa as-Sabe' al-Mathani. 4th ed. Beirut: Dar Ihya' at-Turath al-Arabi, 1405 AH – 1986 AD.

al-Samurra'i, Muhammad F. Arabic Morphology: Rules and Meanings: A Methodical Book Combining the Morphological Rules and the Meanings of Structures. 1st ed. Beirut: Dar Ibn Kathir, 1434 AH – 1987 AD.

Saad, Mahmoud T. al-Azf 'ala Anwar ath-Thekr: Ma'alem at-Tariq ela Fiqh al-Ma'ana al-Qurani fi Seyaq as-Surah. 1st ed. al-Maktabah ash-Shamelah (digital book), 1424 AH.

al-Hudhud, Ibrahim. Elaqat al-Matale' bi al-Maqased (Rhetorical Theoretical Applied Study). 1st ed. Cairo: al-Iman Library, 1432 AH – 2011 AD.

al-Harethi, Neda. Elaqat al-Matale' bi al-Maqased wa Mawaqe'uha fi She'r ash-Shu'ara' al-Arba'ah al-Kebar. 1st ed. Cairo: Wahbah Library, 1436 AH – 2015 AD.

The Science of Budaiya - Historical and Technical Study of the Foundations of al-Badia and al-Budaiya Issues, d. Bassiouni Constraints, al-Mukhtar Foundation Cairo, Third Edition, 1434h-2013m.

Ashour, Taher. *Tafsir at-Tahrir wa at-Tanwir*. Tunisia: ad-Dar at-Tunesiyyah.

at-Tanasub fi Tafsir al-Imam ar-Razi: Derasah fi Asrar al-Iqteran. 1st ed. Cairo: Wahbah Library, 1431 AH – 2010 AD.

an-Nasr, Mona. Matching in Quran: Rhetoric Forms and Secrets. Ph.D. dissertation, Imam Abdulrahman al-Faisal University (formerly Dammam), 1423 AH.

Ibn Kathir. *Tafsir al-Quran al-Azhim*. 2nd ed. Beirut: Dar al-Ma'arefah, 1407 AH -1987 AD.

ar-Razi, al-Fakhr. at-Tafsir al-Kabir. Beirut: Dar Ihya' at-Turath al-Arabi, n.d.

al-Quzwini, al-Khatib. at-Talkhis fi 'Uloum al-Balaghah. 1st ed. Dar al-Fekr al-Arabi, 1904 AD.

al-Sa'adi, Abdulrahman. *Taysir al-Karim ar-Rahman fi Tafsir Kalam al-Manan*. 1st ed. Jeddah: Dar al-Madani, 1408 AH – 1987 AD.

at-Tabari, Ibn Jarir. *Jame' al-Bayan fi Tafsir al-Quran*. Beirut: Dar al-Ma'arefah, 1403 AH – 1983 AD.

al-Qurtubi. *al-Jame' li Ahkam al-Quran*. Ed. Ahmad al-Bardouni and Ibrahim Atfish. 2nd ed. Cairo: Dar al-Kutub al-Mesriyyah, 1384 AH – 1964 AD.

al-Ghammari, Abdullah. *Jawaher al-Bayan fi Tanasub Suar al-Quran*. 2nd ed. Beirut: 'Alam al-Kutub, 1406 AH – 1986 AD.

Ibn Jenni. *al-Khasa'es*. Beirut: Dar al-Ketab al-Arabi, n.d.

Abu Mousa, Muhammad. Characteristics of structures: An Analytical Study of the Issues of Semantics. 8th ed. Cairo: Wahbah Library, 1430 AH – 2009 AD.

al-Karmani, Mahmoud H. al-Burhan fi Tawjih Mutashabeh al-Quran li-ma Fihi mn al-Hujjah wa al-Bayan: Asrar at-Tekrar fi al-Quran. Ed. Abdulqader A. Atta. Cairo: Dar al-Fadhilah, n.d.

az-Zarkashi. al-Burhan fi ‘Uloum al-Quran. Ed. Muhammad A. Ibrahim. Cairo: Dar at-Turath, n.d.

al-Fayrouz Abadi, Majd ad-Din. Basa’er Thawi at-Tamiyez fi Lata’ef al-Ketab al-Aziz. Makkah al-Mukarramah: Dar al-Baz, Beirut: al-Maktabah al-‘Asriyyah, n.d.

al-Maidani, Abdulrahman H. Arab Rhetoric: Foundations, Sciences, Arts and Forms of its Applications with a New Structure of Tarif and Talid. 1st ed. Damascus: Dar al-Qalam, 1416 AH – 1996 AD.

Abbas, Fadhl. Rhetoric: Arts and Artists. 2nd ed. Amman: Dar al-Furqan, 1409 AH -1989 AD.

al-Andalusi, Abu Hayyan. Tafsir al-Bahr al-Muhit. Ed. Adel Abdulmawjoud, Sheikh Muhammad Awadh et al. 1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-‘Elmiyyah, 1413 AH – 1993 AD.

Ibn Qutaibah. Ta’wil Mushkel al-Quran. 2nd ed. Cairo: Dar at-Turath, 1405 AH – 1985 AD.

al-Jawziyyah, Ibn Qayyim. at-Tebyan fi Aqsam al-Quran. Lebanon, Beirut: Dar al-Kuttab al-‘Elmiyyah, 1402 AH – 1982 AD.

al-Tibi, Sharaf al-Din. at-Tebyan fi ‘Elm al-Ma’ani wa al-Badie’ wa al-Bayan. Ed. Hadi al-Hilali. 1st ed. Beirut: ‘Alam al-Kutub, 1407 AH – 1987 AD.

Marini, Muhammad. A linguistic Stylistic Analysis of al-Qalam Sura. Annals of Arts and Social Science, Kuwait, Vol. 34, 2013 AD.

Abdulrahman, Aisha. at-Tafsir al-Bayani. 4th ed. Egypt: Dar al-Ma’aref, 1394 AH -1974 AD.

## **List of References:**

### **Works cited**

as-Suyuti, Jala ad-Din. al-Itqan fi ‘Uloum al-Qur’ān. Ed. Muhammad A. Ibrahim. Beirut: al-Maktabah al-‘Asriyyah, 1408 AH – 1988 AD.

al-Emadi, Muhammad. Tafsir Abi as-Su‘oud: Irshad al-Aql as-Salim ela Mazaya al-Qurān al-Karīm. 2nd ed. Beirut: Dar Ihya’ at-Turath al-Arabi, 1411 AH – 1990 AD.

al-Jarjani, Abdulqaher. Asrar al-Balaghah. Ed. Mahmoud Shaker. 1st ed. Cairo: al-Madani Press, 1412 AH -1992 AD.

Abdulaziz: Najat M. Determining Style in the Holy Quran: Analytical Rhetorical Study. Master’s thesis, Faculty of Arabic Language, Omdurman Islamic University, ١٩٨٨ AD.

al-Baqalani. I’ejaz al-Qurān. Ed. as-Saiyyed A. Saqr. 3rd ed. Cairo: Dar al-Ma’aref, n.d.

Abu Musa, Muhammad. al-I’ejaz al-Balaghi: Analytical Study of the Issues of the Scholars. Cairo: Wahbah Library, n.d.

al-Rafi'i, Mustafa S. I’ejaz al-Qurān wa al-Balaghah an-Nabawiyyah. 8th ed. Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 1990 AD.

al-Baidhawi. Tafsir al-Baidhawi: Anwar at-Tanzil wa Asrar at-Ta’wil. Beiru: Dar al-Jil, n.d.

al-Qazwini, al-Khatib. al-Idhah fi Uloum al-Balaghah. Ed. Muhammad A. Khafaji. Cairo: al-Maktabah al-Azhariyyah, 1413 AH – 1993 AD.

al-Gurnati, Ahmad Z. al-Burhan fi Tanasub Swar al-Qurān. Ed. Saeed J. al-Falah. 1st ed. Dar Ibn al-Jawzi, 1428 AH.

Allah's Care and Praise of His Prophet:  
A Study of the Structural Construction of Surat "AlQalam"

**Dr. Muna bint Fahd Al-Nasr**

Department of Arabic  
College of Arts  
University of Abdulrahman bin Faisal

**Abstract:**

This study examines the relationship between the structural construction of the Sura entitled AlQalam from the rhetorical rule that says that the style or linguistic structure of a text is manifested in the meaning, purposes, and ideas skillfully cast in appropriate linguistic formulae by the writer. Additionally, the aesthetics of literary work does not lie in its diction, but in the search for grammatical meaning that suits the purpose which has the lead as Al-Jurjani said, and in mainly depending on the kind of proportionate balance between the linguistic construction of the Quranic Sura and its purpose according to the proportionate theory established by Al-Buqa'I, a theory which asserts that each part of the Sura is chosen because of its tight relation to the Sura as a Whole. The research endeavors to identify aspects of this remarkable proportionate balance between the structures of the Sura and its meaning. The researcher maintains that the relationship is clarified through featuring the style, formulation, characteristics of the composition, and niceties of the structure. It has also been shown how the fifty-two verses in this Sura have proportionate performance of the succinct coordination and miraculous composition, as it is always the case with the Holy Quran.

**شواهد متشابه النظم  
في رسالة "الدر الدائر المنتخب من كنایات واستعارات وتشبيهات  
العرب للزمخري ت ٣٨٥"**

**دراسة تحليلية**

د. عبد الخالق محمد السيد التلب  
مدرس البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية  
جامعة الأزهر



## شواهد متشابه النظم في رسالة الدر الدائر المنتخب من كنایات واستعارات وتشبيهات العرب

للزمخشي ت ٥٣٨ هـ : دراسة تحليلية

د. عبد الخالق محمد السيد التلب

مدرس البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

تاریخ تقديم البحث: ٢١ / ٦ / ٤٣٩ هـ تاریخ قبول البحث: ١٤٣٩ / ٦ / ٤ هـ

### ملخص الدراسة:

فهذا بحث يهتم بدراسة شواهد متشابه النظم التي ذكرها العالمة الزمخشري ت ٥٣٨ هـ في رسالته "الدر الدائر المنتخب" وهي من جملة كثيرة من الشواهد القرآنية التي أوردها استدلالاً على أن القرآن الكريم نزل على عادة العرب في لغتهم ، واستعمل طرائقهم في الإبانة ، فكان منه الظاهر الذي لا يخفى على سامعيه ، ولا يحتمل غير ظاهره ، وكان منه المشتمل على الكنایات والإشارات والتجوز ، ونزل القرآن الكريم بالقسمين معًا ليتحقق عجزهم عن الإتيان بمثله ، فكأنه قبل لهم : عارضوه بأي القسمين شئتم ، وبهذا يتحقق عجزهم ، إذ لم يستطيعوا أن يعارضوه لا في حقيقة ولا في مجاز.

هذه الشواهد رصدتها رصداً متتابعاً دون ادنى تعليق أو إشارة تهدي إلى ما بين تلك الشواهد من فروق في المعاني واختلاف في النظم ، وتغاير في السياقات ؛ فكانَتْ فكرة البحث للكشف عن الفروق بين تلك الشواهد ، وخصوصية المعاني في كل منها ، ومناسبة كل نظم للسوق الوارد فيه ، وسر اصطفاء كل نظم في موضعه ، وتلك من مظاهر إعجاز القرآن البياني ، إذ مع تعدد إبراد المعنى الواحد في مواطن متفرقة في القرآن تجد لكل موطن معناه الذي يخصه ، وسره الذي يتميز به على وفق المقاصد والأغراض تبعاً للمقامتات السياقات ، كل ذلك من غير اختلاف أو تناقض أو تكرار يخلو من فائدة ، وقد خلصت الدراسة إلى عدة نتائج منها :

- أكثر الشواهد التي ذكرها "الزمخشري" في تلك الرسالة وقف معها في تفسيره "الكشاف" مبيناً في بعضها الفروق بين المعاني ، وسر اصطفاء كل نظم في سياقه ، وفي بعضها الآخر يحكم بالترادف ، وبأن المعنى واحد في الموضعين ، وأن سبب الاختلاف هو التفنن في إعادة الكلام وتكرار المعاني ، ومنها ما لا يعد من المتشابه أصلاً.

- جميع محاولات تحري وجوه الإعجاز في القرآن الكريم والكشف عنها خاصة تفسير متشابه النظم ، وعلم المناسبات هي محض اجتهادات من العلماء قابلة للخطأ والصواب ، فإعجاز القرآن الكريم شيء ، وتحري وجهه ذلكم الإعجاز شيء آخر.

- القول بالتفنن في إعادة الكلام وتكرار المعاني مما يقول به بعض أهل العلم من أمثال : "الزمخشري ت ٥٣٨ هـ" ، وأبي حيان ت ٧٤٥ هـ" ، و"ابن عادل الحنبلي ت ٧٧٥ هـ" ، و"الطاهر بن عاشور ت ١٤٩٣ هـ" قول يحتاج إلى تحيص ونظر ومراجعة ، وإن كان التفنن ذاته بلاغة ، إلا أن الألائق بنظم القرآن أن يكون مع التفنن معنى يستخرج أو نكتة تستبط.



## المقدمة:

الحمد لله وحده ، والصلوة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وصحبه ومن تبع نهجه ، أما بعد :

فقد وقفت على رسالة موسومة بعنوان : "الدر الدائر المنتخب من كنایات واستعارات وتشبيهات العرب" للعلامة أبي القاسم محمود جار الله الزمخشري ت ٥٣٨ هـ<sup>(١)</sup> وقد جمعت هذه الرسالة كثيراً من الشواهد القرآنية التي أوردها استدلالاً على أن القرآن الكريم نزل على عادة العرب في كلامهم ، واستعمل طرائقهم في الإبابة ، فكان منه الظاهر الذي لا يخفى على سامعيه ، ولا يحتمل غير ظاهره ، وكان منه المشتمل على الكنایات والإشارات والتتجوز ، ونزل القرآن الكريم بالقسمين معًا ليتحقق عجزهم عن الإتيان بمثله فكأنه قيل لهم : "عارضوه بأبي القسمين شئتم"<sup>(٢)</sup> ، وبهذا يتتحقق عجزهم ، إذ لم يستطيعوا أن يعارضوه لا في حقيقة ولا في مجاز.

وقد جمع "الزمخشري" في رسالته تلك كثيراً من الشواهد القرآنية في أبواب منوعة من أبواب الإبابة في العربية رصداً دون شرح أو تعليق مراعاة لضمون الرسالة اللهم إلا إشارة خفية أو لمحه خاطفة ترشد إلى الأبواب التي تندرج تحتها تلك الشواهد.

ومن جملة الشواهد التي ذكرها ما سماه "عيون المتشابه في القرآن"<sup>(٣)</sup> رصد فيه عدة شواهد من متشابه النظم القرآني رصداً متتابعاً دون أدنى تعليق أو

---

(١) حققت هذه الرسالة د/ بهيجه الحسني (ضمن مطبوعات المجمع العراقي) المجلد السادس عشر عام ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

(٢) رسالة الدر الدائر المنتخب: ٩.

(٣) السابق: ٢٧ - ٣٥.

إشارة تهدي إلى ما بين تلك الشواهد من فروق في المعاني واختلاف في النظم ، وتغاير في السياقات ؛ فكانت فكرة الدراسة : "شواهد متشابه النظم في رسالة الدر الدائر المتخب من كنایات واستعارات العرب للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) : دراسة تحليلية".

وقد كثرت تعريفات متشابه النظم عند العلماء قديماً وحديثاً ، وكلها يدور حول ما ذكره الكفووي ت ١٠٩٤ في كتابه "الكليات" إذ يقول عن مفهومه : "إيراد القصة الواحدة في صور شتى ، وفواصل مختلفة في التقديم والتأخير ، والزيادة والترك ، والتعريف والتنكير ، والجمع والإفراد ، والإدغام والفك ، وتبدل حرف بحرف آخر" (١).

وأهمية الموضوع تكمن في أن متشابه النظم مظهر من مظاهر إعجاز القرآن البياني ، إذ مع تعدد إيراد المعنى الواحد في مواطن متفرقة في القرآن تجد لكل موطن معناه الذي يخصه ، وسره الذي يتميز به على وفق المقاصد والأغراض تبعاً للمقامات السياقات ، كل ذلك من غير اخلاف أو تناقض أو تكرار يخلو منفائدة.

كما أنه لا شك في تميز البحث البلاغي عند العلامة الزمخشري صاحب الرسالة موضوع الدراسة ، وإن كانت تلك الرسالة لا تظهر شخصيته البلاغية المعروفة حيث إنه رصد الشواهد فيها رصداً متتابعاً دون تعليق ، لما تفرضه طبيعة تدوين تلك الرسائل ، أقول على الرغم من ذلك فإنه بصنعيه هذا يكون قد أعد مادة وفيه تغري باحثي الدرس البلاغي بإنعمان النظر فيها شرحاً وتحليلاً ، لبيان ما بينها من علاقات وفروق ، كما أنه يمكن تتبع تلك الشواهد

---

(١) الكليات : ٨٤٥

شواهد متشابه النظم في رسالة " الدر الدائر المتخب من كنایات واستعارات وتشبيهات العرب للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) دراسة تحليلية" د. عبد الخالق محمد السيد التلب

في تفسيره "الكتشاف" لتبيّن موقفه من متشابه النظم، ما رأيه فيه، وكيف وجّهه؟ وكيف كان موقفه من التوجيهات التي سبقته، وأثر ذلك فيمن لحقه؟ وهل كل ما ذكره من شواهد وقف معه في "كتشافه"؟ وهل كل ما ذكره من شواهد يعد فعلاً من شواهد متشابه النظم؟ وكيف كانت اجتهادات علماء التناسب القرآني في توجيهه متشابه النظم في تلك الشواهد؟

ولذا كان الهدف من الدراسة الإجابة عن تلك التساؤلات مع الكشف عن الفروق بين تلك الشواهد، وخصوصية المعاني في كل منها، ومناسبة كل نظم للسياق الوارد فيه، وسر اصطفاء كل نظم في موضعه، وتلك الأمور هي من وجوه الإعجاز، وأسرار البلاغة، وقد أكد ذلك "عبدالقاهر الجرجاني ت ٧١٤ هـ" في مفتتح كتاب "أسرار البلاغة" حين يبيّن المقصود الرئيس من تأليفه قائلاً: "واعلم أن غرضي في هذا الكلام الذي ابتدأته، والأساس الذي وضعته، أن أتوصل إلى أمر المعاني كيف تختلف وتتفق، ومن أين تجتمع وتفترق، وأفضل أجناسها وأنواعها، وأتبع خاصّتها ومشاعها" <sup>(١)</sup>.

وقد اتخذت من المنهج التحليلي وسيلة لإيضاح هذه الفروق، وبيان تلك السياقات والمعاني المختلفة، مسترشداً بأقوال علماء التناسب في النظم القرآني في مقدمتهم "الخطيب الإسْكَافِي ت ٤٢٠ هـ"، ومن بعده "الكرماني ت ٥٥٠ هـ"، و "العرناتي ت ٨٩٧ هـ"، و "البَقَاعِي ت ٨٨٥ هـ"، ومستشاراً بأقوال أهل العلم من غيرهم، ومتبعاً في ذلك كله ما تأسس من قواعد علوم العربية: في التفريق بين حروف المعاني، وخصوصية الألفاظ والتراتيب، تبعاً

---

(١) أسرار البلاغة: ٢٦.

للمقامات المتنوعة، والسياقات المختلفة، التي لها أكبر الأثر في توجيه المعاني في القرآن الكريم.

بغية الوصول - مع ما تقدم - إلى أنه لا ترافق في القرآن الكريم، وأن القول بالتفنن في إعادة الكلام مما اشتهر به غير واحد من أهل العلم<sup>(١)</sup>، منهم "الزمخري" صاحب الرسالة، قول يحتاج إلى مراجعة ونظر؛ فإن التفنن والتنوع في إعادة الكلام وإن كان بلاغة، إلا أن الألائق بالقرآن الكريم أن يكون مع هذا التفنن وذلك النوع نكتة تحصل، أو معنى يُستنبطُ، على حد قول "الخطيب الإسکافي ت ٤٢٠ هـ": "إذا أورد الحكيم - تقدست أسماؤه - آية على لفظة مخصوصة ثم أعادها في موضع آخر، وقد غير فيها لفظة عما كانت عليه في الأولى فلا بد من حكمة هناك تطلب، وإن أدركتموها فقد ظفرتم، وإن لم تدركوها فليس لأنه لا حكمة هناك بل جهلتم"<sup>(٢)</sup>.

واقتضت مادة الدراسة أن تكون مقسمة إلى ثلاثة مباحث، كل مبحث يضم مطلبين.

(١) علي سليم المثال "الزمخري" في الكشاف: ٣١/١، و"أبو حيان" في البحر المحيط: ٤/٦٨٧، و"ابن عادل الجنبي" في اللباب في علوم الكتاب: ٧/٥٥٧، و"الطاھر بن عاشور" في التحرير والتنوير: ١/١٦٦.

(٢) درة التنزيل: ١/٢٥٠، ١/٢٥١.

- المبحث الأول : شواهد متشابه النظم بين الحروف والبدلات.**
- **المطلب الأول :** شواهد متشابه النظم بين الحروف.
  - **المطلب الثاني :** شواهد متشابه النظم بين المبدلات غير الحروف.
- المبحث الثاني : شواهد متشابه النظم بين الزوائد والنواقص.**
- **المطلب الأول :** شواهد متشابه النظم بين زوائد الحروف ونواقصها.
  - **المطلب الثاني :** شواهد متشابه النظم بين الزوائد والنواقص من غير الحروف.
- المبحث الثالث : شواهد متشابه النظم بين المقدم والمؤخر.**
- **المطلب الأول :** شواهد متشابه النظم بين التقديم والتأخير في طرف الإسناد.
  - **المطلب الثاني :** شواهد متشابه النظم بين التقديم والتأخير في المتعلقات.
- ثم نتائج الدراسة وتوصياتها وثبت المصادر والمراجع ، وفهرس الموضوعات.
- هذا ، والله من وراء القصد ، وهو نعم المولى ونعم النصير.

## المبحث الأول

### شواهد متشابه النظم بين الحروف والمبدلات

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : شواهد متشابه النظم بين الحروف.

المطلب الثاني : شواهد متشابه النظم بين المبدلات غير الحروف.

## المطلب الأول

### شواهد متشابه النظم بين الحروف

يهتم هذا المطلب بدراسة شواهد النظم التي أوردها "الزمخشري" ت ٥٣٨ هـ في رسالته محل الدراسة، بين الحروف التي تغيرت من موضع إلى موضع آخر، إذ مررت ذكر الآية بحرف "الواو" ، وثانية بـ"الفاء" ، وأخرى بـ"ثم" ، ومرة يتعدى الفعل بـ"إلى" ، وثانية بـ"على" ، وأخرى بـ"اللام" ، وما إلى ذلك من تغير الحروف مما يدل على أن لكل موضع حرفًا يناسبه، يرشد إلى خصوصية معناه، ويحسن داخل سياقه دون غيره، والغرض القائم في هذا المطلب على بيان الفروق بين معاني الحروف المتغيرة، وبيان أسرار كل حرف في سياقه، وسر اصطفائه في هذا الموضع دون غيره، وقد بلغ عدد شواهد هذا المطلب تسعه شواهد.

**الشاهد الأول**<sup>(١)</sup> : قوله تعالى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَتَحْنُنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة ١٣٦).

(١) رسالة الدر الدائر المنتخب . ٢٨

مع قوله تعالى: «قُلْ آمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تَفَرَّقُ بَيْنَ أَهْلِهِمْ وَتَخْنُنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» (آل عمران ٨٤).

في سياق الدعوة إلى الإيمان والتوحيد جاء فعل الإنزال معدّى مرة بـ "إلى" في آية البقرة، وأخرى بـ "على" في آية آل عمران، فما الفرق بين الأمرين؟ وما سر اصطفاء كل تعددية في موضعها؟

من المعلوم أن "إلى" حرف الأصل فيه أنه يدل على معنى الانتهاء، والوصول إلى الغاية.

و "على" حرف الأصل فيه أنه يدل على معنى الاستعلاء، والنزول من أعلى.

وقد ذكر "الزمخشري ت ٥٣٨ هـ" سر الاستعمالين في الموضعين فقال:

"إن قلت: لم عدى أنزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء، وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء؟ قلت: لوجود المعنيين جميعا؛ لأن الوجه ينزل من فوق، وينتهي إلى الرسل فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر".<sup>(١)</sup>

وإن كان هذا هو السر في المغايرة في التعددية، فما سر اصطفاء موضع البقرة بـ "إلى"، وموضع آل عمران بـ "على"؟

ذكر بعض أهل العلم أن السبب في ذلك هو مطلع كل آية، فآية البقرة مطلعها "قولوا" وهو خطاب بالجمع للMuslimين، فوجب أن يتعدى بـ "إلى"؛

(١) الكشاف: ٣٨٠/١، ٣٨١، وما ذهب إليه الزمخشري ذكره الرازي في تفسيره: ٢٨١/٨، ٢٨٢، والبيضاوي في تفسيره: ٢٦/٢، والطاهر ابن عاشور في تفسيره: ٣٠٢/٣.

لأن التبليغ ينتهي إليهم، وآية آل عمران مطلعها "قل" خطاب للنبي ﷺ، فوجب أن يتعدى بـ"على"؛ لأن الوحي عليه أُنزل<sup>(١)</sup>.

وقد تعقب هذا الرأي الزمخشري ت ٥٣٨ هـ واصفاً إياه بالتعسف في التأويل، فقال:

"ومن قال: إنما قيل " علينا" لقوله "قل" تفرقة بين الرسل والمؤمنين؛ لأن الرسول يأتيه الوحي على طريق الاستعلاء؛ ويأتيهم على وجه الانتهاء، فقد تعسف؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: **(بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ)،** " وأنزلنا إليك الكتاب" ، وإلى قوله تعالى: **(أَمْتُوا بِالذِّي أَنْزَلَ عَلَى الَّذِينَ آتَمْنَا).**"<sup>(٢)</sup>

ولذا فإني أرجح ما ذهب إليه "الراغب الأصفهاني" ت ٥٠٢ هـ من أن: "أنزل عليه إنما يحمل على ما أمر المنزل عليه أن يبلغ غيره، وأنزل إليه على ما خص به في نفسه، وإليه نهاية الإنزال"<sup>(٣)</sup>.

وذلك لأنني وجدت في سورة واحدة كلا الاستعمالين: قوله تعالى: **(إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ)** (الزمر ٢)، وقوله تعالى: **(إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ)** (الزمر ٤)، فانظر إلى ذكر القيد "للناس" مع "على" دليلاً على الأمر بالتبليغ، ولم يذكر مثله مع "إلى" دليلاً على الانتهاء إليه، والاختصاص به. ويمكن أن يكون الفارق بين الموضعين هو جهة التلقي عن الله عز وجل؛ فإن في تلقي الرسول ﷺ تلقي دنو و مباشرة، فناسب مع ذكر "قل" أن يعدي الفعل بـ"على" لما فيها من معنى الدنو وال المباشرة، وتلقي المؤمنين عن الله تبارك وتعالى

(١) ينظر: درة التنزيل: ٢٩٨/١، وتفسیر الأصفهانی: ٦٨٩/٢، وملاک التأولی: ٥٢/١.

(٢) الكشاف: ٣٨٠/١، ٣٨١.

(٣) تفسیر الراغب الأصفهانی: ٦٨٩/٢.

يكون بواسطة النبي ﷺ، فناسب ذكر "إلى" مع "قولوا" لما فيها من معنى البعد والمجاوزة<sup>(١)</sup>، والله أعلم.

الشاهد الثاني<sup>(٢)</sup> : قوله تعالى : **«قَالَ فِرْعَوْنُ أَمْتَثِّلُ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرُ مَكْرُثُمُهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوهَا مِنْهَا أَهْلُهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأَقْطَعُنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلَافِئِنَّمَّا لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ»** (الأعراف ١٢٤).

مع قوله تعالى : **«قَالَ أَمْتَثِّلُ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلِمْتُكُمُ السُّخْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعُنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلَافِ وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ»** (الشعراء ٩٤).

جاء العطف في آية الأعراف بـ"ثم" التي تفيد معنى التراخي والمهلة، وفي آية الشعراء بـ"الواو" التي تفيد مطلق الجمع، والإشراك في الحكم ليس إلا. ومعنى مطلق الجمع كما يفهم من كلام "الخطيب الإسكافي" ٢٠ هـ أن العطف بها يكون شاملًا لجميع أنواع العطف؛ لأنّه في العطف بها يجوز أن يكون المعطوف ملاصقاً للمعطوف عليه، أو متراخيّاً عنه، أو مجامعةً له، أو متقدماً عليه، فهي موضوعة للجمع، ولا ترتيب فيها<sup>(٣)</sup>.

وعليه فقد آثر النظم القرآني العطف بـ"ثم" في آية الأعراف لتفيد أن الصلب المتوعّد به كان بعد التقاطيع، وهو أعظم منه وأغلظ وأشد؛ لأن القصد في التراخي هنا هو التراخي الرتبي للترهيب والتقطيع من أمر الصلب<sup>(٤)</sup>، وهو ما يناسب سياق آية الأعراف التي جاء فيها قوله تعالى : **«وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا يُسْخِرُ عَظِيمٍ»** (الأعراف ١٦). وحتى أننا نرى النظم في

(١) ينظر التفسير القرآني للقرآن : ٥١٣ / ٢.

(٢) رسالة الدر الدائر المتنخب ٢٩.

(٣) ينظر درة التنزيل : ٦٧٨ / ٢.

(٤) ينظر ملّاك التأويل : ٢٢١ / ١.

الأعراف يبرز اسم فرعون **«قالَ فِرْعَوْنَ أَمْتُمْ بِهِ»** فهو ما يزال يشعر بقوته وجبروته، فناسب كل ذلك العطف بـ"ثم" لتفخيم أمر الصلب وتعظيمه.

وأما في آية الشعراء فقد بين السياق صورة فرعون المهزوم الذي استتر اسمه **«قَالَ أَمْتُمْ»** (الشعراء ٤٩)، والذي لا يعبأ بوعيده **«قَالُوا لَا ضَيْرٌ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ»** (الشعراء ٥٠)، والذي سبق أن قامت عليه الحجج البينة، والبراهين الساطعة في حواره مع موسى عليه السلام (الآيات ٢٣ - ٥١ الشعراء)، فناسب كل هذا أن يأتي العطف بـ"الواو" بخلاف ما في الأعراف. والله أعلم.

**الشاهد الثالث<sup>(١)</sup>:** قوله تعالى: **«يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ ثُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»** (التوبه ٣٢).

مع قوله تعالى: **«يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتَمِّمُ ثُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»** (الصف ٨).

جاءت آية التوبه على الأصل كما ذكر ذلك "الزمخشري" قائلاً:  
**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ أَصْلَهُ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا كَمَا في سورة براءة<sup>(٢)</sup>.**  
وهو ما أشار إليه سعيد - الإسکافي ت ٤٢٠ هـ قائلاً: "وهو وجه الكلام والأصل"<sup>(٣)</sup>.

فأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر هو المفعول لفعل الإرادة وتقدير الكلام: ي يريدون إطفاء نور الله بأفواهم.

وأما الآية الثانية فالمعنى محفوظ، والمذكور هو علة الفعل عوضاً عن المفعول، وتقدير الكلام: ي يريدون افتراء الكذب لإطفاء نور الله بأفواهم<sup>(٤)</sup>.

(١) رسالة الدر الدائر المنتخب ٢٩.

(٢) الكشاف: ٤/٥٢٥.

(٣) درة التنزيل: ٢/٧٠٥.

وسر اصطفاء "اللام" في آية الصف هو التأكيد على معنى علة الفعل، وحصر لإرادتهم في علة واحدة وغاية واحدة، وهي إطفاء نور الله ﷺ، وقصر لتلك الإرادة على تلك العلة؛ لأنَّه قد سبقها: **«وَمَنْ أَظْلَمُ مِمْنَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»** (الصف<sup>٧</sup>)، فكانه قيل: يريدون بهذا الافتراء خاصة إطفاء نور الله، فكانت اللام لإيضاح تلك العلة والإبانة عنها، وبهذا تبين أنَّ آية التوبية فيها بيان للمفعول، وآية الصف فيها بيان لعلة الفعل، وهذا مفهوم من كلام "الكرماني ت ٥٠٥ هـ":

"قوله يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا ، وفي الصف لِيُطْفِئُوا هذه الآية تشبه قوله "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ" ، "لِيُعَذِّبَهُمْ" حذف اللام من الآية الأولى لأنَّ مرادهم إطفاء نور الله بأفواههم، والمراد الذي هو المفعول به في الصف مضمر تقديره: ومن أظلم من افترى على الله الكذب ليطفئوا نور الله، واللام لام العلة"<sup>(٢)</sup>. وخلاصة الأمر أنَّ إطفاء نور الله في آية التوبية هو المفعول به، وفي آية الصف هو المفعول لأجله، والله أعلم.

**الشاهد الرابع<sup>(٣)</sup>** : قوله تعالى: **«وَجَاؤُنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغِيًّا وَعَدْنَا حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْفَرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ»** (يونس ٩٠).

مع قوله تعالى: **«فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ يَجْنُودُهُ فَغَشِيَّهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَّهُمْ»** (طه ٧٨).

(١) ينظر التحرير والتنوير: ٢٨ / ١٩٠

(٢) البرهان في توجيهه متباشه القرآن: ١ / ١٣٦

(٣) رسالة الدر الدائر المتتبخ: ٢٩

في سورة يونس جاء عطف الجنود بالواو على فرعون دليلاً على قصد المشاركة في الفعل، وفي حكم المستقلين به، كما قام به فرعون، وأما في آية طه فجاء بباء المصاحبة "بجنوده" وهم في هذا تابعون لفرعون، محبوسون على أمره، موقوفون على مراده، أو بعبارة أهل العلم: "فكانوا كالتابع الذي لا معنى له بدون متبعه"<sup>(١)</sup>.

فآية طه تبين ذلهم وضعفهم وانقيادهم لأمر فرعون، فهم أداة في يده يسير بهم حيث يشاء دون أدنى إرادة منهم أو اختيار، ولعل هذا كان هو غالب أمر القوم مع فرعون وهو الأصل؛ لقوله تعالى: **﴿فَاسْتَخْفَ قَوْمًا فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾** (الزخرف ٤٥).

وأما آية يونس فقد ظهر في السياق ما يشير كثيراً إلى أمر الملاً من قوم فرعون، ولا شك أن الملاً من جملة جنوده، قال تعالى: **﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ يَأْتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلِئِهِ﴾**، وقال تعالى: **﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرَيْهُ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلِئِهِمْ﴾**، وقال تعالى: **﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّنَا إِنَّكَ أَتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلِئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا﴾**، فقد بان في النظم القرآني الحديث عن الملاً مقروناً بالحديث عن فرعون؛ فناسب ذلك - فيما أحسب - أن يعطف الجنود على فرعون في فعل الإتباع **﴿فَاتَّبَعُهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ﴾** إذ قد ظهرت عداوتهم في السياق كله واضحة جلية جنباً إلى جنب مع فرعون لموسى التكذيل، والله أعلم.

(١) نظم الدرر: ٢٧١/١٢

**الشاهد الخامس<sup>(١)</sup>** : قوله تعالى : **«وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ ذُكْرَ يَـٰيـٰـاتِ رَبِّهِ فَأَغْرَضَ عَنْهَا وَسَيِّـٰـ ما قَدَّـٰـتْ يَـٰـهـٰـ إِنـٰـ جَعـٰـلـٰـنـٰـ عـٰـلـٰـ قـٰـلـٰـوـٰـهـٰـ أـٰـيـٰـةـٰـ أـٰـنـٰـ يـٰـقـٰـهـٰـ وـٰـفـٰـي آـٰـذـٰـنـٰـهـٰـ وـٰـقـٰـرـٰـاــ وـٰـإـٰـنـٰـ تـٰـدـٰـعـٰـهـٰـمـٰـ إـٰـلـٰـى الـٰـهـٰـدـٰـيــ فـٰـلـٰـنـٰـ يـٰـهـٰـتـٰـوـٰـ إـٰـذـٰـأـٰـبـٰـداــ»** (الكهف ٥٧).

مع قوله تعالى : **«وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ ذُكْرَ يَـٰيـٰـاتِ رَبِّهِ ثـٰـمـٰـ أـٰـغـٰـرـٰـضـٰـ عـٰـنـٰـهـٰـ إـٰـنـٰـ مـٰـنـٰـ الـٰـمـٰـجـٰـرـٰـمـٰـ إـٰـنـٰـ مـٰـتـٰـقـٰـمـٰـونـٰـ»** (السجدة ٢٢).

جاء العطف في آية الكهف بـ"الفاء" التي تدل على التعقيب والترتيب ، قال تعالى : **«وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ ذُكْرَ يَـٰيـٰـاتِ رَبِّهِ فَأَغْرَضَ عـٰـنـٰـهـٰـ»** (الكهف ٥٨) ، وجاء العطف في آية السجدة بـ"ثم" التي تدل على التراخي والإمهال الزمني ، قال تعالى : **«وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ ذُكْرَ يَـٰيـٰـاتِ رَبِّهِ ثـٰـمـٰـ أـٰـغـٰـرـٰـضـٰـ عـٰـنـٰـهـٰـ»** (السجدة ٢٢).

ذكر "المradi" ت ٧٤٩ هـ : أن الفاء العاطفة " من الحروف التي تشرك في الإعراب والحكم ، ومعناها التعقيب ، فإذا قلت : قام زيد عمرو دلت على أن قيام عمرو بعد زيد بلا مهلة ، فتشارك "ثم" في إفاده الترتيب ، وتفارقها في أنها للاتصال ، و "ثم" تفيد الانفصال<sup>(٢)</sup>.

وعبرة "عبد القاهر" ت ٤٧١ هـ الأوجز في بيان هذا الفرق قوله : "أن الفاء توجب الترتيب من غير تراخ ، و "ثم" توجبه مع تراخ"<sup>(٣)</sup>.

إذن هناك فرق في المعنى بين الآيتين بدليل تغاير العطف فيما ، فالإعراض الواقع بعد الفاء كان إعراضًا يعقب التذكير بالأيات ، والإعراض الواقع بعد "ثم" كان بعد مهلة من التذكير بالأيات.

(١) رسالة الدر الدائر المتخب ٣٠.

(٢) الجنى الداني : ٦١/١.

(٣) دلائل الإعجاز : ٢٢٤.

فَآيَةُ سُورَةِ الْكَهْفِ الْخَطَابُ فِيهَا خَاصٌ بِكُفَّارِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، إِذَا لَمْ يَتَعَرَّضْ السِّيَاقُ لِذِكْرِ غَيْرِهِم مِّنَ الْأُمَّمِ السَّابِقَةِ، وَالآيَاتُ المَذَكُورَ بِهَا فِي ذَلِكَ السِّيَاقِ هِيَ آيَاتُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَالْحِجْةُ قَائِمَةٌ عَلَيْهِمْ بَعْدَ سَمَاعِهِمْ وَتَدْبِرِهِمْ، فَوَرَدَ بِالْفَاءِ لِيُفِيدَ التَّعْقِيبَ، وَذَلِكَ بِخَلَافِ مَا فِي السُّجْدَةِ، فَقَدْ سَبَقَ مَوْضِعَ الشَّاهِدِ فِيهَا حَدِيثُ عَنِ الْأُمَّمِ السَّابِقَةِ، فَأَصْبَحَتِ الْآيَةُ تَشْمِلُ هَذِهِ الْأُمَّةَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأُمَّمِ، وَالآيَاتُ المَذَكُورَ بِهَا كُلُّ آيَةٍ بَيْنَةٌ مِّنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْكِتَابِ السَّابِقَةِ، فَهُوَ خَطَابٌ عَامٌ لِكُلِّ الْمُكَلِّفِينَ، وَإِخْبَارٌ عَنْ أَحْوَالِهِمْ سَوَاءٌ فِي هَذَا الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذَا الْمُجْرِمُونَ نَاكُسُوا رُءُوسَهُمْ عَنْ دَرَبِهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَعَنَا﴾ (السُّجْدَةُ ١٢)، فَهُولَاءِ ذُكْرُوا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَزَمَانًا بَعْدَ زَمَانٍ، ثُمَّ أَعْرَضُوا فَلَمْ يَؤْمِنُوا، وَنَقْطَعَ رَجَاءُ الإِيمَانِ فِيهِمْ، وَبِهَذَا تَنَاسَبُ الْعَطْفُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِـ«ثُمَّ» دُونَ "الْفَاءِ"<sup>(١)</sup>، وَإِنَّهُ أَعْلَمُ الشَّاهِدِ السَّادِسِ<sup>(٢)</sup>: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (٩٢) وَنَقْطَعُوا أَمْرَهُمْ بِيَنْهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُهُنَّ﴾ (الْأَنْبِيَاءُ ٩٣). مع قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (٥٢) فَنَقْطَعُوا أَمْرَهُمْ بِيَنْهُمْ زِيرًا كُلُّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (الْمُؤْمِنُونَ ٥٣). عَطَفَتْ آيَةُ الْأَنْبِيَاءِ بـ"الْوَاوِ" (وَنَقْطَعُوا)، وَجَاءَ الْعَطْفُ فِي آيَةِ الْمُؤْمِنُونَ بـ"الْفَاءِ" (فَنَقْطَعُوا)، وَالْوَاوِ مُطْلَقُ الْجَمْعِ، وَالْفَاءِ لِلتَّرْتِيبِ وَالتَّعْقِيبِ، إِذَا لَكُلُّ آيَةٍ مَّقْصُودُهَا وَمَعْنَاهَا.

(١) ينظر البرهان في توجيه متشابه القرآن: ١٦٩/١، وملاك التأويل: ٣٢٠/٢.

(٢) رسالة الدر الدائر المتنخب.

أما عن سياق آية الأنبياء فقد قال تعالى : **﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾** (٩٢) **وَتَقْطَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ** (الأنبياء ، ٩٢ ، ٩٣). وحاصل العطف باللواء أن يكون التقطع واقعاً مع الأمر بالعبادة (فاعبدون)، أو يكون حاصلاً قبله، أو متأخراً عنه.

وأما في آية المؤمنون فقوله تعالى : **﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاقْتُلُونِ﴾** (٥٢) **فَتَقْطَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** (المؤمنون ، ٥٢ ، ٥٣)، دلت الفاء على أن التقطع كان بعقب الأمر بالتقوى **«فَاقْتُلُونِ»** ومرتبأ عليه، لأنهم أمروا بشيء فأسرعوا إلى ضده.

يقول "أبو حيان ت ٧٤٥ هـ" : "فتقطعوا بالفاء إذاناً بأن التقطع اعتقب الأمر بالتقوى، وذلك مبالغة في عدم قبولهم، وفي نثارهم عن توحيد الله وعبادته، وجاء في الأنبياء باللواء فاحتمل معنى الفاء، واحتمل تأخر تقطعهم عن العبادة" <sup>(١)</sup>.

واختلاف العطف في السورتين مناسب لما ورد فيهما من نظم الكلام، ففي سورة الأنبياء **«وَتَقْطَعُوا أَمْرَهُمْ»** الخطاب فيها للكفار وللأمم المكذبة بدليل الأمر بالعبادة **«وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ»**، فلما كان التقطع بالكفر حاصلاً قبل الأمر وبعده ناسب الإتيان باللواء، وأما في سورة المؤمنون فالخطاب فيها تغليب جانب الرسل بدليل قوله تعالى : **«يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيَّابَاتِ»**، وكذلك كان الأمر بالتقوى **«وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاقْتُلُونِ»** والأمر بالتقوى، والمداومة على الطاعة مخاطب به الرسل والأمم، فرتب بالفاء ليدل على أن أمم الرسل سارعوا إلى

(١) البحر المحيط : ٥٦٦، ٥٦٧.

القطع بعد أمر الرسل لهم بالتقوى مباشرة، وفي هذا ذم لحالهم مع ما فيه من التخويف لهم والترهيب من مصيرهم<sup>(١)</sup>، والله أعلم.

**الشاهد السابع<sup>(٢)</sup>:** قوله تعالى: **«وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ»** (القصص ٦٠).

مع قوله تعالى: **«فَمَا أُوتِيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»** (الشوري ٣٦).

أفاد العطف بـ"الواو" في آية القصص **«وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ»** مطلق الجمع، كما أفاد العطف بـ"الفاء" في آية الشوري **«فَمَا أُوتِيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ»** الترتيب والتعليق.

ولم يتقدم في سورة القصص ما يقتضي ذكر الفاء، بل القصد فيها الجمع بين أحوال كثيرة، والإخبار عنها، عظة واعتباراً.

بل إن الواو فيها يجوز أن تكون عاطفة أو أن تكون استئنافاً<sup>(٣)</sup>، وهي إلى الاستئناف أقرب<sup>(٤)</sup>.

أما في سورة الشوري فقد تقدم ما يوجب العطف بالفاء لتعلق قوله تعالى: **«فَمَا أُوتِيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ»** بقوله تعالى - قبله - : **«وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ»** أشد تعلق؛ لينبه على أن ما يحصل لهؤلاء من عطاء إنما هو

(١) ينظر البرهان في توجيهه متشابه القرآن: ١٧٩/١، وملاك التأويل: ٣٥٤/٢.

(٢) رسالة الدر الدائر المتخب: ٣٠.

(٣) إعراب القراء وبيانه: ٣٥٦/٧.

(٤) الجدول في إعراب القرآن: ٢٧٩/٢٠.

من جملة مثاب الدنيا الزائل ، الذي لا بقاء له ، وأما عطاء الله للذين آمنوا –  
وهم في مقابل الذين يجادلون - هو النعيم الدائم الذي لا يزول<sup>(١)</sup>.

ولذلك نلحظ أن آية الشورى نصت على الذين آمنوا في مقابل هؤلاء ،  
قال تعالى : **«فَمَا أُوتِيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رِبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»** (الشورى ٣٦) ، وأما آية القصص فهي عامة في كل أحد ،  
قال تعالى : **«وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِيَّتْهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ»** (القصص ٦٠) ، والله أعلم.

الشاهد الثامن<sup>(٢)</sup> : قوله تعالى : **«وَوَصَّيْنَا إِلَيْهِ ابْنَ إِنْسَانٍ بِوَالدِّيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعِهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُتْبِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»** (العنكبوت ٨).  
مع قوله تعالى : **«وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعِهُمَا وَصَاحِبَيْهِمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَأَتْبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنْابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُتْبِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»** (القمان ١٥).

جاءت تعدية فعل المفاجلة **«وَإِنْ جَاهَدَاكَ»** في آية العنكبوت بـ "اللام" ، وفي آية لقمان بـ "على" ، وـ "اللام" تدل على العلة والسبب ، وـ "على" تدل على التمكّن والعلو.

وقد أرجع بعض أهل العلم سبب تغاير التعدية في الموضعين إلى الإيجاز والإطناب في كل موضع ، فاللام وهي أوجز من على ناسبت العنكبوت ، وعلى وهي أطب من اللام ناسبت الإطناب والتفصيل في لقمان<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر درة التنزيل: ٩٨٧/٣ - ٩٩١ ، والبرهان في توجيهه متتشابه القرآن: ١٩٦/١ ، ونظم الدرر: ٣٢٦/١٧.

(٢) رسالة الدر الدائر المتخب: ٣٠.

(٣) ينظر درة التنزيل: ١٠٠/٣ ، وملاك التأويل: ٣٨٨/٢.

ولعل النظرة الأعمق والأليق بالسياق هي قول "القاعي ت ٨٨٥ هـ" :  
 وأشار بأداة الاستعلاء إلى أن لا مطمع لمن أطاعهما في ذلك ولو باللفظ فقط  
 أن يكون في عداد المحسنين، وإن كان الوالدان في غاية العلو والتمكن من  
 الأسباب الفاتنة له ، بخلاف سورة العنكبوت فإنها مطلق الفتنة ، وليست لقوة  
 الكفار فعبر فيها بلام العلة ، إشارة إلى مطلق الجهاد الصادق بقويه  
 وضعيفه<sup>(١)</sup> .

وبهذا تكون "على" في سورة لقمان إشارة إلى ما قد يكون للوالدين من  
 فضل تكن وعلو وقوة تستلزم جهاداً أكبر وأعظم في الثبات على الحق  
 والتوحيد ، وأما في سورة العنكبوت فبيان مطلق الفتنة التي تستدعي جهاداً  
 صادقاً في الثبات على الحق سواء قوي أمر الوالدين الدععين إلى الشرك أو  
 ضعفاً ، والله أعلم.

**الشاهد التاسع<sup>(٢)</sup>** : قوله تعالى : **« قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِنْهُ وَهُوَ فِي شَقَاقٍ بَعِيدٍ »** (فصلت ٤٥).

مع قوله تعالى : **« قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَنَّ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ »** (الأحقاف ١٠).

جاء العطف في فصلت بـ "ثم" التي تفيد التراخي والمهلة زمناً أو رتبة ،  
 وجاء العطف في الأحقاف بـ "الواو" التي هي مطلق الجمع والتشريك في الحكم.  
 كلتا الآيتين في سياق الحديث عن التكذيب والكفر بآيات الله ﷺ بعد  
 وضوح الدلائل على أنها الحق المنزّل من عنده ع.

(١) نظم الدرر: ١٦٦ / ١٥ .

(٢) رسالة الدر الدائر المنتخب .

وأحوال المعاندين مختلفة، فمنهم من يسارع إلى الكفر والجحود دون رؤية أو تهلهل، ومنهم من (فكرة وقدر فقتل كيف قدر) وهم أعظم جرما من الصنف الأول.

وقد ذكر "البقاعي ت ٨٨٥هـ" سر إثمار كل حرف في موضعه، فقال:  
 "ولما كان الكفر على هذا التقدير في غاية البعد، وكان مقصود السورة دائراً  
 على العلم، نبه على ذلك بأداة التراخي مع الدلالة على أن ذلك ما كان منهم  
 إلا بعد تأمل، فكانوا معاندين حتى نزلوا بالصفيروالتصفيق من أعلى رتب  
 الكلام إلى أصوات الحيوانات، فقال: ﴿تَمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ أي بعد إمعان النظر فيه  
 والتحققة، لأنه حق" (١).

وعن العطف بـ "الواو" يقول: "ولما كان مقصود السورة إنذار الكافرين الذين لا ينتظرون في علم بل شأنهم تغطية المعارف والعلوم عطف بالواو الدالة على مطلق الجمع الشامل لمقارنة الأمرين من غير مهلة فيدل على الإسراع في الكفر من غير تأمل" <sup>(٢)</sup>.

وذكر بعضهم أن العطف بـ "ثم" مناسب لما في سورة فصلت؛ لأنها تدل على عاقبة أمرهم بعد تركهم وإمهالهم أن كان الكفر منهم، وأما في سورة الأحقاف فلم يكن القصد بيان عاقبة أمرهم بل التعجب من حال كفرهم مع إيمان غيرهم من كان على دينهم<sup>(٣)</sup>.

وعليه فـ "الواو" وـ الحال ويكون المعنى : كيف يكون منكم الكفر وهو من عند الله في حال أن آمن به من آمن من بنى إسرائيل ، فكان منه الإيمان

### ١) نظم الدرر: ١٧/٢٢٣

السابق: ١٨/١٣٨

(٣) ينظر درة التنزيل: ١٥٥/١، والبرهان في توجيه متشابه القرآن: ٢٢٣/١.

ومنكم الكفر؟! وتلك حالة عجيبة تستدعي النعي عليهم والتوبخ لهم، والتعجب من حالهم هذا ما في الأحقاف ، وأما ما في فصلت فذكر "ثم" يدل على أن الكفر أشنع والجرم أعظم ، وذلك لما تقرر في نظم السورة ونسقها من أوصاف القرآن الداعية إلى التدبر بما فيه ، والإذعان له ، وأنه حق من عند الله تبارك وتعالى لا تشوبه شائبة ، ولا يتطرق إليه شك ، وقد تضافت آيات السورة وظاهرت على ذلك ، من مثل قوله تعالى : **﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** ، وقوله ﷺ : **«وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْنِ فِيهِ لَعْلَكُمْ تَغْلِبُونَ»** ، وهذه حجة منهم على أنفسهم في تأثير القرآن وقوته ببيانه وسلطانه ، وقوله ﷺ : **«إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لِكِتَابٍ عَزِيزٍ (٤) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِه تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ»** وقوله ﷺ : **«وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ...»** ، كل هذه الأوصاف الداعية إلى الإيمان المحرضة عليه ، ثم يكون منهم بعد ذلك الكفر ، فدللت "ثم" على شنيع الصنع ، وعظيم الجرم ، والله أعلم.

\* \* \*

## المطلب الثاني

### شواهد متشابه النظم بين المبدلات غير الحروف

يهتم هذا المطلب بدراسة شواهد النظم بين المبدلات من غير الحروف وتحليلها، وبيان أسرار التغایر فيها، وسر إثارة كل لفظ في موضعه، ومناسبته لسياقه الوارد فيه، وبيان أن المعاني قد اختلفت باختلاف الالفاظ المعتبرة عنها في كل موضع، وأن التفنن في إعادة الكلام الذي قال به بعض أهل العلم في القرآن الكريم قول فيه نظر، إذ لا يجوز – فيما أحسب – القول به خاصة إذا خلا من فائدة تذكر، أو معنى يتلمس ويستخرج؛ فإن إعادة الكلام مع التفنن فيه في الظاهر دون أن يكون له أثر في المعاني يجب أن ينزع عنه كلام الله تعالى، وفي هذا المقام أستأنس بقول الخطابي ت ٣٨٨ هـ :

"لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها، وإن كانتا قد شتركتان في بعضها"<sup>(١)</sup>.

فإن كان هذا مقرراً في اللغة على العموم فما الظن بكلام الله العجز؟!! .  
ولذا يقول "ابن عطية ت ٥٤٢ هـ" :

"كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد، ونحن تبين لنا البراعة في أكثره، ويخفى علينا وجهها في مواضع؛ لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامه الذوق وجودة القرىحة ومميز الكلام"<sup>(٢)</sup>، وقد بلغت شواهد هذا المطلب واحداً وعشرين شاهداً، وهي :

(١) بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن) : ٢٩.

(٢) المحرر الوجيز : ١ / ٥٢.

**الشاهد الأول<sup>(١)</sup>** : قوله تعالى **«هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْمٌ»** (البقرة ٢٩).

مع قوله تعالى : **«فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنَ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَاهَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحْفَاظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ»** (فصلت ١٢).

سياق الحديث في الآيتين عن خلق السموات والأرض وما فيها، وأثر النظم القرآني كلمة "فسواهن" في آية البقرة، وكلمة "قضاهن" في آية فصلت.

فما الفرق بين الكلمتين؟ وما سر إثارة كل كلمة في موضعها؟

ذهب بعضهم إلى أن القضاة والتسوية في ذكر خلق السموات والأرض مترادافان، وكل منهما في معنى الآخر، بل قد يعني أحدهما عن الآخر في غير القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>.

لكن القول بالترادف في القرآن الكريم، مع زعم عدم وجود فروق بين الألفاظ المستعملة في الموضع المتشابهة قول لا يثبت مع إنعام النظر في دلالات الآيات وسياقاتها المختلفة، التي أوجبت بلا شك المغايرة بين الألفاظ في المواطن المتشابهة.

فالقضاء في قوله تعالى : **«فَقَضَاهُنَّ»** معناه يدور حول الإيجاد والإحکام، والانتهاء من الشيء والفراغ منه<sup>(٣)</sup>.

وأما معنى التسوية في قوله تعالى : **«فَسَوَاهُنَّ»** فيدور حول معنى الاستقامة والاعتدال، وإكمال الصورة وتمام الهيئة<sup>(٤)</sup>.

(١) رسالة الدر الدائر المنتخب ٢٨.

(٢) ينظر تفسير الماتريدي : ٤١/١ ، وتفسير ابن كثير : ٧/٦١ ،

(٣) ينظر : تفسير الطبری : ٤٠/٢١ ، ومعنى القرآن للزجاج : ٣/٢٢٧ ، ومقاييس اللغة : ٥٩٩/٥ ، وأمالی المرتضی : ٢/٣٥٩ ، والمفردات في غريب القرآن : ١/٦٧٤ .

إذن لكل كلمة معناها وخصوصيتها دون غيرها، وإن اشتراكنا في أصل الخلق والإيجاد، وهذا واضح أيضاً من قوله تعالى: «اللَّوْيَ خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ» (الانفطار<sup>٧</sup>)، فعطف التسوية على الخلق دليل على أن التسوية غير الخلق، ومرحلة تالية له، إذ هي استقامة واعتدال على وفق مراد الله عَزَّوجَلَّ. بقي أن نتبين سر إيثار كل كلمة في سياقها.

ما جاء في فصلت في شأن خلق السموات الأرض وما فيها جاء على التفصيل دون الإجمال، فناسب ذلك أن يذكر جميع مراحل الخلق والتقدير والتسوية، وما إلى ذلك من تفصيل لم يرد في أي سورة مثلما ورد في فصلت. وأما في البقرة فكان الاكتفاء بالإجمال دون التفصيل اكتفاء بما ورد في فصلت، وذلك فإن لفظ (التسوية) يقتضي كل ما ذكر من تفصيل في فصلت. وكان الإجمال في ذكر خلق السموات بكلمة «فَسَوَّاهُنَّ» مناسباً للإجمال في ذكر خلق الأرض - قبلها - قال تعالى: «هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً» (البقرة<sup>٢٩</sup>)، ولننظر إلى القيد بالحال «جَمِيعاً» الذي يدل على خلق الأرض وما فيها إجمالاً.

كما أن لفظ «فَسَوَّاهُنَّ» جاء مقارنا للفظ «أَسْتَوَى» فكان له من حسن الموضع، وجمال التأثير ما له<sup>(٢)</sup>. فصار هناك تنااغم وانسجام بين نظم الكلمات، فضلاً عن نظم المعاني، والله أعلم.

(١) ينظر مقاييس اللغة: ١٢٢/٣ ، والمفردات في غريب القرآن: ٤٣٩/١ ، والكشاف: ١٢٣/١ ، ونظم الدرر: ٢٢٤/١ .

(٢) ينظر تفسير أبي السعود: ٧٨/١ .

**الشاهد الثاني<sup>(١)</sup>** : قوله تعالى : « وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْعَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ  
وَالسَّلْوَى كُلُّوا مِنْ طَيَّاتِهِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَّمُونَا وَلَكُنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ »  
(البقرة ٥٧).

مع قوله تعالى : « وَقَطَعْنَاهُمْ أَشْتَهِيَ عَشَرَةً أَسْبَاطًا أَمْمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذْ اسْتَسْأَهُ  
قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَإِنْجَسَتْ مِنْهُ أَشْتَهِيَ عَشَرَةً عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنْسَى مَشَرِّبَهُمْ وَظَلَّلْنَا  
عَلَيْهِمُ الْعَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُّوا مِنْ طَيَّاتِهِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَّمُونَا وَلَكُنْ كَانُوا  
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ » (الأعراف ١٦٠).

جاءت الآياتان في سياق الحديث عنبني إسرائيل ، وما كان من أحوالهم ،  
واختلف الضمير في الموضعين تبعا لاختلاف السياق فيهما.

ففي البقرة جاء ضمير الخطاب « عَلَيْكُمْ » إذ هو الموافق لجملة النظم  
هناك ، قال تعالى : « وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرًا فَأَخْذُكُمْ  
الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعْثَاْكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٦) وَظَلَّلْنَا  
عَلَيْكُمُ الْعَمَامَ » (البقرة ٥٥ - ٥٧).

وفي توجيه الخطاب لهم في مثل هذا السياق زيادة في التوبیخ والتشنيع  
عليهم<sup>(٢)</sup> ؛ ولأن تذکیرهم - خطاباً - بالنعم المتعددة والآلاء المتواتلة ، ثم هم  
بعد ذلك يقابلونها بالکفر والعناد ، والجحود والإنکار ، أشنع في توبیخهم ،  
وأردع في زجرهم.

وأما في الأعراف فالسياق يدل على الحديث عنهم ، وعن ما كان من  
أحوالهم ، وما كان من أمرهم تذكرة واعتباراً.

(١) رسالة الدر الدائر المنتخب . ٢٨ .

(٢) ينظر التحرير والتنوير : ١٤٤ / ٩ .

قال تعالى: «وَمِنْ قَوْمٍ مُوسَى أُمَّةٌ يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَيَهُدِلُونَ (١٥٩) وَقَطَعْنَاهُمُ الْتَّثْبِيْرَ عَشْرَةً أَسْبَاطًا أُمَّمًا...» (الآيات)، فهذا حديث عنهم تذكرة واعتباراً، وفي البقرة حديث لهم توبيناً وتشنيعاً؛ فاقتضى ذلك التغاير بين الخطاب والغيبة، والله أعلم.

**الشاهد الثالث<sup>(١)</sup>:** قوله تعالى: «وَإِذَا سَتَّقَ مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اصْرِبْ يَعْصَمُ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ أَشْتَأْنَا عَشْرَةً عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنْاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُّهُوا وَأَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» (البقرة ٦٠).

مع قوله تعالى: «وَقَطَعْنَاهُمُ الْتَّثْبِيْرَ عَشْرَةً أَسْبَاطًا أُمَّمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذَا سَتَّقَهُ قَوْمَهُ أَنِ اصْرِبْ يَعْصَمُ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ أَشْتَأْنَا عَشْرَةً عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنْاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلَنَا عَلَيْهِمُ الْعَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلُوْيَ كُلُّهُوا مِنْ طَيَّاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَّمُنَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفَسَهُمْ يَظْلِمُونَ» (الأعراف ١٦٠).

في الآيتين إخبار عن خروج الماء من الحجر الذي ضربه موسى عليه السلام بأمر الله تعالى سقياً لقومه.

وكان التعبير عن خروج الماء في البقرة بقوله عليه السلام «فَانْفَجَرَتْ»، وفي الأعراف «فَانْبَجَسَتْ»، وجعلهما "الزمخشري" ت ٥٣٨ هـ "يعنى واحد، وهذا دليل على قوله بالترادف في القرآن، فقال:

"فَانْبَجَسَتْ": فانفجرت والمعنى واحد، وهو الانفتاح بسعة وكثرة<sup>(٢)</sup>، وقد قال بهذا الرأي غيره<sup>(٣)</sup>.

(١) رسالة الدر الدائر المنتخب ٢٨.

(٢) الكشاف: ١٦٩/٢.

(٣) ينظر تفسير القرطبي: ٤١٩/١ ، ومعجم ديوان الأدب: ٤٢٤/٢ ، ولسان العرب: ٢٤/٦.

لكن إنعام النظر يوجب أن يكون الانبجاس غير الانفجار بدليل تغاير السياق في كل موضع.

فالانبجاس أضيق من الانفجار وأخف منه، فالخروج الأول للماء يسمى انبجاساً، والماء معه قليل، ثم يصير انفجاراً، والماء معه كثير<sup>(١)</sup>.

أو أن الانفجار وقع أولاً بكثرة الماء ثم بعد ذلك قلّ الماء وجفّ بعض الشيء بسبب الذنوب والمعاصي فصار انبجاساً.

إذن الانبجاس غير الانفجار، لكن ما سر اصطفاء كل لفظ في سياقه؟ قالوا: إن آية سورة البقرة ذكر فيها ﴿كُلُوا وَاشْرِبُوا﴾ فههنا ذكر للشرب، فناسب كثرة الماء بقوله ﴿فَانْفَجَرَتْ﴾، أما في سورة الأعراف فلم يذكر لفظ الشرب قال تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيَّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ فلم يبالغ في ذكر الماء مع عدم ذكره<sup>(٢)</sup>.

كما أن في آية البقرة طلب سيدنا موسى عليه السلام من ربه عزوجل ﴿وَإِذَا سَتْسَقَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾، وأما في الأعراف فهو طلببني إسرائيل من موسى عليه السلام أن يستستقي لهم ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذَا سَتْسَقَاهُ قَوْمُهُ﴾ فطلبهم ابتداء ناسب الابتداء، وطلب موسى عليه السلام خاتمة فناسب الغاية<sup>(٣)</sup>.

كذلك أيضاً في آية البقرة أمر من الله عزوجل لموسى عليه السلام ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ﴾، وأما في الأعراف فكان وحياً ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾، فناسب الأول الانفجار بكثرة الماء، وجاء الثاني بالانبجاس.<sup>(٤)</sup> والله أعلم.

(١) ينظر المحرر الوجيز: ٤٦/٢ ، والبرهان في توجيهه متشابه القرآن: ١/٧٤ ، وملاك التأويل: ٤٠/١.

(٢) السابق نفسه.

(٣) ينظر ملاك التأويل: ١/٤٠.

(٤) أسرار البيان في التعبير القرآني: ٥٥

**الشاهد الرابع<sup>(١)</sup>** : قوله تعالى : «وَكُنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى حَتَّى يَتَّبِعُ  
مَا لَتَّهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَئِنَّ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ  
اللَّهِ مِنْ وَلِيٌّ وَلَا نَصِيرٌ» (البقرة ٢٠).

مع قوله تعالى : «وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَأَئِنَّ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ  
الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٌّ وَلَا وَاقِ» (الرعد ٣٧).

اختلف اسم الموصول في كل موضع تبعاً للسياق الوارد فيه ، ففي البقرة  
 جاء بـ "الذي" ، وفي الرعد جاء بـ "ما".

فما الفرق في الاستعمالين ؟ وما سر إثارة كل لفظ في موضعه ؟  
 من المعلوم أن "الذي" أشرف الموصولات ، وهي أم الباب ، ولها من  
الخصوصية ما ليس لغيرها من الموصولات.

يقول "عبد القاهر ت ٤٧١ هـ" عنها : "اجتلب ليكون وصلة إلى وصف  
المعارف بالجمل ، كما اجتلب ذو ليتوصل به إلى الوصف بأسماء  
الإجناس"<sup>(٢)</sup>.

ثم يزيد الأمروضوحاً : "تفسير هذا أنك لا تصل الذي إلا بحملة من  
الكلام قد سبق من السامع علم بها ، أو قد عرفه له"<sup>(٣)</sup>.

وأما "ما" ، وإن كانت كذلك فإن بها بعض إبهام ليس في "الذي" ؛ لأن  
"الذي" لزمتها أمارة التعريف وهي الألف واللام ، لكن "ما" قد يعتريها أحكام

(١) رسالة الدر الدائر المنتخب ٢٨.

(٢) دلائل الإعجاز : ١٩٩.

(٣) السابق : ٢٠٠.

آخر، ومعانٍ مختلفة، فقد تنكر فيجري ما كان لها صلة في حكم الصفة التي تبينها، وليس شيء من ذلك في "الذي" <sup>(١)</sup>.  
وعليه فاسم الموصول "الذي" أصل الموصولات وأصرحها، والتعريف به أكمل وأتم.

ولذا آثر النظم القرآني اسم الموصول "الذي" في البقرة؛ لأن العلم الذي جاءه، وثبت عنده بِهِ هو أصل العلم وأشرفه، وأعظمه وأقدمه، إنه العلم بأن الإسلام هو الدين الحق لا غيره، الإسلام بكل ما جاء فيه من توحيد وأحكام وشرائع، وأما في سورة الرعد فإن العلم المراد هو العلم بصحة ما ينكره الأحزاب، وقد ثبت صحته في القرآن الذي أنزل من عند الله بِيَدِهِ، ولا شك أن هذا بعضً من العلم المتقدم في سورة البقرة <sup>(٢)</sup>، فناسب ذكر "الذي" في الأول، و"ما" في الثاني. والله أعلم.

**الشاهد الخامس** <sup>(٣)</sup> : قوله تعالى : **﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهَدُنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهَرَا بَيْتَنَا لِلطَّائِفَيْنَ وَالْعَاكِفَيْنَ وَالرُّكْعَ السُّجُود﴾** (البقرة ١٢٥).

مع قوله تعالى : **﴿وَإِذْ بَوَأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا شُرِكَّ يَبْيَسْ شَيْئاً وَطَهَرَ بَيْتَنَا لِلطَّائِفَيْنَ وَالْقَائِمَيْنَ وَالرُّكْعَ السُّجُود﴾** (الحج ٢٦).

جاءت الآياتان في سياق الأمر بتطهير البيت الحرام وتهيئته للعبادة بكل أنواعها، واختصت آية البقرة بأوصاف للعبادة **﴿لِلطَّائِفَيْنَ وَالْعَاكِفَيْنَ وَالرُّكْعَ**

(١) ينظر درة التنزيل : ٢٧١/١.

(٢) ينظر درة التنزيل : ٢٧١/١ ، والبرهان في توجيهه متشابه القرآن : ٧٨، ٧٧/١ ، وملوك التأويل : ٤٨/١ ، والتحرير والتبيير : ٦٩٤/١.

(٣) رسالة الدر الدائر المتنخب . ٢٨.

**السُّجُود**》， في حين كانت أوصاف العبادة في آية الحج **«لِلطَّافِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكُعَ السُّجُود»**، فما سر المغایرة في الموضعين؟.

ذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا مغایرة بين تلك الأوصاف في السياقين؛ لأن المراد من القائمين في الحج هم العاكفون في البقرة؛ إذ القائمون هم ذوى الإقامة على صفة مخصوصة، وحالة معينة<sup>(١)</sup>.

بل إن "الزمخشري ت ٥٣٨ هـ" جوز أن يراد بالعاكفين الواقفون القائمون في الصلاة، وعليه يكون العاكف هو الواقف للصلوة<sup>(٢)</sup>.

ولكن العاكفين جمع عاكف وهو: الذي أقام لا يبرح مجاوراً لبيت الله الحرام، أو معتكفٍ وهو: الملائم لبيت الحرام، والمنقطع للعبادة فيه<sup>(٣)</sup>. وأما القائمون فهم الداعون حال قيامهم، أو المصلون<sup>(٤)</sup>؛ لأن القيام أحد أركان الصلاة فصح أن يطلق عليها من باب المجاز المرسل، علاقته الجزئية.

ولعل من سر إثارة لفظ (العاكفين) في البقرة؛ أنه حديث عن البيت الحرام نفسه، لقوله تعالى: **﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَكَانَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾**، وهذا يناسب أن يكون فيه عاكف أو معتكف، وأما في الحج فحديث عن مكان البيت لا البيت، قال تعالى: **﴿وَإِذْ بَوَأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾** كما أنه قد تقدم ذكر العكوف في قوله تعالى: **﴿سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾** فوق الاكتفاء بذلك، فلم يذكر مرة أخرى، وأما في سورة البقرة فلم يتقدم ذكره، فأفصح عنه<sup>(٥)</sup>، والله أعلم.

(١) المحرر الوجيز: ٢٠٨/١ ، وملاك التأويل ٤٩/١ ، ٥٠ .

(٢) ينظر الكشاف: ١٨٥/١ .

(٣) السابق نفسه.

(٤) ينظر البرهان في توجيه متشابه القرآن: ١٨٢/١ ، والتحرير والتنوير: ٢٤٢/١٧ .

(٥) ينظر ملاك التأويل: ١/٤٩ ، ٥٠ .



**الشاهد السادس<sup>(١)</sup> :** قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَيْعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَنْقَبَنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْ كَانَ آباؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة ١٧٠).

**مع قوله تعالى:** ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْ كَانَ آباؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (المائدة ٤٠).

في سياق حكاية عناد المشركين و موقفهم من اتباع ما جاء به الرسل من عند الله سبحانه وبحمده، وادعائهم أن ما كان عليه آباؤهم هو الدين لا غيره، في هذا السياق نفت آية البقرة عنهم "العقل" ، وفي آية المائدة نفت "العلم" ، فما الفرق بين النفيين؟ وما سر اصطفاء كلٌ في موضعه؟

ويتضح الفرق بين النفيين ببيان الفرق بين العلم والعقل : "العقل يمنع صاحبه من الواقع في القبيح ، وهو من قولك : عقل البعير إذا شده فمنعه من أن يثور ، ولهذا لا يوصف الله تعالى به ،... وخلاف العقل الحمق ، وخلاف العلم الجهل<sup>(٢)</sup> .

أو يعني أخرص : "العقل هو الحابس عن ذميم القول والفعل"<sup>(٣)</sup> ، وأما العلم : " فهو إدراك الشيء على ما هو به" ، أو هو : " اعتقاد الشيء على ما هو به على سبيل الثقة"<sup>(٤)</sup> .

وعليه فكل عالم عاقل ، وليس كل عاقل عالماً ، إذ العالم أكمل تميزاً ، من العاقل ؛ بهذا يكون العلم أعلى درجة من العقل ، وإن كان بعضهم جعل نفي العقل بمنزلة نفي العلم<sup>(٥)</sup> .

(١) رسالة الدر الدائر المنتخب . ٢٨.

(٢) الفروق اللغوية : ١ / ٨٣.

(٣) مقاييس اللغة : ٤ / ٦٩.

(٤) التعريفات : ١ / ١٥٥.

(٥) الفروق اللغوية : ١ / ٨١.

وقد ذكر العلماء أن الذي أوجب نفي العلم في قوله **﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾** في آية المائدة أن ذكر قبلها قوله **﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾** فبقولهم **﴿حَسْبُنَا﴾** لأنهم قالوا: معنا علم سكنت إليه نفوينا ما وجدنا عليه آباءنا من الدين، وبهذا تكون دعواهم أبلغ في رد الإيمان، فاستوجب ذلك أن تكون في الفاصلة **﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾** لتكون أبلغ في رد دعواهم، وأما آية البقرة فقالوا: **﴿إِلَّا تَبَيَّنُ مَا أَنْفَقَنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾** فلم يدعوا أن ما كان عليه آباؤهم هو كاففهم، وهو حسبهم، كما كان في المائدة، فاكتفى هاهنا بنفي العقل بقوله: **﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾**; تكون كل دعوة مقابلاً بما يناسبها<sup>(١)</sup>، والله أعلم.

**الشاهد السابع<sup>(٢)</sup>**: قوله تعالى: **﴿إِذْ تُصْنِعُونَ وَلَا تَلُوْنَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاجَكُمْ فَأَتَابُكُمْ غَمًّا يَقْعُمُ لِكَيْلًا تَحْزُنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾** (آل عمران ١٥٣). مع قوله تعالى: **﴿لِكَيْلًا تَأْسَوْنَ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾** (الحديد ٢٣).

جاء النهي عن "الحزن" في آية آل عمران، وعن "الأسى" في آية الحديد، فما الفرق بينهما؟ وما سر إيثار كل نهي في سياقه؟  
**"الحزن"** هو الغم الحاصل لوقوع مكروره، أو فوات محبوب في الماضي،  
و烛ده الفرح<sup>(٣)</sup>.

وذكر "الراغب ت ٢٥٠٥ هـ" أن: "الحزن، والحزن: خشونة في الأرض، وخشونة في النفس لما يحصل فيه من الغم"<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر درة التنزيل: ٣١١/١، والبرهان في توجيهه متتشابه القرآن: ١/٨٠.

(٢) رسالة الدر الدائر المتخرج: ٢٨.

(٣) تاج العروس: ٣٤/١١.

(٤) المفردات في غريب القرآن: ١/٧٧.

وهو بهذا يوضح أن الحُزن مشتق من الحَزن وهي الأرض الصعبة الخشنة الشديدة، كأن الإنسان إذا أصابه الحزن ضاق صدره ، فيثقل عليه الهم كما يثقل عليه السعي في الأرض الخشنة، وهذا من جملة براعة العربية ، إذ تبين فيها صور المعاني النفسية بمعرفة أصل الاشتقاء من الأمور الحسية.

وأما "الأسى" فهو الحزن الشديد "يقال : أسيت على الشيء آسى أسى إذا اشتد حزنك عليه".<sup>(١)</sup>

فالأسى أشد من الحزن ؛ لأن الإنسان لا يملك أن يدفع الحزن عن نفسه ، كما قال ﷺ : " وإنما بفارقك يا إبراهيم لحزنون ".<sup>(٢)</sup>

ولإنما كان النهي عن تعاطي أسبابه وجوابه ، وأما الأسى فهو الحزن الشديد ، والغم المريض الذي قد يهلك معه صاحبه ، يقول أمير القيس : (من الطويل)

وَقُوْفَا بِهَا صَحْبِي عَلَيْ مَطِيئُهُم ... يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجْمَلْ<sup>(٣)</sup>  
فالأسى هو الحزن العميق الذي يحدث هماً وغماً<sup>(٤)</sup>.

ودليل آخر هو أن آية الحديد جمعت بين النهي عن الأسى والفرح «لَكُنَّا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُم» (الحديد ٢٣) ، ومعلوم أن النهي عنه هو الفرح المبالغ فيه المؤدي إلى البطر.

فآية الحديد تخاطب الناس عامة ، فناسب ذكر النهي على ما فات ، وعدم الفرح الشديد بما يحصل ، ليعلم الإنسان كل إنسان أن الأمور كلها مقدرة من

(١) معاني القرآن للزجاج : ٣٥٩/٢ ، وينظر التفسير الوسيط : ٢٤١/٩.

(٢) صحيح البخاري - باب قول النبي ﷺ (إنا بِكَ لَحزنون) : ٨٣/٢.

(٣) ديوان أمير القيس : ٢٤.

(٤) ينظر زهرة التفاسير : ٢١٢٠.

الله تعالى، وأما الحزن الذي هو في أصل الخلقة، والفرح الذي هو في أصل الجبلاة فلا شيء فيه.

وأما سياق آية آل عمران فهي خطاب مع المؤمنين خاصة الذين هم أقوى يقيناً وأشد اعتقاداً في قضاء الله وقدره، فيجب عليهم ألا يحزنوا على فائت من المنافع، وألا يحزنوا كذلك على ما أصابهم من مضار، والله أعلم.

الشاهد الثامن<sup>(١)</sup> : قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ يَوْمَ الْأَرْحَامِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَّقِيبًا﴾ (النساء ١).

مع قوله تعالى: ﴿مَوَالِيُّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْتُكْنُ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَعَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا حَقِيقِيًّا فَمَرَرْتُ بِهِ فَلَمَّا أَنْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَوْنَ أَتَيْتُنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الأعراف ١٨٩).

جاء في مفتتح سورة النساء التعبير عن الإيجاد بقوله (خلق)، وأما في سورة الأعراف ف جاء التعبير بقوله (جعل)، وقد فرق "الزمخشري ت ٥٣٨هـ" بينهما فقال :

"والفرق بين الخلق والجعل : أن الخلق فيه معنى التقدير، وفي العمل معنى التضمين كإنشاء شيء من شيء، أو تصوير شيء شيئاً، أو نقله من مكان إلى مكان، ومن ذلك : وجعل منها زوجها"<sup>(٢)</sup>.

(١) رسالة الدر الدائر المنتخب . ٢٨ .

(٢) الكشاف : ٣ / ٢

وعقب "ابن المنير ٦٨٣هـ" قائلاً: "وقد وردت جعل وخلق مورداً واحداً، فورد وخلق منها زوجها، وجعل منها زوجها، وذلك ظاهر الترادف، إلا أن للخاطر ميلاً إلى الفرق الذي أبداه الزمخشري" <sup>(١)</sup>.

ولعل "ابن المنير" - رحمه الله - لم يستحضر سياق كل آية في موضعها حتى قال "وذلك ظاهر في الترادف"، ومع ذلك ترى حسه اللغوي ساقه إلى أن يميل إلى ما أبداه الزمخشري من فرق.

وقد ورد في بعض المعاجم أن الجعل في معنى الخلق <sup>(٢)</sup>، ولكن هذا المعنى على الجملة وعلى جهة التقريب والشرح، وإلا فلكل لفظ معناه وسياقه. فالخلق فيه معنى الإيجاد والتقدير، وأما الجعل المتعدي إلى فعل واحد ففيه معنى الخلق مع التعلق والارتباط بالغير بأن يكون فيه أو منه أو إليه، لا أن يصير إيه؛ لأنه معنى آخر للجعل، فإنه حينئذ يتعدى إلى مفعولين <sup>(٣)</sup>. وإذا ظهر الفرق بين اللفظين، فقد بقي بيان سر اصطفاء كل لفظ في موضعه.

آية النساء آثرت (خلق) لتأكد معنى التسوية بين الرجال والنساء في قضية الخلق والإيجاد والإنشاء، وعدم الفرق بينهما في ذلك حتى يقوم العدل في كل شيء، وهذا ما تؤكد عليه آيات السورة، وجملة النظم فيها، ويكون اللفظ نفسه في النساء كما كان في الرجال؛ إماحاً إلى هذا المعنى في مطلع السورة، يذكر "البقاعي ت ٨٨٥هـ" :

(١) حاشية ابن المنير على الكشاف : ٢/٣.

(٢) ينظر تهذيب اللغة : ١/٤٠٢ ، ولسان العرب : ١١٠/١١.

(٣) ينظر الكليات : ١/٤٣٠.

"أن الناس كلهم كشيء واحد، وذلك يقتضي عدم الفرق بينهم إلا فيما شرعه الله، وآخرها مشير إلى ذلك بالتسوية بين النساء والرجال في مطلق التوريث بقرب الأرحام، وإن اختلفت الأنصباء، فكأنه قيل: يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالاً كثيراً ونساءً، وسوى بينهم فيما أراد من الأحكام" <sup>(١)</sup>.

وأما في سورة الأعراف فالقصد إلى معنى السكن في الأنثى؛ إذ جعلت سكناً للرجل يسكن إليها ويأنس بها، فيه معنى التعلق بالغير، فقال: «وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا» <sup>(٢)</sup>، إذ هي تتعلق به، وهو يسكن إليها، وهذا من معاني الجعل الذي يكون بعد الخلق، وتاليًا له، والله أعلم.

**الشاهد التاسع** <sup>(٣)</sup>: قوله تعالى: «إِنْ تُبَدِّلُو خَيْرًا أَوْ تُخْفِيْهُ أَوْ تَعْفُوْعَنْ سُوءَ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا» (النساء ١٤٩).

مع قوله تعالى: «إِنْ تُبَدِّلُو شَيْئًا أَوْ تُخْفِيْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْمًا» (الأحزاب ٥٤).

اختصت آية الأحزاب بلفظ يفيد العموم **«شَيْئًا»** في حين جاءت آية النساء بلفظ خاص **«خَيْرًا»**، مما السر من اصطفاء كل لفظ في سياقه؟ ذهب بعض أهل العلم إلى أن سبب ذكر **«خَيْرًا»** في النساء؛ لأنها في مقابلة كلمة (السوء) التي تقدمتها في قوله تعالى: «لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهَرُ بِالسُّوءِ» <sup>(٤)</sup> (النساء ١٤٨).

(١) نظم الدرر: ٤٣٠/٥.

(٢) ينظر ملاك التأويل: ٩٧/١، والتحرير والتنوير: ٢١١/٩.

(٣) رسالة الدر الدائر المنتخب: ٢٩.

(٤) ينظر درة التنزيل: ٤٢٦/١، والبرهان في توجيهه متتشابه القرآن: ٩٨/١.

ولعل الأوجه - فيما أحسب - ما أشار إليه "الغرناتي ت ٧٠٨ هـ" من أن مبنى سورة النساء على التواصيل والتراحم، والعفو والتجاوز، والدليل على ذلك أنها سورة تتعلق بأحكام النساء ولم يذكر فيها أحكام الطلاق ولا الظهار ولا اللعان، وما إلى ذلك مما فيه شقاق وفرقة، فناسب ذكر لفظ (خيرا) خاصة دون غيره<sup>(١)</sup>.

وأما عن آية الأحزاب، فكما يقول "الزمخشري ت ٥٣٨ هـ":  
"إنما جاء به على أثر ذلك عاماً لكل باد وخارف ليدخل تحته نكاومنه  
وغيره؛ لأنه على هذه الطريقة أهول وأجزل"<sup>(٢)</sup>.

فكلمة **« شيئاً»** تشمل كل موجود من ذات أو معنى، خيراً أو شرّاً، كبيراً أو صغيراً، عظيماً أو حقيراً، وما إلى ذلك؛ فيقع التحذير بها أحسن موقع، فإنها مما يناسب السياق الوارد فيه، ولذا ختمت الآية بقوله **«فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهَا»** إيغال في معنى العموم والشمول زيادة في التحذير والتهديد، والله أعلم.

**الشاهد العاشر<sup>(٣)</sup>:** قوله تعالى: **«حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ»** (الأعراف ١٠٥).  
مع قوله تعالى: **«فَأَتَيْاهُ فَقُولًا إِنَّا رَسُولًا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْتَكُمْ بِآيَةٍ مِّنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ أَتَيَ الْهُدَى»** (طه ٤٧).

جاءت آية الأعراف تحكي الخطاب الأول بالإفراد من سيدنا موسى عليه السلام لفرعون وقومه، قال يكمل: **«وَقَالَ مُوسَى يَا فَرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ** (١٠٤)

(١) ينظر ملاك التأويل: ١١٣/١.

(٢) الكشاف: ٥٥٦/٣.

(٣) رسالة الدر الدائر المنتخب. ٢٩.

حَقِيقَةً عَلَى أَنْ لَا أُقُولَ عَلَى اللَّهِ إِنَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ»  
(الأعراف ١٠٤، ١٠٥).

وأما آية طه فتحكي الخطاب الثاني بعد مؤازرة سيدنا هارون لسيدنا موسى عليهما السلام في دعوته لفرعون وقومه ، قال يَعَلَّمَكَ : **«فَأَتَيْاهُ فَقُولًا إِنَّا رَسُولًا**  
**رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ»** (طه ٤٧).

يؤكد هذا المعنى "ابن عاشور ت ١٣٩٣ هـ" قائلا :

"والظاهر أيضا أن قول موسى هذا -يعني أرسل معي - هو أول ما خاطب به فرعون كما دلت عليه سورة طه"<sup>(١)</sup>.

وآيات سورة طه واضحة الدلاله على مشاركة هارون موسى -عليهما السلام - في تبليغ الدعوه ، ومؤازره الحق ، وحضور المشهد أكثر من غيرها في أي سورة من سور القرآن ؛ فناسب كل ذلك -فيما أحسب - أن يكون ضمير هارون الله ظاهراً مع ضمير موسى الله ، ويقال (معنا) ، وأما آية الأعراف فجاءت على الأصل ؛ لأن هارون تابع موسى ووزير له ، والله أعلم.

الشاهد الحادي عشر<sup>(٢)</sup> : قوله تعالى : **«قَالُوا أَرْجِهُ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ»** (الأعراف ١١١).

مع قوله تعالى : **«قَالُوا أَرْجِهُ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ»** (الشعراء ٢٦).

(١) التحرير والتنوير : ٣٧/٩.

(٢) رسالة الدر الدائر المتتبّع . ٢٩.

آثار النظم القرآني لفظ (أرسل) في الأعراف، بينما آثر لفظ (ابعث) في الشعراء، وقد سوت بعض المصادر بين اللفظين في المعنى<sup>(١)</sup>، وعليه يكون ما بين الآيتين هو التفنن والتنوع في الكلام ليس إلا.

ولكن حمل الآيتين على ما يفيد معنيين أولى من التأكيد، كما أشار إلى ذلك "أبو حيان ت ٧٤٥ هـ" في البحر المحيط<sup>(٢)</sup>، وذلك لأن الإرسال غير البعث، جاء عن "أبي هلال ت ٣٩٥ هـ":

"الفرق بين البعث والإرسال أنه يجوز أن يبعث الرجل إلى الآخر لحاجة تخصه دونك ودون المعموت إليه كالصبي تبعته إلى المكتب، فتقول بعثته، ولا تقول: أرسلته؛ لأن الإرسال لا يكون إلا برسالة وما يجري مجرها"<sup>(٣)</sup>. إذن الإرسال لا بد أن يكون متضمناً رسالة، أو ما في معنى الرسالة، وأما البعث فلا يشترط فيه ذلك.

وفرق آخر ذكره "الكرماني ت ٥٠٥ هـ": "أن الإرسال يفيد معنى البعث ويتضمن نوعاً من العلو؛ لأنه يكون من فوق"<sup>(٤)</sup>.

فيبان الآن أن الإرسال غير البعث، وإن استعملت إحدى اللفظتين مكان الأخرى، فتبقى لكل لفظة خصوصيتها وسياقها.

وقد آثر النظم القرآني لفظ (أرسل) في الأعراف – فيما أحسب – لأن الحوار هناك كان أكثره بين موسى عليه السلام والملا من قوم فرعون، وليس مع فرعون نفسه، قال تعالى: **«قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمٍ فَرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلَيْهِ»**

(١) ينظر معجم العين: ١١٢/٢، وتهذيب اللغة: ١٢٢/٢، وتجاج العروس: ١٦٩/٥، والتحرير والتنوير: ١٢٤/١٩.

(٢) ينظر البحر المحيط: ٦٨٧/٤.

(٣) الفروق اللغوية: ٢٨٩/١.

(٤) البرهان في توجيه متشابه القرآن: ١٢٧/١.

(الأعراف ١٠٩)، في حين في الشعراء كان الحوار مع فرعون نفسه، قال تعالى: **«قَالَ لِلْمَلِكَ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا سَاحِرٌ عَلَيْهِ»** (الشعراء ٣٤)، وقد احتمم الحوار في سورة الشعراء أكثر منه في سورة الأعراف، فناسب ذكر (الإرسال) الذي يفيد معنى البعث مع العلو والفوقيـة؛ إذ لا يزال فرعون يتمتع ببعض التجـبر والفوقيـة، وقد تولى المـلأ من قومه حجاج موسى العليـل، وأما في الشعراء فقد اهتز عرشه، وقوـت الحجـج والبراهـين عليهـ، فنزلـ من عـليائهـ المـزعـومةـ، فنـاسبـ ذـلكـ ذـكرـ لـفـظـ (ابـعـثـ)ـ الـذـيـ دـلـ عـلـىـ إـعـانـةـ المـلـأـ لـفـرعـونـ بـأـمـرـ إـيـاهـ بـأـنـ بـيـعـثـ،ـ كـمـاـ يـدـلـ عـلـىـ التـهـيـيجـ وـالـقـوـةـ لـيـنـاسـبـ الـحـالـةـ الـتـيـ صـارـ إـلـيـهـ أـمـرـ فـرعـونـ.

ومـاـ أـكـدـ هـذـاـ مـاـ ذـكـرـهـ "الـإـسـكـافـيـ تـ٢٠ـ هـ"ـ :

"الـحـكـاـيـةـ فـيـ الشـعـرـاءـ مـاـ تـوـلـاهـ فـرـعـونـ بـنـفـسـهـ مـنـ مـخـاطـبـةـ قـوـمـهـ بـإـسـقـاطـ الـحـجـابـ بـيـنـهـ وـبـيـنـهـ وـتـسوـيـةـ قـدـرـهـ كـانـ هـذـاـ الـمـوـضـعـ مـخـالـفاـ،ـ فـخـصـ بـالـلـفـظـ الـذـيـ لـيـسـ فـيـ الـأـوـلـ مـنـ الـتـعـظـيمـ،ـ وـهـوـ قـوـلـهـ :ـ اـبـعـثـ<sup>(١)</sup>ـ،ـ وـالـلـهـ أـعـلـمـ.ـ الشـاهـدـ الثـانـيـ عـشـرـ<sup>(٢)</sup>ـ:ـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ :ـ فـلـمـاـ جـاءـ أـمـرـنـاـ جـعـلـنـاـ عـالـيـهـاـ سـافـلـهـاـ وـأـمـطـرـنـاـ عـلـيـهـاـ حـجـارـةـ مـنـ سـجـيلـ مـنـضـوـدـ<sup>(٣)</sup>ـ (هـودـ ٨٢ـ).

مـعـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ :ـ فـجـعـلـنـاـ عـالـيـهـاـ سـافـلـهـاـ وـأـمـطـرـنـاـ عـلـيـهـمـ حـجـارـةـ مـنـ سـجـيلـ<sup>(٤)</sup>ـ (الـحـجـرـ ٧٤ـ).

تـحـكـيـ الـآـيـاتـ الـعـذـابـ الـذـيـ نـزـلـ عـلـىـ قـوـمـ لـوـطـ الـعـلـلــ حـينـ كـذـبـواـ،ـ غـيرـ أـنـ فـيـ آـيـةـ هـودـ جـاءـ ضـمـيرـ الـقـرـيـةـ (وـأـمـطـرـنـاـ عـلـيـهـاـ)،ـ وـفـيـ آـيـةـ الـحـجـرـ جـاءـ ضـمـيرـ الـقـوـمـ

(١) درة التنزيل: ٦٥٥/٢.

(٢) رسالة الدر الدائر المنتخب.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ فما سر اصطفاء كل ضمير في سياقه؟ يوضح "الغرناتي" ت ٧٠٨هـ قائلاً:

"ولما تقدم آية الحجر قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ (الحجر ٥٨)، فذكر قوم لوطن موصوفين بالإجرام الموجب لهلاكهم فروعي هذا المتقدم فقيل: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾، ونظير هذا قوله تعالى في سورة الذاريات ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ (٣٢) لِتُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ طِينٍ﴾ (٣٣ - ٣٢)، وأما آية هود فلم يتقدم فيها مثل هذا، فاكتفى بضمير القرية فقيل: وأمطربنا عليها".<sup>(١)</sup>

وأمر آخر ذكره "الباعي" ت ٨٨٥هـ هو أن الزجر في الحجر أعظم من الزجر في هود؛ وذلك لفطر عنادهم وطلبهم أن يأتي بالملائكة، فكان ذكر ضميرهم لا ضمير المدن أصرح في وقوع العذاب عليهم لا على مدنهم<sup>(٢)</sup>، والله أعلم.

الشاهد الثالث عشر<sup>(٣)</sup>: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا يَهُوَ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الحجر ١١).

مع قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا يَهُوَ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الزخرف ٧). جاءت الآياتان في سياق تسلية الرسول ﷺ بما كان من أمر الرسل من قبله، وتکذیب أنهم بهم صلوات ربی وتسليماته عليهم أجمعین، وقد آثر النظم القرآنی لفظ (رسول) في الحجر، ولفظ (نبي) في الزخرف.

(١) ملاك التأویل: ٢٦٢/٢.

(٢) ينظر نظم الدرر: ٧٧/١١.

(٣) رسالة الدر الدائر المنتخب.

والرسول هو: من أرسل برسالة ليبلغها عن الله عز وجل، يقال:  
 "وأرسلت رسولاً بعثته برسالة يؤديها"<sup>(١)</sup>.  
 وأما النبي فهو مشتق من "النَّبِيُّ" وهو الخبر العظيم؛ لأنَّه ينبي عن الله عَزَّوجَلَّ،  
 أو مشتق من "النَّبُوَّةُ" أي العلو والارتفاع؛ لعلو منزلته، وارتفاع قدره<sup>(٢)</sup>.  
 والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب، وإنما أمر أن يدعوا إلى كتاب  
 من قبله<sup>(٣)</sup>.

وقد قالوا: "إن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً"<sup>(٤)</sup>.  
 في سياق سورة الزخرف ذكر لفظ (نبي)، فظاهر المناسبة لذلك، قال  
 تعالى: «وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ (٦) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا يَهُوَ يَسْتَهْرِئُونَ» (الزخرف ٦ - ٧).

فناسب ذلك ذكر النبي مشاكلاً بين الألفاظ، وأمر آخر أشار إليه  
 الغرناطي ت ٧٠٨ هـ هو أن ذكر (كم) الخبرية التي تدل على التكثير يناسبها  
 لفظ (نبي) الدال على الكثرة<sup>(٥)</sup>.

وذلك لأن عدد الأنبياء أكثر من عدد الرسل، كما جاء في الحديث  
 الشريف<sup>(٦)</sup>، وذلك أوقع في تسلية المصطفى ﷺ.

(١) المصباح المنير: ٢٢٦/١.

(٢) ينظر لسان العرب: ١٦٢/١.

(٣) معاني القرآن للزجاج: ٤٣٤/٣.

(٤) السابق نفسه.

(٥) ينظر ملائق التاويل: ٢٨٩/٢.

(٦) جاء في كتاب المستدرك على الصحيحين: ٦٥٢/٢ "فقلت: يا رسول الله كم  
 النبيون؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي قلت: كم المرسلون منهم؟ قال:  
 ثلاثة وثلاثة عشر".

وأما في سورة الحجر فلم يسبق ما يدل على الكثرة، فجاء لفظ (رسول)؛ كما أنه ذكر—قبله—قولهم فيما حكاه القرآن: **«وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ»** (الحجر ٦)؛ فهو إشارة إلى الكتاب المنزلي عليه، وهو من خصائص الرسل وليس الأنبياء، والله أعلم.

**الشاهد الرابع عشر<sup>(١)</sup>** : قوله تعالى: **«كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ»** (الشعراء ٢٠٠).

مع قوله تعالى: **«كَذَلِكَ نَسْلَكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ»** (الحجر ١٢). جاء التعبير في آية الشعرا بتصيغة الماضي **«سَلَكْنَاهُ»**، وأما في آية الحجر فجاء بتصيغة المضارع **«نَسْلُكُهُ»**، وكما هو معلوم أن ليس التعبير بأحد هما مثل التعبير بالآخر؛ فإن دلالة الماضي تحقق وثبتت، ودلالة المضارع تجدد وحدوث واستمرار<sup>(٢)</sup>.

وعليه فلكل آية معناها، وسياقها الملائم لها، وهذا خلاف ما ذهب إليه ابن عاشور ت ١٣٩٣ هـ " قائلاً:

"المعنى في الآيتين واحد، والمقصود منهما واحد، فوجه اختيار المضارع في آية الحجر أنه دال على التجدد لئلا يتوهم أن المقصود إبلاغ مضى، وهو الذي أبلغ لشيع الأولين؛ لتقدم ذكرهم، فيتوهم أنهم المراد بال مجرمين مع أن المراد كفار قريش، وأما هذه الآية—يعني آية الشعرا—فلم يتقدم فيها ذكر لغير كفار قريش فناسبها حكاية وقوع هذا الإبلاغ منذ زمن مضى، وهم مستمرون على عدم الإيمان"<sup>(٣)</sup>.

(١) رسالة الدر الدائر المتتبخ ٢٩.

(٢) ينظر بغية الإيضاح: ١٢١ / ١٢٢.

(٣) التحرير والتنوير: ١٩٤ / ١٩.

لكن الناظر في سياق الآيتين يجد أن دلالة الماضي في "الشعراء" تتناسب مع ما تقدم من ذكر الأمم السابقة، قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وغيرهم من الأمم المكذبة، وأنه تكذيب جاء في زبر الأولين، وهؤلاء أقوام قد مضت أزمانهم، وانقضت أحوالهم، ووقع منهم ما حكاه القرآن عنهم، وهو دأب المجرمين المكذبين في كل زمان، فووقيعت العبارة عنه بصيغة الماضي، وأما في آية الحجر فلم يتقدم ذكر لغير قريش، فناسب ذلك ذكر صيغة المضارع التي تشعر باستمرار حالهم، وموافاتهم على الوصف الذي هم عليه<sup>(١)</sup>، والله أعلم.

الشاهد الخامس عشر<sup>(٢)</sup>: قوله تعالى «قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا  
أَتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقْرًا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ  
رَبِّي لَيَبْلُوْنِي أَلَا شَكَرْ أَمْ أَكْفُرْ وَمَنْ شَكَرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي  
غَنِيًّا كَرِيمٌ» (النمل: ٤٠).

مع قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرْ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ» (لُقْمَانَ) (١٢).

جاءت آية النمل بصيغة الماضي (شكراً) التي تفيد التحقق والوقوع، وجاءت آية لقمان بصيغة المضارع (يشكر) التي تفيد معنى التجدد والحدث ولعل السر في مجيء الماضي في آية النمل؛ لأن السياق في الحديث عن سيدنا سليمان عليه السلام يتحدث عن نعمة الله عليه في تحصيل مراده في أقل من

(١) نظر ملاك التاويا، ٢٨٩/٢، ٢٩٠.

(٢) رسالة الدر الدائر المنتخـٰ . ٣٣

طرفة عين، فكان المناسب أن يكون الشكر بما وقع وتحقق، أو حتى لنفسه على الإسراع إليه وتحققه وثبوته، يؤكّد هذا "البقاعي ت ٨٨٥هـ":  
"ثم زاد من حث نفسه على الشكر بقوله ﴿وَمَنْ شَكَرَ﴾ أو أوقع الشكر لربه، فإنما يشكر لنفسه، فإن نفعه لها"<sup>(١)</sup>.

وأما في لقمان فإن السياق في الحديث عن إيتاء لقمان الحكم والأمر له من الله يجيئ بالشّكر على ذلك: "فإن قوله أن اشكر هي أن المفسرة؛ لأن الإيتاء فيه معنى القول أي قلنا له اشكّر"<sup>(٢)</sup>.

وتلك الحكمة نعمة تتجدد بتجدد المواقف والداعي، وهذا يتضمن تجدد الشّكر وحدوده فناسب ذلك التعبير بالمضارع، والله أعلم.

الشاهد السادس عشر<sup>(٣)</sup>: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَظْنُنُ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ (الكهف ٣٦).

مع قوله تعالى: "وَلَئِنْ أَذْقَنَا رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسَّتُهُ لَيَقُولُنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظْنُنُ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لَيِ عنْدَهُ لَحْسُنِي فَلَنَبْشِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُنَذِّقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ" (فصلت ٥٠).

آية الكهف آثرت مادة (رد)، في حين آثرت آية فصلت مادة (رجع)، وقد ذهب "ابن عاشور ت ١٣٩٣هـ" إلى أن ما بين الآيتين من باب التفنن والتراّدف<sup>(٤)</sup>.

(١) نظم الدرر: ١٤/١٦٦.

(٢) إعراب القرآن وبيانه: ٧/٥٣٣.

(٣) رسالة الدر الدائر المنتخب: ٣٠.

(٤) ينظر التحرير والتنوير: ١/٦٨.

غير أن معنى (رد) تفيد الإرجاع والإعادة على سبيل القهر والحمل على الشيء حملاً، وهذا واضح من التضعيف في الكلمة الذي يدل على القوة والشدة في الفعل، بخلاف (رجع) التي تفيد معنى العود إلى ما كان عليه من قبل دون قهر أو حمل.

في سورة الكهف بيان حال الكافر المضروب به المثل في بعده عن حال الإيمان؛ وذلك لأنّه وصف جنتيه اللتين حوتا له كل مراده، وظنّ أنّهما يدومان له، ولا يبستان أبداً، وهذا الاعتقاد الفاسد يتضمن كراهيّة الرد عن هذا النعيم؛ لأنّه خلاف ما يشتهي ويحبّ، فجيء بلفظ (رددت) لتصوير فعل كراهيّة الرد، والإكراه عليه بلفظه الأشكال به، وهذا خلاف ما جاء في سياق فصلت التي سبقها «لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ»، فهذا حديث عام عن الإنسان أي إنسان يشمل المؤمن وغير المؤمن؛ كما أنه لم يتقدّم من ذكر النعيم كما في الكهف ما يحمل على معنى الكراهيّة، والإكراه على الرجوع<sup>(١)</sup>، والله أعلم.

**الشاهد السابع عشر<sup>(٢)</sup>:** قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ (طه ٧٠).

مع قوله تعالى: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهتَدُونَ» (الزخرف ٤٠).

(١) ينظر درة التنزيل: ٨٧٤، ٨٧٥، والبرهان في توجيه متشابه القرآن: ١٦٩، وملالك التأویل: ٣١٨/٢.

(٢) رسالة الدر الدائر المنتخـ .٣٠

في سياق الحديث عن نعمة الله تبارك وتعالى بما هيأ لعباده من تدليل الأرض وبسطها وتيسير السعي فيها، آثر النظم القرآني في آية طه التعبير بكلمة **«وَسَلَكَ»** وفي آية الزخرف بكلمة **«وَجَعَلَ»**.

والسلوك هو: "النفاذ في الطريق"<sup>(١)</sup>، والجعل معناه: التصريح والتهيئة، ولكن السلوك يزيد في المعنى على هذا إذ (سلك): "منبهة عما يعطيه الكلمة جعل في زيادة الوضوح، وكمال التهيئة من قوله: منهج سالك أي واضح"<sup>(٢)</sup>.

وسراصطفاء كل لفظ في سياقه، كما يقول "الكرمانى ت ٥٠٥ هـ":  
"لأن لفظ السلوك مع السبيل أكثر استعمالاً به فخاص به طه، وخاص الزخرف يجعل ازدواجاً للكلام، وموافقة لما قبلها وما بعدها"<sup>(٣)</sup>.

وتوضيح ذلك أن سورة طه جاءت على الأصل في الاستعمال، وليس في السورة ما يدعو إلى مخالفة الأصل، وأما في سورة الزخرف فلعلة ازدواج الكلام جيء بـ (جعل)، والازدواج هو أن "يؤتى فيه بكلمتين صورتهما واحدة، ومفهومهما واحد"<sup>(٤)</sup>.

وقد سبقها قوله تعالى: **«إِنَّا جَعَلْنَا قُرْآنًا عَرَبِيًّا»**، وقوله تعالى: **«الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا»** وجاء بعدها قوله تعالى: **«وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكَ**  
فجاءت **«وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا»** مراعاة لازدواج الكلام، ومناسبة بعضه بعضاً.

(١) الترقيف على مهامات التعريف: ١٩٧/١.

(٢) ملاك التأويل: ٣٤٠/٢.

(٣) البرهان في توجيهه متشابه القرآن: ١٧٥/١.

(٤) تحرير التحبير: ٤٥٣.

وشيء آخر ذكره "الغرناتي ت ٧٠٨ هـ" هو أن (سلك) توافق سياق التلطف بالدعاء إلى الله تعالى على ما تقدم من أمره تعالى لموسى وهارون عليهم السلام في قوله تعالى: **«فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّيَنَا»** فكان مبني الكلام على هذا التلطف فناسبه (سلك) التي تدل على كمال التهيئة والوضوح أكثر مما تدل عليه (جعل)، وأما آية الزخرف فمبنية على توبیخ الكفار والمعاندين فناسب أن يأتي بـ (جعل)<sup>(١)</sup>، والله أعلم.

**الشاهد الثامن عشر<sup>(٢)</sup>:** قوله تعالى: **«وَأَرَادُوا يَهُ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ»** (*الأنبياء* ٧٠).

مع قوله تعالى: **«فَأَرَادُوا يَهُ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ»** (*الصافات* ٩٨). جاءت الآياتان تحكيان قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع قومه، وما كان منهم، وفي موضع وصفهم بـ **«الْأَخْسَرِينَ»**، وفي آخر بـ **«الْأَسْفَلِينَ»** فما الفرق بين الوصفين؟ وما سر إثارة كل وصف في موضعه؟ **«الْأَخْسَرِينَ»** واحدتهم (**الأَخْسَر**) كما قال الأخفش مثل **الأَكْبَر**<sup>(٣)</sup>، والأَخْسَر والخاسر هو الذي لا يحصل من وراء سعيه على طائل، كمن يخسر في تجارتة، ولا يربح؛ فالخاسر ضد الرابع، وأما **«الْأَسْفَلِينَ»**، فهو أحادته الأسفل وهو الأكثر انحطاطاً، وانخفاضاً وذلة، وضده **الْأَعْلَى**.

إذن فوصف الخسران ليبيان مآل سعيهم، ووصف التسفل أو السفول ليبيان مآل ذاتهم.

(١) ينظر ملاك التأويل: ٣٤٠ / ٢.

(٢) رسالة الدر الدائر المنتخب: ٣٠.

(٣) لسان العرب: ٤ / ٢٣٩ ، والصحاح ٦٤٥ / ٢.

وأما عن مناسبة كل وصف لسياقه، فإن علماء متشابه النظم القرآني ذكروا أن في سورة الأنبياء ذكر ما كان من مكايضة بين إبراهيم عليه السلام من جهة فيما حكاها القرآن: **﴿وَتَالَّهُ لَأَكِيدَنَ أَصْنَامَكُمْ﴾**، ومكايضة قومه من جهة أخرى فيما حكاها القرآن: **﴿وَأَرَادُوا يَهُ كَيْدًا﴾**، فقادهم ولم يكيدوه، وغلبهم ولم يغلبوا؛ لأنَّه كسر أصنامهم، ولم يبلغوا مرادهم عند إرادة إحراقه فخسروا في سعيهم؛ فناسب أن يكون الوصف الأحسين.

وأما في سورة الصافات فقد ذكر الله تعالى قوله حكاية عنهم: **﴿إِنَّوْا لَهُ بُنْيَانًا فَالْقُوَّةُ فِي الْجَحِيمِ﴾**، فبنوا بناءً عالياً ورفعوه ليرموا به؛ إرادة منهم أن يعلو أمرهم ويرتفع شأنهم فقوبلوا بالضد من ذلك فكانوا هم الأسفلين<sup>(١)</sup>، والله أعلم.

**الشاهد التاسع عشر<sup>(٢)</sup>**: قوله تعالى: **﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتُوْهُ دَاخِرِينَ﴾** (النمل ٨٧). مع قوله تعالى: **﴿وَتُنْفَخَ فِي الصُّورِ فَصَاعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ تُفْخَى فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾** (ال Zimmerman ٦٨). جاءت الآيات في سياق بيان حال المخلوقات ساعة النفخ في الصور، فأخبر النظم في آية النمل (بالفزع)، وفي آية الزمر (بالصاعق).

والفزع: هو الذعر والخوف والفرق، والصاعق: هو الهلاك والموت، وقد اختلف أهل العلم في عدد نفخات الصور، هل هي ثلاثة نفخات أو نفختان؟

(١) ينظر درة التنزيل: ٩٠٥/٢، والبرهان في توجيهه متشابه القرآن: ١٧٨/١، وملاك التاویل: ٣٤٩/٢، ٣٥٠.

(٢) رسالة الدر الدائر المنتخب. ٣٠.

ذهب "أبو حيان ت ٧٤٥ هـ" إلى أنها ثلاث نفحات: نفحة الفزع، ونفحة الصعق، ونفحة القيام من القبور<sup>(١)</sup>.

وذكر هذا أيضاً القرطبي ت ٦٧١ هـ غير أنه رجح أنهمما نفختان لا ثلاث، وأن نفحة الفزع، إنما تكون راجعة إلى نفحة الصعق؛ لأن الأمرين لازمان لهما، أي: فزعوا فرعاً ماتوا منه، والدليل على أن نفحة الفزع ونفحة الصعق واحدة، أنه استثنى هنا كما استثنى في نفحة الفزع فدل على أنهما واحدة<sup>(٢)</sup>.

يقصد الاستثناء في قوله تعالى: **﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾** والذي يؤكد ما رجحه القرطبي قوله تعالى: **﴿ثُمَّ نُفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قَيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾**، فذكر في سورة الزمر النفتين جميعاً، واقتصر في النمل على نفحة واحدة؛ لاختلاف ما بين السياقين، واختصت النمل بالفزع موافقة لقوله تعالى: **﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾**، واختصت الزمر بقوله **﴿فَصَاعِقَ﴾** موافقة لقوله تعالى **﴿وَلَا هُمْ مَيِّتُونَ﴾**<sup>(٣)</sup> ففي الزمر تصوير للموت والفناء، وهو ما يناسب الصعق بمعنى الهاك والموت، وفي النمل بيان لحال الناس في الذعر والخوف، وهو ما يناسب ذكر الفزع، والله أعلم.

الشاهد العشرون<sup>(٤)</sup>: قوله تعالى: **﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾** (المدثر ٤٥).

مع قوله تعالى: **﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾** (عبس ١١).

(١) ينظر البحر المحيط: ٢٧١/٨.

(٢) ينظر تفسير القرطبي: ١٣/٤٠.

(٣) ينظر البرهان في توجيه متشابه القرآن: ١٩٣/١، والتحرير والتنوير: ٦٥/٢٤.

(٤) رسالة الدر الدائر المتتبخ: ٢٩.

جاء الضمير مرة بالذكر في آية المدثر (إنه)، ومرة بالتأنيث في آية عبس (إنها)، وهذا الاختلاف سببه اختلاف العائد عليه، فالذكر المقصود منه الذكر أو القرآن الكريم، والتأنيث المقصود منها التذكرة أو الموعظة أو آيات القرآن الكريم.

ففي سورة المدثر يقول ربنا ﷺ: **﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾** (٤٥) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (المدثر ٤٥)، وفي سورة عبس يقول ربنا **﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾** (عبس ١٢، ١١)، فجاء الضمير مرة بالتأنيث (إنها) ثم عاد بالذكر (ذكره)، والتأنيث يرجع إما إلى المعاتبة في أول السورة؛ لكونها عظة وعبرة، وإما إلى جملة آيات القرآن الكريم، وأما التذكير في قوله (ذكره) فحملها على جملة القرآن الكريم، أو أن المراد من الموعظة والتذكرة الوعظ والذكر<sup>(١)</sup>.  
 يقول "الغرنطي ت ٧٠٨ هـ":

"إن هذا مما لا إشكال فيه لأن المذكور به عظة أو موعظة، وهذا أيضاً وعظ وتنبيه، فتارة تراعي العرب في مثل هذا جهة التذكير، وتارة تراعي جهة التأنيث فتحمل الضمير على ما تقدره من تأنيث وتذكير، وهذا كثير"<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك قول الشاعر: (من البسيط).

يا أيها الراكبُ المزجي مطئته سائلٌ بني أسدٍ ما هذه الصوتُ؟  
 فقال: هذه؛ لأن الصوت في معنى الصيحة<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر الكشاف: ٤/٧٠٢.

(٢) ملاك التأويل: ٢/٤٩٣.

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢/٦٣٦، ٦٣٧.

"وحكى الأصمسي عن أبي عمرو أنه سمع رجلاً من أهل اليمن يقول: فلان لغوب؛ جاءته كتابي فاحتقرها. فقلت له: أتقول كتابي؟! فقال: نعم، أليس بصحيفة؟ قلت: فما اللغوب؟ قال: الأحمق"<sup>(١)</sup>.

ولما كان التأنيث في عبس دون المدثر — فيما أحسب — لوقعها في سياق المعاتبة في أول السورة، التي يرجح أن يكون مرجع الضمير إليها، والله أعلم.

**الشاهد الحادي والعشرون<sup>(٢)</sup>** : قوله تعالى: **﴿فُلّْ تَعَالَوْا أَثْلُّ مَا حَرَّمَ رِبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا شَرِّكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالَّوَالَّذِينَ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَاعِدُكُمْ بِهِ لَعْلَكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** (الأعراف ١٥١).

مع قوله تعالى: **﴿وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ حِطْأً كَبِيرًا﴾** (الإسراء ٣١).

آية الأنعام في سياق الحديث عن فقر واقع **«من إملاق»**، وأما آية الإسراء ففي سياق الحديث عن فقر متوقع **«خشية إملاق»**.

فالأولى في خطاب الفقراء، والثانية خطاب للأغنياء<sup>(٣)</sup> ، ولما كان الأمر كذلك قدم في مخاطبة الفقراء ضميرهم فقال تعالى: **﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾** ، وفي حين خاطب الأغنياء قدم ضمير الأولاد فقال تعالى: **﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾**.

(١) الخصائص: ٤١٨/٢.

(٢) رسالة الدر الدائر المنتخب ٢٩.

(٣) ينظر نظم الدرر: ٣١٧/٧ ، وبغية الإيضاح: ١٧٩/١.



في سورة الإسراء سبق قوله تعالى: «إِنَّ رَبَّكَ يَمْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِيرُ» (الإسراء ٣٠)، فهذا حديث عن بسط الرزق والwsعة فيه، وبيان أن الله تعالى هو المتكفل بأرزاق العباد، وكذا في السياق نفسه حديث عن التبذير والمبذرين، وكل ذلك دليل على كثرة النعمة واليسير في العيش، فناسب ذلك النهي عن قتل الأولاد خشية الفقر لا من الفقر، وقد أشار أبو حيان ت ٧٤٥ هـ إلى شيء من هذا المعنى<sup>(١)</sup>.

وأما في آية الأنعام فلم يتقدمها ما يلوح ويشير إلى وفرة المال والنعمة كما في الإسراء، بل قبلها حديث عن حرمان بعض النعم بسبب الكفر والتذبذب، من مثل قوله تعالى: «وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمَنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَائِيَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظِيمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِيَغْيِيهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ» (الأنعام ١٤٦)، وقوله تعالى: «كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا» (الأنعام ١٤٨).

فقد جاءت في سياق حرمان النعمة بالكفر والتذبذب، فناسب ذلك أن يكون الخطاب مع الفقر الواقع، وليس المتوقع، والله أعلم.

\* \* \*

---

(١) ينظر البحر المحيط: ٤٣/٧.

## المبحث الثاني

### شواهد متشابه النظم بين الزوائد والنواقص

#### وفيه مطلبان

المطلب الأول : شواهد متشابه النظم بين زوائد الحروف ونواقصها.

المطلب الثاني : شواهد متشابه النظم بين الزوائد والنواقص من غير الحروف.

#### المطلب الأول : شواهد متشابه النظم بين زوائد الحروف ونواقصها<sup>(١)</sup>

بداية يجب التنبيه على أن المقصود من الزوائد والنواقص الزائد بموازنته بما يقابلها ويشابهها، والنواقص كذلك بموازنته بما يقابلها ويشابهها، وإلا فلا يوجد أبطة في القرآن الكريم حرف زائد في موضعه، ولا حرف ناقص عن مكانه.

وبعد، يهتم هذا المطلب بدراسة شواهد متشابه النظم بين الآيات التي تشابهت في أصول معانيها، وذكر الحرف فيها في موضع، وحذف في موضع آخر، وبيان الفرق بين ذكر الحرف وعدمه، وسر الاصطفاء في كلِّ ، ذكرأً أو حذفاً ، وعلاقة كل ذلك بالسياق الوارد فيه، وقد بلغ عدد الشواهد في هذا المطلب خمسة عشر شاهداً ، بيانها على التفصيل الآتي :

الشاهد الأول<sup>(٢)</sup> : قوله تعالى: «وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأُثْوِرُ سُورَةً مِّنْ مِثْلِهِ وَأَذْعُو شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» (البقرة ٢٣).

(١) أوردت هذين المصطلحين لورودهما هكذا في رسالة الزمخشري محل الدراسة ، ولم أغيرهما كراهية التشدد في الخلاف. رسالة الدر الدائر المنتخب : ٣١.

(٢) السابق نفسه.

مع قوله تعالى: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَثْوَا بِسُورَةٍ مِثْلَهِ وَادْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُثُّمْ صَادِقِينَ» (يونس ٣٨).

جاءت الآيات في سياق الحديث عن التحدي بآيات القرآن الكريم، وإظهار عجز المتحدين؛ استدلاً على صدق الرسالة، وأن القرآن منزلي عند الله عَزَّلَهُ، ولا يستطيعه مخلوق.

وقد ورد التحدي في آيات متعددة في مواطن مختلفة في القرآن الكريم، لكل موطن معناه الذي يخصه، ويتميز به حسب درجة التحدي، والترقي فيه. يقول "الباقاعي ت ٨٨٥ هـ": "فالمتحدى به في كل سورة غير المتحدى به في الأخرى" <sup>(١)</sup>.

ووجود حرف (من) في آية البقرة دون آية يونس دليل واضح على أن المعنى هنا غير المعنى هناك.

و(من) يتحمل أن تكون للتبسيط، ويكون التحدي ببعض مما في القرآن في أي موضع من مواضعه من أوله إلى آخره. وتحتمل أن تكون لابتداء الغاية، ويكون التحدي بأن يأتوا بسورة واحدة مما تقارب أن تكون مثل القرآن، فضلاً على أن تكون مثله، وهو أبلغ في التعجيز والتحدي.

وهذا المعنى أكدته "الباقاعي ت ٨٨٥ هـ": "من مثله أي من الكلام الذي يمكنكم أن تدعوا أنه مثل ما أنزلنا" <sup>(٢)</sup>.

(١) نظم الدرر: ٩/٤٩.

(٢) نظم الدرر: ١/١٦٣.

وأما في سورة يونس بغير (من) فالتحدي واقع بأن يأتوا بسورة مثل سور القرآن، فذكر (من) في البقرة أظهر لعجزهم وأشد تبكيتاً لهم.

وذلك لأن مبني النظم في سورة البقرة على نفي الشك في المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم، والترقي في أعلى مراتب التحدي، وأما في سورة يونس فالمقصود إلى نفي المماثلة بين القرآن الكريم، وغيره من أي كلام<sup>(١)</sup>، والله أعلم.

الشاهد الثاني<sup>(٢)</sup> : قوله تعالى: «قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْيٌ هُدَىٰ فَمَنْ تَبَعَ هُدَىٰيَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْزُنُونَ» (البقرة: ٣٨). مع قوله تعالى: «قَالَ اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِيَعْصِيَ عَدُوًّا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْيٌ هُدَىٰ فَمَنْ تَبَعَ هُدَىٰيَ فَلَا يَضُلُّ وَلَا يَشْقَى» (طه: ١٢٣).

ما جاء في آية البقرة على وزن فعل هو الأصل، وما جاء في آية طه على وزن افتعل هو فرع عنه مزيد بالتضعيف، فمعنى (اتبع) الاتباع مع كلفة ومشقة وتعمل.

وقد عدها بعضهم بمعنى واحد، يقول "الأصفهاني ت ٥٠ هـ": "تابع يقال: تبعه واتبعه قفا أثره، وجعل منه قوله تعالى: فمن تبع، فمن اتبع"<sup>(٣)</sup>. وكذا جاء في "الكتاب": "وقالوا: قرأت واقتربت يريدون شيئاً واحداً، كما قالوا: علاه واستعلاه"<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر البرهان في توجيهه متشابه القرآن: ٦٩/١، وملاك التأويل: ٢٧/١.

(٢) رسالة الدر الدائر المتتبخ: ٣١.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ١٦٢/١.

(٤) الكتاب: ٧٤/٤.

وهذا وإن جاز في اللغة بوجه عام، لا يجوز القول به في القرآن الكريم؛ إذ تغاير النظم فيه بأي تغاير يوجب اختلاف المعنى، يقول "فقيه العربية ابن جنيت ٣٩٢ هـ": "إِذَا كَانَتِ الْأَلْفَاظُ أَدْلَةً لِمَعْنَىٰ ثُمَّ زَيَّدَ فِيهَا شَيْءًا أُوجِبَتِ الْقِسْمَةُ لِزِيادةِ الْمَعْنَىِ بِهِ" <sup>(١)</sup>.

وعلى هذا، فإن في **﴿اتَّبَعَ﴾** في طه زيادة في معنى الاتباع بالتحمل والمشقة، وليس ذلك في **﴿تَبَعَ﴾** في البقرة.

جاءت آية البقرة على الأصل؛ لأنها مقدمة، وجاءت آية طه على الفرع لأنها مؤخرة عن البقرة، فقدم الأصل على الفرع كما هو الترتيب، ثم إن في سياق البقرة زيادة تكريم لآدم الله عليه السلام، ولم يرد فيها مما كان من إبليس غير قوله تعالى: **﴿فَأَرَكْلُهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾** من غير تعرض لكيفية، فناسبه **﴿تَبَعَ﴾**، وأما في طه فقد ذكر الكيفية في إغواهه **﴿هَلْ أَدْلُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخَلْدِ وَمَلُوكِ الْيَلِّ﴾**، فأفهمت الآية قوة الكيد واستحكام الإغواء؛ فصار تميز الحق من الباطل لا يحصل إلا بمعالجة وتعمل ومشقة، فناسبه **﴿اتَّبَعَ﴾**<sup>(٢)</sup>، والله أعلم.

الشاهد الثالث<sup>(٣)</sup>: قوله تعالى: **﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذِلِّكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾** (البقرة ٤٩).

مع قوله تعالى: **﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذِلِّكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾** (الأعراف ١٤١).

(١) الخصائص: ٣/٢٧١.

(٢) ينظر ملاك التأويل: ١/٣٠.

(٣) رسالة الدر الدائر المنتخب.

استعمل النظم القرآني (نجي) بالتضعيف في آية البقرة، وبالهمزة غير مضعف في آية الأعراف.

وقد قالوا: التضعيف يدل على تكرار النجاة،<sup>(١)</sup> وبالمهمزة يدل على الفعل مرة واحدة مع الإسراع فيه.

يقول د. فاضل السامرائي: "والملحوظ أن القرآن الكريم كثيراً ما يستعمل نجى للتثبت والتمهل في التجنيد، ويستعمل أنجى للإسراع فيها، فإن أنجى أسرع من نجى في التخلص من الشدة والكرب".<sup>(٢)</sup>

وأما عن سر اصطفاء كل لفظ في موطنه، فذكر "الغرناتي ت ٤٢٠ هـ": "أن الوارد في سورة البقرة مقصود به تعداد وجوه الإنعام علىبني إسرائيل وتواتي الامتنان ليبين شنيع مرتكبهم في مقابلة الإنعام بالكفر... فلما كان موضع تعداد النعم والألاء ذكروا بها؛ ليزدجروا عن المخالفه والعناد ناسبه التضعيف لإثباته الكثرة... وأيضا التضعيف في **﴿نجيناكُم﴾** يناسب التضعيف الوارد بعده في قوله **﴿يُذَبِّحُونَ﴾**".<sup>(٣)</sup>

وكذلك لما كان في سورة البقرة **﴿يُذَبِّحُونَ﴾** بدل **﴿يُقْتَلُونَ﴾** التي في الأعراف، كان الامتنان في البقرة أشد وأعظم؛ لأن التذبيح يشمل القتل وزيادة، إذ هو قتل على هيئة مخصوصة تبشعياً وشناعة، فناسب ذكر **﴿نجيناكُم﴾** ليدل على مدى الامتنان والإنعم، والله أعلم.

(١) ينظر نظم الدرر: ٣٥٤/١.

(٢) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: ٦٦.

(٣) ملاك التأويل: ٣٣/١.

الشاهد الرابع<sup>(١)</sup> : قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَجْئِيَّا كُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُوْمُونَكُمْ سُوْءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (البقرة ٤٩).

مع قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُوْمُونَكُمْ سُوْءَ الْعَذَابِ وَيُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (إبراهيم ٦).

يبين "الزمخشري" في "كتابه" الفرق بين العطف وتركه قائلاً: "الفرق أن التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيراً للعذاب وبياناً له، وحيث أثبتت جعل التذبيح لأنه أوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كأنه جنس آخر"<sup>(٢)</sup>.

وعليه فقوله تعالى: ﴿يَسُوْمُونَكُمْ سُوْءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ (البقرة ٤٩) بغير الواو بيان وتفسير لسوء العذاب، وليس سوء العذاب شيء والتذبيح شيء آخر، بل هو توضيح وبيان له.

وأما بالواو في قوله تعالى: ﴿يَسُوْمُونَكُمْ سُوْءَ الْعَذَابِ وَيُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ (إبراهيم ٦) التذبيح شيء وسوء العذاب شيء آخر غيره، منه مثلاً الاسترقاق والتعبيد والإذلال.

وإنما ناسب حذف الواو في آية البقرة؛ لأنه إخبار من الله تعالى، فلم يرد تعداد المحن عليهم، وأما في إبراهيم فهو إخبار من موسى عليه السلام؛ امثلاً لأمر

(١) رسالة الدر الدائر المنتخب ٣١.

(٢) الكشاف: ٥٤٠ / ٢.

الله تعالى له **«وَذَكِّرُهُمْ بِيَوْمِ اللَّهِ»** (إبراهيم<sup>٥</sup>)؛ فناسب ذكر الواو لتعداد المحن ليبين لهم مدى إنعام الله تعالى عليهم.<sup>(١)</sup> والله أعلم.

الشاهد الخامس<sup>(٢)</sup> : قوله تعالى : **«وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَعْفُرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ»** (البقرة<sup>٥٨</sup>).

مع قوله تعالى : **«وَإِذْ قيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَعْفُرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ»** (الأعراف<sup>٦١</sup>).

جاءت آية البقرة بـ(الواو) ، وآية الأعراف بدونها ، وذكر الواو فيه تعداد للنعم وكثرة الآلاء ، وهو المناسب لما جاء في البقرة ، وحذف الواو بعكس ذلك فسياق سورة الأعراف في إسراعهم إلى الكفر والجحود بعد الإنعام والإكرام.

ولما تغير السياق في السورتين تغاير الوعد بذكر الواو وحذفها ، ليكون الوعد مع إثبات الواو يفيد أن الزيادة غير الغفران نصا ، وأما سورة الأعراف فكان الوعد بالزيادة مفهوماً من الاستئناف البياني ؛ ولذا يقول "الزمخشري ٥٣٨هـ" : "وقوله نعفر لكم خطائكم سنتزيد المحسنين ، موعد بشيئين ، بالغفران وبالزيادة ، وطرح الواو لا يخل بذلك ؛ لأنه استئناف مرتب على

(١) ينظر البرهان في توجيه متشابه القرآن : ٧٢/١.

(٢) رسالة الدر الدائر المتنيب ٣١.

تقدير قول القائل : وماذا بعد الغفران ، فقيل : له ستر المحسنين<sup>(١)</sup> . وهو توجيه "البقاعي" أيضاً.<sup>(٢)</sup>

على أنه من باب شبه كمال الاتصال ، ولكن في هذا فرقاً أيضاً بين المعنيين ؛ فليس النص على تغاير الوعدين ، كالذى يفهم منه ذلك ، فدل على أن النعمة بالزيادة في سورة البقرة أكد وأعظم منها في سورة الأعراف.

وهذا مفهوم ما ذكره "الغرناتي" ت ٧٠٨ هـ من أن سياق البقرة تذكر بالنعم والآلاء ، فناسب ذلك عطف قضية الزيادة بالواو ليجري على ما تقدم من تعداد ضروب الإنعام ، أما في الأعراف فلم يرد قبلها مثل ما ورد في البقرة<sup>(٣)</sup> . (الله أعلم).

الشاهد السادس<sup>(٤)</sup> : قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَخْذَنَا مِيشَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ وَيَأْلُو الَّذِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَةَ ثُمَّ تَوَلَّتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُغْرِضُونَ ﴾ (البقرة ٨٣) .

مع قوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَأْلُو الَّذِينَ إِحْسَانًا وَيَلِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنَبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (النساء ٣٦) .

(١) الكشاف : ١٧٠ / ٢ .

(٢) ينظر نظم الدرر : ١٣٦ / ٨ .

(٣) ينظر ملاك التأويل : ٣٨ / ١ .

(٤) رسالة الدر الدائر المنتخب .

جاء العطف في آية البقرة بغير ذكر الباء (وبي ذي القربي)، وأما العطف في آية النساء فجاء مع الباء (وبي ذي القربي). فما الفرق بينهما؟ وما علاقة كل عطف بسياقه؟

"القربي": مصدر كالرجعي والألف فيه للتأنيث وهي قرابة الرحم والصلب<sup>(١)</sup>.

وسر إثمار الباء في النساء ليتناسب مع مقصود السورة الأعظم، ويتناغم مع مطلع السورة، يقول "الباقاعي ت ٨٨٥هـ": "ولما كان مبني السورة على الصلة لا سيما لذى الرحم، قال مفصلاً لما ذكر أول السورة تأكيداً له وبذى القربي لتأكد حقهم بمزيد قربهم".<sup>(٢)</sup>

وذلك لأن في مطلع السورة جاء قوله تعالى: **﴿أَتَّقُوا اللَّهُ الَّذِي تَسْأَلُونَ يَهُوَ وَالْأَرْحَامُ﴾**، ومجيء الباء مع العطف دليل على أن لهم حقاً خاصاً مستقلاً عن تقدمهم، وعن تأخر عنهم يجب الوفاء به، فصح مجيء الباء لتأكيد هذا المعنى والإشعار به.

وزاد "أبو حيان ت ٧٤٥هـ" سبيلاً آخر قائلاً:

"إعادة الباء تدل على التوكيد والبالغة، فبلغ في هذه الآية؛ لأنها في حق هذه الأمة، ولم يبالغ في حق تلك لأنها في حق بنى إسرائيل، والاعتناء بهذه الأمة أكثر من الاعتناء بغيرها؛ إذ هي خير أمة أخرجت للناس".<sup>(٣)</sup>

(١) البحر المحيط: ٤٥٣/١.

(٢) نظم الدرر: ٢٧٦/٥.

(٣) البحر المحيط: ٦٣١/٣.

وهذا واضح من خلال مفتاح الآيتين ففي البقرة «وَإِذْ أَخَذْنَا مِيَقَاتَ بَني إِسْرَائِيلَ»، فالإخبار عنهم، وأما في النساء «وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ» فالخطاب لهذه الأمة، والعنابة بها أكمل، والدين فيها أتم، والله أعلم.

**الشاهد السابع<sup>(١)</sup>** : قوله تعالى: «قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ» (الأعراف ٤١).

مع قوله تعالى: «قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمْنَ الْمُقَرَّبِينَ» (الشعراء ٢٤). جاءت آية الشعراe بذكر كلمة (إذاً)، وهي كلمة تقع جواباً وجزاء، مثل كلمة (نعم)، ولم تذكر في آية الأعراف اكتفاء بـ(نعم) هناك فقط.

قال تعالى: «وَجَاءَ السَّحْرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأْجَرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ» (الأعراف ١١٤).

وقال تعالى: «فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأْجَرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١٤) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمْنَ الْمُقَرَّبِينَ» (الشعراء ٤١، ٤٢).

سياق الشعراe يبيّن أن فرعون في أشد الحاجة إلى النصرة والتحفيز عليها نظراً لظهور غلبة موسى عليه السلام، فكانت زيادة (إذاً) للحث والتحفيز على الغلبة حتى تكون لهم؛ ليصير الأمر له كما كان.

وقد ذهب "ابن عاشور ١٣٩٣ هـ" إلى أن ما بين الآيتين هو "تفنن في حكاية مقالتهم عند إعادتها لثلاث تعاد كما هي"<sup>(٢)</sup>.

وليس كذلك -فيما أحسب- لما تقدم ذكره، ولما ذكره "الغرنطي" ٧٠٨ هـ " قائلاً": "ورد في سورة الشعراe مفصحاً بالأداة المحرزة له، وهي

(١) رسالة الدر الدائر المنتخب. ٣٢.

(٢) التحرير والتنوير: ١٢٦ / ١٩.

(إذاً) ليناسب بزيادتها ما مضت عليه –أي هذه السورة– من الاستيفاء والإطباب كما تقدم، وناسب سقوطها في الأعراف مقصود الإيجاز<sup>(١)</sup>.

وفرق آخر بين السياقين موجود في الآيتين هو أن الاستفهام مصرح به في سورة الشعراة «أَئِنَّ لَنَا لَأْجَرًا» في حين كان مفهوماً في الأعراف، وليس التصريح والنص كالتلخيص والإشارة، فلما جاء التصريح بالاستفهام ناسبه في جوابه (إذا) مع قوله (نعم) تحقيقاً لمعنى الجواب والجزاء في ضمان الأجر والقربي عند حصول الغلبة، وأما الموضع الآخر فالاستفهام فيه مفهوم من سياق الكلام وليس مصراً به، فناسبه أن يكتفي في جوابه بـ(نعم) دون زيادة (إذا)، والله أعلم.

الشاهد الثامن<sup>(٢)</sup>: قوله تعالى: «قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقُوا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرْهُبُوهُمْ وَجَاؤُ بِسْخِرِ عَظِيمٍ» (الأعراف: ١٦).  
مع قوله تعالى: «قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعَصِيُّهُمْ يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِخْرِيهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى» (طه: ٦).

جاءت آية طه بزيادة (بل) التي تقييد معنى الإضراب الانتقالي<sup>(٣)</sup>، ولم تأت في آية الأعراف، والذي أوجب ذلك سياق سورة طه؛ لأن السحرة حين خيروا موسى عليه السلام صرحاً بالأخلاقيات، قال تعالى: «قَالُوا يَامُوسَى إِمَّا أَنْ تُقْرِئَ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى» (طه: ٦٥)، فأشعر هذا التصريح بأنهم يريدونه ويلمحون إليه، فكان الجواب بتأكيد رغبتهم، والوقوف على مرادهم، جاء في "نظم الدرر": "قال موسى مقابلاً لأدبهم بأحسن منه، وأنه فهم أن

(١) ملاك التأويل: ٢١٧/١.

(٢) رسالة الدر الدائر المنتخب: ٣٢.

(٣) الجدول في إعراب القرآن: ٣٨٧/١٦.

مرادهم الابداء، وليكون هو الآخر فيكون العاقبة بتسليط معجزته على سحرهم، فلا يكون بعدها شك، لا ألقى أنا أولاً، بل ألقوا أنتم أولاً، فانتهز الفرصة والتصریح بالأول<sup>(١)</sup>.

فلما صرحو باقولهم **﴿أَوْلَ مِنْ أَلْقَى﴾** وقف على مرادهم، وأكده بقوله **﴿بَلْ أَلْقَوا﴾**، وأما في الأعراف فلم يكن غير التخيير من غير تلميح بأن تكون لهم الأولية، قال تعالى: **﴿قَالُوا يَامُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِي وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِين﴾** (الأعراف ١١٥)؛ فلم يأت في الأعراف ما يستدعي ذكر **﴿بَل﴾** كما استدعاه في طه، والله أعلم.

الشاهد التاسع<sup>(٢)</sup>: قوله تعالى: **﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَثْسَمَا حَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخْذَ يَرَأسِي أَخِيهِ يَجْرُهُ إِلَيْهِ قَالَ أَبْنَ أَمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتُ بِي الْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِين﴾** (الأعراف ١٥٠).

مع قوله تعالى: **﴿قَالَ يَا بْنَ أَمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا يَرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾** (طه ٩٤).

جاءت آية طه بذكر حرف النداء **﴿قَالَ يَا ابْنَ أَمَّ﴾**، في حين لم يذكر في آية الأعراف، وكلاهما في سياق حديث هارون عليه السلام لأخيه موسى عليه السلام، ومعلوم أن الحذف من دواعي الإيجاز، وأن الذكر من مستلزمات الإطناب، فبناء ما في الأعراف على الإيجاز، وبناء ما في طه على الإطناب.

(١) نظم الدرر: ٣٠٦ / ١٢.

(٢) رسالة الدر الدائر المنتخب ٣٢.

وخص النداء بذكر الأم : "إشارة إلى أنهما من بطن واحد، وذلك أدعى إلى العطف والرقابة، وأعظم للحق الواجب؛ لأنها كانت مؤمنة فاعتدى بنسبيها، ولأنها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها" <sup>(١)</sup>.  
وعن سر حذف حرف النداء في الأعراف يقول "ابن عاشور ت ١٣٩٣ هـ" :

"وحذف حرف النداء في الأعراف لإظهار ما صاحب هارون من الرعب والاضطراب، أو لأن كلامه وقع بعد كلام سبقه فيه حرف النداء، وهو المحكي في سورة (طه ٩٤) : قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي، ثم قال بعد ذلك: ابن أم إن القوم استضعفوني، فهما كلامان متعاقبان، ويظهر أن المحكي هنا هو القول الثاني، وأما في سورة طه هو الذي ابتدأ به هارون؛ لأنه جواب عن قول موسى : ما منعك إذ رأيتم ضلواً لا تتبعن" <sup>(٢)</sup>.

وأرجح - فيما أحسب - أن سر حذف حرف النداء في الأعراف هو الإسراع إلى ذكر المنادي (ابن أم) ترقيناً للقلب، واستعطافاً في عدم الأخذ، لما كان يمتلك موسى عليه السلام من شدة الغضب، وعلامات الأسف في سورة الأعراف أكثر منه في سورة طه.

فقد جاء في الأعراف «ولَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضِبُّهُ أَسِفًا قَالَ يَسِمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَيْتُمُ الْأَلْوَاحَ وَأَخْدَيْتُ رَأْسَ أَخِيهِ يَجْرُؤُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمّ»، وما يقابلها في طه أهداً حواراً، قال تعالى : (فَرَجَعَ مُوسَى

(١) الكشاف: ٦٦١/٢.

(٢) التحرير والتنوير: ١١٧، ١١٦/٩.

إِلَى قَوْمٍ غَضِبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمَ أَلَمْ يَعْدُكُمْ رِبُّكُمْ وَعَذَا حَسَنَا أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ  
الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحْلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَقْتُمْ مَوْعِدِي».

فواضح جدًا ما بين السياقين من فرق، فإن الخطاب في الأعراف أشد وأعنف، وأشنع وأغلظ مما في طه، فناسب في الأعراف ذلك الإيجاز إسراعاً إلى المطلوب من كسر حدة الغضب، وترقيق القلب، وتلين الجانب، حتى يترك له مجالاً ليدفع عن نفسه. والله أعلم.

الشاهد العاشر<sup>(١)</sup>: قوله تعالى: «إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبِدُونْ  
قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضْرُوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (التوبه ٣٩).

مع قوله تعالى: «فَإِنْ تَوَلُّوْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ  
رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضْرُوهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِظٌ» (هود ٥٧).

ما جاء في آية التوبه «وَلَا تَضْرُوهُ» الفعل فيه مجزوم بمحذف النون؛ لأنه معطوف على جواب الشرط المجزوم، قال تعالى: «إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا  
أَلِيمًا وَيَسْتَبِدُونْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضْرُوهُ شَيْئًا» فجواب الشرط «يُعَذِّبُكُمْ»،  
وقوله «وَلَا تَضْرُوهُ» معطوف عليه.

وأما في آية هود فهو مرفوع؛ لأنه معطوف على مرفوع، قال تعالى: «فَإِنْ  
تَوَلُّوْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا  
تَضْرُوهُ شَيْئًا» فقوله عَلَيْكُمْ «وَلَا تَضْرُوهُ شَيْئًا» معطوف على «وَيَسْتَخْلِفُ  
المرفوع، فحقه الرفع مثله، وأما جواب الشرط في الآية فهو قوله عَلَيْكُمْ «فَقَدْ  
أَبْلَغْتُكُمْ»، وما جاء بعده ف محله الرفع على الاستثناء أو النصب على الحال.

(١) رسالة الدر الدائر المنتخب . ٣٢

وقد ذكر "الكرمانی ت ٥٠٥ هـ" أن هذا الموضع لا يعد من المشابه؛ لأن أحدهما مرفوع عطفاً على المرفوع، والآخر مجزوم عطفاً على المجزوم<sup>(١)</sup>، والأمر كما قال، والله أعلم.

الشاهد الحادي عشر<sup>(٢)</sup> : قوله تعالى: **﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيَءَ يَهِمْ وَضَاقَ يَهِمْ دَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾** (هود ٧٧). مع قوله تعالى: **﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيَءَ يَهِمْ وَضَاقَ يَهِمْ دَرْعًا وَقَالُوا لَا تَحْفَظْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَايِرِينَ﴾** (العنكبوت ٣٣).

ذكر أهل العلم أن "أن" تزاد للتوكيد بعد "لما" التوقيقية، وجعلوا دليل زياتها ورودها في محل الشاهد، والقصة واحدة<sup>(٣)</sup>.

والحكم بالزيادة ليس معناه أن حذفها وذكرها سواء، بل زياتها في اللفظ يتبعه زيادة في المعنى، فالمقصود بالزيادة عندهم الزيادة في الصناعة النحوية، ويؤكد هذا قول "الزمخشي ت ٥٣٨ هـ":

"أن صلة أكدت وجود الفعلين متربتاً أحدهما على الآخر في وقتين متجاوريين لا فاصل بينهما، كأنهما وجداً في جزء واحد من الزمان، كأنه قيل: لما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث خيفة من قومه".<sup>(٤)</sup>

(١) ينظر البرهان في توجيه مشابه القرآن: ١٤٥/١.

(٢) رسالة الدر الدائر المنتخب: ٣٢.

(٣) ينظر الأصول في النحو: ٢٣٨/١، ومنازل الحروف: ٤٧/١، وشرح المفصل: ٦٧/٥، ومغني اللبيب: ٥٠/١.

(٤) الكشاف: ٤٥٣/٣.

إذن فذكر (أن) في النظم دال على اتصال الفعلين، وأن زمن المساءة والضيق كان بعقب المجيء من غير انفصال، ولا تراخ، تحقيقاً لترابط مضمون الجملتين معاً.

قال تعالى: «وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيَءَ يَهِيمْ وَضَاقَ يَهِيمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَحْفَظْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَافِرِينَ» (العنكبوت ٣٣).

فالكلام متصل وجود الفعلين (المجيء والمساءة) كأنهما في زمن واحد يعقب أحدهما الآخر، وسر هذا وجود (أن)؛ لذا كان جواب الملائكة متصلة أيضاً «وَقَالُوا لَا تَحْفَظْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ».

وأما في آية هود بين الجملتين تراخ، وأكثر من جملة حتى كان جواب الملائكة، قال تعالى: «وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيَءَ يَهِيمْ وَضَاقَ يَهِيمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ» (هود ٧٧)، وطال الكلام حتى كان جواب الملائكة «قَالُوا يَالْوَطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوَا إِلَيْكَ...» (٨١) (هود ٨١)، فلما كان حصول المجيء والمساءة في زمن واحد متصل، كان جواب الملائكة بالنصرة والحفظ متصلة أيضاً، وهو ما كان في سورة العنكبوت، ولما كان حصول المجيء في وقت المساءة في وقت آخر، كان جواب الملائكة بعد جملة من النظم، وهو ما كان في سورة هود، والله أعلم.

(١) ينظر درة التنزيل: ٣٩/١، والبرهان في توجيهه متشابه القرآن" ١٩٩/١ ، والتحرير والتتوير: ٢٠/٤٤.

الشاهد الثاني عشر<sup>(١)</sup> : قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّ أَكُمْ وَمَنْ كُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (النحل ٧٠).

مع قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثَةِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْعَفَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِتُبَيَّنَ لَكُمْ وَتُقْرَرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ تُخْرِجُكُمْ طَفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمَنْ كُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمَنْ كُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَبْتَثَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (الحج ٥).

ذهب بعض أهل العلم إلى أن ذكر (من) في آية الحج ، وحذفها في آية النحل من باب التفنن في سياق العبارتين ، وليس هناك فرق بين الذكر والمحذف ، وإنما زيدت في الحج للتوكيد فقط ، ومشاكلة النظم الذي هي فيه ، وإلا فذكرها وحذفها سواء<sup>(٢)</sup>.

وذهب "الكرمانى ت ٥٠٥ هـ" إلى شيء قريب من هذا ، فقال: "لأنه أجمل الكلام في هذه السورة

-يعني النحل - وفصل في الحج فقال: فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ... الآية ، فاقتضى الإجمال المحذف ، والتفصيل الإثبات فجاء في كل سورة بما اقتضاه الحال"<sup>(٣)</sup>.

(١) رسالة الدر الدائر المتخرج ٣٣.

(٢) ينظر ملاك التأويل: ٣٠٣/٢ ، والتحرير والتنوير: ٢٠٢/١٧.

(٣) ينظر البرهان في توجيهه متشابه القرآن: ١٦١/١.

وأما "الإسكافي ت ٤٢٠ هـ" ، فكان أعمق نظراً؛ إذ جعل (من) في آية الحج لابتداء الغاية، وليس زائدة أو للتفصيل فقط، فناسب في الحج أن تأتي **﴿منْ بَعْدِ عِلْمٍ﴾** لبيان ابتداء ، فقد العلم كما بين قبل أحوال الأشياء ومبادئها بذكر (من) في أول كل حال ، يقصد قوله: **﴿مِنْ ثُرَابِكُمْ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ﴾**<sup>(١)</sup>.

وزاد "البقاعي ت ٨٨٥ هـ" الأمر بياناً فقال: " ولما كان السياق للقدرة على البعث الذي هو التحويل من حال الجمادية إلى ضده بغاية السرعة أثبت (من) الابتدائية للدلالة على قرب زمن الجهل من زمن العلم"<sup>(٢)</sup>.

وبهذا تبين أن (من) أفادت قرب حصول الجهل من بعد العلم ، بخلاف حذفها في آية النحل فإنه يدل على استغراق الجهل لزمن ما بعد العلم<sup>(٣)</sup>. وهذا ما أكدته الدكتور "فضل السامرائي" ، إذ يقول:

"فذكر (من) هنا بخلاف النحل لسر لطيف وهو أن قوله **﴿إِلَكِيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ﴾** معناه أنه الجهل يبدأ من بعد العلم بلا مهلة ، فهناك حالة تبدأ منها الجهل التام ، وأما قوله **﴿بَعْدِ عِلْمٍ﴾** فيحتمل الزمن القريب والبعيد ، وأما (من) فأفادت الابتداء ، أي يبدأ الجهل المباشر بعد العلم بلا مهلة ولا فاصل ، وهو أدل على قدرة الله ؛ وذلك لأنك انتقال مباشر من العلم إلى الجهل ، وأما قوله **﴿بَعْدِ عِلْمٍ﴾** فيحتمل أن مرت عليه مدة طويلة من غياب بعض المعلومات ونسياقها إلى الجهل ، فمعنى (من بعد علم) أنه قادر على أن يغير بأقرب وقت

(١) ينظر درة التنزيل: ٢/٨٥٤.

(٢) نظم الدرر: ١٢/١١.

(٣) السابق: ١١/٢٠٦.

من حال إلى حال ، وهو المناسب لمقام تبيان القدرة لمنكري البعث<sup>(١)</sup> ، والله أعلم.

الشاهد الثالث عشر<sup>(٢)</sup> : قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبَرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النحل ١٢٧). مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النمل ٧٠).

جاء الفعل في آية النمل على الأصل ﴿وَلَا تَكُنْ﴾ ، وأما في آية النحل فجاء ﴿وَلَا تَكُ﴾ بحذف النون تخفيفاً ، وهو جائز لغة ؛ لكثرة الاستعمال.

وقد أشار "ابن مالك ت ٦٧٢ هـ" إلى هذا في ألفيته حين قال :

ومن مضارع لكان منجزم تحدف نون وهو حذف ما التزم<sup>(٣)</sup>  
ولكن إذا كانت اللغة تحكم بجواز (تك) في (تكن) استعملاً ، فما السر في  
إيهار النظم القرآني كل لفظ في موضعه؟

يقول "البقاعي ت ٨٨٥ هـ": "ولا تك بحذف النون إشارة إلى ضيق الحال عن أدنى إطالة"<sup>(٤)</sup>.

وذلك لأن آية النحل نزلت في تسلية النبي ﷺ حين قُتل عمه حمزة رض ومُثل به ، فقال ﷺ: "لأقتلن به سبعين منهم" ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَافَتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ يَه وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) معاني النحو: ١٩٥/٢.

(٢) رسالة الدر الدائر المختب ٣٣.

(٣) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ١/٥٠٤.

(٤) نظم الدرر: ١١/٢٨٤.

(٥) أسباب النزول ١/٢٨٣.

فكان في حذف النون إشارة لنفي كل الضيق من النفس للحمل على تحمل الصبر، ولن يكون وازعاً عن مجاوزة الحد، بل حاملاً على العفو.<sup>(١)</sup>

وأما في سورة النمل فقد جاءت على الأصل (ولا تكن) في سياق الإخبار عن عنادهم واستهزائهم، مع أن الله كافر مكرهم بما أعد لهم من سوء العذاب، فلا مقتضى للتناهي في الإيجاز والإبلاغ في نفي الضيق كما في النحل، بل لا يكون منهياً عن بعض الضيق الذي لا بد منه، كما أخبر الله تعالى في موضع آخر: «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضْيِقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ»<sup>(٢)</sup>

(الحجر ٩٧)، فكان حذف النون في النحل إشارة إلى حذف كل ضيق من النفس لإقامة العدل وعدم تجاوز الحد في المجازة، بل والدعوة إلى العفو، وفي سورة النمل (يكن) بإثبات النون إشارة إلى جواز بعض الضيق الذي لا بد منه في الحالات التي تعتبر تبليغ الدعوة؛ لشدة حرصه على هداية الناس، قال تعالى: «فَلَعَلَّكَ بَاخْرُجُ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا يَهْدَا الْحَدِيثَ أَسَفًا»

(الكهف ٦)، هذا والله أعلم.

**الشاهد الرابع عشر<sup>(٣)</sup>:** قوله تعالى: «يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى»

(النازعات ٣٥).

مع قوله تعالى: «وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرُ» (الفجر ٢٣).

جاءت آية الفجر بزيادة (إذ) بإضافة يوم إليها بخلاف آية النازعات جاءت بدونها.

(١) ينظر نظم الدرر: ٢٠٨/١٤.

(٢) السابق نفسه.

(٣) رسالة الدر الدائر المنتخب ٣٣.

والناظر في سياق الآيتين يجد أنه حديث عن القيامة وأحوالها وأهوالها، قال تعالى: **﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾** (٣٤) يوم يتذكر الإنسان ما سعى (النازعات ٣٤، ٣٥)، وقال تعالى: **﴿كَلَّا إِذَا دُكِّتِ الْأَرْضُ دَكًا دَكًا** (٢١) **وَجَاءَ رَبِّكَ وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا** (٢٢) **وَجَيَءَ يَوْمَئِلٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِلٍ يَتَذَكَّرُ** **الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الدُّكْرَى** (٢٣) يومئيل يتذكر الإنسان (الفجر ٢١ - ٢٣). قوله: (يوم يتذكر) بدل اشتغال من قوله: (إذا جاءت الطامة)؛ لأن "ما أضيف إليه يوم هو من الأحوال التي يشتمل عليها محيء الطامة وهو يوم القيمة ويوم الحساب".<sup>(١)</sup>

وقوله: (يومئذ) بدل من قوله: (إذا دكت الأرض)، وعامل النصب فيهما يتذكر".<sup>(٢)</sup>

إذن فما الذي أوجب الزيادة في الفجر دون النازعات؟

يجيب البقاعي ت ٨٨٥ هـ بعبارة موجزة كافية: "وأبدل من إذا توضيحاً لطول الفصل وتهويلاً قوله يومئذ".<sup>(٣)</sup> يعني أنه لما طال الفصل بين جملة **﴿كَلَّا إِذَا دُكِّتِ الْأَرْضُ﴾** المبدل منه، وبين جملة **﴿يَوْمَئِلٍ يَتَذَكَّرُ﴾** البدل حسن محيء ما يدل على معنى (إذا) التي تفيد التوقيت والتهويل من ذلك التوقيت مع تحقق الواقع، كما أن قبلها **﴿وَجَيَءَ يَوْمَئِلٍ بِجَهَنَّمَ﴾**، وفي هذه تناسب في النظم وتلاؤم، وأما في النازعات فلم يطل الكلام بل كان متصلة **﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾** (٣٤) يوم يتذكر وهذا من سنن العرب في كلامها، إذا طال أعيد ما بني عليه الكلام،

(١) التحرير والتنوير: ٣٠/٨٩.

(٢) الكشاف: ٤/٧٥١.

(٣) نظم الدرر: ٢٢/٣٩.

وقد جاء في القرآن منه قوله تعالى: «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتُّنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ» (النحل ١١٠)، فأعاد (إن ربك) مرة أخرى لطول الكلام، ولزيادة التوكيد. هذا، والله أعلم.  
الشاهد الخامس عشر<sup>(١)</sup>: قوله تعالى: «وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقُلُونَ» (العنكبوت ٣٥).

مع قوله تعالى: «وَلَقَدْ تَرَكْنَا هَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُّذَكَّرٍ» (القمر ١٥). آية العنكبوت في سياق الحديث عن قرية قوم لوط اللعنة، وما بقي من آثارها شاهداً على ما فعل بها، وآية القمر في سياق الحديث عن سفينة نوح اللعنة، وبقائهما آية شاهدة على طلاقة القدرة والعظمة.

قال تعالى: «إِنَّا مُنْزَلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ» (٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقُلُونَ» (العنكبوت ٣٤، ٣٥). وقال تعالى: «وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَاحِدِ وَدُسُرِ» (١) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفُورًا» (١٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَا هَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُّذَكَّرٍ» (القمر ١٣ - ١٥). فقوله «وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَاحِدِ وَدُسُرِ» كناية عن موصوف، والمراد: السفينة.

وقيل إن الضمير في «تركتها» يعود على الفعلة نفسها، وليس على السفينة وحدها<sup>(٢)</sup>.

ولكن الأولى —فيما أحسب— أن يعود الضمير على السفينة نفسها؛ لأنه ورد بعد ذكر صنعها، وتفصيل ذلك الصنع، ولم يقع في غير هذه السورة مثل

(١) رسالة الدر الدائر المنتخب ٣٠.

(٢) ينظر الكشاف: ٤/٤٣٥.

هذا التفصيل، وكذلك الآية في إيقائهما بعد ذكر تلك الأحوال والأهوال التي تعرضت لها من إنزال ماء السماء منهمرًا، وتفجير الأرض عيوناً، والتقاء الماء السماوي بماء الأرضي وما إلى ذلك، إيقاؤها مع كل ذلك أولى وأعظم في كونه آية، والله أعلم.

\* \* \*

## المطلب الثاني

### شواهد متشابه النظم بين الزوائد والنواقص من غير الحروف

يهمت هذا المطلب بدراسة شواهد النظم بين الذكر والمحذف في الكلمات من غير الحروف في الشواهد التي ذكرها، وأوردها "الزمخشري ت ٥٣٨ هـ" في رسالته محل الدراسة، والغرض القائم في هذا المطلب الكشف عن الفروق بين الذكر والمحذف في الموضع المتشابهة، ثم بيان سر اصطفاء كل في سياقه ومقامه، حيث إنه لا يستوي المعنى بين الذكر والمحذف، فللذكر أسبابه وأغراضه، وللمحذف أسراره ودقائقه، كل حسب ما سيق له الكلام، وبني عليه النظام، وقد بلغت عدد الشواهد في هذا المطلب ثمانية عشر شاهداً، وهي على التفصيل كالتالي:

**الشاهد الأول<sup>(١)</sup>:** قوله تعالى: «وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرِبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ» (البقرة ٣٥).

مع قوله تعالى: «وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرِبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ» (الأعراف ١٩).

جاءت الآياتان في سياق حديث القرآن الكريم عن قصة آدم عليه السلام، وما كان من إكرام الله تعالى له.

فذكرت في آية البقرة كلمة (قلنا)، ولم تذكر في آية سورة الأعراف، وهذا يدل على أن لكل موضع معناه ودلائله دون غيره، وهذا خلافاً لما ذهب إليه (ابن عاشور ت ١٣٩٣ هـ) إذ يعلل تغاير التعبير بين الآيتين: بتلويين "المعاني

(١) رسالة الدر الدائر المنتخب . ٢٨

المعادة حتى لا تخلو إعادتها عن تجدد معنى وتعتير أسلوب ، فلا يكون إعادتها مجرد تذكير<sup>(١)</sup> .

إذ كيف يكون الذكر والمحذف سواء أبداً ؟ ولذا يقول "ابن عرفة ت ٨٠٣ هـ" :

"وزيادة (قلنا) في بعض الآيات تنبيها على تشريف القول وتعظيمه والاهتمام به"<sup>(٢)</sup> .

والناظر في سياق آيات البقرة يتبيّن له عظم الحفاوة وزيادة التكريم لسيدنا آدم صلوات الله عليه وآله وسلامه أكثر منه في الأعراف ؛ وذلك لأن ما في البقرة جاء على سبيل الإخبار والإعلام لرسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه بما جرى في قصة آدم صلوات الله عليه وآله وسلامه ، فقوله تعالى : **«وَقُلْنَا يَا آدُمْ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ بَعْدَكَ»** علي تقدير : واذكر إذ قلنا للملائكة ، واذكر إذ قلنا يا آدم<sup>(٣)</sup> .

كما أن في ذكر أمر الخلافة ، وبيان فضل آدم صلوات الله عليه وآله وسلامه للملائكة في البقرة ، ما لم يكن مثله في الأعراف ، وكذا ذكر **«رَغْدًا»** في البقرة دون الأعراف ، دليل آخر على زيادة التكريم والحفاوة ، وأما سياق الأعراف فهو خطاب مع آدم صلوات الله عليه وآله وسلامه ، وذكر لما كان من قصته وحاله ، فاقتضى السياق ذكر "قلنا" في البقرة ، وحذفها في الأعراف ، والله أعلم.

**الشاهد الثاني<sup>(٤)</sup>** : قوله تعالى : **«وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةَ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي وَاسْتَكَبَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ»** (البقرة ٤٣).

(١) التحرير والتنوير : ١١٨/١ .

(٢) تفسير ابن عرفة : ١٠٢/١ .

(٣) ينظر الدر المصنون : ٧٨/١ ، واللباب في علوم الكتاب : ٥٤٦/١ .

(٤) رسالة الدر الدائر المتتبّع : ٣١ .

مع قوله تعالى: **﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾** (ص ٧٤) الإباء هو الامتناع من الفعل ، وينشأ غالباً عن الاستكبار ، وهو شدة الكبر والتعاظم في النفس ، وفي سر تقديم الإباء على الاستكبار في آية البقرة يقول أبو حيان ت ٧٤٥ هـ :

"وقدم الإباء على الاستكبار، وإن كان الاستكبار هو الأول؛ لأنه من أفعال القلوب وهو التعاظم، وينشأ عنه الإباء من السجود اعتباراً بما ظهر عنه أولاً، وهو الامتناع من السجود".<sup>(١)</sup>

ولكن ما سر ذكر الإباء في البقرة دون ص؟

الناظر في سياق البقرة يجد لتلك القصة زيادة وتفصيلاً عن ذكرها في بقية سور القرآن الكريم ، بداية من قوله تعالى: **﴿وَإِذَا قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ...الآيات﴾** ، ومثل هذا الإخبار لم يقع في غير هذه السورة ، فناسب أن يأتي في سياقها الأحوال المختلفة ، والعلل المجتمعة التي كانت لإبليس في تركه السجود من الامتناع والاستكبار وغير ذلك من الأحوال المختلفة ليناسب التفصيل في ذكر القصة.

وأما بقية سور فجاءت كل سورة تنص على صفة بعينها تناسب السياق فيها ؛ فمثلاً سورة طه اكتفى النظم فيها بذكر الإباء عن الاستكبار ، قال تعالى: **﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾** وفي سورة ص اكتفى النظم بذكر الاستكبار عن الإباء قال تعالى: **﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ﴾**؛ لأن كل صفة منهمما تستلزم الأخرى وتوكلدها ، والله أعلم.

---

(١) البحر المحيط : ٢٤٨/١.

الشاهد الثالث<sup>(١)</sup> : قوله تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْمَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغْدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً تَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ» (البقرة ٥٨).

مع قوله تعالى: «وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْمَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا تَغْفِرْ لَكُمْ حَطَّيَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ» (الأعراف ١٦١).

جاء في آية البقرة كلمة (رغداً) الواقعه وصفاً أو حالاً<sup>(٢)</sup> ، ولم تأت في آية الأعراف ، ولا شك أن ذكرها لا يساوي حذفها ؛ فإن في زيادة الوصف بها دليلاً على تمام النعمة ، ووفرة الإكرام ، وشدة الحفاوة ، وهذا كله واضح من سياق آيات البقرة دون الأعراف ، ففي البقرة إثبات الفعل إلى نون العظمة في قوله تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا» ، وأما في الأعراف فأسنده الفعل إلى مالم يسم فاعله ، قال تعالى: «وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا» ، يقول "القاعي ت ٨٨٥ هـ": "إذ قيل لهم ، وعدل عن الإكرام بالخطاب ونون العظمة لأن السياق للإسراع في الكفر... قيل إعراضاً عن تلذذهم بالخطاب إذاناً بأن هذا السياق للغضب عليهم بتساقطهم في الكفر ، وإعراضهم عن الشكر... وأسقط الرغد لذلك"<sup>(٣)</sup>.

وهذا ما ذكره "الإسكافي ت ٢٠٤ هـ" - من قبل - إذ يقول:

(١) رسالة الدر الدائر المنتخب ٣١.

(٢) صفة لمصدر محنوف أي أكلا رغداً؛ فهو مفعول مطلق، ويجوز أن يعرب حالاً مؤولة بالمشتق أي: راغدين هائين (ينظر إعراب القرآن وبيانه: ١٠٨/١).

(٣) ينظر نظم الدرر: ١/٣٩٢.

"لأنه أنسد الفعل إلى نفسه تعالى كان اللفظ الأشرف الأكرم، فذكر معه الإنعام الأجسم وهو أن يأكلوا رغداً، ولما لم يسند الفعل في سورة الأعراف إلى نفسه لم يكن مثل الفعل في سورة البقرة، فلم يذكر الإكرام الأوفر، وإذا تقدم اسم المنعم الكريم اقتضى ذكر نعمته الكريمة"<sup>(١)</sup>.

وزيادة على ما تقدم فقد وجدت في السياق المتدلي سورة البقرة ذكر كلمة (رغداً) مع قصة آدم عليه السلام، قال تعالى: «وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغْدًا» (البقرة ٣٥)، وأما ما يقابلها في سورة الأعراف فقد خلت منه كلمة (رغداً)، قال تعالى: «وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا» (الأعراف ١٩)، وهذا دليل واضح على مراعاة السياق الكلي لكل سورة، وأن المعاني فيها يربطها نسيج واحد يناسب مقصودها الأعظم، والله أعلم.

الشاهد الرابع<sup>(٢)</sup>: قوله تعالى: «فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ» (البقرة ٥٩).

مع قوله تعالى: «فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ» (الأعراف ١٦٢).

جاءت آية سورة الأعراف بوجود «منهم»، وحذفت من آية البقرة، ولا شك أن في ذكر «منهم» دليل تخصيص، وتوضيح وبيان، فما السر في إشار الأعراف بالشخص والبيان دون البقرة؟

(١) درة التنزيل: ٢٣٧/١.

(٢) رسالة الدر الدائر المتنيب .٣١

ذكر "الإسكافي ت ٤٢٠ هـ" أن علة ذلك هو ما بنيت عليه سورة الأعراف من التخصيص والبيان؛ إذ في أول القصة قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ يَالْحَقِّ وَيَهُوَ يَعْدِلُونَ﴾، فذكر في أول القصة منهم من يفعل ذلك فاقتضى في آخر القصة أن يقال: (منهم)، في حين لم تُبْنَ سورة البقرة على هذا<sup>(١)</sup>.

وقد أوجز "الكرماني" ت ٥٠٥ هـ ما قاله "الإسکافي" ، وقال به<sup>(٢)</sup> .  
وأما "الغرناتي" ت ٧٠٨ هـ فقد ذكر أن لفظ الذين ظلموا عام يحتمل  
التخصيص ، والتخصيص يكون بدليل عقلي أو دليل سمعي ، فجاء  
التخصيص بدليل سمعي في الأعراف -يقصد بقوله منهم -بما يعطيه من  
معنى التبعيض ، وآية الأعراف مخصصة للعموم في سورة البقرة .  
ولعل إثمار منهم في الأعراف إضافة إلى ما تقدم ؛ ليكون الكلام في البقرة  
قضية عامة تخص الذين ظلموا منهم أو من غيرهم عظة واعتباراً ، بخلاف  
الأعراف التي خصتهم بالتوييخ والتشنيع ، لبيان أحوالهم في مسارعتهم إلى  
الكفر والجحود ، فذكر (منهم) للتسجيل عليهم وحدهم دون غيرهم زيادة في  
التبكيت والتوييخ ، والله أعلم .

الشاهد الخامس<sup>(٣)</sup>: قوله تعالى: «قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَتَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» (آل عمران: ١٣٦).

(١) ينظر درة التنزيا : ٢٤٣ / ١

(٢) ينظر البرهان في توجيه متشابه القرآن: ١/٧٤.

(٣) رسالة الدر الدائر المنتخب.

مع قوله تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَتَحْنُّ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران ٤٧).

أعيد لفظ **«ومَا أُوتِيَ»** مع ذكر النبيين في آية البقرة، ولم يعد في آية آل عمران، وواضح أن إعادة اللفظ دليل العناية والاهتمام بشأنه.

والذي ينعم النظر في الآيتين يتضح له الفرق بينهما، ففي البقرة يقول ربنا **«قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ»** الخطاب عام للرسل والمؤمنين؛ فناسب ذلك تأكيد ذكر ما أنزل على النبيين؛ لأن المؤمنين حقاً لا يفرقون بين أحد منهم، في حين فرق غيرهم، فناسب حالهم سجّل إيمانهم للجميع تأكيد مقاهم وتشييت اعتقادهم، وأما في آية آل عمران فيقول ربنا **«قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ»**، فهو خطاب للرسول ﷺ فناسبه عدم التأكيد للتنتزهه حالاً ومقاماً عن التفريق بين الرسل؛ لأنه إمامهم صلوات ربى وتسليماته عليهم أجمعين<sup>(١)</sup>.

وقد أكد هذا الفرق، وذاك التاسب "البقاعي ت ٨٨٥ هـ" حين قال:

"ولما كان النظر هنا إلى رسول الله ﷺ أكثر لكونها سورة التوحيد الذي هو أخلق به، وأغرق فيه ناسب الإعراء عن التأكيد بما في البقرة، ونظر إلى الكل لحاً واحداً، فقال: **«وَالنَّبِيُّونَ»** أي كافة من الوحي والمعجزات"<sup>(٢)</sup>.

وذهب "أبو حيان ت ٧٤٥ هـ" إلى أن الخطاب في سورة البقرة عام، والعام يناسبه البسط في الكلام دون الإيجاز فأعيد لفظ **«ومَا أُوتِيَ»**، وأما الخطاب في آية آل عمران فخاص فاكتفي فيه بالإيجاز؛ لأنه يناسبه<sup>(٣)</sup>، والله أعلم.

(١) ينظر ملاك التأويل: ١/٥٣.

(٢) نظم الدرر: ٤/٤.

(٣) ينظر البحر المحيط ٣/٤٩.

الشاهد السادس<sup>(١)</sup> : قوله تعالى : **«وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ اتَّهَوْا فَلَا عُدْوَانٌ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ»** (البقرة ١٩٣) . مع قوله تعالى : **«وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ اتَّهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ»** (الأفال ٣٩) .

جاءت آية الأنفال بذكر **«كُلُّهُ»** الدالة على توكييد العموم في لفظ الدين ليفيد الاستغراق والشمول ، وأما آية البقرة فخللت منها ؛ لاختلاف ما بين السياقين.

بيان ذلك : أن في سياق سورة الأنفال حدثاً عن كل كفر ؛ فهي عامة قال تعالى : **«قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّهَوْا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ»** ، وهذا يشمل كل كافر ، فلما اقتضت الآية الاستغراق والعموم ناسب ذلك التأكيد بما يفيده لفظ (كله) من الاستغراق والعموم ، في حين كان في سورة البقرة حدثاً عن كفار مكة خاصة دون غيرها ، قال تعالى : **«وَقَاتَلُوهُمْ حَيْثُ تَقْفَتُمُوهُمْ وَآخِرِ جُوُهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ»** ، فالآية واردة في مخصوصين معينين ، والكلام مقيد عليهم دون غيرهم ، فلم يناسبه لفظ العموم<sup>(٢)</sup> .

وشيء آخر تراه في سياق الأنفال ، وليس في البقرة ، هو الحديث عن تأييد الله تبارك وتعالى للمؤمنين ، والوعد لهم بالغلبة والنصر وإنزال الملائكة لهم ، وإمدادهم تأنيساً لقلوبهم ، وبشرى لهم ، وترهيباً وتخويفاً لأعدائهم ، فناسب ذلك — فيما أحسب — توكييد العموم والشمول بذكر **«كُلُّهُ»** . والله أعلم

(١) رسالة الدر الدائر المتنبه ٣١.

(٢) ينظر درة التنزيل : ٣٣١ / ١ - ٣٣٣ ، والبرهان في توجيهه متشابه القرآن : ٨٤ / ١ ، وملالك التأويل : ٦٣ / ١ ، ٦٤ ، والبحر المحيط : ٣٤٧ / ٢ .

الشاهد السابع<sup>(١)</sup> : قوله تعالى: «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَصْدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عَوْجًا وَأَثْمَ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ يَعْفُلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ» (آل عمران ٩٩).

مع قوله تعالى: «وَلَا تَقْعُدُوا يَكُلُّ صِرَاطٍ ثُوَعِدُونَ وَتَصْدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عَوْجًا وَادْكُرُوا إِذْ كُتُمْ قَلِيلًا فَكَثُرُكُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ» (الأعراف ٨٦).

جاءت آية آل عمران بغير الجار وال مجرور (به)، وأما آية الأعراف ف جاءت بقوله (به)، وذكر "الكرماني ت ٥٠٥ هـ" أن القياس هو ما جاء في آية الأعراف، وإنما حذفت في آية آل عمران؛ لموافقة قوله تعالى: «وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ»، فإن القياس فيه أيضاً ومن كفر به<sup>(٢)</sup>.

ومحل جملة «تَبْغُونَهَا» بالواو أو بغيرها النصب على الحال، إذ هي بالواو معطوفة على «ثُوَعِدُونَ»، والمعنى: "لا تقدعوا موعدين وصادرين عن سبيل الله وبغيها عوجاً"<sup>(٣)</sup>.

وبغير الواو في آل عمران حال أيضاً لأن الواو لا تزداد مع الفعل إذا وقع حالاً<sup>(٤)</sup>.

والمعنى: لم تصدون عن سبيل الله من آمن بغيها عوجاً، فجاءت الواو في الأعراف لتعطف جملة على جملة، وأما هي في آل عمران فجملة واحدة.

(١) رسالة الدر الدائر المنتخب ٣١.

(٢) ينظر البرهان في توجيه متشابه القرآن: ٩٢/١.

(٣) الكشاف: ١٢٨/٢.

(٤) البرهان في توجيه متشابه القرآن: ٩٢/١.

وشيء آخر في حذف (به) هو إفادة العموم، وإثبات الفعل في نفسه، أي من حصل له الإيمان كان منكم الصد، وهذا أشنع في الإنكار عليهم والتوبیخ لهم، وهو يتناصف مع معنى العموم في قوله (ومن كفر) بغير قيد أيضاً، والله أعلم.

الشاهد الثامن<sup>(١)</sup> : قوله تعالى: **«وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُكُمْ يَهُ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ»** (آل عمران ٢٦). مع قوله تعالى: **«وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلَتَطْمَئِنَّ يَهُ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»** (الأفال ١٠).

جاءت آية آل عمران بذكر (لكم)، وتقديم (قلوبكم) على الجار وال مجرور (به)، في حين جاءت آية الأنفال بحذف (لكم)، وتقديم (به) على (قلوبكم). وفي اختلاف النظم في الآيتين دليل على تغایر المعنى فيهما، وهذا غير ما ذهب إليه "أبو حیان ت ٧٤٥ھ"، إذ جعل ما بين الآيتين من اختلاف في الإیجاز والإسهام ، والتقديم والتأخير هو من باب التفنن والاتساع في الكلام<sup>(٢)</sup>. وأكثر أهل العلم على أن ما في سورة آل عمران غير ما في الأنفال؛ فسياق آل عمران في الحديث عن غزوة أحد، وأما الأنفال فالحديث عن غزوة بدر<sup>(٣)</sup>. وقد ذكر (لكم) في آل عمران لمزيد الاختصاص والعناية بهم، وقد تقدم الكلام عليهم وعلى غيرهم، فوجب أن يذكر (لكم) للعناية بضميرهم هم، والحكم بأن البشرى لهم لا لغيرهم، ولذا قدم (قلوبكم) على (به) للعناية

(١) رسالة الدر الدائر المنتخب ٣٢.

(٢) ينظر البحر المحيط ٢٨٠/٥.

(٣) ينظر التفسير الوسيط ٤٨٥/١، والبرهان في توجيهه متشابه القرآن: ٩٣، ٩٢/١، والدر المنشور: ٣١٠/٢.

بضميرهم، وأما في آية الأنفال فلم يتقدم غير ضمير المسلمين في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغْيِثُونَ رَبِّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ فأغنى عن إعادته مرة أخرى، إذ لا يلتبس بغيرهم، كما أن فيه عناية بالإمداد ذاته، وأن الإمداد بشري هو، وطمأنينة هو، ولذا قدم ضميره (به) على ضميرهم (قلوبكم) تأكيداً لأمره، وتعظيمًا لشأنه<sup>(١)</sup>، والله أعلم.

**الشاهد التاسع<sup>(٢)</sup>:** قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا مَا نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتَنَا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (النساء ٢٢).

مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرِبُوا الزَّنْبِ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء ٣٢).

جاءت آية النساء في سياق النهي عن زواج الرجل امرأة أبيه، قال تعالى: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا مَا نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتَنَا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (النساء ٢٢)، وأما آية الإسراء ففي سياق النهي عن الزنا، قال تعالى: ﴿لَا تَقْرِبُوا الزَّنْبِ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء ٣٢).

فعلم من ذلك أن نكاح الرجل زوجة أبيه فيه من القبح ما في الزنا وزيادة، بدليل ذكر **﴿وَمَقْتَنَا﴾**، والمقت: هو أشد البغض.

ونكاح المقت كان في الجاهلية، وهو أن يتزوج الرجل امرأة أبيه، وكان المولود عليه يقال له المقتى، ومن ثم قيل: **﴿وَمَقْتَنَا﴾** أي بالغ في القبح مبلغًا عظيمًا<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر درة التنزيل: ٣٨٩/١، وملاك التأويل: ٨٩/١، ونظم الدرر: ٥٨/٥، ٢٣٢/٨، والتحرير والتبيير: ٧٧/٤.

(٢) رسالة الدر الدائر المتخت ٣٢.

(٣) ينظر مجمل اللغة: ٨٣٧/١، ومقاييس اللغة: ٣٤٢/٥، والكشف: ٤٩٣/١، وأساس البلاغة: ٢٢١/٢، ولسان العرب: ٩٠/٢.

وذكر "أبو السعود ت ٩٨٢ هـ" في تفسيره، أن القبح له ثلاث مراتب: القبح الشرعي، والقبح العقلي، والقبح العادي، وقد اجتمع في نكاح الرجل امرأة أبيه كل هذه المراتب، وما اجتمع فيه هذه المراتب فقد بلغ أقصى مراتب القبح<sup>(١)</sup>.

وبهذا تبين تناسب ذكر **«ومَقْتَنًا»** في هذا السياق دون سياق الإسراء، والله أعلم.

الشاهد العاشر<sup>(٢)</sup>: قوله تعالى: **«وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ إِلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُثُّمْ تَعْلَمُونَ»** (الأنعام ٨١).

مع قوله تعالى: **«قُلْ إِنَّمَا حَرَمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمُ وَالْبَغْيُ يَعِيْرُ الْحَقَّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ إِلَيْكُمْ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ»** (الأعراف ٣٣).

آية الأنعام في سياق مجاجة إبراهيم عليه السلام قوله، قال تعالى: **«وَحَاجَةُ قَوْمٍ** قال **أَتَحاجُّوْنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ**...الآيات، وآية الأعراف في سياق بيان ما أحل الله وما حرم على العموم والشمول، قال تعالى: **«قُلْ إِنَّمَا حَرَمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**...الآيات.

وحكى "البقاعي ت ٨٨٥ هـ" علة ذكر **«عَلَيْكُمْ»** في آية الأنعام قائلاً: "ولما كان المقام صعباً؛ لأنَّه أصل الدين أثبت الجار والجرور، وقدمه فقال عليكم سلطاناً"<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر تفسير أبي السعود: ١٦٠/٢.

(٢) رسالة الدر الدائر المنتخب: ٣٢.

(٣) نظم الدرر: ١٦٦/٧.

والسلطان هو الحجة، وإنما سميت الحجة سلطاناً؛ لأنها تسلط على نفس المخاصم<sup>(١)</sup>.

وأحسب أن السر في إشار ذكر **«عَلَيْكُم»** في آية الأنعام لأنها في سياق الحاجة فيمن يستحق الأمان، ومن يتوجب عليه الخوف إبراهيم أم قومه؟ ولما كان الخطاب معهم، وخاصاً بهم، أوجب ذلك ذكر **«عَلَيْكُم»** للتسجيل عليهم زيادة في التهكم بهم والسخرية منهم؛ إذ لا يكون بهذا سلطان أبداً، فضلاً أن يكون عليهم دون غيرهم.

وأما في آية الأعراف ففي سياق الحديث عام لكل مكلف قال تعالى: **«يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ...الآيات»** فالكلام على الإخبار، ولم يستدعي فيه تهكم أو استهزاء حتى يخصص بذكر الجار والمحرور، وكما قيل: "الكلام وارد على سبيل الحقيقة والأصل، وأن نفي إنزال السلطان تارة يكون لاستحالة إنزاله وجوده، وتارة يكون لأنه لا يقع وإن كان مكناً"<sup>(٢)</sup>، ونفي وجود السلطان لاستحالته، وعدم إمكانه في موضع الشاهد، والله أعلم.

الشاهد الحادي العاشر<sup>(٣)</sup>: قوله تعالى: **«قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَكُمْ بِإِلَى مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ»** (الأنعام ٥٠).

(١) ينظر التحرير والتنوير: ٣٣١/٧.

(٢) حاشية ابن المنير على الكشاف: ٧٠٣/٢.

(٣) رسالة الدر الدائر المتنيب: ٣٢.

مع قوله تعالى: ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزَدَّرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتَيْهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمْنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (هود ٣١).

جاءت آية الأنعام في سياق أمر الرسول ﷺ أن يخاطب الجاحدين المكذبين بقوله، فيما حكااه القرآن: ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ... ﴾ (الأنعام ٥٠).

وأما آية هود فحكاية عن سيدنا نوح عليه السلام مع قومه ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ... ﴾ (هود ٣١).

فكترت (لكم) في آية الأنعام دون هود، والفرق بين التكرار وعدمه، أن مع التكرار تقويةً للفعل وتأكيداً له؛ لأن اللام في (لكم) كما قيل: لام التبليغ فهي تفيد تقوية فعل القول<sup>(١)</sup>.

وإنما ذكرت في آية الأنعام دون آية هود؛ لأنها في الأنعام في سياق أمر الرسول ﷺ بتبلیغه قريشاً والعرب توبیخاً لهم وتقریعاً لما حکاه القرآن الكريم من عنادهم وقبح اقتراحاتهم ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ اللَّهُ مَلَكٌ وَلَوْأَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنَظَّرُونَ ﴾ (الأنعام ٨)، وهم أهل فصاحة وبيان، فكان يکفيهم ما نزل من القرآن، ولم يتقدم مثل هذا في آية هود.

كما أن في آية الأنعام تصريحاً بإسناد القول إلى الله<sup>بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ</sup> ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ ﴾، وأما آية هود فهو من قول نوح عليه السلام من غير تصريح بإسناد الفعل إلى الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر التحریر والتنویر: ٢٤٠/٧.

(٢) ينظر نظم الدر: ١٢٣/٧.

فناسب في الأول تكرار (لكم) مع تصريح القول بإسناده إلى الله تعالى لكونه أكيد وأقوى في الإخبار والخطاب بخلاف المفهوم من آية هود، والله أعلم.

الشاهد الثاني عشر<sup>(١)</sup> : قوله تعالى : **﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾** (الأعراف .١١٠).

مع قوله تعالى : **﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ يَسْخِرُهُ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾** (الشعراء .٣٥).

في ذكر الكلمة **«يسخره»** في آية الشعراء دون آية الأعراف تأكيد منهم على ادعاء لزوم السحر لما جاء به سيدنا موسى عليه السلام من المعجزات ، وأن ما جاء به من الآيات لا يخرج —على زعمهم— عن كونه سحراً.

ولعل سر إيهار **«يسخره»** في آية الشعراء دون آية الأعراف ؛ تبييز بين قول فرعون وقول الملا من قومه ، فالذى في الأعراف قول الملا ، قال تعالى حاكياً قولهم **﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمٍ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾** (١٠٩) **﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾** (الأعراف .١٠٩ ، ١١٠) ، وأما الذي في آية الشعراء فهو قول فرعون نفسه ، قال تعالى حاكياً عنه **﴿قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾** (٣٤) **﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ يَسْخِرُهُ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾** (الشعراء .٣٤ ، ٣٥).

ولا شك أن فرعون أحنق على موسى من ملئه ، وأعظمهم له بغضاً وكراهة ، فأبلغ في مقالته ، وأشبع فيها حتى يؤكده لهم ما ادعاه وافتراه<sup>(٢)</sup>.

(١) رسالة الدر الدائر المنتخب .٣٢.

(٢) ينظر درة التنزيل : ٦٥١/٢ ، وملاك التأويل : ٢١٥/١ ، ٢١٦.

وزيادة على ما تقدم، فإن سورة الأعراف قبل سورة الشعراة ترتيباً ونزاولاً<sup>(١)</sup>، ومقتضى ذلك - فيما أحسب - أن ما ورد في الأعراف يحكي أول رد على سيدنا موسى عليه السلام فيما أوتاه من آيات، وكان الرد أولاً من الملا، كما يوضحه سياق الآيات في السورة في أكثر من موضع، وأما في آية الشعراة فكان الحديث دائراً بين موسى عليه السلام وفرعون نفسه، ولما أحسن فرعون بغلبة موسى عليه السلام أسرع يدفع ويبالغ في الدفع فزاد في لفظه **(ساحرٍ)** ليكرر على أذهان الناس لفظ السحر إذ لم يكتف بقوله **(إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلَيْمٌ)**، وقد أكد هذا المعنى "الزمخشري ت ٥٣٨ هـ" في "كتابه" قائلاً: "ولقد تغير فرعون لما أبصر الآيتين، وبقي لا يدرى أى طرف فيه أطول، حتى زل عنده دعوى الإلهية، وحط عن منكبيه كبراءة الربوبية، وارتعدت فرائصه، وانتفخ سحره، خوفاً ورقاً، وبلغت الاستكانتة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو إلا لهم أن طفق يؤامرهم ويعترف لهم بما حذر منه وتوقعه، وأحس به من جهة موسى عليه السلام وغلبته على ملكه وأرضه"<sup>(٢)</sup>. هذا، والله أعلم.

**الشاهد الثالث عشر<sup>(٣)</sup>**: قوله تعالى: **(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذِلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)** (يوسف ٢٢).

مع قوله تعالى: **(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذِلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)** (القصص ٤).

(١) ترتيب سورة الأعراف في المصحف (٧)، ونزاولاً (٣٩)، وأما سورة الشعراة فترتديها في المصحف (٢٦)، ونزاولاً (٤٧).

(٢) الكشاف: ٣١٠ / ٣.

(٣) رسالة الدر الدائر المتخب ٣٢.

جاء لفظ **«وَاسْتَوَى»** مع سيدنا موسى دون سيدنا يوسف عليهما السلام، والاستواء: هو الاعتدال في السن وكمال استحكامه، وبلغه مبلغاً لا مزيد عليه.<sup>(١)</sup>

وللعلماء في توجيه الذكر والمحذف في الآيتين أمران:

الأول: أن لسيدنا موسى عليه السلام من كمال البنية واستحكام القوة ما لم يكن لسيدنا يوسف عليه السلام، وما ذكر في سياق قصة موسى عليه السلام من وكز القبطي فقضى عليه، دليل على هذا، مع ما ورد في الحديث الشريف: "موسى آدم طوال كأنه من رجال شنؤة"<sup>(٢)</sup>، يعني العظم وكمال القوة والشدة<sup>(٣)</sup>.

الثاني: أن يوسف عليه السلام قد أوحى الله إليه وهو صغير في البئر، قال تعالى: **«وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لِتُبَيَّنُهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ»** (يوسف ١٥)، وأما موسى عليه السلام فلم يوح إليه إلا بعد بلوغ الأشد وكمال الاستواء، فلم يتظر في يوسف عليه السلام مثلما انتظر في موسى عليه السلام الذي أوحى إليه بعد الأربعين<sup>(٤)</sup>.

ولعل أيضاً من سر اصطفاء لفظ **«وَاسْتَوَى»** مع موسى عليه السلام الإلحاح إلى كونه من أولي العزم من الرسل، وأنه سيلقى في سبيل تبليغ دعوته ألواناً من الابتلاء والمحن أضعاف ما يلقى يوسف عليه السلام؛ إذ إنه سيرسل إلى من ادعى الألوهية، قائلاً فيما حكاه القرآن عنه: **«مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي»** (القصص ٣٨)، سيرسل إلى فرعون الذي وصف بالتجبر والعلو في الأرض، فناسب ذلك أن يكون المرسل إليه على أكمل الصفات وأقوى البنى، وقد

(١) ينظر السابق: ٣٩٧/٣، ونظم الدرر ٢٥٣/١٤.

(٢) صحيح مسلم، برواية ابن عباس - باب الإسراء - حديث (١٦٥): ١٥١/١.

(٣) ينظر درة التنزيل: ٧٩٥/٢، والتحرير والتتوير: ٨٧/٢٠.

(٤) ينظر درة التنزيل: ٧٩٥/٢، والبرهان في توجيه متشابه القرآن: ١٤١/١.

حکی القرآن عن صفتہ تلك فی وکر القبطی، وقول إحدى ابنتی شعیب الشیخ  
**«الْقَوِیُّ الْأَمِینُ»** وکما أخبر المصطفیٰ ﷺ فی الحديث المتقدم، کل ذلك -فیما  
 أحسب - ناسب ذکر **«وَاسْتَوَی»** مع موسی دون یوسف علیهمما السلام،  
 والله أعلم.

الشاهد الرابع عشر<sup>(۱)</sup>: قوله تعالى: **«وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْواجًا**  
**وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيَّابَاتِ أَفَيَا بَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ**  
**وَيَنْعَمُتَ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ»** (النحل ۷۲).

مع قوله تعالى: **«أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ**  
**حَوْلِهِمْ أَفَيَا بَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمُهُ اللَّهُ يَكْفُرُونَ»** (العنکبوت ۶۷).

جائت آیة النحل بذکر **«هُمْ»** مقدماً علی الفعل **«يَكْفُرُونَ»**، وهذا یفید  
 التوكید وتقویة الحكم وتقریره؛ لأنّه تقدیم قال عنه "عبدالقاھرت ۴۷۱ھ":  
 "أردت أن تتحقق على السامع أنه قد فعل، وتنفعه من الشك، فأنت بذلك تبدأ  
 بذکره، وتوقعه أولاً، ومن قبل أن تذكر الفعل في نفسه لكي تباعده بذلك  
 عن الشبهة، وتنفعه من الإنكار أو أن يظن بك الغلط أو التزید".<sup>(۲)</sup>

وفي سیاق سورۃ النحل ما یستوجب ذکر الضمیر (هم) الذي یسجل  
 عليهم الكفر بالنعمة، وینع من أن یتوهم السامع أن المراد غير المخاطبين  
 بهذا؛ إذ هي سورۃ (نعم) وذکر الآلاء مع کثرتها وتعددها الذي یوجب  
 الشکر والطاعة<sup>(۳)</sup>، ومع ذلك كان منهم الجحود والکفر، فناسب ذلك توکید

(۱) رسالة الدر الدائر المنتخب ۳۲.

(۲) دلائل الإعجاز: ۱۲۸، ۱۲۹.

(۳) ولعل ما یستأنس به هاهنا - وهو من سر إعجاز الرسم العثماني - رسم کلمة  
 (نعم) بالباء المفتوحة في سورۃ النحل دليلاً علی السعة والکثرة، بينما هي بالباء المربوطة  
 في سورۃ العنکبوت ، ، وكأنه یعطي بعض الدلالات التي توافق السیاق ، والله أعلم.

ثبوت الفعل بذكر الضمير، وأما آية العنكبوت فالسياق في حديث عن نعمة مخصوصة لمخاطبين معلومين مخصوصين لا يلتبس فيه الإخبار بالخطاب، قال تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَكَا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَحَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَيَا بَاطِلٌ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعِمُهُ اللَّهُ يَكْفُرُونَ﴾** (العنكبوت ٦٧)، فلم يستوجب ذكر الضمير كما في التحل، والله أعلم.

**الشاهد الخامس عشر<sup>(١)</sup>** : قوله تعالى: **﴿كُلُّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غُمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾** (الحج ٢٢).

مع قوله تعالى: **﴿كُلُّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾** (السجدة ٢٠).

جاءت آية الحج بذكر **«من غم»** ، ولم تذكر في آية السجدة مع أن السياق في الآيتين في الحديث عما يلحق الكفار من العذاب في النار، والمراد بالغم: "الקרב والأخذ بالنفس حتى لا يجد صاحبه متنفساً"<sup>(٢)</sup>.

للعلماء في توجيه محل **«من غم»** من الجملة رأيان:

الأول: أنها بدل اشتمال من قوله (منها) التي وردت قبلها؛ لأن النار تشتمل على الغم، وحذف الضمير لفهم المعنى أي من غمها.

الثاني: أن (من) للتعليق والسببية فتتعلق بيخرجوا؛ لأن المعنى أنهم أرادوا أن يخرجوا من النار لأجل الغم الذي لحق بهم فيها<sup>(٣)</sup>.

(١) رسالة الدر الدائر المنتخب ٣٣.

(٢) البرهان في توجيه متشابه القرآن: ١٨١ / ١.

(٣) ينظر تفسير ابن عطية: ٤/١١٤، البحر المحيط: ٧/٤٩٦، وإعراب القرآن وبيانه: ٦/١٦.

وأما عن سر إيثار **«منْ غَمٌ»** في الحج دون السجدة ؛ فلأن التفصيل الذي هو في سورة الحج استدعي وأوجب تلك الزيادة والتفصيل ، قال تعالى : **«فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصَهَّرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُمْ مَقَامٌ مِنْ حَدِيدٍ»** (الحج ١٩ - ٢١) فهذا التفصيل لألوان العذاب وصنوفه ، أوجب الإطناب بذكر **«منْ غَمٌ»** ، بخلاف ما في السجدة ، فقد أتى الكلام موجزاً مختصرأ من غير تفصيل ، قال تعالى : **«وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا وَاهَمُ النَّارُ كُلُّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا»**<sup>(١)</sup> ، والله أعلم .

الشاهد السادس عشر<sup>(٢)</sup> : قوله تعالى : **«ذَلِكَ يَأْنَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ»** (الحج ٦٢) . مع قوله تعالى : **«ذَلِكَ يَأْنَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ»** (لقمان ٣٠) .

جاءت آية الحج مشتملة على ضمير الفصل **«هُوَ»** دون آية لقمان ، وضمير الفصل يفيد معنى الاختصاص والقصر ، من باب قصر الموصوف على الصفة ، قصراً يفهم منه أن لا باطل غير باطلهم الذي يدعونه من دون الله تعالى ، وكل باطل بجانبه لا يعد باطلاً ؛ نظراً لأن أصل الدين التوحيد ، وعدم الإشراك ، وفي هذا زيادة تحقيير وتسيفيه لهم .

وأما عن سر اختصاص آية الحج بضمير الفصل دون لقمان ، فقد قيل : إن آيات سورة الحج تقدمت فيها توكييدات متراوحة في مواضع عده ، كل

(١) ينظر درة التنزيل : ٩٢٤/٢ ، والبرهان في توجيه متشابه القرآن : ١٨١/١ ، وملاك التأويل : ٣٥٨/٢ .

(٢) رسالة الدر الدائر المنتخب . ٣٣ .

آية مؤكدة مرة أو مرتين<sup>(١)</sup>، فكثرة التوكيدات في سورة الحج ناسبها ذكر ضمير الفصل فيها، وأما لقمان فقد خلت من مثل تلك التوكيدات؛ ومن ثم لم يستدعا الحال ذكر الضمير، كما استدعاه في آية الحج<sup>(٢)</sup>.

وقيل: ذكر ضمير الفصل جاء لمناسبة قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا دُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾** (الحج ٧٣)، فجاء قوله تعالى: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾** (الحج ٦٢)؛ بثابة التعليل له، وإن تقدم عليه، ولكن هذا من سنن العرب في كلامهم<sup>(٣)</sup>.

وأحسب أن سر اصطفاء ضمير الفصل في الحج هو التأكيد على وصف البطلان لعبادة الأوثان التي يعبدونها من دون الله، وهذا التأكيد جاء لأن السورة أشارت في أكثر من موضع إلى عبادتهم تلك، بخلاف سورة لقمان، فجاء في الحج **﴿فَاجْتَبَيْوَا الرِّجْسَ مِنَ الْأُوْتَانِ﴾**، **﴿حَنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرُ مُشْرِكِينَ يَهُ﴾**، **﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْنَ يَهُ سُلْطَانًا﴾**، **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾** وهذا مع ما بني عليه النظم في السورة من كثرة التوكيدات، والله أعلم. **الشاهد السابع عشر<sup>(٤)</sup>**: قوله تعالى: **﴿إِذْ قَالَ لَأَيْهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾** (الشعراء ٧٠).

مع قوله تعالى: **﴿إِذْ قَالَ لَأَيْهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾** (الصفات ٨٥).

(١) ينظر درة التنزيل: ٩٣٠ / ٢، والبرهان في توجيهه متشابه القرآن: ١٨٢ / ١.

(٢) أسلوب التوكيد يمثل ظاهرة بارزة في معظم آيات سورة الحج إن لم يكن في كل آية، وتلك ظاهرة جديرة بأن تقوم بها دراسة مستقلة، تكشف عن أسرارها.

(٣) ينظر ملاك التأويل: ٣٦٣ / ٢.

(٤) رسالة الدر الدائر المتخبـ ٣٢.

هل هناك فرق بين الاستفهام بـ "ما" ، والاستفهام بـ "ماذا" ؟ للعلماء في هذا رأيان :

الأول : أن "ماذا" هي في معنى "ما" في أن كلاً منها للاستفهام ، وجعلت "ذا" التي هي اسم إشارة في الأصل مع "ما" في حكم الكلمة الواحدة ، وكل منهما في محل نصب على المفعولية ، والمعنى : أي شيء تعبدون من دون الله ؟ الثاني : أن "ماذا" مكونة من "ما" وحدها وهي للاستفهام ، و "ذا" اسم موصول بمعنى الذي ، والجملة بعدها صلة ، ويكون المعنى في الاستفهام بها : أي شيء الذي تعبدونه من دون الله ، ومحلها الرفع على الابتداء والجملة من اسم الموصول وصلته خبر<sup>(١)</sup>.

وعلى كلا الرأيين فالاستفهام بـ "ماذا" أبلغ في موضعه من الاستفهام بـ "ما" ؛ وذلك لأن السياق في سورة الصافات للتقرير والإنكار والتوبیخ ، فكان الاستفهام بـ "ماذا" لتحمل مع الاستفهام معنى التوبیخ والتقریر ، ولذا جاء بعقبها **﴿أَفْنِكَا إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾** (الصافات ٨٦) ، استفهام إنکاري يؤکد معنى التقریر والتحقیر الذي سبق في قوله **﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾** ، وأما في سورة الشعراء فسياق مجاجة في ابتداء الدعوة<sup>(٢)</sup> ، فناسبه الاستفهام بـ "ما" الحالیة من إشارة التحقیر والتوبیخ ، إذ لم يرد أن يبدأهم بالتوبیخ بل بالاستفهام الذي ينبههم أول الأمر على حقيقة ما يعبدون ؛ لذا بعقبها **﴿قَالُوا تَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُ لَهَا عَاكِفِينَ﴾** (الشعراء ٧١).

(١) ينظر توضیح المقاصد والمسالک بشرح ألفیة ابن مالک : ٤٠ / ١ ، ومفہی الليب : ٣٩٥ / ١.

(٢) وما يستأنس به في هذا أن الشعراء نزولا قبل الصافات ، فسورة الشعراء نزولا (٤٧) ، وسورة الصافات (٥٦).

وأكَدَ هَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا ذِكْرُ تَنْكِيلِهِ بِالْأَصْنَامِ وَتَكْسِيرِهِ لَهَا فِي سُورَةِ الْصَّافَاتِ **﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرِبًا يَالْيَمِينِ﴾**، وَلَمْ يُذَكَرْ مُثْلُ هَذَا فِي الشِّعْرَاءِ؛ لِأَنَّهُ فِي بِداِيَةِ الدُّعَوَةِ، وَبِداِيَةِ التَّنْبِيهِ عَلَىِ الْضَّلَالِ<sup>(١)</sup>، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

**الشاهد الثامن عشر<sup>(٢)</sup>** : قَوْلُهُ تَعَالَى : **﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنُوا مَكَانَهُ يَالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخْسَفَ بَنا وَيَكَانُهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾** (القصص ٨٢).  
مَعْ قَوْلُهُ تَعَالَى : **﴿الَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** (العنكبوت ٦٢).

جاءَتْ آيَةُ العنكبوتِ بِذِكْرِ (لَهُ)، وَجاءَتْ آيَةُ القصصِ بِدُونِهَا، وَذِكْرُ "الإِسْكَافِيِّ ت ٤٠ هـ" سُرِ ذِكْرِ (لَهُ) فِي العنكبوتِ دُونَ القصصِ لِأَنَّ الْمَعْنَى فِي العنكبوتِ عَلَى أَنَّ مَنْ يَقْدِرُ لَهُ هُوَ مَنْ يَبْسُطُ لَهُ فِي وَقْتَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، فَالْقَبْضُ وَالْبَسْطُ لَوْاحدٍ فِي حَالَيْنِ، وَأَمَّا فِي سُورَةِ القصصِ فَالْمَعْنَى عَلَى أَنَّ اللَّهَ يُوَسِّعَ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ لَا لِكَرَامَتِهِ، كَمَا وُسِّعَ عَلَى قَارُونَ، وَيُضِيقُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ لَا لَهْوَانَهُ، كَمَا ضَيَّقَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ آمِنِ بِهِ<sup>(٣)</sup>.

وَعَلَيْهِ فَالْمَعْنَى فِي العنكبوتِ غَيْرُهُ فِي القصصِ؛ إِذَا فِي العنكبوتِ الْبَسْطُ وَالْقَدْرُ لِشَخْصٍ وَاحِدٍ فِي حَالَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ عَلَى حَسْبِ الْمَشِيَّةِ، وَأَمَّا فِي القصصِ فَالْبَسْطُ لَوْاحدٍ، وَالْقَدْرُ لِغَيْرِهِ عَلَى حَسْبِ الْمَشِيَّةِ أَيْضًا.

(١) ينظر درة التنزيل: ٩٦٥/٢ ، والبرهان في توجيهه متباينه القرآن: ١٩٠/١ ، ونظم الدرر: ١٦/٢٥٣ ، والتحrir والتنوير: ٢٣/١٣٨ .

(٢) رسالة الدر الدائر المتنيب: ٣٣ .

(٣) ينظر درة التنزيل: ٣/١٨٠ .

وَقِيلَ : "إِنْ آيَةُ الْعَنْكبوتِ الْكَلَامُ فِيهَا مَتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَكَأَيْنُ مِنْ دَآبَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾" ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ : إِنَّ الْمُشْرِكِينَ عَيَّرُوا الْمُسْلِمِينَ بِالْفَقْرِ ، وَقِيلَ : إِنَّ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا : إِنَّ هَاجِرْنَا لَمْ نَجِدْ مَا نَنْفَقَ" <sup>(١)</sup> .

فَبَصَرُهُمُ اللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ الْقَدْرَ فِي الرِّزْقِ هُوَ لَهُمْ لَا عَلَيْهِمْ ، وَلِذَلِكَ قَالَ : ﴿وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ ، وَالْأَصْلُ أَنْ يَقُولَ : يَقْدِرُ عَلَيْهِمْ ، كَمَا فِي آيَةِ أُخْرَى ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ (الطلاق ٧) ، فَبِهِ بِاللَّامِ إِلَى فَائِدَةِ مَا فِي الْقَدْرِ إِنْ قَدْرٌ ، وَكَمَا فِي جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : "مَا مِنْ مَصْبِيَّةٍ تُصَبِّ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشُّوكَةَ يِشَاكِهَا" <sup>(٢)</sup> ، وَلَوْلَا هَذَا الْإِيمَاءُ لَقِيلَ : يَقْدِرُ عَلَيْهِ <sup>(٣)</sup> ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

\* \* \*

---

(١) التحرير والتنوير : ٢٨/٢١ .

(٢) صحيح البخاري - باب ما جاء في كفارة المرض - من حديث عائشة <sup>رض</sup> ٥٦٤٠ : ٧/١٤ .

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٢١/٢٢ ، ٢٧/٢٢ ، ٢١٩/٢٢ .

### المبحث الثالث

#### شواهد متشابه النظم بين المقدم والمؤخر

وفيه مطلبان

**المطلب الأول :** شواهد متشابه النظم في التقديم والتأخير في طرفي الإسناد.

**المطلب الثاني :** شواهد متشابه النظم في التقديم والتأخير بين المتعلقات.

**المطلب الأول :** شواهد متشابه النظم في التقديم والتأخير في طرفي الإسناد.

يهمت هذا المطلب بدراسة شواهد متشابه النظم بين الآيات التي ذكرت في رسالة "الزمخشري ت ٥٣٨ هـ" حول متشابه النظم في التقديم والتأخير في طرفي الإسناد، بتقديم المسند تارة على المسند إليه، أو بالعكس، أو بتقديم جملة كاملة على جملة أخرى، أو بتقديم ما تعلق بالمسند إليه عليه، أو ما تعلق بالمسند عليه، وبيان الأسرار في ذلك، وجهة اختلاف المعنى فيه، وسفر اصطفاء كل نظم في موضعه، وقد بلغ عدد الشواهد في هذا المطلب سبعة شواهد، بيانها على التفصيل كالتالي:

**الشاهد الأول<sup>(١)</sup> :** قوله تعالى: **«وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغْدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حَطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ»** (البقرة ٥٨).

مع قوله تعالى: **«وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حَطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ»** (الأعراف ١٦١).

(١) رسالة الدر الدائر المنتخب ٣٣.

في سياق الحديث عن أحوال بني إسرائيل، وأخبارهم إزاء ما أنعم الله عليهم من نعم، وما كان منهم كفر وجحود، ذكر في آية البقرة مقدماً الأمر بالدخول ساجدين على الأمر بالدعاء والاستغفار، بينما ذكر في آية الأعراف مقدماً الأمر بالاستغفار على الأمر بالدخول ساجدين.

وللعلماء في سر تنوع الأسلوب في الآيتين اجتهادات في التوجيه منها: أن الله يحكى ما وقع لبني إسرائيل وسائر الأنبياء مع أقوامهم، يحكى معاني الأفاظهم، ولا يحكى الألفاظ بأعيانها، والدليل على ذلك أن اللغة التي كانوا يتكلمون بها غير العربية، وما دام الأمر كذلك فكان مخيراً بأن يؤديه بأي لفظ أراد، وكيف شاء من تقديم وتأخير بحرف لا يدل على ترتيب كالواو<sup>(١)</sup>. ولعل هذا التوجيه كان سبباً في أن يقول "ابن عاشور ت ١٣٩٣ هـ" إن ما بين الآيتين من باب التفنن في أداء الكلام؛ لأن القصد إلى أن كلا القولين واقع قُدم أو أخر<sup>(٢)</sup>.

وهذا، وإن كان صحيحاً على الإجمال؛ غير أنه لا يخص هذا الموضع دون غيره، فتلك قضية مقررة، ولا يعني الإخبار عن معاني القوم أن يكون ذلك من غير مناسبة في كل موضع تغير فيه نظم الحكاية عنهم، أو الأمر لهم؛ فالبلاغة اختيار من بين البدائل، ومراعاة المقامات والسياقات، وكل تغيير في النظم يتبعه تغيير في المعاني، والقول بمجرد التفنن في الكلام من دون معنى يتلمس، أو سر يستخرج مما لا يجوز القول به – فيما أحسب – في النظم القرآني.

(١) ينظر درة التنزيل: ٢٣٨/١.

(٢) ينظر التحرير والتنوير: ١٤٥/٩.

ومن تلك الاجتهادات أيضاً: ما ذهب إليه "الكرماني ت ٥٠٥ هـ" من أن آية سورة البقرة قدم فيها **﴿وَادْخُلُوا﴾** على **﴿وَقُولُوا حِطْة﴾** لأن السابق في هذه السورة (دخلوا) وبين كيفية الدخول<sup>(١)</sup>.

ولعله يقصد بذلك قوله تعالى: **﴿وَإِذْ كُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾** فناسبها بيان كيفية الدخول يعني أن يدخلوا سجداً، فقدم على قولهم **﴿حِطْة﴾**، وأما في آية الأعراف فلم يذكر الدخول، بل قال **﴿اسْكُنُوا﴾**، أو لعله يقصد أن الأمر بالدخول مقدم على الأمر بالاستغفار فيما هو الأصل، فقدم لذلك.

ومن تلك التوجيهات أيضاً: ما ذكره "الغرنطي ت ٧٠٨ هـ" في كلام كثير خلاصته أن "الواو" مقصود بها في الموضعين المعية؛ لأنهم أمروا أن يقولوا **﴿حِطْة﴾** حال السجود، فالمراد الجمع بين الأمرين، والمعنى: ادخلوا الباب سجداً قائلين في سجودكم حطة، فقدم وأخر بين الأمرين ليعلم أنهما غير منفصلين، بل كل واحد منهمما مع الآخر لأن "الواو" لا تقتضي ترتيباً، إذ لو ورد على حد سواء في الموضعين لتوهم أنهم أمروا بالأمرين منفصلين، وإنما التقديم للسجود في البقرة لأن ابتداء السجود يتقدم ابتداء الدعاء، فقدم مع المقدم<sup>(٢)</sup>.

ومن التوجيهات أيضاً - ولعله أوجهها فيما أحسب - ما ذكره "القاعي ت ٨٨٥ هـ" إذ نظر إلى سياق البقرة وسياق الأعراف، ففي سورة البقرة السياق لعد النعم وكثرة الآلاء فقدم الدخول مع السجود الذي هو أقرب للتشريف على قولهم **﴿حِطْة﴾** المشعر بالذنب، وأما في الأعراف فالسياق ليبيان

(١) البرهان في توجيهه متشابه القرآن: ١ / ٧٣.

(٢) ينظر ملأك التأيل: ١ / ٣٧ وما بعدها.

ما تحملوه من الآثام وما فعلوه تجاه الإنعام، فقدم **«وَقُولُوا حِطْةٌ»** ليكون أول قارع للسمع مما أمروا به ليشعر بعظم ذنبهم على آثامهم، وهو المناسب لورود القصة في سياق سورة الأعراف.<sup>(١)</sup> والله أعلم.

**الشاهد الثاني<sup>(٢)</sup>** : قوله تعالى : **«وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعُتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ»** (البقرة ١٢٠).

مع قوله تعالى : **«وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنَّ يُؤْتِي أَحَدًا مِثْلًا مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُجُوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ يَرِدُ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ»** (آل عمران ٧٣).

جاءت آية البقرة في سياق الرد على اليهود والنصارى ، قال تعالى : **«وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ...»** (البقرة ١٢٠).

وأما آية آل عمران ففي سياق بيان مكر أهل الكتاب وكيدهم للذين آمنوا ، قال تعالى : **«وَقَاتَلَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...»** (آل عمران ٧٢)،

فقدم في كل موضع ما يناسب سياقه.

فالمراد من (هدى الله) هو دين الإسلام ، الدين القويم والصراط المستقيم ، والمراد من (الهدي) الكامل في صفة الهدایة ، وال الصحيح فيها.

ففي آية البقرة **«قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى»** يعني : "أن هدى الله الذي هو الإسلام هو الهدي الحق الذي يصح أن يسمى هدي ، وهو الهدي كله ليس وراءه هدي ، وما تدعون إلى إتباعه ما هو بهدي إنما هو هوى".<sup>(٣)</sup>

(١) ينظر نظم الدرر : ٣٩٣/١ ، ١٤٥/٩.

(٢) رسالة الدر الدائر المنتخب . ٣٤.

(٣) الكشاف ١/١٨٣.

فابجملة من باب القصر والاختصاص قصراً حقيقةً، قصر الصفة على الموصوف، وقد أكدت بأكثر من مؤكّد لتكون أوّل في الرد على اليهود والنصارى في طلبهم أو إرضائهم في اتباع دينهم، جاء في "البحر المحيط": "وأكّد الجملة بأن وبالفصل الذي قبل، فدل على الاختصاص والحصر، وجاء بالهدى معرفاً بالآلف واللام وهو مما قيل: إن ذلك يدل على الحصر".<sup>(١)</sup>

إذن الحصر أو القصر مفهوم من طريقين في محل الشاهد، من تعريف الطرفين، ومن ضمير الفصل، وكل طريق يؤكّد الآخر، كما أن الآلف واللام في (الهدى) تدل على استغراق الجنس، وفي مثل هذا المعنى يقول "عبد القاهر ت ٧١ هـ": "أن تقصير جنس المعنى الذي تفيده بالخبر على الخبر عنه، لا على معنى المبالغة وترك الاعتداد بوجوده في غير الخبر عنه، بل على دعوى أنه لا يوجد إلا منه".<sup>(٢)</sup>

وأما آية آل عمران **﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾** فهي من باب قصر الصفة على الموصوف، والمعنى قل طريق الهدى الحق هو أن يهديكم الله إليه لا ما تفعلونه من مكر وخداعة من إسلام مزعوم في أول النهار وكفران في آخره، وطريقه واحد هو تعريف الطرفين، والمعنى: "أن الهدى هدى الله من شاء يلطف به حتى يسلم، أو يزيد ثباته على الإسلام، ولم ينفع كيدكم وحيلكم".<sup>(٣)</sup>

(١) البحر المحيط / ٥٩٠.

(٢) دلائل الإعجاز: ١٨٠.

(٣) الكشاف: ٣٧٤ / ١.

والجملة جاءت معتبرضة لبيان أن الهدى هو أن يهديكم الله إلى الطريق الصحيح، وليس أن تمكروا وتبينوا مخادعين<sup>(١)</sup>. فكان الأولى في هذه تقديم طريق الهدایة وبيان سبيلها؛ لأن السياق في الحديث عن مخادعة اليهود والنصارى في طرق الهدایة، كما كان الأولى في آية البقرة تقديم ما هو الدين الحق؛ لأن السياق هناك في الرد على اليهود والنصارى في اتباع دينهم؛ لزعمهم أنه الحق، والله أعلم.

الشاهد الثالث<sup>(٢)</sup> : قوله تعالى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسَطَا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتُ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِنْ يَنْقُلِبُ عَلَى عَقِيقَتِهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ» (البقرة ١٤٣).

مع قوله تعالى: «وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقًّا جِهَادُهُ هُوَ اجْتِبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةً أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّا كُمُّ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لَيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنَعِمَ الْمَوْلَى وَنَعِمَ النَّصِيرُ» (الحج ٧٨).

قدم الجار والجرور في آية البقرة (عليكم) على الخبر (شهيدا) وقد أفاد هذا التقديم الاختصاص والقصر، يقول "الزمخشري ت ٥٣٤ هـ :

(١) معاني النحو: ٥١ / ١ . ٥٢ .

(٢) رسالة الدر الدر المتنبي . ٣٤ .

"فَإِنْ قُلْتَ: لَمْ أَخْرُتْ صَلَةَ الشَّهَادَةِ أَوْلًا، وَقَدَّمْتَ آخَرًا؟ قُلْتَ: لَأَنَّ الْغَرْضَ فِي الْأُولِي إِثْبَاتُ شَهَادَتِهِمْ عَلَى الْأَمْمَ، وَفِي الْآخِرِ اخْتِصَاصَهُمْ بِكَوْنِ الرَّسُولِ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ"<sup>(١)</sup>

وهذا ما يؤكده السياق في سورة البقرة من بيان فضل هذه الأمة وتشريفها، قال تعالى: **«وَكَذَّلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطَا»** فكان من جملة التشريف اختصاصهم بكونهم مشهوداً عليهم من النبي المعلم خصوصاً دون غيره، وأما في تقديم (شهيداً) على قوله (عليكم) فقد انتقل الغرض إلى الامتنان على النبي صلى الله عليه وسلم، كما في سورة الحج<sup>(٢)</sup>؛ لأن السياق هناك عن الدين الذي جاء به المصطفى ﷺ، وإثبات شهادته على الأمة، لا اختصاص الأمة بشهادته، والله أعلم.

**الشاهد الرابع<sup>(٣)</sup>:** قوله تعالى: **«وَلَتَطْمَئِنَ قُلُوبُكُمْ يَهُ»** (آل عمران ٢٦). مع قوله تعالى: **«وَلَتَطْمَئِنَ يَهُ قُلُوبُكُمْ»** (الأنفال ١٠).

سبق تناول هذا الشاهد مع شواهد البحث الثاني<sup>(٤)</sup>، وخلاصته هناك أنه لما كانت العناية بضمير القوم وبحالهم، وكون البشري لهم دون غيرهم قدم ضميرهم؛ فقال عَزَّلَ: **«وَلَتَطْمَئِنَ قُلُوبُكُمْ يَهُ»** بدليل ذكر **«لَكُمْ»** في قوله **«بُشِّرَى لَكُمْ»**، ولما كانت العناية بالبشر به، وبالإمداد نفسه قدم ما فيه ضمير الإمداد فقال عَزَّلَ: **«وَلَتَطْمَئِنَ يَهُ قُلُوبُكُمْ»**، ولم يذكر **«لَكُمْ»** في قوله: **«وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشِّرَى»** كما ذكر في الموضع الآخر، والله أعلم.

(١) الكشاف: ١٩٩/١، ٢٠٠.

(٢) ينظر حاشية ابن المنير بهامش الكشاف: ١٩٩/١.

(٣) رسالة الدر الدائر المنتخب: ٣٤.

(٤) ينظر الشاهد الثامن من المطلب الثاني.

الشاهد الخامس<sup>(١)</sup> : قوله تعالى: «ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خالقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكَفِيلٌ» (الأنعام ٢٠). مع قوله تعالى: «ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خالقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانِي ثُوفَكُونَ» (غافر ٦٢).

قدم في آية الأنعام ما يدل على التوحيد ونفي الشريك، ثم أتبعه بذكر الخلق استدلاً على مطلق القدرة وبيان العلة؛ فقال تعالى: «ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خالقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكَفِيلٌ» (الأنعام ٢٠)، وقد ذكر جمع من علماء التناصب أن الذي استوجب ذلك هو السياق، وهو من الواضح بما لا يخفي على أحد، قال تعالى: «وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّةِ وَخَلَقُهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَيْنَ وَبَيْنَاتِ يَعْبُرُ عِلْمُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ» (الأنعام ١٠٠)، فاستوجب ذلك تقديم كلمة التوحيد ونفي الشريك<sup>(٢)</sup>.

كما أن تقديم ذكر الخلق في آية غافر «ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خالقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانِي ثُوفَكُونَ» (٦٢)؛ لأنها في سياق التذكير بالنعم وتعدادها، وقد سبقها قوله تعالى: «لَخْلُقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» (غافر ٥٧)؛ فكان السياق في تقرير أمر الخلق وتشييه استدلاً على قيام الساعة التي ينكرونها ويجادلون في أمرها، قال تعالى: «إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةً لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ»

(١) رسالة الدر الدائر المتنخب ٣٤.

(٢) ينظر درة التنزيل: ٥٣٥/٢، ٥٣٦، والبرهان في توجيه متشابه القرآن: ١١٢/١، وملاك التأويل: ١٦٧/١، ١٦٨، ونظم الدرر: ٢١٨/٧.



(غافر ٥٩)، فناسب ذلك تقديم ذكر الخلق على كلمة التوحيد<sup>(١)</sup>، والله أعلم.

الشاهد السادس<sup>(٢)</sup> : قوله تعالى: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآباؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلِ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (المؤمنون ٨٢).

مع قوله تعالى: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآباؤُنَا مِنْ قَبْلِ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (النمل ٦٨).

جاءت آية المؤمنون على الأصل من غير تقديم لفظ (هذا)؛ لأن ما في هذه السورة على القياس ، فإنضمير المرفوع المتصل لا يجوز العطف عليه ، حتى يؤكّد بالمنفصل فأكّد ﴿وَعِدْنَا نَحْنُ﴾ ثم عطف عليه ﴿وَآباؤُنَا﴾ ، ثم ذكر المفعول وهو ﴿هَذَا﴾<sup>(٣)</sup>.

وهذا ما عليه أصل الصناعة النحوية ، ولكن ما سر تقديم (هذا) في آية النمل ، وسر مجئها على الأصل في آية المؤمنون؟

يذكر "الباعي ت ٨٨٥هـ" المناسبة في ذلك قائلاً: "ولما كان محط العناية في هذه السورة الخلق والإعادة والتهديد لأهل العnad حكى عنهم أنهم قالوا لقد وعدنا مقدماً نحن بخلاف النمل فإن محط العناية فيها على الإيمان بالأخرة فلذلك قدم قوله هذا"<sup>(٤)</sup>.

والناظر في سياق سورة النمل يجد أن تقديم (هذا) المشار به إلى البعث والإحياء بعد الموت يناسب ما ورد فيه ، إذ جاء - قبله - قوله تعالى: ﴿وَقَالَ

(١) السابق نفسه ، ونظم الدرر ١٧/١٠٢ ، ١٠٣.

(٢) رسالة الدر الدائر المتخب ٣٥.

(٣) البرهان في توجيهه متباين القرآن: ١/١٨٤.

(٤) ينظر نظم الدرر: ١٣/١٧٥.

**الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِنَّا كُنَّا ثُرَابًا وَآباؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ**» (النمل ٦٧)، فذكرهم الآباء معهم في سياق واحد كأنه استبعاد منهم لحصوله، واستنكار وجوده؛ وأن هذا مما لا يكون في زعمهم؛ فاقتضى ذلك تقديم (هذا) ليدل عليه، وأما في سورة المؤمنون فلم يسبق ذكر الآباء كما هاهنا قال تعالى: «**قَالُوا إِذَا مِنْتَا وَكُنَّا ثُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَعْوَثُونَ**» (المؤمنون ٨٢)، فجاء الكلام على الأصل إذ لا مقتضى للتقديم، والله أعلم.

الشاهد السابع<sup>(١)</sup>: قوله تعالى: «**وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَأَخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ**» (القصص ٢٠).

مع قوله تعالى: «**وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمَ أَتَيْمُوا الْمُرْسَلِينَ**» (يس ٢٠).

جاءت آية القصص على الأصل بتقديم فاعل الفعل على بقية المتعلقات؛ إذ لا مقتضى لتقديم غيره، فجاء الكلام على أصله في الصياغة. وإنما جاءت آية يس على غير الأصل لمناسبة السياق الواردة فيه؛ لأن الغرض يتعلق ببيان مكان مجيء الرجل «**مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ**»؛ لأن السر في بيان فضل ذلكم الرجل؛ إذ كان مكانه بعيداً عن موطن الدعوة ومشهد المعجزة، ومع ذلك لما سمع بالرسل قدم مؤمناً يدعو إلى الإيمان، ويجهز به، مع أن القوم الذين هم في وسط المدينة وشافهوا الرسل كفروا وكذبوا، وفي هذا تبكيت وتوبيخ لهم، وتعجب من حالهم بمقارنته بحال هذا الذي جاء من

(١) رسالة الدر الدائر المنتخب ٣٥.

أقصى المدينة يلبي الدعوة ويدعن للحق ، ولم يضره بعده عن مكان الدعوة ، كما لم ينتفع هؤلاء المكذبون بقرب مكانهم ، ومشاهدة رسالهم .<sup>(١)</sup> والله أعلم.

**المطلب الثاني : شواهد متشابه النظم في التقديم والتأخير بين الم العلاقات.**

يهتم هذا المطلب بدراسة الشواهد التي ذكرت في رسالة "الزمخشي" ت ٥٣٨ هـ حول متشابه النظم في التقديم والتأخير بين متعلقات الإسناد من تقديم بعض المعطوفات على بعض ، أو تقديم بعض المجرورات على بعض ، أو تقديم بعض المفعولات على بعض ، أو تقديم الظروف أو الأحوال أو ما إلى ذلك مما هو متعلق بجملة الإسناد ، ومن المعلوم المقرر أن العرب تقدم في الكلام ما كان الاهتمام به أول وهم بشأنه أعنى ، ولذا يقول "سيبوه" ت ١٨٠ هـ :

"**كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم ، وهم بيانه أعنى وإن كاناً جمياً بهما منهم ويعنيانهم**"<sup>(٢)</sup>.

وهذا هو الأصل الذي بنى عليه "عبد القاهر" ت ٤٧١ هـ باب التقديم والتأخير في دلائل الإعجاز ، غير أنه لم يكتف بهذا التعليل الإجمالي دون تفصيل لم كانت العناية؟ ومن أين كان الاهتمام؟ فقال:

"**وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال إنه قدم للعناية ، ولأن ذكره أعلم من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية؟ بم كان أعلم؟ ولتخيلهم ذلك ، قد صغر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم وهو نونوا الخطب فيه**"<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر درة التنزيل : ٣٨٣/٣ ، وملاك التأويل : ٣٨٣/٢ ، والتحرير والتزوير : ٣٦٥/٢٢.

(٢) الكتاب : ٣٤/١.

(٣) دلائل الإعجاز : ١٠٨.

فواضح إذن أن لكل شيء قدم في الكلام معنى آخر زائد على معنى الاهتمام والعنابة؛ لأن لكل مقام مقاله الذي يحسن فيه دون غيره، ولكل كلمة موطن في الكلام لا يجوز أن تتعاده إلى غيره.

والغرض القائم في هذا المطلب بيان أسرار التقاديم والتأخير في تلك الشواهد، واختلاف المعاني فيها، ومناسبة كل نظم لسياقه الوارد فيه، وقد بلغ عدد الشواهد في هذا المطلب ثمانية شواهد، ببيانها على التفصيل كالتالي :

**الشاهد الأول<sup>(١)</sup>** : قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ﴾ (البقرة ٦٢).

مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجْوُسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (الحج ١٧).

في آية البقرة جاء تقديم (النصارى) على (الصابئين)، وفي آية الحج قدم (الصابئين) على (النصارى)، والنصارى طائفة من أهل الكتاب، وأما الصابئون فهو من صباً إذا خرج من الدين، وقد تعددت أقوال المفسرين في تحديد الصابئة، وجميع هذه الأقوال يرجع إلى أن الصابئة لا تدين بدين سماوي، بل هم أهل شرك وابتداع فديتهم مختلف على اختلاف أنواع معبوداتهم.

---

(١) رسالة الدر الدائر المنتخب . ٣٥

وقد ذهب أكثر أهل العلم إلى أن سر تقديم النصارى في آية البقرة هو أن اليهود والنصارى أهل كتاب فجمع بينهما وقرن؛ لأنهم مقدمون رتبة على الصابئة، وأما الصابئة فليسوا كذلك فأخرموا عنهم<sup>(١)</sup>.

وأما سر تقديم الصابئين في آية الحج، وإن كان رتبتهم التأخير، فقالوا: لأنهم أسبق زماناً من النصارى، فجاء الترتيب في الحج على حسب الأزمنة؛ إذ هم بعد اليهود وقبل النصارى زمناً، وجاء الترتيب في آية البقرة على حسب الرتبة<sup>(٢)</sup>.

وأقول — والله أعلم — إن آية الحج في مقام الفصل بين الطوائف يوم القيمة **﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾**، فهو مقام فصل وحكم فجاء الترتيب فيه على حسب الحدث والزمن، ولما كان السياق في البقرة للدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح قدم من هو الأولى على غيره ترغيباً لأهل الكتاب وتأنيساً لقلوبهم؛ لأنهم أقرب إلى الهداية من غيرهم، فكان الترتيب على حسب الرتبة، والله أعلم.

الشاهد الثاني<sup>(٣)</sup> : قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا حَرَمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَكَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغِعٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** (البقرة ١٧٣).

مع قوله تعالى: **﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَكَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا**

(١) ينظر البرهان في توجيهه متتشابه القرآن: ١/٧٥ ، وملالك التأويل: ١/٤٤ ، ونظم الدرر: ١/٤٥٦.

(٢) ينظر ملاك التأويل: ١/٢٥١ ، والبرهان في توجيهه متتشابه القرآن: ١/٧٥.

(٣) رسالة الدر الدائر المتتبخ ٣٤.

ذَكَرْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسْقُ الْيَوْمِ يَئِسَ  
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشُوْهُمْ وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ  
وَأَنْتَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَحْمَصَةٍ  
غَيْرُ مُتَجَانِفٍ لِإِيمَنِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» (المائدة ٣).

قدم قوله **(يه)** على قوله **(لغير الله)** في آية البقرة، وكان الأمر بالعكس في آية المائدة، وقد ذكر أهل العلم أن آية البقرة جاءت على الأصل إذ التعدية بالباء مثل التعدية بالهمزة، فإذا قلت : ذهبت بزيد هي في معنى أذهبت زيداً فعلم بذلك أن الباء أصل القول وهي في حكم الحرف من الفعل ، بخلاف اللام من قوله **(لغير الله)** فليست كذلك ، ولما كانت آية البقرة هي المقدمة جاءت على الأصل.

وأما آية المائدة فجاءت على غير الأصل لإفادته أن المستنكر أن يكون الإهلال بالذبح لغير الله ، فكان تقديم المستنكر وهو قوله **(لغير الله)** هو الأولى ، فقدم لهذا المعنى <sup>(١)</sup>.

إذن آية البقرة راعت جنس المحرم وبيانه ؛ لأنه الأصل ، فقال تعالى : **(وَمَا أَهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ)** ، في حين راعت آية المائدة علة التحرير وسببه ، قال تعالى : **(وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ)** ، وهذا مما يناسب سياق السورة التي فصلت فيها الأحكام وأكمل بها الدين ، ومنت بها النعمة ، وهي من آخر ما نزل من القرآن الكريم. <sup>(٢)</sup> والله أعلم.

(١) ينظر درة التنزيل : ٣١٧/١ ، والبرهان في توجيهه متشابه القرآن : ٨١/١ ، وملاك التأويل : ٥٧/١.

(٢) رقم نزول سورة المائدة (١١٣) ، ينظر البرهان في علوم القرآن : ٢٦١/١.

الشاهد الثالث<sup>(١)</sup> : قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنْ وَالْأَذِى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَةُ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَتَّهُ كَمَثَلُ صَفْوَانِ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَإِلَّا فَتَرَكَهُ صَلَدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» (البقرة ٢٦٤).

مع قوله تعالى: «مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَمَا إِشْتَدَتْ يَهُ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ» (إبراهيم ١٨).

جاءت آية البقرة في سياق نهي المؤمنين عن إبطال ثواب الأعمال بالنفاق والرياء، أو المن وطلب السمعة، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنْ وَالْأَذِى...» (البقرة ٢٦٤).

قوله (على شيء) متعلق بـ (يقدرون)، وقوله (ما كسبوا) متعلق بمحذوف صفة (شيء).

وأما آية إبراهيم فجاءت في سياق بيان حال أعمال الكافرين التي يرجون نفعها ولا نفع لها يوم القيمة، إذ لا أثر لها ولا وجود؛ لأنهم فعلوها لغير الله، قال تعالى: «مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَمَا إِشْتَدَتْ يَهُ الرِّيحُ...» (إبراهيم ١٨).

وقوله (ما كسبوا) متعلق بمحذوف حال من قوله (على شيء) والأصل أنه صفة له، كما في آية البقرة، ولكن لما تقدم عليه صار في موقع الحال على حد قول الشاعر: (مجزوء الوافر)

(١) رسالة الدر الدائر المنتخب .٣٤

لمية موحشا طلل<sup>(١)</sup>

وقد ذكر "أبو حيان ت ٧٤٥ هـ" أن ما بين الآيتين هو التفنن في ذكر الكلام، والمعنى واحد، ولا مغایرة بين التقديم والتأخير<sup>(٢)</sup>. ولكن لا يكون التقديم والتأخير سواء بسواء في المعنى؛ فإن لكل لفظ موضعه الألائق به، والأولى بسياقه.

وقد ذكر "الكرمانی ت ٥٠٥ هـ" الفرق بين المعنين، قائلاً:

"إنما قدم في هذه السورة—يقصد إبراهيم— لأن الكسب هو المقصود بالذكر، فإن المثل ضرب للعمل، يدل عليه ما قبله **﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمًا دَاشْتَدَتْ يَهُ الْرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾**، وقال في البقرة **﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾**؛ لأن الأصل في البقرة"<sup>(٣)</sup>.

إذن ظهر الفرق الآن بين السياقين والمعنين، ففي آية إبراهيم حديث عن الأعمال، والأعمال كسب فاقتضى تقديم (ما كسبوا)، وصار المعنى: لا يحصلون من كسبهم على شيء ينتفعون به؛ لأن قوله (أعمالهم) بدل من (مثل الذين كفروا) والتقدير: مثل أعمالهم<sup>(٤)</sup>، وأما في آية البقرة فحديث عن إبطال ثواب العمل بسبب نفاق أو رباء فجاء الكلام على أصله بتقدير (على شيء) وهي الألائق بالفعل، وليس في السياق ما يستوجب مخالفته الأصل، والله أعلم.

(١) نتائج الفكر: ١٨٣/١، ومغني الليب: ١١٨/١.

(٢) ينظر البحر المحيط: ٤٢٣/٦.

(٣) البرهان في توجيهه متباين القرآن: ١/٥٤.

(٤) إعراب القرآن للنحاس: ٢٣٠/٢.

الشاهد الرابع<sup>(١)</sup> : قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوَّامِينَ بِالْقُسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنَ وَالْأَقْرَبَيْنَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَعَدُّوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْعُوَا أَوْ ثُغِرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ (النساء ١٣٥).

مع قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقُسْطِ وَلَا يَجْرِي مِنْكُمْ شَيْءٌ قَوْمٌ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة ٨).

جاءت آية النساء في سياق الحديث عن إقامة العدل والاعتراف بالحق، ولو على النفس أو أقرب الأقربين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوَّامِينَ بِالْقُسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ ...﴾ (النساء ١٣٥).

وآية المائدة في سياق ترك العداون والشنآن والقيام بحق الله ﷺ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُوْنُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقُسْطِ وَلَا يَجْرِي مِنْكُمْ شَيْءٌ قَوْمٌ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا...﴾ (المائدة ٨).

ووجه المغایرة بين الآيتين في التقديم والتأخير هو مراعاة السياق في كل منهما، فآية النساء: "جاءت في معرض الاعتراف على نفسه، وعلى الوالدين والأقربين، فبُدئَ فيها بالقسط الذي هو العدل والسواء من غير محاباة نفس ولا والد ولا قرابة، وهنا —يقصد المائدة— جاءت في معرض ترك العداوات والإحن فبُدئَ فيها بالقيام لله تعالى أولاً؛ لأنَّه أردع للمؤمنين، ثم أردف بالشهادة بالعدل، فالتي في معرض المحبة والمحاباة بدئ فيها بما هو آكد وهو

(١) رسالة الدر الدائر المنتخب .٣٤

القسط ، وفي معرض العدواة والشنان بدئ فيها بالقيام لله ، فناسب كل معرض بما جيء إليه<sup>(١)</sup> .

فهما معنيان : " وجوب القيام بالعدل والشهادة به ، ووجوب القيام لله والشهادة له"<sup>(٢)</sup> .

و واضح أن كل معنى يستلزم الآخر ويعضده ، ولكن لما كان سياق النساء في إقامة العدل في جميع الأحكام ناسب تقديم (بالقسط) ، ولما كان سياق المائدة في الوفاء بالعهود ، وإقامة الحدود ، والتذكير بنعم الله وتقواه ، استوجب ذلك تقديم (الله) لكونه الموفى له في جميع ذلك<sup>(٣)</sup> ، والله أعلم.

الشاهد الخامس<sup>(٤)</sup> : قوله تعالى : « قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَا لِلَّذِينَ إِخْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرِبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذِلِّكُمْ وَصَاحِكُمْ يَهُ لَعَلَّكُمْ تَعْقُلُونَ » (الأنعام ١٥١). مع قوله تعالى : « وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلَهُمْ كَانَ خَطْأً كَبِيرًا » (الإسراء ٣١).

سبق الحديث عن سياق هاتين الآيتين ، والفرق بينهما في شواهد البحث الأول ،<sup>(٥)</sup> وخلاصته هناك أن آية الأنعام في سياق خطاب الفقراء بدليل قوله تعالى « وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ » ، فكان الذين يعنيهم تقديم الوعد برزقهم أولاً ثم الوعد برزق أولادهم ثانياً فقال تعالى : « نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ

(١) البحر المحيط : ١٩٦ / ٤ .

(٢) التحرير والتنوير : ١٣٤ / ٦ .

(٣) ينظر ملاك التأويل : ١١١ / ١ ، ونظم الدرر : ٤٣١ / ٥ .

(٤) رسالة الدر الدائر المنتخب . ٣٤ .

(٥) ينظر الشاهد العشرون من المطلب الثاني.

وَإِيَّاهُمْ》， وأما آية الإسراء فهي خطاب للأغنياء بدليل قوله تعالى **﴿وَلَا تَقْنُتو أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ﴾** فكان رزقهم كائناً موجوداً، والذي يعنيهم رزق أولادهم، فقدم، قال تعالى: **﴿ئَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾**، والله أعلم.

**الشاهد السادس<sup>(١)</sup>** : قوله تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَلْيَةً تَلْبِسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعِلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** (النحل ١٤).

مع قوله تعالى: **﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرُانِ هَذَا عَذْبُ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابٌ وَهَذَا مُلْحٌ أَجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلْيَةً تَلْبِسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعِلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** (فاطر ١٢).

المواخر هي التي تشق الماء وتجري فيه،<sup>(٢)</sup> ولما كانت آيات النحل مبنية على تعداد النعم - بل هي تسمى أيضا سورة النعم -<sup>(٣)</sup>، استوجب ذلك تقديم **﴿مَوَاحِر﴾**؛ لأنه أتم في بيان النعمة، كما ذكر "البقاعي"<sup>(٤)</sup>.

فجاء الكلام على الأصل بتقديم ما فيه بيان للنعم بشق الماء والجري فيه، وأمر آخر أننظم سورة النحل على تأخير المجرورات عما تعلقت به، قال تعالى: **﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ﴾** فناسب ذلك **﴿مَوَاحِرَ فِيهِ﴾** لتلاءم جملة النظم<sup>(٥)</sup>.

(١) رسالة الدر الدائر المنتخب ٣٥.

(٢) ينظر الكشاف: ٦٠٥/٣.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي: ١١٧/٣.

(٤)نظم الدرر: ١٢٥/١١.

(٥) ينظر ملاك التأويل: ٢٩٦/٢.

وأما سياق النظم في سورة فاطر فمبني على تقديم المجرورات **«وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ»** فناسب **«فِيهِ مَا خَرَّ»** ليتلاعُم نظم الكلام<sup>(١)</sup>.  
 كما أن السياق لبيان القدرة ، وفي تقديم **«فِيهِ»** دلالة أشد على ذلك ؛ لأن الماء مع رقته وميوعته تجده يحمل السفن العظام المحملة بالأتقال ، وتلك آية عجيبة ، فقدم ضمير الماء **«فِيهِ»** تأكيداً على ذلك المعنى ، والله أعلم.  
**الشاهد السابع<sup>(٢)</sup>** : قوله تعالى : **«وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَآبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا»** (الإسراء ٨٩).  
 مع قوله تعالى : **«وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا»** (الكهف ٤٥).

تعددت وجوه المناسبة في تقديم أحد المتعلقين على الآخر في الآيتين ، فجعل "البقاعي ت ٨٨٥ هـ" تقديم **«لِلنَّاسِ»** في الإسراء لموقع سورة الإسراء من سورة النحل التي جاء فيها **«إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ»** (النحل ١٢٨) ، فنظر في السياق المتدد للسورة وعلاقتها بما قبلها ، وأما آية الكهف فبتقديم (في هذا القرآن) ؛ لأن مبني السورة على وصف الكتاب فاقتضى تقديمه والاهتمام به<sup>(٣)</sup>.

وذكر غيره أن سر تقديم **«لِلنَّاسِ»** ؛ كونها واردة في سياق التحدي والإعجاز ، وإقامة الحجة عليهم ، ولتقديمه في قوله تعالى : **«فُلِّئَنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُ ...»**<sup>(٤)</sup> (الإسراء ٨٨) ، وأما تقديم **«فِي هَذَا الْقُرْآنِ»**

(١) ينظر البرهان في توجيه متشابه القرآن : ١٥٨/١ ، وملاك التأويل : ٢٩٦/٢.

(٢) رسالة الدر الدائر المنتخب ٣٥.

(٣) ينظر نظم الدرر : ٨٧/١٢ ، ٥١٠/١١.

(٤) ينظر درة التنزيل : ٨٦١، ٨٦٠/٢ ، وملاك التأويل : ٣١١/١٢ ، والتحرير والتتوير : ٣٠٤/١٥.

ف لأنه الوحي الذي جاءهم بما طلبوه من خبر أصحاب الكهف وقصة موسى مع الخضر عليهما السلام، وقصة ذي القرنيين، وذلك كله في القرآن، فكان الأولى أن يقدم<sup>(١)</sup>، والله أعلم.

**الشاهد الثامن<sup>(٢)</sup>** : قوله تعالى: «**قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ يُعِبَادُهُ خَيْرًا بَصِيرًا**» (الإسراء ٩٦).

مع قوله تعالى: «**قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**» (العنكبوت ٥٢).

جاءت آية الإسراء على الأصل، وفي آية العنكبوت آخر (شهيداً) على غير الأصل؛ قصدًا إلى العناية بقوله (بيّني وبيّنكُمْ)؛ لأنها جاءت في سياق لجاجة ومحاجة في اقتراح آيات، وعدم الاكتفاء بما أنزل الله من البيانات الواضحات، كما قال الله تعالى: «**وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٍ مِّنْ رَّبِّهِ**...» (العنكبوت ٥٠)، ولننظر إلى هذا الجمجم (آيات) ولم يرد مثله في القرآن الكريم في سياق اقتراح الآيات، بل كان بالإفراد لا غير في مواطن متعددة من القرآن الكريم، قال تعالى: «**لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِّنْ رَّبِّهِ**» (جزء من آية ٢٠ سورة يونس، وآياتي ٢٧، ٧ من سورة الرعد)، ولذا جاء للرد عليهم قوله تعالى: «**أَوَلَمْ يَكُفِّهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتَلَى عَلَيْهِمْ...**» (العنكبوت ٥١)، فبهذا كله اقتضى أن يقدم الظرف على متعلقه (شهيداً)؛ لأن لجاجتهم وخصوصتهم اقتضت ذلك، مع العناية أيضًا بأحوال الناس كما

(١) ينظر درة التنزيل: ٨٦٠ / ٢، والبرهان في توجيهه متشابه القرآن: ١٦٤ / ١٦٥.

(٢) رسالة الدر الدائر المتنخب ٣٥.

في مطلع السورة **﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا...﴾**، جاء في "نظم الدرر": "ولما كانت العناية في هذه السورة بذكر الناس، وتفصيل أحوالهم ابتدأ بقوله (بيني وبينكم) قبل قوله (شهيداً)"<sup>(١)</sup>، والله أعلم.

\* \* \*

---

(١) نظم الدرر: ٤٦١/١٤

## الخاتمة

وبعد هذا التطواف في مباحث الدراسة ومطالبها، خلصت إلى عدة نتائج، يمكن إجمال أهمها فيما يلي:

- ١- اشتملت رسالة "الزمخشيри ت ٥٣٨" محل الدراسة على عدد كبير من الشواهد القرآنية في أبواب منوعة من أبواب الإبانة في العربية، تحتاج في جملتها إلى شرح وتعليق، وبيان وتوضيح.
- ٢- أكثر "الزمخشيري ت ٥٣٨ هـ" من ذكر شواهد متشابه النظم في القرآن الكريم حتى بلغت الشواهد ثانية وسبعين شاهداً هي محل الدراسة، منوعة بين تغيير لفظ مكان لفظ، أو ذكر وحذف، أو تقديم وتأخير، ومنها مما لا يعد من المتشابه أصلاً، وقد نبهت على كلٍ في موضعه.
- ٣- مع إكثار "الزمخشيري" من شواهد المتشابه فإنه لم يستوعب كثيراً من أنواع التشابه في القرآن الكريم، من مثل: التعريف والتنكير، والإظهار والإضمار، والجمع الإفراد، والتذكير والتأنيث، والفك والإدغام وما إلى ذلك من أنواع التشابه الأخرى، ولعل هذا راجع -فيما أحسب- إلى طبيعة كتابة الرسالة وإنشائها.
- ٤- أكثر الشواهد التي ذكرها "الزمخشيري" في تلك الرسالة وقف معها في تفسيره "الكاف" مبيناً في بعضها الفروق بين المعاني، وسر اصطفاء كل نظم في سياقه، وفي بعضها الآخر يحكم بالترادف، وبأن المعنى واحد في الموضعين، وأن سبب الاختلاف هو التفنن في إعادة الكلام وتكرار المعاني.
- ٥- ظهر من خلال الوقوف على بعضٍ من أسرار كل نظم، وخصوصية كل سياق في الألفاظ والمعاني، التأكيد على أن لا ترادف في القرآن الكريم.

القول بالتفنن في إعادة الكلام وتكرار المعاني مما يقول به بعض أهل العلم من أمثال: "الزمخشري ت ٥٣٨هـ"، و"أبي حيان ت ٧٤٥هـ"، و"ابن عادل الحنبلي ت ٧٧٥هـ"، و"الطاهر بن عاشور ت ١٣٩٣هـ" قول يحتاج إلى تحيص ونظر ومراجعة، وإن كان التفنن ذاته بلاغة، إلا أن الألائق بنظم القرآن أن يكون مع التفنن معنى يستخرج أو نكتة تستنبط.

٦- جميع محاولات تحري وجوه الإعجاز القرآن الكريم والكشف عنها خاصة تفسير متشابه النظم، وعلم المناسبات هي محض اجتهادات من العلماء قابلة للخطأ والصواب، فإعجاز القرآن الكريم شيء، وتحري وجوه ذلكم الإعجاز شيء آخر.

#### وما توصي به الدراسة:

(١) تتبع ما بقي من الشواهد التي ذكرها "الزمخشري" في رسالته تلك خاصة أنها شواهد في مسائل متعددة وأبواب منوعة في اللغة بعامة، والبلاغة بخاصة، شرحاً وتحليلاً، وبياناً وتوضيحاً.

(٢) مراجعة القول بالتفنن في إعادة الكلام وتكرار المعاني في القرآن الكريم، ومناقشته وتفنيده.

وبعد،

فما كان من توفيق فمن الله - وحده - وما كان من غير ذلك فمني، وأستغفر الله من كل خطأ أو سهو، قلت به في دراستي هذه، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرنا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عننا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## ثبت المصادر والمراجع

- أحكام القرآن للقاضي ابن العربي (ت ٥٤٣ هـ)، دار الكتب العلمية ثلاثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- أساس البلاغة لأبي القاسم محمود الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط أولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- أسباب نزول القرآن للواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ)، تحقيق: عصام الحميدان، دار الإصلاح، ط ثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٢ م.
- أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، تحقيق: محمد شاكر، المدنى، القاهرة، ١٤١٢ هـ، ١٩٩١ م.
- أسرار البيان في التعبير القرآني د/فاضل السامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتاب، ط أولى، بدون تاريخ.
- الأصول في النحو لابن السراج (ت ٣١٦ هـ)، تحقيق: عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بدون تاريخ.
- إعراب القرآن للنحاس (ت ٣٢٨ هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط أولى ١٤٢١ هـ.
- إعراب القرآن وبيانه لحي الدين درويش (٤٠٣ هـ)، دار ابن كثير، دمشق، ط رابعة ١٤١٥ هـ.
- أمالی المرتضی - غرر الفوائد ودرر القلائد - للشريف المرتضی (ت ٤٣٦ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط أولى ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م.

- ١٠ - الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين لأبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، المكتبة العصرية، ط أولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ١١ - البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، ١٤٢٠هـ.
- ١٢ - البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان لبرهان الدين الكرمانى (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الفضيلة، بيروت، بدون تاريخ.
- ١٣ - بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة للشيخ عبد المتعال الصعیدي (ت ١٣٩١هـ)، الآداب، ط السابعة عشرة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م.
- ١٤ - بلاغة الكلمة في التعبير القرآني د/فاضل السامرائي، بغداد، ط أولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م.
- ١٥ - بيان إعجاز القرآن للخطابي (ت ٣٨٨هـ)، (ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زعلول سلام، دار المعارف، ط ثلاثة ١٩٧٦م.
- ١٦ - تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، مجموعة من المحققين، دار الهدایة، بدون تاريخ.
- ١٧ - تحرير التحبير في صناعة الشعر والشعر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الأصبع (ت ٦٥٤هـ) تقديم وتحقيق د/حفني محمد شرف، وزارة الأوقاف المصرية ٢٠١٢م.
- ١٨ - التحرير والتنوير - تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد للطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية ١٩٨٤م.
- ١٩ - التعريفات للشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية، ط أولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- ٢٠ - تفسير أبي السعود - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي (ت ٩٨٢ هـ) دار إحياء التراث العربي.
- ٢١ - تفسير ابن عرفة (ت ٣٠٣ هـ)، تحقيق: د. حسن المناعي، ط مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، ط أولى ١٩٨٢ م.
- ٢٢ - تفسير ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط ثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- ٢٣ - تفسير البيضاوي - أنوار التزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (ت ٦٨٥ هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط أولى، ١٤١٨ هـ.
- ٢٤ - تفسير الرازى - مفاتيح الغيب - التفسير الكبير - لفخر الدين الرازى (ت ٦٠٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط ثلاثة ١٤٢٠ هـ.
- ٢٥ - تفسير الراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢ هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمد عبدالعزيز بسيوني، كلية الآداب، ط أولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- ٢٦ - تفسير الطبرى - جامع البيان في تأويل القرآن - محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط أولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٢٧ - التفسير القرآني للقرآن لعبدالكريم الخطيب (ت ١٣٩٠ هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.
- ٢٨ - تفسير القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبد الله محمد القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

- ٢٩- تفسير الماتريدي - تأويلات أهل السنة - لأبي منصور الماتريدي (ت ٣٣٣ هـ)، تحقيق: د/ مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ٣٠- التفسير الوسيط للواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ)، دار الكتب العلمية، ط أولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- ٣١- تهذيب اللغة للأزهري (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط أولى، ٢٠٠١ م.
- ٣٢- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك لبدر الدين المرادي (ت ٧٤٩ هـ)، شرح وتحقيق: عبدالرحمن سليمان، دار الفكر العربي، ط أولى ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م.
- ٣٣- التوقيف على مهمات التعريف لزين الدين الحدادي (ت ١٠٣١ هـ)، عالم الكتب، ط أولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- ٣٤- الجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود عبد الرحمن صافي (ت ١٣٧٦ هـ)، دار الرشيد، دمشق، رابعة ١٤١٨ هـ.
- ٣٥- الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي (ت ٧٤٩ هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط أولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- ٣٦- حاشية كتاب الانتصاف فيما يتضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير (ت ٦٨٣ هـ)، دار الكتاب العربي، ط ثلاثة، ١٤٠٧ هـ.
- ٣٧- الخصائص لابن جني (ت ٣٩٢ هـ)، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ط رابعة، بدون تاريخ.
- ٣٨- درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسکافي (ت ٤٢٠ هـ)، دراسة وتحقيق: د/ محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، ط أولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

- ٣٩ - الدر المصنون في علوم الكتاب المكتنون للسمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ)، تحقيق: د.أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، بدون تاريخ.
- ٤٠ - الدر المنشور في التفسير بالتأثر للسيوطى (ت ٩١١ هـ)، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
- ٤١ - دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، تحقيق: محمد شاكر، المدنى، القاهرة، ١٤١٠ هـ.
- ٤٢ - ديوان امرئ القيس (ت ٤٤٥ م)، اعنى به: عبد الرحمن المصطاوى، دار المعرفة، بيروت، ط ثانية ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ٤٣ - رسالة الدر الدائر المتخب من كنایات واستعارات وتشبيهات العرب لأبى القاسم محمود الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، مستل من المجلد السادس عشر مجله المجمع العراقي ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
- ٤٤ - زهرة التفاسير للشيخ أبي زهرة (ت ١٣٩٤ هـ)، دار الفكر العربي، بدون تاريخ.
- ٤٥ - شرح التصريح على التوضيح لخالد الأزهري (ت ٩٠٥ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط أولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٤٦ - شرح الكافية الشافية لجمال الدين الطائي (ت ٦٧٢ هـ)، تحقيق: عبدالمنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، ط أولى، بدون تاريخ.
- ٤٧ - شرح المفصل لابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ)، قدم له: د.إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط أولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- ٤٨ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (ت ٣٩٣ هـ)، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط رابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

- ٤٩ - صحيح البخاري - الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه - للبخاري (ت ٢٥٦ هـ)، دار طوق النجاة، ط أولى ١٤٢٢ هـ.
- ٥٠ - صحيح مسلم - المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - مسلم (ت ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٥١ - الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة.
- ٥٢ - الكتاب لسيبوية (ت ١٨٠ هـ)، تحقيق: عبدالسلام هارون، الخانجي، ط ثلاثة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٥٣ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، دار الكتاب العربي، ط ثلاثة، ١٤٠٧ هـ.
- ٥٤ - الكليات، معجم في المصطلحات والفرق اللغوية للكفوبي (ت ١٠٩٤ هـ)، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٥٥ - الباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (ت ٧٧٥ هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، علي معاوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط أولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ٥٦ - لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١ هـ)، دار المعارف، مصر.
- ٥٧ - اللمع في العربية لابن جنني (ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت.

- ٥٨ - بحث اللغة لابن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبدالحسين سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ثانية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- ٥٩ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (ت ٥٤٢ هـ)، تحقيق: عبد السلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، ط أولى، ١٤٢٢ هـ.
- ٦٠ - المستدرك على الصحيحين للنيسابوري (ت ٤٠٥ هـ)، تحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط أولى ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
- ٦١ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي (ت ٧٧٠ هـ)، دار المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- ٦٢ - معاني القرآن وإعرابه للرجاج (ت ٣١١ هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط أولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٦٣ - معاني النحو / فاضل السامرائي، دار الفكر، ط أولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٦٤ - معجم ديوان الأدب للفارابي (ت ٣٥٠ هـ)، تحقيق: أحمد مختار عمر، مراجعة: إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- ٦٥ - معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ)، تحقيق: د/ مهدي المخرمي، د/ إبراهيم السامرائي، دار الهلال.
- ٦٦ - مغني الليب عن كتب الأغاريب لابن هشام (ت ٧٦١ هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حماد الله، دار الفكر، دمشق، ط سادسة ١٩٨٥ م.
- ٦٧ - المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، ط أولى، ١٤٢٠ هـ.
- ٦٨ - مقاييس اللغة لابن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩ م.

- ٦٩ - ملوك التأويل القاطع بنوی الإلحاد والتعطيل في توجيه المشابه اللغظي من آى التنزيل للغرناتي، (ت ٧٠٨ هـ) وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية.
- ٧٠ - منازل الحروف للرمانی (ت ٣٨٤ هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان.
- ٧١ - نتائج الفكر في النحو للسهميلي (ت ٥٨١ هـ)، ط دار الكتب العلمية، ط أولى ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- ٧٢ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (ت ٨٨٥ هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

\* \* \*

Ibn Attiyah. al-Muhrar al-Wajiz fi Tafsir al-Ketab al-Aziz. Ed. Abdusalam A. Muhammad. 1st ed. Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1422 AH.

al-Nisabouri. al-Mustadrak 'ala al-Sahihain. Ed. Mustafa Atta. 1st ed. Lebanon, Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1411 AH - 1990 AD.

al-Fayoumi. al-Mesbah al-Munir Fi Gharib ash-Sharh al-Kabir. Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, n.d.

az-Zajaj. Ma'ani al-Quran Wa I'erabeh. Ed. Abduljalil A/ Shalabi. 1st ed. 'Aalam al-Kutub, 1408 AH - 1988 AD.

as-Samurra'i, Fadhel. Ma'ani an-Nahw. 1st ed. Dar al-Fekr, 1420 AH - 2000 AD.

al-Farabi. Mu'jam Diwan al-Adab. Ed. Ahmad M. Omar. Revised by Ibrahim Anis. Dar al-Sha'ab Foundation, 1424 AH - 2003 AD.

al-Farahidi, al-Khalil A. Mu'jam al-'Ain. Ed. Dr. Mahdi al-Makhroumi and Dr. Ibrahim al-Samurra'i. Dar al-Hilal, n.d.

Ibn Hisham. Mughni al-Labib 'an Kutub al-A'arib. Ed. Dr. Mazen al-Mubarak and Muhammad A. Hamdullah. 6th ed. Damascus: Dar al-Fekr, 1985 AD.

al-Asfahani, ar-Ragheb. al-Mufradat fi Gharib al-Quran. Ed. Safwan A. ad-Dawdi. 1st ed. Dar al-Qalam, 1420 AH.

Ibn Fares. Maqayyis al-Lughah. Ed. Abdusalam Haroun. Dar al-Fekr, 1979 AD.

al-Ghurnati. Malak at-Ta'wil al-Qate' Bethawi al-Elhad wa at-Ta'til fi Tawjih al-Mutashabeh al-Lafzhi mn 'Ayy at-Tanzil. Ed. Abdulghani M. al-Fassi. Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, n.d.

ar-Rummani. Manazel al-Hurouf. Ed. Ibrahim al-Samurra'i. Amman: Dar al-Fekr.

al-Suhaili. Nata'ej al-Fekr fi al-Nahw. 1st ed. Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1412 AH - 1992 AD.

al-Beqa'i. Nazhm ad-Durar fi Tanasub al-Ayaat wa as-Suwar. Cairo: Dar al-Ketab al-Islami, n.d.

\* \* \*

- Abu Zahra. Zahrat at-Tafasir. Dar al-Fekr al-Arabi, n.d.
- al-Azhari, Khalid. Sharh at-Tasrih 'ala al-Tawdhib. 1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1421 AH - 2000 AD.
- al-Ta'ai, Jamal ad-Din. Sharh al-Kafeyah ash-Shafeyah. Ed. Abdulmun' em A. Haridi. 1st ed. University of Umm al-Qura, n.d.
- Ibn Ya'eish. Sharh al-Mufasal. Ed. Dr. Emile B. Yaqoub. 1st ed. Lebanon, Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1422 AH - 2001 AD.
- al-Jawhari. as-Sehah Taj al-Lughah wa Sahih al-Arabiyyah Ed. Ahmad A. Attar. 4th ed. Beirut: Dar al-'Elm Lilmalayyin, 1407 AH - 1987 AD.
- al-Bukhari. Sahih al-Bukhari: al-Jamie‘ al-Musnad as-Sahih al-Mukhtasar mn 'Umour Rasoul Allah Sala' Allah alayhi wa Salam wa Sunaneh wa Ayameh. 1st ed. Dar Tawq an-Najat, 1422 AH.
- Muslim. Sahih Muslim: al-Musnad as-Sahih al-Mukhtasar bi Naql al-'Adl 'an al-'Adl ela Rasoul Allah Sala' Allah alayhi wa Salam. Ed. Muhammad F. Abdulbaqi. Beirut: Dar Ihya' at-Turath al-Arabi, n.d.
- al-Askari, Abu Helal. al-Furouq al-Lughawiyyah. Ed. Muhammad I. Salim. Cairo: Dar al-'Elm wa ath-Thaqafah, n.d.
- Sibawayh. al-Ketab. Ed. Abdusalam Haroun. 3rd ed. al-Khanji, 1408 AH - 1988 AD.
- az-Zamakhshri. al-Kash'shaf 'an Haqa'eq at-Tanzil wa 'Oyoun al-Aqawil fi Wujouh at-Ta'wil. 3rd ed. Dar al-Kitab al-Arabi, 1407 AH.
- al-Kafawi. al-Kuliyat: Glossary of Terminology and Language Differences. Ed. Adnan Darwish and Muhammad al-Mesri. Beirut: ar-Resalah Foundation.
- al-Hanbali, Ibn Adel. al-Lubab fi 'Ulum al-Ketab. Ed. Adel A. Abdulmawjoud, and Ali Moa'wad. 1st ed. Lebanon, Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1419 AH - 1998 AD.
- Ibn Manzour. Lesan al-'Arab. Egypt: Dar al-Ma'aref, n.d.
- Ibn Jinnie. al-Luma'a fi al-Arabiyyah. Ed. Fa'ez Fares. Kuwait: Dar al-Kutub al-Thaqafiyah.
- Ibn Fares. Mujmal al-Lughah. Ed. Zuhair A. Sultan. Beirut: ar-Resalah Foundation, 1406 AH - 1986 AD.



- al-Matridi, Abu Mansour. *Tafsir al-Matridi: Ta'wilat Ahl as-Sunnah*. Ed. Dr. Majdi Basloum. Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1426 AH - 2005 AD.
- an-Naissabouri, al-Wahdi. *at-Tafsir al-Wasit*. 1st ed. Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1415 AH - 1994 AD.
- al-Azhari. *Tahthib al-Lughah*. Ed. Muhammad A. Mer'ab. 1st ed. Dar Ihya' at-Turath al-Arabi, 2001 AD.
- al-Muradi, Badr ad-Din. *Tawdih al-Maqased wa al-Masalek bi Sharh Alfyat Ibn Malik*. Ed. Abdulrahman Sulaiman. 1st ed. Dar al-Fekr al-Arabi, 1428 AH- 2008 AD.
- al-Haddadi, Zain ad-Din. *at-Tawqif 'ala Mahamat at-Ta'arif*. 1st ed. 'Alam al-Kutub, 1410 AH - 1990 AD.
- Safi, Mahmoud A. *al-Jadwal fi I'erab al-Quran al-Karim*. 4th ed. Damascus: Dar al-Rashid, 1418 AH.
- al-Muradi. *al-Jana ad-Dani fi Hrouf al-Ma'ani*. Ed. Fakhr ad-Din Qbawah and Muhammad N. Fadhl. 1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1413 AH - 1992 AD.
- Ibn al-Munir. *Hashyt Ketab al-Entesaf fi ma Yatadhmanh al-Ksh`shaf mn al-E'atzal*. 3rd ed. Dar al-Kitab al-Arabi, 1407 AH.
- Ibn Jenni. *al-Khasa'es*. 4th ed. General Egyptian Book Organization, n.d.
- al-Eskafi, al-Khatib. *Durat at-Tanzil wa Ghurat at-Ta'wil*. Ed. Dr. Muhammad M. Aydin. 1st ed. University of Umm al-Qura, 1422 AH - 2001 AD.
- al-Halabi, al-Samin. *ad-Durr al-Masoun fi 'Uloum al-Ketab al-Maknoun*. Ed. Dr. Ahmad al-Kharrat. Damascus: Dar al-Qalam, n.d.
- as-Suyuti. *ad-Durr al-Manthour fi at-Tafsir bi al-Ma'athour*. Beirut: Dar al-Fekr, n.d.
- al-Jurjani, Abdulqaher. *Dala'el al-I'ejaz*. Ed. Muhammad Shaker. Cairo: Dar al-Madan, 1410 AH.
- al-Qais, Imru'. *Diwan Imru' al-Qais*. Ed. Abdulrahman al-Mastawi. 2nd ed. Beirut: Dar al-Ma'arefah, 1425 AH - 2004 AD.
- al-Zamakhshri, Abulqasim M. *Resalat ad-Durr ad-Da'er al-Muntakhab mn Kenayat wa Iste'a'rat wa Tashbehat al-Arab*. Journal of Iraqi Council, Vol. 16, 1388 AH - 1968 AD.

al-Khattabi. Bayan I'ejaz al-Quran (within three theses in the miracle of the Quran). Ed. Muhammad Khalaf Allah, and Muhammad Z. Salam. 3rd ed. Dar al-Ma'aref, 1976 AD.

al-Zubaidi. Taj al-Arous mn Jawahir al-Qamous. Ed. a group of editors. Dar al-Hidayah, n.d.

Ibn Abi al-Asba'. Tahrir al-Tahbir fi Sen'at al-She'r wa al-Nathr wa Bayan I'ejaz al-Quran. Ed. Dr. Hafni M. Sharaf. Egyptian Ministry of Awqaf, 2012 AD.

Ashour, at-Taher. at-Tahrir wa al-Tanwir: Tahrir al-Ma'ana as-Sadid wa Tanwir al-'Aql al-Jadid mn Tafsir al-Ketab al-Majid. al-Dar al-Tunesiyah, 1984 AD.

al-Jurjani, ash-Sharif. al-Ta'arefat. 1st ed. Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1403 AH - 1983 AD.

al-Emadi, Abu as-Sa'oud. Tafsir Abi as-Sa'oud: Irshad al-Aql as-Salim ela Mazaya al-Ketab al-Karim. Dar Ihya' at-Turath al-Arabi, n.d.

Ibn Arafa. Tafsir Ibn Arafa. Ed. Dr. Hassan al-Manna'i. 1st ed. Edition of Research Center, al-Zaytounyah Faculty, Tunisia, 1982 AD.

Ibn Kathir. Tafsir Ibn Kathir: Tafsir al-Quran al-Azhim. Ed. Sami M. Salamah. 2nd ed. Dar Taibah, 1420 AH - 1999 AD.

al-Baidhawi. Tafsir al-Baydawi: Anwar al-Tanzil wa Asrar al-Ta'wil. Ed. Muhammad A. al-Mar'ashli. 1st ed. Dar Ihya' at-Turath al-Arabi, 1418 AH.

ar-Razi, Fakhr ad-Din. Tafsir ar-Razi: Mafatih al-Ghayb. 3rd ed. Dar Ihya' at-Turath al-Arabi, 1420 AH.

al-Asfahani, al-Ragheb. Tafsir al-Ragheb al-Asfahani. Ed. Dr. Muhammad A. Basiouni. 1st ed. Faculty of Arts, 1420 AH - 1999 AD.

at-Tabari, Muhammad J. Tafsir at-Tabari: Jame' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an. Ed. Ahmad M. Shaker. 1st ed. ar-Resalah Foundation, 1420 AH - 2000 AD.

al-Khatib, Abdulkarim. at-Tafsir al-Qurani li al-Quran. Cairo: Dar al-Fekr al-Arabi, n.d.

al-Qurtubi, Muhammad. Tafsir al-Qurtubi: al-Jame' li Ahkam al-Quran. Ed. Ahmad al-Bardouni and Ibrahim Atfish. Dar al-Kutub al-Mesriyah, 1384 AH - 1964 AD.

## **List of References:**

### **Works cited**

- Ibn al-Arabi, al-Qadhi. Ahkam al-Quran. 3rd ed. Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1424 AH - 2003 AD.
- al-Zamakhshri, Mahmoud. Asas al-Balaghah. Ed. Muhammad B. 'Oyon as-Soud. 1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1419 AH - 1998 AD.
- al-Nisabouri, al-Wahedi. Asbab Nuzoul al-Quran. Ed. Essam al-Humaidan. 2nd ed. Dar al-Islah, 1420 AH - 1992 AD.
- al-Jurjani, Abdulqahir. Asrar al-Balaghah. Ed. Muhammad Shaker. Cairo: Dar al-Madani, 1412 AH - 1991 AD.
- al-Samurra'i, Fadel. Asrar al-Bayan fi al-Ta'abir al-Qurani. 1st ed. al-Aatek Company for Book Industry, n.d.
- Ibn as-Sarraj. al-'Usoul fi al-Nahw. Ed. Abdulhussain al-Fattli. Lebanon: ar-Resalah foundation, n.d.
- al-Nahhas. I'erab al-Qur'an. Ed. Abdulmun'em K. Ibrahim. 1st ed. Dar al-Kutub al-'Elmiyyah, 1421 AH.
- Darwish, Muhi ad-Din. I'erab al-Quran wa Bayaneh. 4th ed. Damascus: Dar Ibn Kathir, 4th ed., 1415 AH.
- al-Murtadha, al-Sharif. Amali al-Murtadha - Ghurar al-Fawa'ed wa Durar al-Qala'ed. Ed. Muhammad Abu F. Ibrahim. 1st ed. Dar Ihya' al-Kutub al-Arabiyyah, 1373 AH - 1954 AD.
- al-Anbari, Abu al-Barakat. al-Ensaf fi Masa'el al-Khelaf bain an-Nahawiyen. 1st ed. al-Maktabah al-'Asriyyah, 1424 AH - 2003 AD.
- al-Andalusi, Abu Hayyan. al-Bahr al-Muhit fi at-Tafsir. Ed. Sedqi M. Jamil. Dar al-Fekr, 1420 AH.
- al-Karmani, Burhan ad-Din. al-Burhan fi Tawjih Mutashabeh al-Quran li-ma Fihi mn al-Hujjah wa al-Bayan. Ed. Abdulqader A. Atta. Beirut: Dar al-Fadhliah, n.d.
- al-Sa'idi, Abdulmut'al. Bughyat al-Idhah li Talkhis al-Muftah. 17th ed. Dar al-Adab, 1426 AH - 2005 AD.
- as-Samurra'i, Fadhl. Blaghat al-Kalemah fi al-Tabir al-Qurani. 1st ed. Baghdad, 1427 AH - 2006 AD.

same meaning in two positions, claiming that the difference lies in the art of repetition of meaning including the case with no similarity at all.

- All attempts to explore and disclose the manifestations of miracle in the Holy Quran, especially the explication of similar composition and considerations of context, are no more than exegesis by scholars which can be right or wrong. Therefore, the miracle of Quran is one thing, and explication is another thing.

The opinion concerning art and repetition of meaning in the Quran by scholars like: Al-Zamakhshari (died in 538 AH), Abi Hayyan (died in 745 AH), Ibn Adel Al-Hanbali (died in 775 AH), and Al-Taher ibn Ashour (died in 1393 AH), reflects a position which needs scrutiny and revision, despite the fact that art in itself is a form of rhetoric. But the more apt position is the one which sees the Quranic composition to have the art and the specific meaning that needs to be extracted or subtlety to be deduced.

Citations of Similar Forms in a Treatise  
by Al-Zamakhshari (died 538 H) entitled "Al-Dur Al-Da'er Al-Montakhab Min  
Kenayat wa Este'arat Al-Arab": An Analytical Study."

**Dr. Abdulkhalil Mohammed El Sayyed El Telb**

Department of Rhetoric and Criticism  
Faculty of Arabic Language  
Al-Azhar University

**Abstract:**

This research is concerned with studying citations of similar forms in a treatise by Al-Zamakhshari (died in 538 H) entitled "Al-Dur Al-Da'er Al-Montakhab" Selection from Circulated Pearls), which is among many of the Quranic citations used to prove that the Holy Quran was revealed in accordance with the Arabs' language traditions, and used their methods in clarification. The Holy Quran contains explicit texts that can be directly understood by the listeners, allowing no differences. It also contains parts that include metonymies, allusions and metaphors. The Holy Quran was revealed in both explicit and metaphorical language to prove the inability of humans to imitate it, as if they are told: "you cannot produce anything like it in factual or metaphorical language."

Al Zamakhshari classified the citations sequentially without any comment or reference to the semantic, composition, or contextual aspect. Thus, the idea of the present research is to detect the differences between these citations, specify their meanings, examine the suitability of each to its context, and identify the secret of selecting each composition in its place. All of these make aspects of the manifestations of the i`jaaz (miracle) of the Quran, since with the multiplicity of the meaning of an item in different places in Quran, one finds that each place will have its intended meaning and the secret characterizes it according to the purpose(s) and goals depending on its position in the context.

The study has come to a number of results, including:

- Most of the citations mentioned by "Al Zamakhshari" in this treatise are presented with his explication in his book "Al Kashaf", showing some cases of semantic differences, and the secret of selecting each composition in its specific context. In other contexts, he describes them as cases of synonymy, or having the

**III. Documentation:**

1. Footnotes should be placed in the footer area of each page respectively..
2. Sources and references must be listed at the end.
3. Sample images of the verified/edited manuscript should be inserted in their respective areas.
- 4 - Clear pictures and graphs that are related to the research should be included in appendices.

**IV.** In case the author is dead, the date of his death, in Hijri calendar, is used after his name in the main body of the research.

**V.** Foreign names of authors are transliterated in Arabic script followed by Latin characters between brackets. Full names are used for the first time the name is cited in the paper.

**VI:** Submitted articles for publication in the journal are refereed by two reviewers, at least.

**VII.** The modified article should be returned on a CD-ROM or via e-mail to the journal.

**VIII.** Rejected articles will not be returned to authors.

**IX.** Authors are given two copies of the journal and fifteen reprints of their article.

**Address of the Journal:**

All correspondence should be sent to the editor of the Journal of Arabic Studies:

Riyadh, 11432 P.O. Box 5701

Tel: 2582051 - Fax 2590261

[www.imamu.edu.sa](http://www.imamu.edu.sa)

E.mail: [arabicjournal@imamu.edu.sa](mailto:arabicjournal@imamu.edu.sa)

## **Editor –in- Chief**

- Prof. Sa`ad Abdulaziz Maslouh  
Professor -Department of Arabic Language–College of Arts  
Kuwait University
- **Prof. Abdulaziz Ibn Saleh Al-Ammar**  
Professor of Rhetoric, Criticism and Approach to Islamic  
Literature –College of Arabic Language-Al-Imam  
Muhammad Ibn Saud Islamic University
- **Prof. Abdulkareem Ibn Ali Awfi**  
Professor of Arabic Language and Literature - College of  
Humanities-King Khalid University
- **Prof. Abdullah SaleemAl-Rasheed**  
Professor, Department of Literature, College of Arabic  
Language
- **Prof. Muhammad Muhammad Abu Musa**  
Professor -Department of Rhetoric and Criticism –Faculty of  
Arabic Language- Al-Azhar University
- **Prof. Muhammad Ibn Nafi` Al-Enizi**  
Professor -Department of Applied Linguistics –Arabic Language  
Teaching Institute-Al-Imam Muhammad Ibn Saud Islamic  
University
- **Dr. HishamAbdulaziz Mohammed Al-Sharqawy**  
Secretary Editor of the Journal of Arabic Studies, Deanship  
of Scientific Research

## **Criteria of Publishing**

The Journal of Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University for Arabic Studies is a peer reviewed journal published by the Deanship of Scientific Research on University Campus. It publishes scientific research according to the following regulations:

### **I. Acceptance Criteria:**

1. Originality, innovation, academic rigor, research methodology and logical orientation.
2. Complying with the established research approaches, tools and methodologies in the respective disciplines.
3. Accurate documentation.
4. Language accuracy.
5. Previously published submissions are not allowed.
6. Submissions must not be extracted from a paper, a thesis/dissertation, or a book by the author or anyone else.

### **II. Submission Guidelines:**

1. The author should write a letter showing his interest to publish the work, coupled with a short CV and a confirmation that the author owns the intellectual property of the work entirely and that he will not publish the work without a written agreement from the editorial board.
2. Submissions must not exceed 50 pages (A4).
3. Submissions are typed in Traditional Arabic, in 17-font size for the main text, and 14-font size for footnotes, with single line spacing.
4. A hard copy and soft copy must be submitted with an attached abstract in Arabic and English that does not exceed 200 words or one page.

## **Chief Administrator**

**H.E. Prof. Sulaiman Abdullah Aba Al-khail**

Rector of the University

Deputy Chief Administrator Editor –in- Chief

**Dr. Mahmoud Ibn Sulaiman Almahmoud**

Vice Rector for Graduate Studies and Scientific Research

**Editor –in- Chief**

**Dr. AbdulrahmanAbdulaziz Al-Muqbel**

Dean of Scientific Research

**Managing Editor**

**Prof. Ahmed Ibn Mohamed Abdallah Hazzazi**

Vice-dean, Deanship of Scientific Research and publishing